

المسند
غفر الله له ولوالديه

الروض
الانف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

الجزء الثالث

دارالنصر للطباعة
المدى والمدى المشعبان

الرَّوَضُ الْأَنْفُ

فِي شَرْحِ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ هِشَامٍ

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّهَيْلِيِّ

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

وَمَعَهُ

السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِلْإِمَامِ ابْنِ هِشَامٍ

الْمُتَوَفَّى ٢١٨ هـ

الجزء الثالث

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيقٌ وَشَرْحٌ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْوَكِيلُ

يطلب من

دار الكتب الحديثة

صاحبها: توفيق عفيفي

جامعة الكويت
ادارة المكتبات - قسم التزويد والعملاء
رقم التسجيل: ١٧٢٣٨
التاريخ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين ،
محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله الذين اهتدوا بهديه إلى يوم الدين .
« أما بعد » فبإسم الله نقدم الجزء الثالث من « الروض الأنف » للسهيلى
والسيرة النبوية لابن هشام ، سائلين الله أن يعين على التمام ، وأن يجعل عملنا
هذا صالحاً عنده . إنه سميع مجيب .

القاهرة — حلوان — مدينة الزهراء

عبد الرحمن الوكيل

ابتداء ما افترض الله سبحانه وتعالى

على النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة وأوقاتها

وافترضت الصلاة عليه ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افترضت عليه ركعتين ركعتين ، كل صلاة ، ثم إن الله تعالى أمها في الحضر أربعا ، وأقرها في السفر على فرضها الأول ركعتين .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة ، فهمز له بعمقه في ناحية الوادى ، فانجرت منه عين . فتوضأ جبريل عليه السلام ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ، ليُريه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل توضأ ، ثم قام به جبريل ، فصلى به ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ، ثم انصرف جبريل عليه السلام .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة ، فتوضأ لها ليُريها كيف الطهور للصلاة ، كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ثم صلى بها رسول الله عليه الصلاة والسلام ، كما صلى به جبريل ، فصلى بصلاته .

قال ابن إسحاق : وحدثني شُتَيْبَةُ بن مُسْلِم ، مولى بنى تميم ، عن نافع بن جُبَيْر بن مُطْعِم - وكان نافع كثير الرواية - عن ابن عباس قال : لما فُتِرَتْ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام ، فصلى به الظهر حين مالت الشمس ، ثم صلى به العصر حين كان ظلُّه مثله ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق ، ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر ، ثم جاءه ، فصلى به الظهر من غد حين كان ظلُّه مثله ، ثم صلى به العصر حين كان ظلُّه مثليه ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول ، ثم صلى به الصبح مُسْفِراً غير مشرق ، ثم قال : يا محمد ، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم ، وصلاتك بالأمس

ذكر أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أول ذكر أسلم

قال ابن إسحاق : ثم كان أوَّلَ ذَكَرٍ من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى معه ، وصدق بما جاءه من الله تعالى : عليُّ بنُ أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم - رضوان الله وسلامه عليه - وهو يومئذ ابن عَشْرَ سنين .

وكان مما أنعم الله على علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجیح ، عن مجاهد بن جَبْر بن أبي الحجاج ، قال : كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب ، ومما صنع الله له ، وأراد به من الخَيْر ، أن قرىشا أصابهم أزمة شديدة ، وكان أبوطالب ذا عيالٍ

كثير ، فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - للعبَّاسِ عنه ، وكان من أيسرِ بني هاشم : يا عبَّاسُ ، إنَّ أخاكَ أبا طالبٍ كثيرُ العيالِ ، وقد أصابَ النَّاسَ ما ترى من هذه الأزمَةِ ، فانطلقْ بنا إليه ، فَانْخَفِ عَنْهُ من عياله ، آخِذٌ من بَنِيهِ رجلاً ، وتأخذُ أنتَ رجلاً ، فنسكُلهما عنه ، فقال العبَّاسُ : نعم ، فانطلقا ، حتى أتيا أبا طالبٍ ، فقالا له : إنا نريدُ أنْ نَخْفِ عَنْكَ من عيالكِ حتى ينكشفَ عن النَّاسِ ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالبٍ : إذا تركتما لي عَقِيلاً ، فاصنعا ما شئتما قال ابن هشام : ويقال : عَقِيلاً وطالبا .

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً ، فضمَّه إليه ، وأخذ العبَّاسُ جعفرًا فضمَّه إليه ، فلم يزل على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً ، فاتبعه على رضى الله عنه ، وآمن به وصدقته ، ولم يزل جعفرٌ عند العبَّاسِ ، حتى أسلم واستغنى عنه .

أبو طالب يكتشف إيمان علي :

قال ابن إسحاق : ذكر بعضُ أهل العلم أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاةُ خرج إلى شِعبِ مكة ، وخرج معه علي بن أبي طالبٍ مُستخفياً من أبيه أبي طالبٍ ، ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلواتِ فيها ، فإذا أمسيا رجعا ، فسكنا كذلك ما شاء الله أن يمكنا . ثم إنَّ أبا طالبٍ عثر عليهما يوماً وهما يصليان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن أخي ! ما هذا الدينُ الذي أراك تدين به ؟ قال : أى عمِّ هذا دين الله ، ودين ملائكته ، ودين رُسُلِهِ ، ودين أبينا إبراهيم - أو كما قال صلى الله عليه وسلم - بعثني الله به رسولاً إلى العباد ، وأنتَ أى عمِّ ، أحقُّ منْ بذلتُ له النصيحةَ ، ودعوته إلى الهدى ،

وأحقُّ من أجابني إليه ، وأعانني عليه ، أو كما قال . فقال أبو طالب : أي ابن أخي ، إنني لا أستطيع أن أفارق دينَ آبائي ، وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يُخَلِّصُ إليك بشيءٍ تسكرهه ما بقيتُ .

وذكروا أنه قال لعليّ : أي بُنَيّ ، ما هذا الدِّين الذي أنت عليه ؟ فقال : يا أبتِ ، آمنتُ بالله وبرسولِ الله ، وصدَّقته بما جاء به ، وصليتُ معه لله واتبعته . فزعموا أنه قال له : أما إنه لم يدعُك إلا إلى خيرٍ فالزمه .

٩

إسلام زيد بن حارثة ثانياً

قال ابن إسحاق : ثم أسلم زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى ابن امرئ القيس الكلابي ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أولَ ذَكَرٍ أسلم ، وصلى بعد عليّ بن أبي طالب .

قال ابن هشام : زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن بكر ابن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة . وكان حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق ، فيهم زيد بن حارثة وصيف . فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد ، وهي يومئذ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها : اختارى يا عمّة أئى هؤلاء الغلمان شئتِ فهو لك ، فاختارت زيداً فأخذته ، فرآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عندها ، فاستَوْهبه منها ، فوهبته له ، فأعتقه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وتبناه ، وذلك قبل أن يوحى إليه .

وكان أبو هريرة قد جزع عليه جزعا شديدا ، وبكى عليه حين فقده ، فقال :

بَكَسَيْتُ عَلَى زَيْدٍ وَلَمْ أَدْرِ مَا فَعَلَ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي ، وَإِنِّي لَسَائِلٌ
وَيَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَكَ الدَّهْرُ أَوْبَةً
تُذَكِّرُنِيهِ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا
وَإِنْ هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ هَيَّجَنَ ذِكْرَهُ
سَاعِمِلَ نَصْرَ الْعَيْسِ فِي الْأَرْضِ جَاهِدًا
حَيَاتِي أَوْ تَأْتِي عَلَيَّ مَنِيَّتِي
أَحَى ، فَيُرْجَى أُمُّ آتَى دُونَهُ الْأَجَلَ
أَغَالِكَ بَعْدَى السَّهْلِ ، أُمُّ غَالِكِ الْجَبَلِ
فَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا جَوْعُكَ لِي بَجَلِ
وَتَعْرِضُ ذِكْرَاهُ إِذَا غَرَبَهَا أَفَلِ
فِي طُولِ مَا حَزَنِي عَلَيْهِ وَمَا وَجَلَ
وَلَا أَسَامَ التَّطَوُّافِ أَوْ تَسَامِ الْإِبِلِ
فَكُلُّ أَمْرِي فَن ، وَإِنْ غَرَّه الْأَمَلُ

تم قدم عليه - وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت فأقيم عندي ، وإن شئت فانطلق مع أبيك ، فقال : بل أقيم عندك . فلم يزل عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى بعثه الله فصدقه وأسلم ، وصلى معه ، فلما أنزل الله عز وجل : « ادعوهم لأبائهم » الأحزاب : ٥ قال : أنا زيد بن حارثة .

إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة ، واسمه : عتيق ، واسم أبي قحافة : عثمان بن عمار بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر .

قال ابن هشام : واسم أبي بكر : عبدالله ، وعتيق : لقب لحسن وجهه وعتقه

قال ابن إسحاق : فلما أسلم أبو بكر رضى الله عنه : أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله .

وكان أبو بكر رجلاً مؤلفاً لقومه ، محبباً سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلاً تاجراً ، ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ، ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته ، فحمل يدعو إلى الله ، وإلى الإسلام من وثق به من قومه ، بمن يفتشاه ويجلس إليه .

فرض الصلاة

وذكر حديث عروة عن عائشة : « فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ ، فزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ ، وَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ » (١) ، وذاكَ الْعَزْ فِي أَنْ الصَّلَاةَ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ (٢) كَانَتْ صَلَاةً قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، وَصَلَاةً قَبْلَ طُلُوعِهَا ، وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْقَوْلِ قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ : (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) (٣) غافر : ٥٥ . وقال يحيى

(١) البخارى ومسلم ومالك وأبو داود والنسائى .

(٢) قال الحافظ فى الفتح : وكان صلى الله عليه وسلم قبل الإسراء يصلى قطعاً ، وكذلك أصحابه ، أقول : وفى ختام سورة المزمل ، وهى التى نزلت بعد القلم : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، آية : ٢٠ . وفى سورة القلم : « وأرأيت الذى يتهى عبداً إذ أصلى ، وهى قطعاً قبل الإسراء وفى المدثر بعدها عن الجرمين : (ما سلككم فى سقر ، قالوا : لم نك من المصلين) ٤٢ ، ٤٣ ، وآيات غيرها تؤكد أن الصلاة كانت مفروضة قبل الإسراء .

(٣) لا تصلح دليلاً لما يقول ، إذ يمكن أن يفهم أن المقصود هو الأمر بالتسبيح طول اليوم .

ابن سلام مثله ، وقال : كان الإسراء وفرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام ، ففعل هذا يحتمل قول عائشة : فزيد في صلاة الحضرة ، أى : زيد فيها حين أكملت خمسا ، فتكون الزيادة فى الركعات ، وفى عدد الصلوات ، ويكون قولها : «فرضت الصلاة ركعتين» أى : قبل الإسراء ، وقد قال بهذا طائفة من السلف ، منهم : ابن عباس ، ويجوز أن يكون معنى قولها : فُرِضَت الصلاة : أى ليلة الإسراء ، حين فُرِضَت الخمسُ فرضت ركعتين ركعتين ، ثم زيد في صلاة الحضرة بعد ذلك ، وهذا هو المروى عن بعض رواة هذا الحديث عن عائشة ، ومن رواه هكذا الحسن والشَّعْبِيُّ أن الزيادة فى صلاة الحضرة كانت بعد الهجرة بعام ، أو نحوه ، وقد ذكره أبو عمر ، وقد ذكر البخارى من رواية مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِيِّ عن عُرْوَةَ عن عائشة قالت : فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ففرضت أربعا ، هكذا لفظ حديثه وههنا سؤال يقال : هل هذه الزيادة فى الصلاة نَسْخٌ أم لا ؟ فيقال : أما زيادة ركعتين أو ركعة إلى ما قبلها من الركوع حتى تكون صلاة واحدة ، فَنَسْخٌ لأن النسخ رفع الحكم ، وقد ارتفع حكم الأجزاء من الركعتين ، وصار من سَلَمٍ منهما عامدا أفسدهما ، وإن أراد أن يتم صلاته بعد ما سلم ، وتحدث عامدا لم يُجْزِهِ إلا أن يستأنف الصلاة من أولها ، فقد ارتفع حكم الأجزاء بالنسخ ، وأما الزيادة فى عدد الصلوات حين أكملت خمسا بعد ما كانت اثنتين ، فيسمى نَسْخًا على مذهب أبى حنيفة ، فإن الزيادة عنده على النص نسخ ، وجمهور المتكلمين على أنه ليس بنسخ ولا احتجاج الفريقين موضع غير هذا (١) .

(١) ليس فى القرآن آية منسوخة بالمعنى الذى فسر به النسخ علماء الأصول . والآيات التى =

الوضوء :

فصل : وذكر نزول جبريل عليه السلام بأعلى مكة حين هَمَزَ له بعقبه ،
فأنبع الماء ، وعلمه الوضوء ، وهذا الحديث مقطوع في السيرة ، ومثله لا يكون
أصلا في الأحكام الشرعية ، ولكنه قد روى مسندا إلى زيد بن حارثة - يرفعه -
غير أن هذا الحديث المسند يدور على عبد الله بن كَهَيِّعَةَ وقد ضَعَّفَ ، ولم يخرج
عنه مُسَلِّمٌ ولا البخاري ؛ لأنه يقال : إن كتبه احترقت ، فكان يحدث من
حفظه ، وكان مالك بن أنس يحسن فيه القول ، ويقال إنه الذي روى عنه
حديثَ بَيْعِ الْعُرْبَانِ (١) في الموطأ مالك ، عن الثقة عنده ، عن عمرو بن
شُعَيْبٍ ، فيقال : إن الثقة ههنا ابن كَهَيِّعَةَ ، ويقال : إن ابن وهب حدث به
عن ابن كَهَيِّعَةَ ، وحديث ابن كَهَيِّعَةَ هذا ، أخبرنا به أبو بكر الحافظ محمد
ابن العربي قال : نا أبو المطهر سعد بن عبد الله بن أبي الرجاء ، عن أبي نعيم الحافظ
قال : نا أبو بكر أحمد بن يوسف العطار قال : نا الحارث بن أبي أسامة ، قال :
نا الحسن بن موسى عن ابن لميعة ، عن عقيل بن خالد عن الزهري ، عن عمرو
عن أسامة بن زيد ، قال : حدثني أبي زيد بن حارثة أن رسول الله - صلى الله عليه

ﷺ زعموا أنها مذبوحة هي آيات يجب العمل بها . كل آية في المصحف الذي بأيدينا
يجب تدبرها والعمل بمقتضاها . ولنحذر من القول بنسخ آية فيه فنحكم بطلان ما هو حق
(١) يبيع العربان هو أن يشتري السلعة ، ويدفع إلى صاحبها شيئا ، على أنه إن
أمضى البيع حسب من الثمن ، وإن لم يرض البيع كان لصاحب السلعة ، ولم يرتجمه المشتري ،
وهو يبيع باطل عند الفقهاء لما فيه من الشرط والغرر وأجازه أحمد ، قال ابن الأثير ،

وسلم - في أول ما أوحى إليه أتاه جبريل عليه السلام ، فعلمه الوضوء ، فلما فرغ من الوضوء أخذ عُرفَةً من ماء ، فنَضَحَ بها فَرَجَهُ ، وحدثنا به أيضا أبو بكر محمد ابن طاهر ، عن أبي علي الفسائي عن أبي عمير النعمري ، عن أحمد بن قاسم ، عن قاسم بن أصبغ ، عن الحارث بن أبي أسامة بالإسناد المتقدم ، فالوضوء على هذا الحديث مَكْتُوبٌ بِالْفَرَضِ ، مَدَنِيٌّ بِالتَّلَاوَةِ ، لأن آية الوضوء مدنية (١) ، وإنما قالت عائشة: فأنزل الله تعالى آية التيمم ، ولم تقل: آية الوضوء ، وهي هي ؛ لأن الوضوء قد كان مفروضا قبل ، غير أنه لم يكن قرآنا يتلى ، حتى نزلت آية المائدة .

إمامة جبريل:

وذكر حديث عبد الله بن عباس في إمامة جبريل للنبي - صلى الله عليه وسلم -

(١) يقول ابن حجر في الفتح عن حديث ابن لهيعة : وهو مرسل ، ووصله أحمد من طريق ابن لهيعة ، لكن قال : عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد عن أبيه ، وأخرجه ابن ماجه من رواية راشد بن سعد عن عقيل عن الزهري نحوه ، لكن لم يذكر زيد بن حارثة في السند ، وأخرجه الطبراني في الأوسط من طريق الليث عن عقيل موصولا ، ولو ثبت لسكان على شرط الصحيح . لكن المعروف رواية ابن لهيعة . هذا وقد روى حديث صلاة جبريل بالرسول أبو داود والترمذي مع اختلاف يسير عما في السيرة ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وصححه الحاكم والذهبي والنووي وغيرهم من المشكاة . وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ : نزل جبريل فأمني ، فصليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، يحسب بأصابعه خمس صلوات . - زاد في رواية - ثم قال : بهذا أمرت ، رواه الخمسة إلا الترمذي - التاج .

وتعليمه إياه أوقات الصلوات الخمس في اليومين ، وهذا الحديث لم يكن ينبغي له أن يذكره في هذا الموضوع ؛ لأنَّ أهلَ الصحيح متفقون على أن هذه القصة ، كانت في الغدِّ من ليلة الإسراء ، وذلك بعد ما نُبِّيَ بخمسة أعوام ، وقد قيل إن الإسراء كان قبل الهجرة بعام ونصف ، وقيل : بعام ، فذكره ابن إسحاق في بدء نزول الوحي ، وأول أحوال الصلاة .

أول من آمن :

وذكر أن أول ذكّر آمن بالله على - رضی الله عنه - ، وسيأتي قول من قال : أول من أسلم أبو بكر ، ولكن ذلك - والله أعلم - من الرجال ؛ لأن عليا كان حين أسلم صبيّاً لم يدرك ، ولا يختلف أن خديجة هي أول من آمن بالله ، وصدق رسوله ، وكان عليٌّ أصغر من جعفر بعشر سنين (١) ، وجعفر أصغر من عقيل بعشر سنين ، وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين ، وكلهم أسلم إلا طالباً اختطفته الجن ، فذهب ولم يعلم بإسلامه (٢) ، وأمُّ عليّ : فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وقد أسلمت ، وهي إحدى الفواطم التي قال فيهن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعليّ رضي الله عنه : أقسمه بين الفواطم الثلاث ، يعني ثوبَ حَريِّ ، قال الأتقي . يعني : فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفاطمة بنت أسد ، ولا أدري من الثالثة ، ورواه عبد الغني بن سعيد : أقسمه بين الفواطم الأربع ، وذكر

(١) هو كما قال في نسب قريش ص ٣٩ .

(٢) خرافة .

فاطمة بنت حمزة مع اللتين تقدمتا، وقال: لا أدري من الرابعة، قاله في كتاب
الفوامض والمبهمات (١).

إسلام زيد:

فصل: وذكر حديث زيد بن حارثة، وقال فيه: حارثة بن شَرَحْبِيل،
وقال: ابن هشام شراحيل، قال أصحاب النسب كما قال ابن هشام، ورفع نسبه إلى
كلب بن وبرة، ووبرة هو: ابن ثعلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة (٢)، وأم زيد:

(١) استدل من حكموا بسبق علي بحديث عند الطبراني أن النبي «ص»، صلى
أول يوم الاثنين، وصلت خديجة آخره، وصلى على يوم الثلاثاء. وبما جاء
في المستدرک للحاكم: نبأ النبي يوم الاثنين، وأسلم على يوم الثلاثاء. وإلى هذا
ذهب سلمان وخباب وجابر وأبو سعيد الخدري، وبما جاء في الطبراني عن الحسن
وغيره: كان أول من آمن على بن أبي طالب، وهو ابن خمس عشرة سنة، أو ست
عشرة. بينما روى عن عروة أنه أسلم وهو ابن ثمان سنين وفيه ابن طيبة، وفيه ضعف.

(٢) في جمهرة ابن حزم: حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.
وجاء في مجمع الزوائد عن نسبه: بن ربيعة بن كليب بن وبرة بن الحارث بن قضاعة
وفي جمهرة ابن حزم: زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن طامر بن النعمان
ابن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة
ابن كلب بن وبرة، ونسبه في الإصابة: زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبدود بن عوف
ابن كنانة بن بكر بن عوف بن زيد اللات بن ثور بن كلب بن وبرة السكلي
وما سأزيده بين قوسين في نسب أمه من الإصابة.

هذا وقد اتفق على أنه أول من أسلم من الموالى. وقيل إن حكيم بن حزام
اشتراه لعمته خديجة بأربعمائة درهم كما جاء في الإصابة. أما كونه أول ذكر أسلم،
فهو في حديث مرسل عند الطبراني كما في السيرة. وفي مجمع الزوائد أن خديجة
رضي الله عنها هي التي استوهته.

سُئِدَى بنت ثعلبة [بن عبد عامر] من بني مَعْنٍ من طَيِّءٍ ، وكانت قد خرجت بزید
التزيرَةَ أهلها ، فأصابته خيل من بني القَمِينِ بن جِسْرٍ ، فباعوه بسوق حُبَاشَةَ ،
وهو من أسواق العرب ، وزيدٌ يومئذ ابن ثمانية أعوام ، ثم كان من حديثه
حاذر ابن إسحاق ، ولما بلغ زيدا قول أبيه : بكيت على زيدٍ ، ولم أدر ما فعل .
بِالْأبيات . قال بحيث يسمعه الرُّكبان :

أحن إلى أهلي ، وإن كنتُ نائياً بأني قعيدُ البيت عند المشاعر
فكفُّوا من الوجد الذي قد شجاكم ولا تُعملوا في الأرضِ نص الأباغر
فإني بحمد الله في خير أسرةٍ كرام معدِّ كابرًا بعد كابر

فبلغ أباه ^(١) قوله ، فغاء هو وعمه كعب ، حتى وقفاه على رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - بمكة ، وذلك قبل الإسلام ، فقال له : يا ابن عبد المطلب ، يا ابن سيد
قومه ، أنتم جيران الله ، وتفككون العاني ، وتطمعون الجائع ، وقد جئناكم في
ابننا عبدك ^(٢) ، لتحسن إلينا في فدائه ، فقال : أو غير ذلك ؟ فقالا : وما هو ؟
فقال : أدعوه وأخبره ، فإن اختار كما فذاك ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي

(١) في الإصابة أن بعض الحجاج رأوا زيدا فمرفهم وعرفوه ، فطلب منهم أن
يبلغوا أباه :

أحن إلى قومي وإن كنت نائياً بأني تطين البيت عند المشاعر
فانطلق الحجاج ، وأعدوا أباه ، ووصفوا له موضعه

(٢) في رواية : عندك .

(م - ٢ - الروض الأنف ج ٣)

أختار علي من اختارني (١) أحدا ، فقال له : قد زدت على النصف ، فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما جاء قال : من هذان ؟ فقال : هذا أبي حارثة بن شراحيل ، وهذا عمي : كعب بن شراحيل ، فقال : قد خيرتك إن شئت ذهبت معهما ، وإن شئت أقت معي ، فقال : بل أقيم معك (٢) ، فقال له أبوه : يا زيد أختار العبودية [على الحرية و] على أبيك (٣) وأمك وبلدك وقومك ؟ فقال : إني قد رأيت من هذا الرجل شيئا ، وما أنا بالذي أفارقة أبداً فعند ذلك أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده ، وقام به إلى الملاء من قريش (٤) ، فقال : اشهدوا أن هذا ابني ، وارثا وموروثا ، فطابت نفس أبيه عند ذلك ، وكان يدعى : زيد بن محمد ، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ ادعواهم لأبائهم ﴾ (٥) الأحزاب : ٥٠ .

وفي الشعر الذي ذكره ابن إسحاق لحارثة بعد قوله :

حياتي وإن تأتي (٦) على منيتي فكل امرئ فانٍ وإن غره الأمل

(١) في الإصابة : د فامن علينا ، وأحسن في فدائه ، فإننا سترفع لك . قال : وما ذاك ؟ قالوا : زيد بن حارثة : فقال : أو غير ذلك . ادعوه ، فخيروه ، فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار علي من اختارني فداه . (٢) في الإصابة : د أنت مني بمكان الأب والعم .

(٣) الزيادة من الإصابة

(٤) وقد أخرجه إلى الحجر كما ورد في الإصابة

(٥) عن عبد الله بن عمر ، قال : د إن زيد بن حارثة - رضى الله عنه -

مولي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد ، حتى نزل القرآن : ادعواهم لأبائهم هو أفسط عند الله ، الصحيحان والترمذي والنسائي

(٦) في السيرة : أو تأتي

سأوصى به قيساً وعمراً كليهما وأوصى يزيد ثم أوصى به جبلاً (١)
يعنى : يزيد بن كعب [بن شراحيل] وهو ابن عم زيد وأخوه [لأمه] (٢)
ويعنى بجبل : جبلة بن حارثة أخا زيد ، وكان أسنَّ منه . سئل جبلة : من أكبر
أنت أم زيد ؟ فقال : زيد أكبر منى ، وأنا ولدت قبله ، يريد : أنه أفضل منه بسبقه
للإسلام (٣) .

إسلام أبي بكر :

فصل : وذكر إسلام أبي بكر ونسبه ، قال : واسمه : عبد الله ، وسمى عتيقاً
لِعَتَاقَةِ وجهه ، والعتيقُ : الحَسَنُ (٤) كأنه أعتق من الدم والعيب - وقيل : سمي
عتيقاً ؛ لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد ، فنذرت إن ولد لها ولدت أن تسميه : عبد
الكعبة ، وتتصدق به عليها ، فلما عاش وشبَّ ، سمي : عتيقاً ، كأنه أعتق من
الموت (٥) ، وكان يسمى أيضاً : عبد الكعبة إلى أن أسلم ، فسماه رسول الله -

(١) في الإصابة : ثم من بعدهم جبل

(٢) الزيادة من الإصابة

(٣) ورد في البخارى عن ابن عمر : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
وايم الله إن كان خليفاً للامارة - يعنى : زيد بن حارثة - وإن كان من أحب الناس لى ،
هذا وقد قتل زيد فى غزوة مؤتة ، وهو أمير سنة ٨ هجرية

(٤) العتق أيضاً الكرم والنجابة والشرف والحرية .

(٥) فى الإصابة : فلما ولدته استقبلت به البيت ، فقالت : اللهم هذا عتيقك
من الموت ، فبوه لى ، وقيل : لقب بهذا لأنه قديم فى الخير ، أو لأنه لم يكن فى لسه
شئ يعاب به أهله .

صلى الله عليه وسلم - : عبد الله (١) ، وقيل : سمي : عتيقا ؛ لأن رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - قال له حين أسلم : أنت عتيق من النار (٢) ، وقيل : كان
لأبيه ثلاثة من الولد : مُعْتَقٌ وَمُعْتَيْقٌ وَعَتِيقٌ (٣) ، وهو : أبو بكر (٤) ،
وسئل ابن مَعِين عن أم أبي بكر فقال : أم الخير عند اسمها ، وهي : أم الخير
بنت صَخْر بن عمرو (٥) بنت عم أبي قحافة ، واسمها : سلى ، وتُكْنَى : أم
الخير ، وهي من اللبايعات ، وأما أبوه عثمان أبو قحافة فأُمُّهُ : قَيْلَةُ - بياض بائنتين
منقوطة من أسفل - بنت أذاة بن رياح بن عبد الله بن قُرْطِ بن رِزَاح بن عدى بن
كعب - وامرأة أبي بكر أم ابنه عبد الله وأسماء : قَتَلَةُ بنت عبد المُرَمَّى بقاء
منقوطة بائنتين من فوق ، وقيل فيها : بنت عبد أسعد بن نصر بن حِثْل بن عامر

(١) عند سعيد بن منصور عن عائشة : قالت : اسم أبي بكر الذي سماه
عبد الله . ولكن غلب عليه اسم عتيق ، وقال مصعب الزبيري : قيل له عتيق
لأنه ، لم يكن في نسبه شيء يماز به .

(٢) في الترمذي : قالت عائشة : دخل أبو بكر على رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - فقال : أنت عتيق الله من النار . قالت : فمن يومئذ سمي : عتيقا ،
وفي أبي يعلى بسنده إلى عائشة : من سره أن ينظر إلى عتيق من النار ، فلينظر إلى
أبي بكر .

(٣) في جمهرة ابن حزم : ولد أبي قحافة أبو بكر ، واسمه عبد الله ، وعتيق
ومعتق لاعتق لهما ، ص ١٢٧ .

(٤) ورد نسب أبي بكر في جمهرة ابن حزم ، وفي نسب قريش كما هوفى السيرة
أما في الاشتقاق لابن دريد ، فليس فيه عمرو ، وفي تهذيب الاسماء واللغات
للنووي و عمير ، بدلا من عمرو ، انظر ص ٢٧٥ نسب قريش .

(٥) في الإصابة ، وفي نسب قريش ، وفي تهذيب النووي ، وفي جمهرة ابن
حزم : عامر .

وهو قول الزبير (١) وذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عرض عليه الإسلام، فما عكف عند ذلك، أي: ما تردد، وكان من أسباب توفيق الله إياه - فيما ذكر - رؤيا رآها قبل ذلك، وذلك أنه رأى القمر ينزل إلى مكة، ثم رآه قد تفرق على جميع منازل مكة وبيوتها، فدخل في كل بيت منه شعبة، ثم كأنه جمع في حجره، فقصها على بعض الكتابيين، فمبرها له بأن النبي المنتظر الذي قد أظل زمانه تتبعه، وتكون أسعد الناس به، فلما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، لم يتوقف، وفي مدح حسن الذي قاله فيه، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم، ولم ينكره دليل على أنه أول من أسلم من الرجال، وفيه:

خير البرية أتقاها، وأفضلها بعد النبي، وأوقاها بما حلا
والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس قدما صدق الرسول (٢)

(١) نسبها في نسب قريش لأبي عبد الله الزبيرى : قتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد بن نصر بن مالك بن حسل ص ٢٧٦ وفي جمهرة ابن حزم : نائلة بنت عبد العزى بن عبد بن سعد بن جابر بن مالك بن حسل بن عامر بن لوى ص ١٢٧ (٢) قبلهما :

إذا تذكرت شجشوا من أخى ثقة فاذا ذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
وقيل : إن ابن عباس كان يستشهد بهذه الآيات على أولية إسلام أبي بكر، وفي الروض جاء الشطر الثاني من البيت الثاني هكذا : والثاني التالي صدق المرسل، وقد روى هذا ابن عبد البر والطبرانى فى الكبير . وقد توفى أبو بكر رضى الله عنه فى ٤ من جمادى الأولى سنة ١٣ من الهجرة . وهو ابن ثلاث وستين ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر . وأولاده : عبد الله وعبد الرحمن ومحمد وعائشة وأسماء وأم كلثوم . وأم عائشة وعبد الرحمن : أم رومان بنت عامر بن عمير بن ذهل بن دهمان بن الحارث بن تيم بن مالك بن كنانة ، وفى جمهرة ابن حزم ، وفى نسب قريش : بنت عبد شمس بن عتّاب بن أذينة بن سبيع بن عامر بن عويمر بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة . نسب قريش ٢٧٦ .

الذين أسلموا بدعوة أبي بكر

فأسلم بدعائه - فيما بلغني - عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية
ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي
ابن غالب ، والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن
كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن
كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

وسعد بن أبي وقاص ، واسم أبي وقاص : مالك بن أهيب بن عبد مناف
ابن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

وظلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن
مرة بن كعب بن لؤي ، فجاء بهم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين
استجابوا له ، فأسلموا وصلوا ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول
فيما بلغني : مادعوتُ أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كنبوة ، ونظر
وتردد ، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ، ماعكم عنه حين ذكرته له ،
وما تردد فيه .

قال ابن هشام : قوله : « بدعائه » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : قوله : عكم : تلبث . قال رؤبة بن العجاج :

.....

وانصاع وثأب بها وما عاكم

قال ابن إسحاق: فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام
فصلوا وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من الله .

ثم أسلم أبو عبيدة ، واسمه : عامر بن عبد الله بن الجراح بن
هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر . وأبو سلمة ، واسمه : عبد الله بن
عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب
ابن لؤى .

والأرقم بن أبي الأرقم . واسم أبي الأرقم : عبد مناف بن أسد — وكان
أسد يكتبى : أبا جندب — بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب
ابن لؤى . وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن مجح بن عمرو
ابن هصيص بن كعب بن لؤى . وأخواه : قدامة وعبد الله ابنا مظعون بن حبيب
وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن
كعب بن لؤى ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن
قرظ بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ، وامراته : فاطمة بنت
الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرظ بن رياح بن رزاح بن عدى
ابن كعب بن لؤى ، أخت عمر بن الخطاب . وأسما بنت أبي بكر . وعائشة
بنت أبي بكر ، وهى يومئذ صغيرة . وخباب بن الأرت ، حليف بنى زهرة .
قال ابن هشام : خباب بن الأرت من بنى تميم ، ويقال : هو من خزاعة .

.....

قال ابن إسحاق : ومُحْمِزُ بن أبي وقاص ، أخو سعد بن أبي وقاص .
وعبدُ الله بن مسعود بن الحارث بن شَمَخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل
ابن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل حليف بنى زُهْرَةَ ، ومسعود بن القاري ،
وهو مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمالة بن غالب بن
مُحَلَّم بن عائذة بن سُبَيْع بن الهون بن خزيمَةَ من القارّة .

قال ابن هشام : والقارّة : لقب ، ولهم يقال :

قد أنصف القارّة من رامها

وكانوا قومًا رماة .

قال ابن إسحاق : وسكيطُ بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر
ابن مالك بن حنبل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر . وعياش ،
ابن أبي ربيعة بن المعيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة .
ابن كعب بن لؤي . وامراته أسماء بنت سلامة بن مخزبة التميمية .
وختنيس بن خذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص .
ابن كعب بن لؤي . وعامر بن ربيعة بن عنز بن وائل ، حليف آل الخطّاب .
ابن نُقَيْل بن عبد العزى .

قال ابن هشام : عنز بن وائل أخو بكر بن وائل ، من ربيعة بن نزار .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن

مُرَّةُ بنِ كَبِيرِ بنِ غَمِّ بنِ دُودَانَ بنِ أَسَدِ بنِ خَزِيمَةَ . وأخوه : أبو أحمد بنِ جَحْشٍ ، حَلِيفَا بنِي أُمَيَّةِ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ . وجعفرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ ، وامرأته : أسماء بنتُ مُحَمَّدِ بنِ النعمانِ بنِ كَعْبِ بنِ مالِكِ بنِ قُحَافَةَ ، من خَنَعَمٍ ، وحاطبُ بنِ الحارثِ بنِ مَعْمَرِ بنِ حَبِيبِ بنِ وَهَبِ بنِ حُدَافَةَ بنِ جُمَحِ بنِ عمرو بنِ هُصَيِّصِ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ ، وامرأته فاطمة بنتُ الْمُجَلَّلِ بنِ عبدِ اللهِ . أبي قَيْسِ بنِ عبدِودِ بنِ نَعْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسلِ بنِ عامرِ بنِ لُؤَيٍّ بنِ غالبِ بنِ فِهْرٍ . وأخوه خَطَّابُ بنِ الحارثِ ، وامرأته فُكَيْهَةُ بنتُ يَسَارٍ . ومَعْمَرُ بنِ الحارثِ ابنِ مَعْمَرِ بنِ حَبِيبِ بنِ وَهَبِ بنِ حُدَافَةَ بنِ جُمَحِ بنِ عمرو بنِ هُصَيِّصِ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ . والسائبُ بنِ عَمَّانِ بنِ مَطْعُونِ بنِ حَبِيبِ بنِ وَهَبِ . والمطلبُ ابنُ أَزْهَرَ بنِ عَبْدِ عَوْفِ بنِ عَبْدِ بنِ الحارثِ بنِ زُهْرَةَ بنِ كِلَابِ بنِ مُرَّةِ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ ، وامرأته : رَمْلَةُ بنتُ أَبِي عَوْفِ بنِ صُبَيْرَةَ بنِ سَعِيدِ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمِ بنِ عمرو بنِ هُصَيِّصِ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ . والنَّحَّامُ ، واسمه : نَعْمِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أُسَيْدٍ ، أخو بنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ .

قال ابن هشام : هو نَعْمِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أُسَيْدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عَوْفِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عَوْجِجِ بنِ عَدِيِّ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ ، وإِنَّمَا سُمِّيَ النَّحَّامُ ، لأنَّ رسولَ اللهِ - صلى اللهُ عليه وسلم - قال : لقد سمعتُ نَحْمَهُ في الجنة .

قال ابن هشام : نَحْمُهُ : صوته وحِسُّهُ .

قال ابن إسحاق : وعامرُ بنُ فُهَيْرَةَ ، مولى أبي بكرِ الصِّدِّيقِ رضِيَ اللهُ عنه

.....

قال ابن هشام : عامر بن فهيرة مؤلّد من مؤلّدي الأسد ، أسودُ اشتراه أبو بكر رضي الله عنه منهم .

قال ابن إسحاق : وخالد بن سميد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، وامراته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جعشم بن سعد بن مليح بن عمرو ، من خزاعة .

قال ابن هشام : ويقال : هميئة بنت خلف .

قال ابن إسحاق : وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر ابن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر . وأبو حذيفة ، واسمه : شهشم - فيما قال ابن هشام - بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي . وواقد بن عبد الله بن عبد مناف ابن عري بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، حاييف بن عدي بن كعب .

قال ابن هشام : جاءت به باهلة ، فباعوه من الخطّاب بن ثقيف ، فتبناه ، فلما أنزل الله تعالى : « اذعوه لهم لأبائهم » الأحزاب : ه قال : أنا واقد بن عبد الله ، فيما قال أبو عمرو اللدني .

قال ابن إسحاق : وخالد وعامر وعافل وإياس بنو البكير ابن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة من بني سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة خلفاء بني

عدى بن كعب . وعمّار بن ياسر ، حليف بنى مخزوم بن يقظة .

قال ابن هشام : عمّار بن ياسر عَدَسِيّ من مَذْحِج .

قال ابن إسحاق : وصُهَيْب بن سِنَان ، أحد النَمِرِ بن قاسط ، حليف بنى تَيْم بن مُرّة .

قال ابن هشام : النَمِرِ بنُ قاسط بن هَنْب بن أَفْصَى بن جَدِيلَةَ بن أسد ابن رَبِيعَةَ بن نزار ، ويقال : أَفْصَى بن دُعَيْمِ بن جَدِيلَةَ بن أسد ، ويقال : صُهَيْب : مولى عبد الله بن جُدعان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْدِ بن تيم .

ويقال : إنه رُومِيّ . فقال بعضُ مَنْ ذُكِرَ أنه من النَمِرِ بن قاسط : إنما كان أسيراً في أرض الروم ، فاشترى منهم ، وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : صُهَيْب سابق الروم .

إسلام أبي عبيدة وسعيد بن زيد :

وذكر إسلام أبي عبيدة بن الجراح واسمه ، وقد اختلف فيه ، وقيل : عبد الله بن عامر ، وقيل : عامر بن عبد الله . وأمه : أميمة بنت غنم بن جابر ابن عبد العزى بن عامرة بن وداعة بن الحارث بن فهر ، قاله الزبير (١) .

وذكر إسلام سعيد بن زيد ، وقد ذكرناه فيما مضى ، وذكرنا أمه فاطمة بنت بَعْجَةَ (٢) بن خَلَفِ الخُزاعية ، وما وقع في نسبه من التقديم والتأخير ، ومن

(١) في ص ٤٤٥ من نسب قريش لأبي عبد الله الزبيرى ، وفي التهذيب للثنوى أميمة بنت جابر .

(٢) في الإصابة: بعجة بن مليح .

الفتح في رِزَاح بن عدى والكسر ، وأن رِزَاح بن ربيعة هو الذي لم يختلف في كسر الراء منه ، ويكنى سعيد : أبا الأعور ، توفي بأرضه بالعميق ، ودفن بالدينة في أيام معاوية سنة خمسين أو إحدى وخمسين ، وهو ابن بضع وسبعين سنة ، روى عنه ابن عُمَر ، وعَمْرُو بن حُرَيْث ، وأبو الطَّيْلِبِ عامر بن وَائِلَةَ وجماعة من التابعين^(١) ، ولم يرو عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا حديثين^(٢) . أحدهما : « من غَصَبَ شبرا من أرض طُوَّقة يوم القيامة من سبع أرضين^(٣) » وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجنة ، وأحد الذين رجف بهم الجبل ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « اثبت حِراء ؛ فإنما عليك نبي - أو صديق أو شهيد^(٤) » ويروى : اثبت أخذ^(٥) ،

(١) من كبارهم : أبو عثمان النهدي ، وابن المسيب ، وقيس بن أبي حازم وغيرهم
(٢) في ذخائر المواريث ذكر له عشرة أحاديث .

(٣) رواه البخاري في المظالم وبدء الخلق ، ومسلم في البيوع

(٤) بعد هذا ورد : وقيل : ومن هم ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف . قيل : ومن العاشر ؟ قال - أي سعيد بن زيد وروى الحديث - أنا ، رواه الترمذي وأبو داود
(٥) روى قصة أحد البخاري وأحمد والترمذي والنسائي وأبو حاتم وأبو داود . والذين كانوا معه : أبو بكر ، وعمر وعثمان وفيه : « فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان ، وحديث ثبير - وهو جبل بالمرزدة لفة على يسار الذهاب إلى منى - عن ثمامة بن شراحيل اليماني . والذين كانوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم : أبو بكر وعمر وعثمان . وفيه : « فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان . وقد أخرج النسائي والترمذي والدارقطني . وفي حديث حراء المروى عن أبي هريرة أنه كان معه أبو بكر =

وَأَنَّ الْقِصَّةَ كَانَتْ فِي جَبَلٍ أُحَدِّدُ ، وَيُرْوَى أَنَّهَا كَانَتْ فِي جَبَلٍ تَسِيرُ ذِكْرَهُ
الترمذى ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا أَرْبَعَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُمْ الْخُلَفَاءُ
الْأَرْبَعَةُ ، وَلَعَلَّ هَذَا أَنْ يَكُونَ مَرَاراً ، فَتَصَحُّحُ الْأَحَادِيثِ كُلِّهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

إِسْلَامُ سَعْدِ بْنِ عَوْفٍ وَالنَّحَاسِ :

وَذَكَرَ فِيمَنْ أَسْلَمَ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَاسْمُ أَبِي
وَقَّاصٍ : مَالِكُ بْنُ أَهْتَيْبٍ ، وَأَهْتَيْبٌ : هُوَ عَمُّ أَمْنَةَ بِنْتِ وَهْبِ أُمِّ النَّبِيِّ
— صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَالْوَقَّاصُ فِي اللُّغَةِ ، هُوَ وَاحِدُ الْوَقَّاقِيصِ
وَهِيَ شَبَاكٌ يَصْطَادُ بِهَا الطَّيْرُ ، وَهُوَ أَيْضاً فَعَّالٌ مِنْ وَقَّصَ إِذَا انْكَسَرَ عُنُقُهُ ، وَأُمُّ
سَعْدٍ : حَمْنَةُ^(١) بِنْتُ سَفِيَّانِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، يَكْنَى : أَبَا إِسْحَاقَ ، وَهُوَ
أَحَدُ الْعَشْرَةِ ، دَعَا لَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يُسَدِّدَ اللَّهُ سَهْمَهُ ، وَأَنْ
يَجِيبَ دَعْوَتَهُ ، فَكَانَ دَعَاؤُهُ أَسْرَعَ الدَّعَاءِ إِجَابَةً^(٢) . وَفِي الْحَدِيثِ أَنْ

== وَعمر وعثمان وطلحة والزبير ، وَفِي رِوَايَةٍ : وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَلَمْ يَذَكَرْ عَلِيًّا
فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ ، وَفِيهِ : فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صَدِيقٌ أَوْ شَهِيدٌ . وَقَدْ خَرَجَ مَعَهُمَا مُسْلِمٌ ،
وَالْتَرَمِذِيُّ ، وَذَكَرَ عَلِيًّا ، وَلَمْ يَذَكَرْ سَعْدًا . وَلَكِنَّ الثَّابِتَ أَنَّ سَعْدًا مَاتَ بِقَصْرِهِ
بِالْحَقِيقِ قَرِبَ الْمَدِينَةِ . وَلَمْ يَسْتَشْهَدْ .

(١) فِي الْإِصَابَةِ : حِمْرَةٌ ، وَلَمَلَهُ خَطَأً مَطْبَعِيٌّ ، وَكَانَتْ غَيْرُ وَاضِحَةٍ فِي الرُّوَضِ
فَأَثْبَتَهَا مِنْ نَسَبِ قَرِيشٍ ص ٢٦٣ .

(٢) فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَالتَّرْمِذِيِّ أَنَّ الرَّسُولَ دَعَا ، كَانَ يَقُولُ لَهُ يَوْمَ أَحَدِ
دَارِمٍ ، فَذَاكَ أَبِي وَأُمِّي . وَزَادَ التَّرْمِذِيُّ أَيُّهَا الْعِلَامُ الْحَزُورُ وَ الشَّدِيدُ الْقَوِيُّ .
وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ سَعْدٍ : دَلَقْتُ مَكْشَتَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَإِنِّي لَثَلْتُ الْإِسْلَامَ ، يَعْنِي
ثَلَاثَ رَجُلٍ أَسْلَمَ ، وَرَوَى التَّرْمِذِيُّ : اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ . مَاتَ سَعْدٌ ==

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : احذروا دعوة سعد . مات في خلافة معاوية .

وذكر عبد الرحمن بن عوف بن عبيد بن عوف بن عبد بن الحارث ابن زُهْرَة (١) ، وهو أيضا أحد العشرة يكنى : أبا محمد ، أمُّه : الشَّفاء بنت عوف ابن عبيد بن الحارث (٢) وهي بنت عم عوف والد عبد الرحمن بن عوف ، فأبوها : عوف عم عوف وأخو عبد عوف .

== رضى الله عنه بالعقيق ، وحمل إلى المدينة ، وقال الواقدي : أثبت ما قيل في وقت وفاته أنها سنة خمس وخمسين ، وهو الذى بنى الكوفة ، وفتح مدائن كسرى واعتزل الفتنة . وعن عائشة قالت : سهر رسول الله ص ، مقدمه المدينة ليلة ، فقال : ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسنى الليلة ، قالت : فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح ، فقال : من هذا ؟ قال : سعد بن أبى وقاص ، فقال له رسول الله : ما جاء بك ؟ فقال : وقع فى نفسى خوف فجت أحرسك ، فدعا له رسول الله ص ، ثم نام . رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

(١) نسبه هكذا فى نسب قریش ، وقد سقط من نسبه فى الإصابة : ابن بن عبد ، وبين الحارث ، أما فى جمهرة ابن حزم ، فنسبه : عبد الرحمن بن عوف بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب .

(٨) فى الإصابة جاء نسبا : أبوها : عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث ابن زهرة . وهو خطأ لأنها بهذا تكون أخت عبد الرحمن . وفى نسب قریش : الشفاء بنت عوف بن الحارث بن زهرة . فأسقطه عبد بن الحارث ، من نسبا . وفى مكان آخر : د الشفاء بنت عوف بن عبد ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٣ وفى الإصابة : واسم أمه : صفية ، ويقال : الصفا ، حكاه ابن منده ذكر البخارى فى تاريخه من طريق الزهرى : قال : أوصى عبد الرحمن بن عوف لسكل من شهد بدرًا بأربعمائة دينار ، فكانه ما تفرجل ، مات سنة ٣١ أو ٣٢ هـ وعاش ٧٢ عاما . دفن بالبقيع وصلى عليه عثمان . أو الزبير .

وذكر نعيم بن عبد الله النحام^(١)، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم :
سمعت نَحْمَةً في الجنة ، ولم يفسر النَحْمَ ما هو ، وهي سُعْلَةٌ مستطيلة ، ويقال
للبخيل : نَحَامٌ ؛ لأنه يَسْعُلُ إذا سئل يتشاغل بذلك ، وأنشد الزبير :
مالك لا ننحيم يارواحه إن النحيم للشقاة راحه

قال : ويقال للنَّحْمَةُ : نَحْطَةٌ ، وقال غيره : النَّحْطَةُ في الصدر ، والنَّحْمَةُ
في الخلق ، والنَّحَامُ أيضاً طائر أحمر في عظم الإوز^(٢) .

عبد الله بن مسعود ومسعود القاري :

وذكر عبد الله بن مسعود^(٣) بن شَمِخِ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل

(١) نسبه في نسب قريش . نعيم بن عبد الله بن أسيد بن عبد بن عوف .
ابن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب ، أما في الإصابة فكما في السيرة ، أي : بإسقاط
ابن بين عبد وعوف . وقد استشهد نعيم بأجنادين في خلافة عمر سنة خمس عشرة .
وقيل : يوم موته في حياة النبي ﷺ ، ص .

(٢) في القاموس : نَحَطٌ يَنْحَطُ نَحِيطًا : زفر زفيرا ، النحاط كغراب : تردد
البكاء في الصدر من غير أن يظهر كالنحط . وقال عن النحيم إنه كالزحير أو فوقه .
وقال عن النحام بمعنى طائر لأنها على وزن غراب ، وخطأ الجوهرى في فتحها
وشدها ، وفي الاستيعاب لابن عبد البر ، وعند ابن الكلبي : أسيد بن عبد عوف
انظر الخشنى ص ٨٠ ، وفي كتاب حذف نسب قريش ص ٨٢ لمؤرج بن عمرو
السدوسي ، أسيد بن عبد عوف ، .

(٣) في الإصابة : عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن سمح بن فار
ابن مخزوم بن صاهلة بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل الهذلي أبو عبد الرحمن .
في جمهرة ابن حزم : شَمِخٌ وتميم .

ابن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل حليف بني زهرة، وقال في نسبه: كاهل،
وقيده الوقشي بفتح الهاء من كاهل، كأنه سُمِّيَ بالفعل من كاهل يُكاهِلُ،
كما قال - عليه السلام لرجل استأذنه في الجهاد - واسمه: جَاهِمَةٌ - فقال: هل
في أهلك من كاهلٍ أئى: من قَوِيٍّ على التصرف (٢)، والاكتمال: القوَّة.
وقال أبو عبيد: كاهل أئى: أسن، وقال ابن الأعرابي: إنما لفظ الحديث هل
في أهلك من كاهن، وغيره الراوى له، فقال: من كاهل، قال: وكاهن
الرجال، هو الذى يخلف الرجل في أهله يقوم بأمرهم بعد، يقال منه: كَهَنَ
يَكْنَهُن كِهَانَةٌ.

وذكر في نسبه أيضا شَمَخًا وهو من شَمَخَ بأنفه إذا رفعه عزةً . وأم
عبد الله هي: أم عبد بنت سَوْدِ بن قديم بن صاهلة هذلية (٢).

وذكر مسعوداً القارى، وهو: مسعود بن ربيعة ورفع نسبه إلى التهنون
ابن خزيمية، وهم القارة وفيهم جرى المثل للثل: قد أنصف للقارة من رامها.
قال الراجز:

قد علمت سلمى، وممن والاهَا أنا نرد الخليلَ عن هواها

(١) في النهاية والقاموس: ويروى من كاهل - بفتح ميم من - وهاء كاهل
باعتبارها فعلاً ماضياً أى تزوج. أو أسن

وفي الاشتقاق: من كاهل أى كهل يقوم بأمرهم ذوسن محتك

(٢) في الإصابة: أمه: أم عبيد بنت عبدود بن سود أو اسوابة بن مريم
وفي جمهرة ابن حزم: وأم عبد الله بن مسعود: أم عبد من المهاجرات الأولى
سمن بن قديم بن صاهلة بن كاهل:

نردها داميّة كُلاها قد أنصف القارة من رامها
إنّا إذا ما فتنة ناقأها نرُدُّ أولأها على أخراها
وسمى بنو الهون بن خزيمه قارة لقول الشاعر منهم في بعض الحروب :
دَعُونَا قَارَةَ لَا تُدْعِرُونَا فَتُنْجِلَ مِثْلَ إِجْفَالِ الظَّلِيمِ (١)
هكذا أنشده أبو عبيد في كتاب الأنساب ، وأنشده قاسم في الدلائل :
دَعُونَا قَارَةَ لَا تُدْعِرُونَا فَتَدْبِقُكَ القَرَابَةُ وَالذَّمَامُ
وكانوا رُماة الحدق (٢) ، فن رامهم فقد أنصفهم ، والقارة : أرض كثيرة
الحجارة ، وجمعها (٣) قور ، فكان معنى المثل عندهم : أن القارة لا تنفد حجارتها
إذ ارمى بها ، فن رامها فقد أنصف .

وهم في نسب أبي حنيفة :

وذكر أبا حذيفة بن عتبة . قال ابن هشام : واسمه : مِهْشَم ، وهو وهم عند
أهل النسب ، فإن مِهْشَمًا إنما هو أبو حذيفة بن المغيرة أخو داسم ، وهشام
ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأما أبو حذيفة بن عتبة فاسمه :

(١) في الاشتقاق واللسان : لا تنفرونا . وفي مجمع الأمثال : القارة قبيلة ، وهم
عضل والديش ابنا الهون بن خزيمه ، ولأنما سماها قارة ، لاجتماعهم والتفاهم لما
أراد الشداخ أن يفرقهم في بني كنانة ، وهم اليوم في اليمن . وقيل غير ذلك .
(٢) يقال : هو من رماة الحدق : حاذق ماهر في النضال .
(٣) في الاشتقاق : القارة : أكمة سوداء فيها حجارة ، وفي القاموس جاء
أيضا أنها الجبل الصغير المنقطع عن الجبال ، أو الصخرة العظيمة أو الصخرة السوداء
وجمعها قارات وقار وقور ، وقيران . هذا وقد ورد في نسب مسعود في الإصابة
بعد غالب هو ابن عائدة بن نذع بن مليح ، وعند السكبي : مسعود بن عامر
ابن ربيعة بن عمير بن سعد بن مخلد بن غالب .

(م ٣ — الروض الأنف ج ٣)

قيس فينا ذكروا^(١).

عميس :

وذكر أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبي طالب ، وعميس أبوها
هو : ابن معد^(٢) بن الحارث بن تميم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن
ربيعة بن زيد بن مالك بن نسر بن وهب بن شهران بن عفرس بن حلف بن
أفتل ، وهو : جماعة ختم بن أثمار على الاختلاف في أثمار هذا ، وقد تقدم .
وأما : هند بنت عوف بن زهير بن الحارث^(٣) من كنانة ، وهي أخت ميمونة
بنت الحارث الهلالية زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - أمهما واحدة ، وأخت
أبابة أم الفضل امرأة العباس^(٤) ، وكن تسع أخوات^(٥) ، فيهن ، قال رسول الله

(١) في الإصابة أيضا مع هذا : وقيل : هاشم . استشهد يوم اليمامة ، وهو
ابن ست وخمسين سنة ، وفي الحاشي ص ٨٠ مثل تصويب السهلي

(٢) هو بإسكان العين أو فتحها . ونسبه في نسب قريش : عميس بن معبد بن تميم
ابن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن نسر بن وهب
الله بن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل ، وفي جمهرة ابن حزم ، وعميس بن معد بن
الحارث بن تميم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن سعد ،
ابن مالك بن بشر بن وهب بن شهران بن عفرس بن حلف بن خشم . ص ٨٠ .
نسب قريش : ٣٦٨ جمهرة . والإصابة تنفق مع الروض حتى ربيعة . ثم تقول
عن ربيعة : ابن غانم بن معاوية بن زيد النخعية . وقيل : وعميس هو ابن النخاعة
ابن كعب ، والباقي سواء .

(٣) قيل خولة بنت عوف بن زهير .

(٤) في الاشتقاق : أنها أم بني العباس بن عبد المطلب إلاما وكثيراً .

(٥) قيل : عشر لام ، وست لام وأب .

— صلى الله عليه وسلم : الأخوات مؤمنات ، وكانت قبل جعفر عند حمزة ابن عبد المطلب ، فولدت له أمة الله ، ثم كانت عند شداد بن الهاد ، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن ، وقد قيل : بل التي كانت عند حمزة ، ثم عند شداد هي أختها : سلمى ، لأسماء ، وتزوجها بعد حمزة أبو بكر الصديق ، فولدت له محمد ابن أبي بكر ، وتزوجها بعده علي بن أبي طالب ، فولدت له يحيى . قال الكلبي : ولدت له مع يحيى عون بن علي ^(١) ، ولم يختلف أنها ولدت لجعفر ابنا اسمه : عون ^(٢) ، وولدت له أيضا عبد الله بن جعفر ، وكان جواد العرب في الإسلام ، وبنات عميس : أسماء وسلامة وسلمى ، وهن أخوات ميمونة وسائر أخواتها لأم .

تصويب في نسب بنى عدى :

وذكر ابن إسحاق في السابقين إلى الإسلام من بنى ستم : عبد الله بن قيس ابن الحارث بن عدى بن سعيد بن سهم ^(٣) ، وحيثما تكرر نسب بنى عدى بن سعد

(١) في الإصابة أن الذى روى هذا هو ابن سعد عن الواقدي . أما ابن الكلبي فقال إنها ولدت له عوناً ، وقال أبو عمر : تفرد بذلك ابن الكلبي .
(٢) ولدته له في الحبشة في هجرتها . وفي الإصابة أنها تزوجت أبا بكر بعد قتل زوجها جعفر ، وروى عمر بن شبة في كتاب مكة أن الرسول زوجها أبا بكر يوم حنين .

(٣) المذكور في السيرة في هذا الموضع : خنيس ، أما عبد الله فأخوه ، وكان خنيس زوج حفصة رضى الله عنها . وقد مات بجراحه يوم أحد ، وقد تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بعده . ونسب خنيس في نسب قريش هو : خنيس بن حذافة ابن قيس بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب ، وهو مطابق لما في السيرة =

ابن سهم يقول فيه ابنُ إسحاق : سَعِيدٌ^(١) ، والناس على خلافه ، وإنما هو سَعْدٌ ، وسيأتي في شعر عبد الله بن قيس شاهد على ذلك ، وإنما سَعِيدٌ بن سَهْمٍ أخو سعد ، وهو جد آل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سَعِيد بن سهم وفي سهم : سَعِيدٌ آخر ، وهو ابن سعد المذكور ، وهو جد المطلب بن أبي وداعة ، واسم أبي وداعة : عوف بن صَبِيرَةَ^(٢) ، ابن سَعِيد بن سعد ، وقد قيل في صَبِيرَةَ : صَبِيرَةَ بالضاد المعجمة ، وهو الذي كان شاباً جميلاً يلبس حلة ، ويقول للناس : هل ترون بي بأساً إجماباً بنفسه ، فأصابته المنية بفتة ، فقال الشاعر فيه :

مَنْ يَأْمَنُ الْحِدْنَانَ بَعْدَ صَبِّ يَزْرَعُ الْقَرَشِيَّ مَا نَا
سَبَقَتْ مَنِيَّتَهُ الْمَشِيدَ بَ وَكَانَ مَنِيَّتَهُ أَفْتِلَاتًا^(٣)
عَمْرُ :

وذكر عامر بن ربيعة ، وقال : هو من عَمْرٍ بن وائل . عَمْرٌ بسكون النون ، ويذكر عن علي بن المديني أنه قال ، فيه عَمْرٌ بفتح النون ، والسكون أعرف . ذكر أهل النسب أن وائلاً [بن قاسط] كان إذا ولده ولد ، خرج من خباته ،

ولهذا يكون السهيلي مخطئاً في نقله عن السيرة إذ ذكر عبد الله بن قيس بن الحارث بن عدى دون خنيس . وليس لعدى ولد اسمه الحارث ، فالحارث ابن قيس ، والد قيس هو عدى . (١) وقوله هنا حق ، وقد صوبتها في السيرة عن صاحب الروض ، وعن نسب قریش لابن عبد الله المصعب الزبيرى ص ٤٠٠ ، وما بعدها ، وعن جهمرة ابن حزم ص ١٥٤ ، وعن الإصابة في ترجمة خنيس .

(٢) هو كذلك في النسب أما في جمرة ابن حزم فهبيرة وهو خطأ

(٣) منية : موت ، افتلات : لجأة

فما وقعت عينه عليه سماه به ، فلما وُلد له بكر وقعت عينه على بَكْرٍ من الإبل ، فسماه به ، فلما وُلد له تغلب رأى نفسين يتغالبان ، فسماه تَغْلِبَ ، فلما وُلد له عَزْزٌ ، رأى عَزْزاً - وهي الأثني من المعز - فسماه عَزْزاً ، فلما وُلد له الشَّخِصُ خرج فرأى شخصاً على بعدٍ صغيراً ، فسماه : الشَّخِصَ ، بهؤلاء الأربعة (١) ، هم قبائل وائل ، وهم معظم ربيعة ، وهو عامر بن ربيعة العَمَزِيُّ العَدَوِيُّ حليف لهم ، ويقال : هو عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد بن عبد الله بن الحارث بن رُقَيْدَةَ بن عَزْزِ بن وائل بن قاسط ، وقيل : عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر بن ربيعة بن حَجِيرِ بن سلامان بن هَنْبِ بن أَفْصَى بن دُعْمَى بن جَدِيلَةَ بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان (٢)

إسلام عامر بن فهيرة :

وذكر عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، وفهيرة : أمه ، وهي تصغره فهير ، لأن الفهر مؤنثة ، وكان عبداً أسوداً للطفيل بن الحارث بن سخبرة (٣) اشتراه

(١) القصة في الاشتقاق لابن دريد ص ٦ وفيها : « فإذا هو بشخص قد ارتفع له ، ولم تبيته نظراته ، وعن تغلب : « فغلبه أن يرى شيئاً فسماه تغلب ،
(٢) في جبهة ابن حزم ص ٢٨٥ عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن حجير بن سلامان بن مالك بن ربيعة بن رفيدة بن عزز بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار . وفي الإصابة كالفصل الأول في الروض مات ستة ٥٣٢ وقال أبو عبيدة سنة ٥٣٧ ،

(٣) في الإصابة الطاميل بن عبد الله بن سخبرة .

أبو بكر فاعتقه ، وأسلم قبل دخول النبي - صلى الله عليه وسلم - دار الأرقم ،
وسياتي في الكتاب نَبَذَ مَنْ أَخْبَارَهُ ، منها : أنه قتله عامرُ بنُ الطفيل (١) يوم بئر
مَعُونَةَ ، فلما طعنه خرج من الطعنة نورٌ ، وكان عامر يقول : مَنْ رَجُلٌ لَمَّا طَعَنْتَهُ
رُفِعَ ، حتى حالت السماءُ دونه ، هذه رواية البَـكَّائِي عن ابن إسحاق ، وفي
رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن عامراً سأل رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - حين قدم عليه ، وقال : يا محمد مَنْ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِكَ لَمَّا طَعَنْتَهُ
رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ ؟ فقال : هو عامر بن قُـهْبَـرَةَ ، وروى هشامُ بن عُرْوَةَ عن أبيه :
أن عامراً التمس في القتلى يومئذ فلم يوجد ، فكانوا يرون أن الملائكة
رفعتهُ ، أو دفنته (٢) ذكره ابن المبارك .

(١) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر السكلافي العامري مات كافراً بإجماع
أهل النقل . وفي الصحيح أنه قدم على النبي «ص» ، فقال له : لك أهل السهل ، ولِي
أهل المدر ، أو أكون خليفتك أو أغزوك بألف أشقر ، وألف شقراء ، فقال
«ص» : اللهم كفنني عامراً فطمن في بيت امرأة - فقال : ائتوني بفرسي ، فات
على ظهر فرسه ، وليس هو عامر بن الطفيل الاسلامي الصحابي .

(٢) قتل عامر وسنه أربعون سنة ، وفي البخاري أنه كان غلاماً لعبد الله بن
الطفيل بن سخبرة أختي عائشة لأمها ، وهو الذي كان يرعى بمنحة من غنم لآبي بكر -
كما جاء في البخاري - فيريحها على الرسول «ص» ، وأبي بكر ، وهما في غار ثور ،
فبيبتان - كما جاء في الحديث - في رسل - وهو ابن منحتهما - غنم - ورضيفهما
«الرسل اللين» ، والرضيف اللبن الذي وضعت فيه الحجارة المحماة ليذهب وخبه
أو اللين المغلي ، حتى ينقع عامر بهذه الغنم بغلس ، وكان يفعل هذا كل ليلة من
الليالي الثلاث دون أن يشعر به أحد . وقد روى البخاري أنه لما قتل الذين بيتر
معونة ، وأسر عمرو بن أمية الضمري قال له عامر بن الطفيل : من هذا ؟ وأشار =

اصدع بما تؤمر وما المصدرة والنزى :

فصل : وذكر قول الله سبحانه : ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ (١) الحجر : ٩٤ .
والمعنى : اصدع بالذى تؤمر به ، ولكنه لما عدى الفعل إلى الهاء حسن حذفها ،
وكان الحذف ههنا أحسن من ذكرها ؛ لأن ما فيها من الإبهام أكثر مما
تقتضيه الذى ، وقولهم : ماصع الفعل بتأويل المصدر ، راجع إلى معنى الذى إذا

إلى قتيل ، فقال له عمرو : هذا عامر بن فهيرة ، فقال : لقد رأيتك بعد ما قتل
رفع إلى السماء ، حتى لى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ، ثم وضع . ونلاحظ
أن قائل هذا هو عامر بن الطفيل الكافر .

(١) فى البخارى عن ابن عباس . قال : لما نزلت (وأنذر عشيرتک) جعل
النبي يدعوهم قبائل قبائل . وعن أبى هريرة أن النبي قال : يا بنى عبد مناف .
اشتروا أنفسكم من الله . يا بنى عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله . يا أم الزبير
ابن العوام عمة رسول الله ، يا فاطمة بنت محمد اشتريا أنفسكما من الله . لا أملك
لكما من الله شيئا ، سلانى من مالى ما شئتما . وعن ابن عباس أيضا : د لما نزلت
روأنذر عشيرتک ، جعل النبي ينادى : يا بنى فهير يا بنى عدى ببطون قريش ،
وهذه القصة إن كانت وقعت فى صدر الإسلام بمكة ، فإن ابن عباس لا يدركها . لأنه
ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، ولا أبو هريرة لأنه إنما أسلم بالمدينة ، وفى نداء
فاطمة يومئذ أيضا ما يقتضى تأخر القصة ؛ لأنها كانت حينئذ صغيرة أو مراهقة ،
وإن كان أبو هريرة حضرها ، فلا يناسب الترجمة (يعنى ترجمة البخارى لهذا
الباب بقوله : باب من انتسب إلى آبائه فى الإسلام والجاهلية ، لأنه إنما أسلم
بعد الهجرة ، بمدة ، والذى يظهر أن ذلك وقع مرتين مرة فى صدر الإسلام -
ورواية ابن عباس وأبى هريرة لها من مراسيل الصحابة - ومرة بعد ذلك حيث
يمكن أن تدعى فيها فاطمة عليها السلام ، أو يحضر ذلك أبو هريرة أو ابن عباس
المحافظ فى الفتح ج ٦ ص ٣٣ ؛ طبعة عبد الرحمن محمد . هذا وحديث
ابن إسحاق بعد يؤكد فرضية الصلاة قبل الإسراء .

تأملته ، وذلك أن الذى تصلح فى كل موضع تصلح فيه ما التى يسمونها المصدرية نحو قول الشاعر :

عسى الأيام أن يرزج^(١) نَ يَوْمًا كلذى كانوا^(٢)

أى : كما كانوا ، فقول الله عز وجل إذا : « فاصدع بما تؤمر » إما أن يكون معناه : بالذى تؤمر به من التبليغ ونحوه ، وإما أن يكون معناه : اصدع بالأمر الذى تؤمره ، كما تقول : عجبت من الضرب الذى تضربه ، فتكون ما ههنا عبارة عن الأمر الذى هو أمر الله تعالى ، ولا يكون الباء فيه دخول ، ولا تقدير ، وعلى الوجه الأول تكون ما مع صلتها عبارة عما هو فعل للنبي صلى الله عليه وسلم - والأظهر أنها مع صلتها عبارة عن الأمر الذى هو قول الله ووحيه ، بدليل حذف الهاء الراجعة إلى : ما ، وإن كانت بمعنى الذى فى الوجهين جميعاً ، إلا أنك إذا أردت معنى الأمر لم تحذف إلا الهاء وحدها ، وإذا أردت معنى المأمور به ، حذفت باء وهاء ، فحذف واحد أيسر من حذفين .

(١) البيت للفند - بكسر الفاء - الزمانى بكسر الزاى وتشديد الميم ، وهو شهل ابن شيبان بن ربيعة بن زمان بن مالك بن صعيب بن على بن بكر بن وائل جاهلى قديم . وفى الحيوان للجاحظ : الرمانى وهو خطأ ، والقصيد فى الحيوان ج ٦ ص ١٤٠ ط ١ : ساسى ، والامالى للقالى ، وحى فيه تسعة أبيات . وفى الحيوان :

عسى الايام ترجمهم - جميعا كالذى كانوا

وفى الامالى د يرجعن قوما ، ويقول البكرى فى السط عن شهل صاحب الشعر ، وليس فى العرب شهل بشين معجمة غيره ، انظر ص ٢٦٠ ج ١ ط ١ : الامالى للقالى ، وص ٥٧٨ سطر اللالى للبكرى

مع أن صدَّعَه وبيانه إذا علقته بأمر الله ووحيه ، كان حقيقة ، وإذا علقته بالفعل الذي أمر به كان مجازا ، وإذا صرَّحت بلفظ الذي ، لم يكن حذفها بذلك الحسن ، وتأمله في القرآن تجده كذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ، وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ البقرة : ٢٣ ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَسْرُونَ وَمَا تُمَلَّنُونَ ﴾ التغابن : ٤ . و ﴿ مَا خَلَقْتُ بِيَدِي ﴾ ص : ٧٥ ﴿ وَلَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ الكافرون . ولم يقل : خلقتُه ، وحذف الهاء في ذلك كله ، وقال في الذي : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ البقرة : ١٢١ ﴿ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سِوَاءَ ﴾ الحج : ٢٥ . وما أشبه ذلك ، وإنما كان الحذف مع ما أحسن لما قدَّمناه من إبهامها ، فالذي فيها من الإبهام قرَّبها من ما التي هي شرط لفظا ومعنى ، ألا ترى أن ما إذا كانت شرطا تقول فيها : مَا تَصْنَعُ أَصْنَعُ مثله ، ولا تقول : مَا تَصْنَعُ ؛ لأن الفعل قد عمل فيها ، فلما ضارعتها هذه التي هي موصولة ، وهي بمعنى الذي الذي أجريت في حذف الهاء مجراها في أكثر الكلام ، وهذه تفرقة في عود الضمير على ما ، وعلى « الذي » يشهد لها التنزيل ، والقياس الذي ذكرناه من الإبهام ، ومع هذا لم نزل أحدًا نَبَّه على هذه التفرقة ، ولا أشار إليها ، وقارى القرآن محتاج إلى هذه التفرقة . وقد يحسن حذف الضمير العائد على الذي ؛ لأنه أوجز ، ولكنه ليس كحُسْنِهِ مع مَنْ وَمَا ، ففي التنزيل : ﴿ وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾ التغابن : ٨ فإن كان الفعل متعديا إلى اثنين كان إبراز الضمير أحسن من حذفه ، لثلاث يتوهم أن الفعل واقع على المفعول الواحد ، وأنه مقتصر عليه ، كقوله تعالى : ﴿ [وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي] جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سِوَاءَ ﴾ الحج : ٢٥ و ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ البقرة : ٢١ وشرح ابن هشام معنى قوله : اصدع شرحا صحيحا ، وتمتته أنه صدَّع على جهة البيان ، وتشبيه لظلمة الشك والجهل بظلمة الليل . والقرآن نور ، فصدَّع به تلك الظلمة ، ومنه سمى الفجر : صديعا ، لأنه يصدع ظلمة الليل ، وقال الشَّامِيُّ :

مبادأة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه

قال ابن إسحاق: ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة، وتحدث به. ثم إن الله - عز وجل - أمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يصدع بما جاءه منه، وأن يبادى الناس بأمره، وأن يدعو إليه، وكان بين ما ألقى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمره، واستقر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغني - من مبعثه، ثم قال الله تعالى له: ﴿فاصدع بما تؤمر، وأعرض عن المشركين﴾ الحجر: ٩٤. وقال تعالى: ﴿وانذير عشيرتك الأقربين. واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين، وقل إني أنا النذير المبين﴾ الشعراء: ٢١٥: ٢١٧.

ترى السرَّحانَ مُفْتَرِشًا يديه كأن بياضَ لَبَّتِه صَدِيعٌ^(١)

على هذا تأوله أكثر أهل الممانى، وقال قاسم بن ثابت: الصديع في هذا البيت: ثوب أسود تلبسه النواحة تحته ثوب أبيض، وتصدع الأسود عند صدرها فيبدو الأبيض، وأنشد:

كأنهن^(٢) إذ ورذن ليعا نواحةً مجتابةً صديعا

(١) نسيبه في اللسان في مادة صدع إلى عمرو بن معدى كرب، والشماخ شاعر ذيباني مخضرم وهو ابن ضرار بن سنان، وقيل اسمه: معقل والشماخ لقب له، وقيل اسمه: الهيم، والأول أكثر. ص ٥٨ سطر اللالى.

(٢) في معجم البكرى: كأنها

قال ابن هشام : فاصدع : افرق بين الحق والباطل . قال أبو ذؤيب الهذلي ،
واسمه : خويلد بن خالد ، يصف أثن وخش وفخلمها :

وكانهنَّ رِبابَةٌ ، وكأنَّه يَسْرُ بِفَيْضِ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْدَعُ
أى : يُفَرِّقُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَبِينُ أَنْصَابَهَا . وهذا البيت في قصيدة له . وقال
رؤبة بن المعجاج :

أنتَ الحَلِيمُ ، والأَمِيرُ المُنْتَمِمْ تَصْدَعُ بِالْحَقِّ ، وتَنْفِي مَن ظَلَمَ
وهذان البيتان في أرجوزة له .

صلاة الرسول وأصحابه في الشعاب

قال ابن إسحاق : وكان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلَّوا ،
ذهبوا في الشُّعاب ، فَاسْتَخَفَّوْا بِصَلَاتِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ ، فبينما سعد بن أبي وقاص
في نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ مَكَّةَ ،
إِذْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ نَفَرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ - وَهُمْ يَصَلُّونَ - فَنَاكَرُوهُمْ ، وَعَابُوا عَلَيْهِمْ
مَا يَصْنَعُونَ حَتَّى قَاتَلُوهُمْ ، فَضْرَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ يَوْمَئِذٍ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ
بِلِخْيِ بَعِيرٍ ، فَشَجَّهَ ، فَكَانَ أَوَّلَ دَمٍ هُرِيْقَ فِي الْإِسْلَامِ .

عداوة الشرك للرسول ومساومته لعمه

قال ابن إسحاق : فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قومه
بالإسلام وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه - فيما بلغني -

.....

حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا خلافه
وعداوته ، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام ، وهم قليل مُستخفون ،
وحَدِب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمهُ أبو طالب ، ومنعه وقام دونه ،
ومضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أمر الله ، مُظهِراً لأمره ، لا يردّه عنه
شيء . فلما رأت قريش ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُعْتَبَم من شيء ،
أنكروه عليه ، من فراقهم وعَيِب آلهتهم ، ورأوا أن عمّه أبا طالب قد حَدِب
عليه ، وقام دونه ، فلم يُسلمه لهم ، مشى رجالٌ من أشرف قريش إلى أبي طالب ،
عُتْبَةُ وشَيْبَةُ ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيِّ بن كِلاب بن مُرّة
ابن كَعْب بن لؤي بن غالب . وأبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس
ابن عبد مناف بن قُصَيِّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤي بن غالب بن فهر .

قال ابن هشام : واسم أبي سفيان : صَخْر .

قال ابن إسحاق : وأبو البَخْتَرِيّ ، واسمه : العاص بن هشام بن الحارث
ابن أسد ابن عبد العزّي بن قُصَيِّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤي .

قال ابن هشام : أبو البَخْتَرِيّ : العاص بن هاشم .

قال ابن إسحاق : والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزّي بن قُصَيِّ
ابن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤي . وأبو جهل - واسمه عمرو ، وكان يُكنى
أبا الحَكَم - ابن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرّة
ابن كَعْب بن لؤي . والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة

ابن مرة بن كعب بن لؤي . ونبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن
سمد بن ستم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي . والعاص بن وائل .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن
هصيص بن كعب بن لؤي .

قال ابن إسحاق : أو من مشى منهم . فقالوا : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك
قد سب أمتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أعلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه
عنا ، وإما أن تحل بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلفه ، فكفك
فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً ، وردهم رداً جميلاً ، فانصرفوا عنه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه ، يظهر دين الله ،
ويدعو إليه ، ثم شري الأمر بينه ، وبينهم حتى تباعد الرجال ، وتضاغنوا ،
وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها ، فتذا مروا فيه ،
وحض بعضهم بعضاً عليه ، ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى ، فقالوا له :
يا أبا طالب ، إن لك سناً وشرفاً ومنزلةً فينا ، وإننا قد استنهميناك من ابن أخيك
فلم تنه عنه ، وإننا والله لانصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أعلامنا ،
وعيب أمتنا ، حتى تكفه عنا ، أو ننازله وإياك في ذلك ، حتى يهلك أحد
الفرقتين ، أو كإلوانه . ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبي طالب فراق قومه
وعداوتهم ، ولم يطمئناً نفساً بإسلام رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لهم
ولا خذلانه .

.....

مناصرة أبي طالب للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عُتبة بن المُغيرة بن الأُخنس أنه حَدَّث : أن قُريشا حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة ، بعث إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له : يا بن أخي ، إن قومك قد جاءوني ، فقالوا لي كذا وكذا ، للذي كانوا قالوا له ، فأبى عليّ ، وعلى نفسك ، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق : فظنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قد بدأ لعمه فيه أنه خاذلُه ومُسلمه ، وأنه قد ضعُف عن نصرته والقيامِ معه . قال : رسول الله - صلى الله عليه وسلم : يا عمّ ، والله لو وضعوا الشمسَ في يميني ، والقمرَ في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله ، أو أهلكَ فيه ، ما تركته . قال : ثم استعبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبكى ثم قام ، فلما ولي ناداه أبو طالب ، فقال : أقبل يا بن أخي ، قال : فأقبل عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : اذهب يا بن أخي ، فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإسلامه وإجماعه لفرأقهم في ذلك وعداوتهم ، مشوا إليه بمجارة بن الوليد بن المُغيرة ، فقالوا له - فيما بلغني - : يا أبا طالب ، هذا معامرة بن الوليد ، أنهدُ فتى في قريش وأجملُه ، نخذه فلك عقله ونصرُه ، واتخذهُ ولدا فهو لك ، وأسلمنا إليك هذا ، الذي قد خالف دينك ودين

.....

آبائك ، و فرّق جماعة قومك ، وسفه أحلامهم ، فنقتله فإِنما هو رجل برجل .
فقال : والله لبئس ماتسومونني ! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيك ابني .
تقتلونه ا هذا والله ما لا يكون أبداً . قال : فقال المُطعم بن عديّ بن نوفل بن
عبدمناف بن قصي : والله يا أباطالب لقد أنصفك قومك ، وجهدوا على التخلص
مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ، فقال أبو طالب للمُطعم : والله
ما أنصفوني ، ولكنك قد أجمعت خذلانِي ومُظاهرة القوم على ، فاصنع ما بدا
لك ، أو كما قال . قال : فحَقَب الأمر ، وحميت الحرب ، وتنايذ القوم ، وبأدى
بعضهم بعضاً .

فقال أبو طالب عند ذلك - يُعرض بالمُطعم بن عديّ - ويَعْمُ من خذله .
من بني عبد مناف ، ومن عاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سأله ، وما
تباعده من أمرهم :

ألا قلّ لعمرو والوليد ومُطعم
من الخور حَبِيبٌ كثيرٌ رُغَاؤُه
تخلف خلف الورد ليس بلاحق
أرى أخويننا من أئبنا وأئبنا
بلى لها أمرٌ ، ولكن تجرّوا بها

كما جرّجت من رأس ذي علق صخر
أخصّ خصوصاً عبد شمس ونوفلاً
مهما أغمزا للقوم في أخوينهما
مهما نبدانا مثل ما يُنبذ الجور
قد أصبحا منهم أكفهما صفر

هُمَا أَشْرَكَ كَافِي لَلْجِدِّ مَنْ لَا أَبَالَه مِنْ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يُرْسَلَ لَهُ ذِكْرُ
وَتَيْمٌ وَخَزُومٌ وَزُهْرَةٌ مِنْهُمْ وَكَانُوا لَنَا مَوْلَى إِذَا بُنِيَ النَّصْرُ
فَوَاللَّهِ لَا تَنفَكَ مِنَّا عَدَاوَةٌ وَلَا مِنْهُمْ مَا كَانَ مِنْ نَسَلْنَا شَفْرُ
فَقَدْ سَنَهَتْ أَحْلَاهُمْ وَعُمُولُهُمْ وَكَانُوا كَجَفْرٍ بئس مَا صَنَعْتَ جَفْرُ

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين أقذع فيهما .

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا تذاصروا بينهم على مَنْ في القبائل منهم من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على مَنْ فيهم من المسلمين يعدّونهم ، ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - منهم بعمه أبي طالب ، وقد قام أبو طالب ، حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه ، من منع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه ، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبي لهب ، هدو الله للمعون .

فلما رأى أبو طالب من قومه ما مره في جهدهم معه ، وحذبهم عليه ، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ، ويذكر فضل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيهم له ومكانه منهم ، ليشدّ لهم رأيهم ، وليخذبوا معه على أمره ، فقال :

إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا قَرَيْشٌ لِمَفْخَرٍ فَعَبْدُ مَنْافٍ سِرُّهَا وَصَمِيمُهَا
فَإِنْ حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عِبْدِ مَنْافِهَا فِي هَاشِمٍ أَشْرَافُهَا وَقَدِيمُهَا

وإن فخرت يوماً ، فإنَّ مُحمَّداً
تَدَاعَتْ قُرَيْشٌ غَظْها وَسَمِيئُها
وَكُنَّا قَدِيماً لا نَقْرُ ظِلَامَةَ
وَنَحْمَى حِماها كُلَّ يَوْمٍ كَرِيهَةَ
هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ سَرِها وَكَرِيْمُها
عَلَيْنَا فلم تَظْفَرِ وطاشت حلومُها
إِذا ما ثَنَوْا صُغْرَ الخُدودِ نُقِيمُها
وَتَضْرِبُ عَنْ أَجْجارها مَنْ يَرُومُها
بأ كُنْافنا تَدَدَى وَتَنْمِي أرومُها
بنا انْتَمَشَ العودُ الذَّوْءُ ، وإِنما

مبادأة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه

أصل الصلوة لغة :

ذكر في الحديث : أن أبا طالب حَدِبَ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وقام دونه : أصل الحَدِبِ : انحناء في الظهر ، ثم استعير فيمن عطف على غيره ، ورق
له كما قال النابغة :

حَدِبَتْ عَلَى بَطُونٍ ضَبَّةٌ كُلِّها
إِنْ ظالما فِيهِمْ ، وَإِنْ مَظْلوما

ومثل ذلك الصلاة ، أصابها : انحناء وانعطاف من الصَّالِئِينَ وَها : عرفان
في الظهر إلى الفخذين ، ثم قالوا : صَلَّى عَلَيْهِ ، أَيْ : انحنى عليه ، ثم سموا الرحمة
حُذُوءًا وَصلاة ، إِذا أَرادوا اللَّيالِفةَ فِيها ، فقولك : صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ، هو أَرْق
وَأَبْلَغُ مِنْ قَوْلِكَ : رَحِمَ اللهُ مُحَمَّدًا فِي الحِنوِّ وَالعَطْفِ (١) . وَالصلاة أَصلُها

(١) ذكر القاموس لأصل هذه التعريفات : وسط الظهر منا ، ومن كل ذي أربع ،
أو ما انحدر من الوركين ، أو الفرجة بين الجاعرة والدرج ، والذنب ، أو ما عن يمين
الذنب وشماله ، وهما صلوان . ويقول المبرد : أصل الصلاة : الرحمة . والمشهور عند كثير
من المتأخرين أن صلاة الله على الرسول وعليتا هي رحمته ، وهو رأى ضعيف ، لأن الله يقول
عن عباده الصابرين : (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون) البقرة :
١٥٤ . فعطف الرحمة على الصلوات يقتضى المغايرة بينهما . كأن صلاة الله سبحانه خاصة =
(٢ - ٤ : الروض الانف ج ٣)

في المحسوسات عبّر بها عن هذا المعنى مبالغة وتأكيداً كما قال الشاعر :

فما زلت في إينى [له] وتمعّطى عليه ، كما تحنو على الولد الأمُّ

ومنه قيل : صَلَّيتُ على الميت أى : دعوت له دعاءً مَنْ يحنو عليه ويتمتعف عليه ، ولذلك لا تكون الصلاة بمعنى الدعاء على الإطلاق : لا تقول : صَلَّيتُ على العدو ، أى : دعوت عليه . إنما يقال : صَلَّيتُ عليه فى معنى الحُنُوِّ والرحمة والعطف ؛ لأنها فى الأصل انعطاف ، ومن أجل ذلك عُدَّيت فى اللفظ بعلَى ، فتقول : صَلَّيتُ عليه ، أى : حَنَوْتُ عليه ، ولا تقول فى الدعاء إلا : دعوتُ له ، فتعدّى الفعل باللام ، إلا أن تريد الشرَّ والدعاء على العدو ، فهذا فرق ما بين الصلاة والدعاء ، وأهل اللغة لم يفرقوا ، ولكن قالوا : الصلاة بمعنى الدعاء إطلاقاً ، ولم يفرقوا بين حالٍ وحالٍ ، ولا ذكروا التعدى باللام ، ولا بعلَى ، ولا بد من تقييد العبارة ، لما ذكرناه ، وقد يكون الحُدْبُ أيضاً مستعملاً فى معنى المخالفة إذا قرُنَ بالقعسِ كقول الشاعر :

== بالأنبياء والرسل والمؤمنين ، أما رحمته فقد وسعت كل شى . ولو أننا تتبعنا آيات القرآن لوجدنا أن المراضع التى تذكر فيها الرحمة لا يحسن فيها وضع الصلاة مكانها ، ولهذا يقول ابن القيم عن معنى صلاتنا نحن على الرسول ص ، إنها اطلب من الله ما أخبر به عن صلاته . وصلاة ملائكته . وهى ثناء عليه وإظهار لفضله وشرفه وإرادة تكريمه وتقريبه فهى تتضمن الخير والطلب . وإرادة من الله أن يعلى ذكره ويزيده تعظيماً وتشريفاً ، ص ٩٩ جلاء الأفهام ، وقد ذكر البخارى فى صحيحه أن صلاة الله على نبيه هى ثناؤه عليه عند الملائكة

وإن حَدِبُوا ، فاقمَس ، وإن هم تقاعسوا
لينتزعوا ما خلفَ ظهرك فاحْدَبْ (١)
وكقول الآخر :

ولن يُهَنِّه (٢) قوما أنت خائفهم كمثل وَفِكَ جُهَلًا بِجُهَالٍ
فاقمَسْ إذا حَدِبُوا ، واحْدَب إذا قَمِسُوا
ووازن الشَّرَّ مِثْقَالًا بِمِثْقَالٍ
أنشده الجاحظ في كتاب الحيوان له .

أبو البخترى :

فصل : وذكر بحجى النفر من قریش إلى أبى طالب فى أمر النبى صلى الله
عليه وسلم ، وذكر أنسابهم ، وذكر فىهم أبا البخترى بن هشام ، قال : واسمُه :
العاصى بن هشام ، وقال ابن هشام : هو العاصى بن هاشم ، والذى قاله ابن
إسحاق هو قول ابن الكلبي ، والذى قاله ابن هشام هو قول الزبير بن أبى بكر
وقول مُصَعب (٣) وهكذا وجدت فى حاشية كتاب الشيخ أبى بجر : سفیان
ابن العاصى .

(١) القمَس بفتح القاف والعين ، ضد الحدب : دخول الظهر وخروج الصدر ،
والماضى : قمَس كفَرَح - والبيت من قصيدة منسوبة إلى أبى الأسود الدؤلى ،
وهو فى الحيوان هكذا : فإن حَدِبُوا فاقمَس .. ليستمسكوا بما وراءك فاحْدَب
ص ١٧٤ ج ٥ الحيوان للجاحظ ط ساسى

(٢) نهنه فلانا عن الشيء : زجره وكفه عنه ، ووقم الرجل يقمه وقما ، أكرهه
وأذله وقهره وقسره ، ووقه عنه : رده أقبح الرد .

(٣) هو كما قال فى كتاب المصعب نسب قریش ص ٢٠٩ وكذلك فى جمهرة

ابن حزم ص ١٠٨

لو وضعوا الشمس في يميني :

فصل : وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في شمالي على أن أدعَ هذا الذي جئت به ما تركته ، أو كما قال (١) . خَصَّ الشمسَ باليمين ؛ لأنها الآية المُبْصِرَةُ ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية المَمْحُوتَةُ ، وقد قال عمر - رحمه الله - لرجل ، قال له : إني رأيت في المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ، ومع كل واحد منهما نُجُومٌ ، فقال عمر : مع أيهما كنت ؟ فقال : مع القمر ، قال : كنت مع الآية المَمْحُوتَةَ ، اذهب ، فلا تعمل لي عملاً ، وكان عاملاً له ، فمزَلَهُ ، فقتل الرجل في صِفِّينَ مع معاوية ، واسمه : حابس بن سعد ، وخص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - النَّبِيرَيْنِ حين ضَرَبَ المثل بهما ؛ لأن نورهما محسوسٌ ، والنورُ الذي جاء به من عند الله - وهو الذي أرادوه على تركه - هو لا حَمَالَةٌ أشرفُ من النور الخلقِ ، قال الله سبحانه : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ﴾ التوبة : ٣٣ . فاقتضت بلاغة النبوة - لما أرادوه على ترك النور الأعلى - أن يقابله بالنور الأدنى ، وأن يخص أعلى النَّبِيرَيْنِ ، وهي الآية المْبِصِرَةُ بأشرف اليبدين ، وهي النبي بلاغةً لامثلها ، وحكمة لا يجمل اللبيبُ فضلها .

البراء :

وقول ابن إسحاق : ظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن قد بدأ لعمه ببدء ، أي : ظهر له رأى ، فسمى الرأى ببدء ، لأنه شئ يبداً بعد ما خفى ، والمصدر

(١) لم يروه أحد من أصحاب الصحاح .

البَدَاءُ^(١) والبُدُوُّ، والاسم: البَدَاءُ، ولا يقال في المصدر: بداهه بُدُوٌّ، كما لا يقال: ظهر له ظهورٌ بالرفع؛ لأن الذي يظهر، ويبدوها هنا هو الاسم: نحو البَدَاءُ وأنشد أبو علي:

لعلك والموعودُ حقٌّ وفأوهُ بدالك في تالك القلوصِ بَدَاءُ^(٢)

ومن أجل أن البُدُو هو الظهور، كان البَدَاءُ^(٣) في وصف البارئ - سبحانه - محالاً؛ لأنه لا يبدو له شيء كان غائباً عنه، والنسخُ للحكم ليس ببداء كما توهمت الجملة من الرافضة واليهود، إنما هو تبديل حكم بحكم بقدر قدره، وعلم علمه، وقد يجوز أن يقال: بداهه أن يفعل كذا، ويكون معناه: أراد. وهذا من المجاز الذي لا سبيل إلى إطلاقه إلا بإذن من صاحب الشرع، وقد صحح في ذلك ما خرجه البخاري في حديث الثلاثة: الأعمى والأفقر

(١) ليس لما قيل من قبل عن وضع الشمس والقمر سند صحيح، فكيف يقيم عليه كل هذا!؟

(٢) القلوص من الإبل: الشابة، والبيت من أبيات ذكرها أبو علي القالي في أماليه ص ٧١ ط ٢ غير منسوبة إلى أحد، وهي قول رجل وعد رجلاً قلوصاً فأخلفه. ونقل البكري في السمط ص ٧٠ عن أبي عمرو الشيباني أنها لرجل من مزينة، وذكر الأستاذ الميمنى في تحقيقه للسمط أنها لمحمد بن بشير الخارجي كما ورد في الأغاني

(٣) الشيعة هم القائلون بالبداء، وله معان - كما يقول الشهرستاني - (البداء في العلم، وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم، والبداء في الأمر وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بدمه بخلاف ذلك) وهذا محال على الله سبحانه أن يرى شيئاً، ثم يظهر له أن الأمر بخلاف ما رأى، فالله بكل شيء عليم.

والأبرص ، وأنه عليه السلام قال : بدا لله أن يبتليهم ، فبدا هنا بمعنى : أراد ، وذكرنا الرافضة ، لأن ابن أعين ، ومن اتبعه منهم ، يميزون البداء على الله تعالى ، ويجهلونه والنسخ شيئاً واحداً ، واليهود لا تميز النسخ يحسبونه بداءً ، ومنهم من أجاز البداء كالرافضة ، ويروى أن علياً - رحمه الله - صلى يوماً ، ثم ضحك فسئل عن ضحكه فقال : تذكرت أبا طالب حين فرضت الصلاة ، ورآني أصلي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم بنخلة^(١) فقال : ما هذا الفعل الذي أرى ، فلما أخبرناه ، قال : هذا حسن ، ولكن لا أفعله أبداً ، لا أحب أن تعلموني استيتي فتذكرت الآن قوله ، فضحكت .

عرصة قريش على أبي طالب :

فصل : وذكر قول الملائم من قريش لأبي طالب : هذا عمارة بن الوليد أنهدفتي في قريش ، وأجمله ، نخذه مكان ابن أخيك . أنهد . أى : أقوى وأجلد ، ويقال : فرس أنهد للذى يتقدم الخيل ، وأصل هذه الكلمة : التقدم ، ومنه يقال : أنهد ندى الجارية ، أى : برزقديماً . وعمارة بن الوليد هذا المذكور هو : الذى أرسلته قريش مع عمرو بن العاص إلى أرض الحبشة فسُحر هناك ، وجن ، وسنزيد في خبره شيئاً بعد هذا إن شاء الله .

(١) نخلة: أما كن متعددة منها : نخلة محمود ، وهو موضع بالحجاز قريب من مكة فيه نخيل وكروم ، ونخلة الشامية ، وهى ذات عرق وأعلى نخلة ذات عرق ، وهى لبني سعد الذين أرضعوا النبي صلى الله عليه وسلم ، ونخلة الجانية واد يصب فيه يدعان به مسجد للنبي .

وذكروا أن أبا طالب قال لهم حين سألوه أن يأخذ عمارة بدلا من محمد صلى الله عليه وسلم: رأيتم ناقة تحن إلى غير فصيلها وترأمة^(١) لا أعطيكم ابني تقتلونه أبدا، وأخذ ابنكم أكفله، وأغذوه، وهو معنى ما ذكر ابن إسحاق قال ابن إسحاق فحَقَّب الأمرُ عند ذلك، يريد: اشتد، وهو من قولك: حَقَّب البعير إذا راغ عنه الحَقَّب من شدة الجهد والنصب، وإذا عسر عليه البول أيضا لشد الحَقَّب^(٢) على ذلك الموضع، فيقال منه: حَقَّب البعير، ثم يستعمل في الأمر إذا عَسِرَ، وكذلك قوله: فَشَرَى الأمر عند ذلك، أي: انتشر الشر، ومنه الشَّرَى، وهي قروح تنتشر على^(٣) البدن، يقال منه: شَرَى جلدُ الرجل، يَشْرَى شَرَى.

(١) رتم الجرح بكسر الهمزة انضم والتأم، رمت الأثني ولدها رأما ورأمانا هورئمانا أحبته وعطفت عليه.

وينسب إلى أبي طالب أنه قال للنبي هذا الشعر:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيننا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه عيوننا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي ولقد صدقت، وكنت ثم أميننا
وعرضت ديننا لا بحالة أنه من خير أديان البرية ديننا
لولا الملامة، أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مييننا

انظر المواهب ص ٢٤٨.

(٢) الحزام يلي حقو البعير، أو حبل يشد به الرجل في بطنه

(٣) عرفها القاموس بقوله: بشور صفار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة

غالبا. وتشتد ليلا.

سهر أبي طالب :

فصل : وذكر شعر أبي طالب :

أَلَا قُلْ لِعَمْرٍو وَالْوَلِيدِ . إِلَى آخِرِ الشَّعْرِ

وَفِيهِ :

أَلَا لَيْتَ حَظِّي مِنْ حَيَاظِكُمْ ^(١) بَكَرٍ

أى : إن بكرًا من الإبل أنفع لى منكم ، فليته لى بدلا من حياظتكم
كما قال طرفة فى عمرو بن هند :

قَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرٍو رَغْوَتًا ^(٢) حَوْلَ قُبْتِنَا تَخُورِ

وقوله : من أَلُورٍ حَبِيبَابُ . أَلُورُ ^(٣) الضَّعَافُ ، وَالْحَبِيبَابُ بِالْحَاءِ :
الصَّغِيرُ . وَفِي حَاشِيَةِ كِتَابِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ : جَبِيبَابٌ ^(٤) بِالْجِيمِ ، وَفَسَّرَهُ فَقَالَ : هُوَ
السَّكَنِيُّ الْمَدْرُ ، وَفِي الشَّعْرِ :

إِذَا مَا عَلَا الْفَيْفَاءُ قِيلَ لَهُ : وَبُرُّ

أى يُشَبَّهُ بِالْوَبْرِ لَصَفَرِهِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ : يَصْفُرُ فِي الْعَيْنِ لَعَلُّهُ
لِلسَّكَنِ وَبَعْدَهُ ، وَالْفَيْفَاءُ فَعْلَاءُ ، وَلَوْلَا قَوْلُهُمْ : الْفَيْفُ ، لَسَكَانَ حَمَلَهُ عَلَى بَابِهِ

(١) فى رواية و حفاظتكم ، والحفاظ الغضب ص ٨٢ الحشنى

(٢) الرغوث هى كل مرضعة وفى الاصل : لبت

(٣) جمع أخور

(٤) وتروى بالخاء . الضعيف

القَضْفَاصِ وَالْجَرْجَارِ أَوْلَى (١) ، ولكن سُمِعَ الْفَيْفُ ، فَعَلِمَ أَنَّ الْأَلْفَيْنِ زَائِدَتَانِ (٢) ، وَأَنَّهُ مِنْ بَابِ قَاتَقَ وَسَلَسَ الَّذِي ضَوَّعْتَ فِيهِ فَاءَ الْفِعْلِ دُونَ عَيْنِهِ ، وَهِيَ الْفَاظُ بِسِيرَةِ نَحْوِ قَاتَقٍ وَسَلَسٍ وَثَلَّثَ وَسُدُسٍ (٣) ، وَقَدَاعَتِنَا بِجَمْعِهَا مِنَ الْكَلَامِ ، وَلَعَلَّ لَهَا مَوْضِعًا تَذَكَّرَ فِيهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَا تَكُونُ أَلْفٌ فَيْفَاءً لِلإِلْحَاقِ فَيَصْرَفُ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ : فَعْلَالٌ ، فَإِنَّهُ قِيلَ : يَكُونُ مَلْحَقًا بِقَضْفَاصٍ وَبَابِهِ ، قَلْنَا : قَضْفَاصٌ ثِنَاثِي مَضَاعِفٌ ، فَلَا يَلْحَقُ بِهِ الثَّلَاثِي ، كَمَا لَا يَلْحَقُ الرَّبَاعِي بِالثَّلَاثِي ، وَلَا الْأَكْثَرُ بِالْأَقَلِّ (٤) ، وَقَدْ حَكِيَ

(١) القَضْفَاصُ : أَشْنَانُ الشَّامِ ، أَوْ شَجَرٌ مِنَ الْحُمْضِ ، وَالْأَسَدُ ، وَيَضْمُ وَلَا يَسُ مَضْمٌ .
وَلَيْسَ فَعْلَالٌ - يَضْمُ الْفَاءَ - سِوَاهُ ، وَالْجَرْجَارُ كَالْقَرْقَارِ : نَبْتٌ ، وَمِنْ الْإِبِلِ : الْكَثِيرُ الصَّوْتِ .

(٢) فِي اللِّسَانِ وَبِالْفَيْفِ اسْتَدْلُّ سَبِيوِيهِ عَنِّي أَنَّ أَلْفَ فَيْفَاءَ زَائِدَةٌ ، وَفِيهِ عَنِ الْمُبْرَدِ : وَ أَلْفٌ فَيْفَاءَ زَائِدَةٌ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : فَيْفٌ ، وَفِي شَرْحِ الشَّافِيَةِ لِلرَّضِيِّ وَالأَلْفُ فِي الْفَيْفَاءِ زَائِدَةٌ لِقَوْلِهِمْ : فَيْفٌ بِمَعْنَاهُ وَكَذَلِكَ الزِّيَادُ وَالصِّيَاءُ إِذْ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ فَعْلَالٌ وَ بَكْسَرُ الْفَاءِ وَسَكُونُ الْعَيْنِ إِلَّا مَصْدَرًا كَزَلْزَالٍ ، ص ٣٧٢ ج ٢ مطبوعة حجازي والزِّيَادُ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ مَا غَلِظَ مِنَ الأَرْضِ ، وَالصِّيَاءُ : الْحَشْفُ مِنَ التَّمْرِ ، أَوْ حَبُّ الْحَنْظَلِ لَيْسَ فِي جَوْفِهِ لَبٌ .

(٣) إِذَا ضَبَطْتَ ثَلَاثَ وَسُدُسٍ عَلَى أَنَّهَا فَعْلَالٌ كَانَا بِفَتْحِ الْفَاءِ وَالْعَيْنِ ، وَمِنْ الأَسْمَاءِ مِمَّا هُوَ كَذَلِكَ : دَعْدٌ وَتَوْتُ وَطَلُوطٌ وَ الْحَبَّةُ وَغَيْرُ ذَلِكَ ،

(٤) مَعْنَى الإِلْحَاقِ فِي الأَسْمِ وَالْفِعْلِ أَنَّ تَزْيِيدَ حَرْفٍ أَوْ حَرْفَيْنِ عَلَى تَرْكِيبِ زِيَادَةٍ غَيْرِ مَطْرُودَةٍ فِي إِفَادَةِ مَعْنَى : لِيَصِيرَ ذَلِكَ التَّرْكِيبُ بِتِلْكَ الزِّيَادَةِ مِثْلَ كَلِمَةٍ أُخْرَى فِي عَدَدِ الحُرُوفِ وَحَرَكَاتِهَا المَعِينَةُ وَالسَّكِّنَاتُ ، كُلُّ وَاحِدٍ فِي مِثْلِ مَكَانِهِ فِي المَلْحَقِ بِهَا ، وَفِي تَعَارُفِهَا : مِنَ المَاضِي وَالمَضَارِعِ وَالأَمْرِ وَالمَصْدَرِ وَاسْمِ الفَاعِلِ وَاسْمِ المَفْعُولِ إِنْ كَانَ المَلْحَقَةُ بِهِ فَعْلًا رَبَاعِيًا ، وَمِنْ التَّصْغِيرِ وَالتَّكْسِيرِ إِنْ كَانَ =

بغيفة بالقصر وليست ألقها للتأنيث ، إذ لا يجمع بين علامتي تأنيث ، فهي إذاً من باب أرطاة ونحوها (١) ، كأنها ملحقة بسلمية (٢) . وفي الشعر :

كأجر جحمت من رأس ذي علق صخر . وترك صرف علق ، إما لأنه جعله
اسم بعة ، وإما لأنه اسم علم ، وترك صرف الاسم العلم سائغ في الشعر ، وإن لم
يكن مؤنثاً ولا عجمياً نحو قول عباس بن مرداس :

وما كان حصن ولا حابسٌ يفوقان مرداس في الجمع
ونحو قول الآخر :

يا من جفاني وملاً نسي أهلاً وسهلاً
ومات مرحباً لما رأيت مالى قلاً

— الملحق به اسماً رباعياً لاختساسها ، وفائدة الإلحاق أنه ربما يحتاج في تلك الكلمة إلى مثل ذلك التركيب في شعر أو سجع ص ٥٢ ج ١ شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الاسترأبادي . م حجازي ، وانظر ص ١٣ المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف لابي عثمان المازني .

(١) شجرة ثمرها مر تأكلها الإبل ، وألقها للإلحاق ، فتنون نكرة لا معرفة أو ألقها أصلية ، فتنون دائماً ، أو ووزنها أفعال وموضعها المعتل . القاموس ، وفي اللسان مادة رطا : « الأرطى شجر من شجر الرمل ، وهو أفعال من وجه ، وفعل من وجه ، لأنهم يقولون : أديم ماروط إذا دبغ بورقه ، ويقولون : أديم مرطى ، والواحدة : أرطاة ، ولحوق تاء التأنيث فيه يدل على أن الألف فيه ليست للتأنيث ، وإنما هي للإلحاق ، أو بنى الاسم عليها

(٢) السلمية : الجسيمة من النساء

فلم يصرف مَرَحَبًا ، وسيأتي في هذا الكتاب شواهد كثيرة على هذا ،
ونشرح العلة فيه إن شاء الله تعالى (١) ، ولوروى : من رأس ذى هَلَق الصخر

(١) يقول ابن مالك في الألفية :

ولا اضطرار أو تناسب صرف ذو المنع والمصرف قد لا ينصرف
وبقول الأشموني في شرحه لها إن الكوفيين أجازوا منع المصرف
من الصرف للضرورة ، وأباه سائر البصريين ، والصحيح : الجواز ،
واختاره الناظم - يعنى ابن مالك الثبوت سماعه ، وقد فصل بعض المتأخرين بين ما فيه
علية ، فأجاز منعه لوجود إحدى العلتين ، وبين ما ليس كذلك ، فصرفه ويؤيده أن
ذلك لم يسمع إلا فى العلم ، وأجاز قوم منهم : ثعلب ، وأحمد بن يحيى منع صرف
المنصرف اختياراً ص ٢٢٤ ج ٣ ط الأزهرية . وقد ذكر ابن هشام أن من
البصريين من أجاز ذلك ، وهما الأخفش والفارسي وأن من الكوفيين من منع ذلك
وهو أبو موسى الحامض من شيوخ الكوفيين وقد حكى الفخر الرازى عن أكثر
الكوفيين والأخفش أن السبب الواحد يمنع من الصرف ، ولم يفرق بين العلية
وغيرها انظر ص ٢٢٨ ج ٢ من كتاب شرح التصريح على التوضيح ط
التجارية ، وقد رد الدنوشرى المذهب الذى حكاه الفخر ؛ لأن الأصل فى الاسماء أن
تكون منصرفة . المصدر السابق الحاشية بهامشه للعلیمی الحمصى . ومن الآيات
التي ورد فيها منع المصرف :

طلب الأزارق بالكتائب إذ هوت بشيب غائلة النفوس غدور
فنع صرف شيب وهو علم مصروف وهو شيب بن يزيد رأس الخوارج
الآزارقة ، وفاعل طلب ضمير يعود على سفيان نائب الحجاج ومثله :
وقائلة ما بال دوسر بعدنا صحا قلبه عن آل ليلى وعن هند
من معاني قصيدة أنى طالب : حجاب : من معانيها : قصير ، أو الجمل
الضئيل . وتروى بالخاء أيضاً : الضعيف . ها أغمزا للقوم : أى سيدلهم الطعن فيهم
تجرجم : سقط وانحدر . ذو علق : جبل فى ديار بنى أسد . والصفر : الخالى
معن الآنية وغيره . إلا أن يرس له ذكر : أن يذكر ذكرا خنيا . من نسلنا =

يحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، لكان حَسَنًا ، كما قُرِئَ : قل : هو الله أحدٌ ،
الله الصَّمَدُ » يحذف التنوين من أحد ، وهي رواية عن أبي عمرو بن العلاء ،
وقال الشاعر :

حميد الذي أمج داره

وقال آخر :

ولا ذا كرُّ الله إلا قليلا

وأشد قول أبي طالب :

إذا اجتمعت يوما قُرَيْشٍ لَمَفْخَزٍ فَعَبْدُ مَنْافٍ سِرُّهَا وَصَمِيمُهَا

قوله : سرها أى : وَسَطُهَا ، وسر الوادى وسِرَّارَتُهُ : وَسَطُهُ ، وقد تقدم
متى يكون الوسط مدحا ، وأن ذلك فى موضعين : فى وصف الشهود ، وفى
النسب ، وبيننا السر فى ذلك .

وقال فى القصيدة : ونضرب عن أحجارها مَنْ يَرُومُهَا . أى ندفع عن
حصونها ومماقلها ، وإن كانت الرواية : أججارها بتقديم الجيم ، فهو جمع جُجْر
والجُجْر هنا مُستعار ، وإنما يريد عن بيوتها ومساكنها (١) .

== شفر : أى : أحد ، يقال : ما بالدار أحد ، وما بها شفر ، وما بها كتيع ، وما بها
عريب ، وما بها ذبيح ؛ وما بها نافخ صرمه كلها بمعنى واحد . أى ما بها أحد .
(١) من معانى القصيدة غث : يعنى ليس له نسبة هنالك . وأصل الغث :
اللحم الضعيف . طاشت حلومها : ذهبت عقولها . انتعش العود الذواء : حيى
وظهرت فيه الخضرة ، وأصل نعش : رفع . والعود الذواء الذى جفت رطوبته -
الاكناف : النواحي . وأرومها : جمع أرومه : الاصل . انظر ص ٨٣ ،
وما بعدها لآبى ذر الخشنى فى شرح السيرة

موقف الوليد بن المغيرة من القرآن

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفرٌ من قُرَيْشٍ - وكان ذا سنٍ فيهم ، وقد حَضَرَ الموسمُ ، فقال لهم : يا معشر قُرَيْشٍ ، إنه قد حضر هذا الموسمُ ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا ، فيكذب بعضكم بعضاً ، ويردّ قولكم بعضه بعضاً ، قالوا : فانت يا أبا عبد شمس ، فقل ، وأقم لنا رأياً نقول به ، قال : بل أنتم ، فقولوا أسمع ، قالوا : نقول : كاهن ، قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهَّانَ ، فما هو بزَمَزَمَةِ الكاهن ولا سَجَمِهِ ، قالوا : فنقول : مجنون ، قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجُنونَ وعرفناه ، فما هو بخنْزِقِهِ ، ولا تخالِجِهِ ، ولا وَسْوسَتِهِ ، قالوا : فنقول : شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشُّعراءَ : رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضة ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول : ساحر ، قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السُّحَّارَ وسِحْرَهم ، فما هو بنفْسِهِم ولا عَقْدِهِم ، قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوةٌ ، وإن أصله كَعَدَقٍ ، وإن قرعته لجنّاةٌ - قال ابن هشام : ويقال : لَعَدَقٌ - وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرِفَ أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر ، جاء بقولٍ هو سحرٌ يُفَرِّقُ به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته . فتنفروا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبيل الناس حين قدموا الموسمَ ، لا يمرّ بهم أحدٌ إلا حذَّروه إياه ، وذكروا لهم أمره .

ما نزل في حق الوليد من القرآن :

فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة ، وفي ذلك من قوله : « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا ، وَمَهَدْتُ لَهُ تَمِيمًا ، ثُمَّ بَطَّمَعُ أَنْ أَزِيدَ ، كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا » للمدثر : ١١-١٦ .
أى خصيا .

قال ابن هشام : عنيدا : معاند مخالف . قال رؤبة بن العجاج :
ونحن ضرايون رأس العنيد

وهذا البيت في أرجوزة له :

« سَأْرَهْمُهُ صَعُودًا ، إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ، فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ .
ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ » للمدثر : ١٧ : ٢٢ .

قال ابن هشام : بسر : كره وجهه . قال العجاج :

مُضَيَّبُ اللَّحْيَيْنِ بَسْرًا مِنْهُمَا

يصف كراهية وجهه . وهذا البيت في أرجوزة له :

« ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ : إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشْرِ » . المدثر : ٢٣ - ٢٥ .

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى : في رسوله - صلى الله عليه وسلم - وفيما جاء به من الله تعالى ، وفي النفر الذين كانوا معه يُسْتَفُونَ القول في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيما جاء به من الله تعالى : « كما أنزلنا على الْمُقْتَسِمِينَ .

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ . فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلْتَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا
كَانُوا يَعْمَلُونَ « الحجر : ٩٠ - ٩٣

قال ابن هشام : واحدة العِضِينَ : عِضَّةٌ ، يقول : عَصَوَهُ : فرقوه . قال
رؤبة بن العجاج :

وليس دينُ اللهِ بالمُعْضَى

وهذا البيت في أرجوزه له .

قال ابن إسحاق : فجعل أولئك النفرُ يقولون ذلك في رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - لِمَنْ تَقَوْنَا مِنَ النَّاسِ ، وصدرت العربُ من ذلك المَوْسِمِ بِأَسْمِهِ
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها .

أبو طالب يفخر بنسبه وابن أخيه

فلما خشي أبو طالب دَهَاءَ العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التي
تَعَوَّدَ فِيهَا بِمَحْرَمِ مَكَّةَ وَبِمَكَانِهِ مِنْهَا ، وَتَوَدَّدَ فِيهَا أَشْرَافَ قَوْمِهِ ، وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ
يُخْبِرُهُمْ وَغَيْرَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ شَعْرِهِ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْلِمٍ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - وَلَا تَارِكَهُ لَشَيْءٍ أَبَدًا حَتَّى يَهْلِكَ دُونَهُ ، فَقَالَ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَاوُدَ فِيهِمْ وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ
وَقَدْ صَارَ حُونًا بِالْعَدَاوَةِ وَالْأَذَى وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ الْعَدْوِ الْمَزَائِلِ
وَقَدْ حَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَنْظَنَّةً يَعْصُونَ غَيْظًا خَلَفْنَا بِالْأَمَائِلِ

صَبَرْتُ لَمْ نَفْسِي بِسَمَاءِ سَمْحَةٍ
 وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي
 قِيَامًا مَعًا مُسْتَقْبِلِينَ رِتَاجَهُ
 وَحَيْثُ يُذِيخُ الْأَشْعَرُونَ رِكَابَهُمْ
 مُوسِمَةَ الْأَعْضَادِ ، أَوْ قَصْرَاتِهَا
 تَرَى الْوَدْعَ فِيهَا ، وَالرُّخَامَ وَزِينَةَ
 أَعْوُدُ بَرَبِ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ
 وَمِنْ كَاشِحٍ يَسْعَى لَنَا بِمَعِيَّةِ
 وَثَوْرٍ ، وَمَنْ أَرْسَى تَبِيرًا مَكَانَهُ
 وَبِالْبَيْتِ ، حَقَّ الْبَيْتِ ، مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ
 وَبِالْحَجَرِ الْمُسَوَّدِ إِذْ يَمْسَحُونَهُ
 وَمَوْطِيءِ إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَةً
 وَأَشْوَاطِ بَيْنَ الْمَرْوَتَيْنِ إِلَى الصَّفَا
 وَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ
 وَبِالْمَشْعَرِ الْأَقْصَى إِذَا عَمَدُوا لَهُ
 نَوَاقِفِهِمْ فَوْقَ الْجِبَالِ عَشِيَّةً
 وَوَلِيْلَةَ بَجْعِ الْمَنَازِلِ مِنْ مَنِي
 وَجَمْعِ إِذَا مَا الْمُقَرَّبَاتِ أَجَزَنَهُ

وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تَرَاثِ الْمَقَاوِلِ
 وَأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ
 لَدَى حَيْثُ يَقْضَى حَلْفَهُ كُلُّ نَافِلٍ
 بِمُقْضَى السِّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلٍ
 مُحْيَسَةً بَيْنَ السَّدِيسِ وَبَازِلِ
 بِأَعْنَاقِهَا مَعْقُودَةً كَالْعَمَّاكِلِ
 عَلَيْنَا يَسُوءُ ، أَوْ مُلِحَّ بِيَاطِلِ
 وَمَنْ مُلِحَّ فِي الدِّينِ مَا لَمْ يُحَاوِلِ
 وَرَاقٍ لِيَبْرُقَ فِي حِرَاءٍ وَنَازِلِ
 وَبِاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِغَافِلٍ
 إِذَا اكْتَنَفُوهُ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ
 عَلَى قَدَمِيهِ حَافِيًا غَيْرَ نَاعِلِ
 وَمَا فِيهَا مِنْ صُورَةٍ وَتَمَائِلِ
 وَمِنْ كُلِّ ذِي نَذْرٍ وَمِنْ كُلِّ رَاجِلِ
 إِلَّالٍ إِلَى مُقْضَى الشَّرَاحِ الْقَوَابِلِ
 يُقِيمُونَ بِالْأَيْدِي صُدُورَ الرِّوَابِلِ
 وَهَلْ فَوْقَهَا مِنْ حُرْمَةٍ وَمَنَازِلِ
 سِرَاعًا كَمَا يَخْرُجْنَ مِنْ وَقْعِ وَابِلِ

• • • • •

وبالجمرۃ الکبریٰ إذا صمدوا لها
وکندة إذ هم بالحصاب عشيّة
حليفاً شداً عقداً ما احتلفا له
وحظمهم سمر الرماح وسرحه
فهل بعد هذا من معاذ لعاذل
يطاع بنا أمر العدا ود أننا
كذبتم وبيت الله نترك مكة
كذبتم وبيت الله نبزي محمداً
ونؤلمه حتى نضرع حوله
وينهض قوم في الحديد إليكم
وحتى ترى ذا الضغن يركب رذعه
وإننا لعمر الله - إن جد ما أرى
بكني فتى مثل الشهاب سميدع
شهوراً وأياماً وحولاً مجرماً
وماترك قوم لا أبالك سيّداً
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
يلوذ به الهلاك من آل هاشم
لعمرى لقد أجرى أسيد وبكره

يؤمنون أنفا رأسها بالجنادل
تجز بهم حجاج بكر بن وائل
وردًا عليه عاطفات الوسائل
وشبرقه وخذ النعام الحوامل
وهل من معيد يتقى الله عاذل
تسد بنا أبواب ترك وكابل
ونظن إلا أمركم في بلايل
ولما نطاعن دونه ونناضل
ونذهل عن أبنائنا والحلائل
نهوض الرّوايات تحت ذات الصلاصل
من الطغن فعل الأنكب المتحامل
لتلقبسن أسياقنا بالأمانل
أخي ثقة حامى الحقيقة باسل
علينا وتأتى حجة بعد قابل
يحوط الذمار غير ذرب مواكل
نمال اليتامى عصمة للأرامل
فهم عنده في رحة وفواضل
إلى بفضنا وجز آنا لآكل

وعثمان لم يَرَبَع علينا وقُنْفُذٌ
أطاعا أبايًّا، وابنَ عَبدِ يَغوِثِهم
كما قد لَقِينا مِن سُبَيعِ ونوَفَلِ
فإن يُلَفِّيا، أو يُمَكِّنِ اللهُ مِنهُما
وذاك أبو عمرو أبنِ غيرِ بُغضنا
يُنَاجِي بِنائِ كُلِّ مُمَسَّى ومُضَبِّحِ
ويؤلِّي لنا بالله ما إن يُغَشُّنا
أضاق عليه بُغضنا كلَّ تَلَمَّةِ
وسائلِ أبا الوليدِ ماذا حَبَوْتنا
وكنْتَ امرءًا مَعَن يُعَاشِ بَرَأبِه
فَعَتَبَةُ لا تَسْمَعُ بنا قولَ كاشِحِ
ومرَّ أبو سَفِيانَ عَنِّي مُعْرِضًا
يَفِرُّ إلى نَجْدِ وَبَرَدِ مِياهِهِ
ويُخَبِّرنا فَعَلَ المُنَاصِحِ أَنَّهُ
أَمَطِمِمْ لَم أَخْذُلْكَ في يَوْمِ بَجْدَةِ
ولا يَوْمِ حَضَمِ إِذْ أَتَوَكَ أَلِدَةَ
أَمَطِمِمْ إِنْ القَوْمَ ساموكَ حُظَّةِ
جَزَى اللهُ عَنَّا عَبدَ شَمسِ ونوَفَلًا
ولكن أطاعا أمرَ تلك القبائلِ
ولم يَرُقبا فينا مِقالَةَ قائلِ
وكُلُّ تَوَلَّى مُعْرِضًا لَمْ يُجَامِلِ
نَكِلْ لهما صاعًا بِصاعِ المُكائِلِ
لِيُظَعِننا في أهلِ شاءِ وجاملِ
فناجِ أبا عَمْرٍ بنا ثم خانلِ
بلى قد تَراهُ جَهْرَةً غيرِ حائلِ
مِن الأَرْضِ بينِ أَخْشَبِ فَمَجادِلِ
بَسَعِيكَ فينا مُعْرِضًا كالمُخاتِلِ
ورَحْمَتِهِ فينا ولستَ بِجاهِلِ
حَسودِ كَذوبِ مُبغِضِ ذِي دِغالِ
كما مرَّ قَيلٌ مِن عِظامِ المَعاوِلِ
ويزعمُ أبنِ لَستُ عَنكم بِفائِلِ
شَفِيقٌ، وَيُخَفِّي عارِماَتِ الدَّواخِلِ
ولا مُعْظِمِمْ عَندَ الأُمورِ الجِلالِ
أولى جَدَلِ مِنَ الخِصومِ المَساجِلِ
وإني متى أوَكَلْتُ فَتَسْتُ بوائلِ
عُقوبةِ شرِّ عاجِلا غيرَ آجِلِ

بميزان قسطن لا يحس شعيبة
لقد سفت أحلام قوم تبدلوا
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم
وسهم ونحزوم تمالوا واللبوا
فعبد مناف أنتم خير قومكم
لعمري لقد وهنتم وعجزتم
وكنتم حديثا حطب قدر وأنتم
ليهنى بنى عبد مناف عقوقنا
فإن نك قومنا نتتر ما صنعتم
وسائط كانت في لؤي بن غالب
ورعط نفيل شر من وطى الحصى
فأبلغ قصيا أن سينشر أمرنا
ولو طرقت ليلاً قصيا عظيمة
ولو صدقوا أمرنا باخلال بيوتهم
فكل صديق وابن أخت نعدّه
سوى أن رهط من كلاب بن مرة
وهنا لهم حتى تبدد جمعهم
وكان لنا حوض السقاية فيهم

له شاهد من نفسه غير عائل
بنى خلف قبضاً بنا والغباطل
وآل قصي في الخطوب الأوائل
علينا العدا من كل طمّل وخامل
فلا تشركو في أمركم كل واغل
وجنتم بأمر مخطيء للمفاصل
الآن حطاب أفدر ومرآجل
وخذلنا، وتركنا في التعاقل
وتحتلبوها لقة غير باهل
نفاهم إلينا كل صقر حلال
والأم حاف من معدة وناعل
وبشر قصيا بعدنا بالتخاذل
إذا ما لجأنا دونهم في المداخل
لكننا أسي عند النساء المطافل
لعمري - وجدنا غيبه غير طائل
برأ إلينا من معة خاذل
ويحسر عنا كل باغ وجاهل
ونحن الكدى من غالب والكواهل

شَبَابٍ مِنَ الْمُطَيَّبِينَ وَهَاشِمٍ
فَمَا أَدْرَكَوْا ذَحْلًا وَلَا سَفْكَوَادِمَا
بَضْرِبِ تَرَى الْفَتِيَانَ فِيهِ ، كَأَنَّهُمْ
بَنِي أُمَّةٍ مَحْبُوبَةٍ هِنْدِ كَيْتَةٍ
وَلَكِنَّا نَسْلُ كِرَامٍ لِسَادَةٍ
وَنَعْمَ ابْنُ أَخْتِ الْقَوْمِ غَيْرُ مُكَذَّبٍ
أَشْمٌ مِّنَ الشَّمِّ الْبِهَالِيلِ يَنْتَمِي
لَعَمْرِي لَقَدْ كَلَّفْتُ وَجَدًا بِأَحَدٍ
فَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا جَمَالًا لِأَهْلِيهَا
فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ أَيُّ مَوْءَلٍ
حَلِيمٍ رَشِيدٍ عَادِلٍ غَيْرُ طَائِشٍ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ أَجِيءَ بِسُبَّةٍ
لَكِنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا لَا مُسْكَذَّبُ
فَأَصْبَحَ فِينَا أَحَدٌ فِي أُرُومَةٍ
حَدِيثُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمِيَّتُهُ
فَأَيَّدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنَصْرِهِ
رِجَالٌ كِرَامٌ غَيْرُ مَيْلٍ نَمَامُ

كَبِيضِ السِّيُوفِ بَيْنَ أَيْدِي الصِّيَاقِلِ
وَلَا حَافِقُوا إِلَّا شِرَارَ الْقَبَائِلِ
ضَوَارِي أَسُودٍ فَوْقَ لَحْمِ خَرَادِلِ
بَنِي جُحَجٍ عُبَيْدِ قَيْسِ بْنِ عَاقِلِ
بِهِمْ نُمَيْ الْأَقْوَامِ عِنْدَ الْبَوَاطِلِ
زَهِيرٌ حُسَامًا مُفْرَدًا مِّنْ حَمَائِلِ
إِلَى حَسْبٍ فِي حَوْمَةِ الْمَجْدِ فَاضِلِ
وَإِخْوَتِهِ دَابَّ الْمِحْبِّ الْمَوَاصِلِ
وَزَيْنَانِ وَالْإِوَاهِ رَبِّ الْمَشَاكِلِ
إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضِلِ
يُؤَالِي إِلَيْهَا لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلِ
تُجْرُهُ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِي الْمَحَافِلِ
مِنَ الدَّهْرِ جِدًّا غَيْرِ قَوْلِ التَّهَازِلِ
لَدَيْنَا ، وَلَا يُعْنَى بِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ
تُقَصِّرُ عَنْهُ سَوْرَةُ الْمُتَمَطَّوِلِ
وَدَافَعَتْ عَنْهُ بِالذَّرَا وَالسِّكَلَاكِلِ
وَأَظْهَرَ دِينَنَا حَقَّهُ غَيْرُ بَاطِلِ
إِلَى الْخَيْرِ آبَاءَ كِرَامٍ الْمَحَاصِلِ

فإن تك كعبٌ من لؤى صُتَيْبَةٍ فلا بدَّ يوماً مرّةً من تَزَايلٍ
قال ابن هشام : هذا ما صحَّ لي من هذه القصيدة ، وبعضُ أهل العلم
بالشعر ينكر أكثرها .

قال ابن هشام : وحدتني من أتق به ، قال : أقحط أهل المدينة ، فأتوا
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فشكروا ذلك إليه ، فصعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم المنبر فاستسقى ، فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحي
يشكون منه الفرق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ حَوِّأَيْنَا
ولاعلينا ، فأنجاب السحاب عن المدينة ، فصار حوائِها كالإكليل ؛ فقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم : لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره ، فقال له بعضُ
أصحابه : كأنك يا رسول الله أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال : أجل

قال ابن هشام : وقوله « وشبرقه » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : والغياطل : من بنى سهم بن عمرو بن هصيص ،
وأبو سفيان بن حرب بن أمية . ومطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف .
وزهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأمه : عاتكة
بنت عبد المطلب . قال ابن إسحاق : وأسيد ، وبكره : عتاب بن أسيد بن أبي

.

العِيص بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي . وعثمان بن عُبَيْد الله :
أخو طلحة بن عُبَيْد الله التَّيْمِيُّ . وقُنْفُذ بن عُمَيْر بن جُدعان بن عمرو بن
كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة . وأبو الوليد : عُنْبَةُ بن ربيعة . وأبي :
الأخنس بن شَرِيْق التَّقْفِيُّ ، حليف بنى زُهْرَةَ بن كلاب .

قال ابن هشام : وإنما سمي الأخنس ؛ لأنه خَنَس بالقوم يوم بدر ، وإنما
اسمه : أُنْبِي ، وهو من بنى عِلاج ، وهو عِلاج بن أبي سَلَمَةَ بن عَوْف بن عُنْبَةَ .
والأسود بن عبد يَغُوْث بن وَهَب بن عبد مناف بن زُهْرَةَ بن كلاب . وسُبَيْع
ابن خالد ، أخو بَلْحَارِث بن فِهْر . ونوفل بن خُوَيْلِد بن أسد بن عبد العُزْرى
ابن قُصَي ، وهو ابن العَدَوِيَّة . وكان من شياطين قُرَيْش ، وهو الذي قَرَن
بين أبي بكر الصديق وطلحة بن عُبَيْد الله رضي الله عنهما في حَبْل حين أسلما ،
فبذلك كانا يُسَمَّيان : القَرَيْنين ، قتله عليُّ بن أبي طالب عليه السلام يوم بدر .
وأبو عمرو : قُرَظَةَ بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف . «وقوم علينا أظنَّة» :
بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فهؤلاء الذين عدَّد أبو طالب في شعره
من العرب .

ذكر الرسول «ص» ينتشر

فلما انتشر أمرُ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - في العرب ، وبلغ البُلدان ،
ذُكِرَ بالمدينة ، ولم يكن حتى من العرب أعلمُ بأمر رسولِ الله - صلى الله عليه
وسلم - حين ذُكِرَ ، وقبل أن يُذكَر من هذا الحى من الأوس والخزرج ،

.....

بِوَذَلِكَ لَمَّا كَانُوا يَسْمَعُونَ مِنْ أَحْبَابِ الْيَهُودِ ، وَكَانُوا لَهُمْ حُلَفَاءَ ، وَمَعَهُمْ
بَنِي بِلَادِهِمْ . فَلَمَّا وَقَعَ ذِكْرُهُ بِالْمَدِينَةِ ، وَتَحَدَّثُوا بِمَا بَيْنَ قَرِيشٍ فِيهِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ .
قَالَ أَبُو قَيْسٍ بِنِ الْأَسْلَتِ . أَخُو بَنِي وَاقِفِ .

أبو قيس بن الأسلت ونسبه وشعره في الرسول «ص»

قال ابن هشام : نَسَبَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَبَا قَيْسٍ هَذَا هَاهُنَا إِلَى بَنِي وَاقِفِ ،
وَنَسَبَهُ فِي حَدِيثِ الْفَيْلِ إِلَى خَطْمَةِ ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَنَسَبَ الرَّجُلَ إِلَى أَخِي جَدِّهِ
الَّذِي هُوَ أَشْهَرُ مِنْهُ .

قال ابن هشام : حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّ الْحَكَمَ بْنَ عَمْرٍو الْغِفَارِيَّ مِنْ
مَوْلِدِ نُعَيْلَةَ أَخِي غِفَارِ ، وَهُوَ غِفَارُ بْنُ مَلْكَيلَ ، وَنُعَيْلَةُ بْنُ مَلْكَيلَ بْنِ ضَمْرَةَ بْنِ بَكْرٍ
ابْنِ عَبْدِ مَنَاةَ ، وَقَدْ قَالُوا : مُعْتَبَةُ بْنُ غَزْوَانَ السُّلَمِيَّ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ مَازِنِ
ابْنِ مَنْصُورٍ وَسُلَيْمِ : ابْنِ مَنْصُورِ .

قال ابن هشام : فَأَبُو قَيْسِ بِنِ الْأَسْلَتِ : مِنْ بَنِي وَاثِلِ ، وَوَاثِلٌ ، وَوَاقِفٌ ،
وَخَطْمَةُ إِخْوَةٌ مِنَ الْأَوْسِ .

قال ابن إسحاق : فَقَالَ أَبُو قَيْسِ بِنِ الْأَسْلَتِ — وَكَانَ يَحِبُّ قَرِيشًا ،
وَكَانَ لَهُمْ صِهْرًا ، كَانَتْ عِنْدَهُ أَرْزُبُ بِنْتُ عَبْدِ الْعَزِيِّ بْنِ قُصَيٍّ ، وَكَانَ

يقيم عندهم السنين بامرأته — قصيدة يعظم فيها الحرمه ، وينهى قريشا فيها
عن الحرب ، ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض ، ويذكر فضلهم وأحلامهم ،
ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكرهم بلاء الله
عندهم ، ودفعه عنهم الفيل وكيداه عنهم ، فقال :

يا راكبا إماما عرّضت قبيلن
رسول امرىء قدراعه ذات بئدكم
وقد كان عندى للموموم ممرس
نبيتكم شرجين كل قبيلة
أعيدكم بالله من شر صنكم
وإظهار أخلاق ، ونجوى سقيمة
فذكرهم بالله أول وهلة
وقل لهم والله يحكم حكمه
متى تبعوها ، تبعوها ذميمة
تقطع أرحاما ، وتهلك أمة
وتستبدلوا بالأتحمية بعدها
وبالمسك والكافور غبرا سوابغا
فإياكم والحرب لاتعلمنكم
تزين للأقوام ، ثم يرونها

مغلغة عني لؤى بن غالب
على النأي محزون بذلك ناصب
فلم أقض منها حاجتى ومآربى
لها أزملة من بين مذك وحاطب
وشر تباعيكم ودس العقارب
كوخز الأشانى وقمها حق صائب
وإحلال أحرام الظباء الشواذب
ذروا الحرب تذهب عنكم فى اللراحب
هى القول الأقصين أو للأقارب
وتبرى السديف من سنام وغارب
شليلا وأصداء ثياب المبحارب
كان قتيريتها عيون الجنادب
وحوضا وخيم الماء مر للشارب
بعاقبة إذ بينت ، أم صاحب

• • • • •

تُحَرِّقُ ، لَا تُشْوِي ضَعِيفًا ، وَتَلْتَحِي ذَوِي الْعِزِّ مِنْكُمْ بِالْحُتُوفِ الصَّوَائِبِ
أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَاخِسٍ فَتَمْتَبَرُوا أَوْ كَانَ فِي حَرْبِ حَاطِبٍ
وَكَمْ قَدْ أَصَابَتْ مِنْ شَرِيفِ مُسَوِّدٍ طَوِيلِ الْعِمَادِ ، ضَيْفُهُ غَيْرُ خَائِبٍ
عَظِيمٍ رَمَادِ النَّارِ يُحْمَدُ أَمْرُهُ وَذِي شَيْمَةِ مَحْضٍ كَرِيمِ الْمَضَارِبِ
وَمَا هُرَيْقٍ فِي الضَّلَالِ كَأَنَّمَا أَذَاعَتْ بِهِ رِيحُ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ
يُخْبِرُكُمْ عَنْهَا أَمْرٌ حَقٌّ عَالِمٍ بِأَيَّامِهَا وَالْعِلْمُ عِلْمُ التَّجَارِبِ
فَبَيِّمُوا الْحِرَابَ مِلْمُ حَارِبٍ ، وَاذْكُرُوا

حِسَابِكُمْ ، وَاللَّهُ خَيْرٌ مُحَاسِبٍ
وَلِيَّ أَمْرِي ، فَاخْتَارِ دِينًا ، فَلَا يَكُنْ
عَلَيْكُمْ رَقِيبًا غَيْرَ رَبِّ الثَّوَابِ

أَقِيمُوا لَنَا دِينًا حَنِيفًا ، فَاتَمُّ لَنَا غَايَةٌ قَدْ يُهْتَدَى بِالدَّوَابِ
وَأَنْتُمْ لَهَذَا النَّاسِ نَوْزٌ وَعِصْمَةٌ تَوْثُونَ ، وَالْأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ
وَأَنْتُمْ - إِذَا مَا حُصِّلَ النَّاسُ - جَوْهَرٌ لَكُمْ بَرَّةُ الْبَطْخَاءِ شَمُّ الْأَرَانِبِ
تَصُونُونَ أَجْسَادًا كِرَامًا عَتِيقَةً مُهَذَّبَةً الْأَنْسَابِ غَيْرَ أَشَائِبِ
يَرَى طَالِبُ الْحَاجَاتِ نَحْوِي وَتَسْكُمُ عَصَائِبَ هُنْكَ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
لَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ سَرَاتِكُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرٌ أَهْلِ الْجَبَابِغِ
وَأَفْضَلُهُ رَأْيًا ، وَأَعْلَاهُ سُنَّةٌ وَأَقْوَلُهُ لِحَقِّ وَسَطِ الْمَوَاقِبِ
فَقُومُوا ، فَصَلُّوا رَبَّكُمْ ، وَتَمَسَّحُوا بِأَرْكَانِ هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ

• • • • •

فَعِنْدَكُمْ مِنْهُ بِلَاءٌ وَمَصْدَقٌ
غَدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكُتَّابِ
كَتَيْبَتُهُ بِالسَّهْلِ تُنْمِي ، وَرَجُلُهُ عَلَى الْقَاذِفَاتِ فِي رُءُوسِ الْمَنَاقِبِ
فَلَمَّا أَتَاكُمْ نَصْرُ ذِي الْعَرْشِ ، رَدَّاهُمْ جُنُودُ الْمَلِيكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبِ
فَوَلَّوْا سِرَاعًا هَارِبِينَ ، وَلَمْ يَأْتِ إِلَى أَهْلِ مِ الْخُبَشِ غَيْرُ عَصَائِبِ
فَإِنْ تَهَلَّكُوا ، تَهَلَّكَ وَتَهَلَّكَ مَوَاسِمِ
يُعَاشُ بِهَا ، قَوْلٌ أَمْرِي غَيْرِ كَاذِبِ

قال ابن هشام : أنشدني بيته : « وماء هريق » ، وبيته : « فبيعوا
الحراب » ، وقوله : « ولي أمرى فاختار » ، وقوله :

على القاذفات في رؤوس المناقب

أبو زيد الأنصاري وغيره .

حرب داحس :

قال ابن هشام : وأما قوله :

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس

فحدثني أبو عبيدة النحوي : أن داحسا قرس كان أقيس بن زهير بن جذيمة
بين رواحة بن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عيس بن بغيض بن ريث
ابن غطفان ، أجزاه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن زيد بن جؤبة بن

.....

أَوْذَانَ بَنِي تَمَلَبَةَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ قَزَارَةَ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ بَغِيضِ بْنِ رَبِيعِ بْنِ غَطَفَانَ ،
يُقَالُ لَهَا : الْغَبْرَاءُ . فَدَسَّ حُدَيْفَةَ قَوْمًا وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَضْرِبُوا وَجْهَ دَاحِسٍ ، إِنْ
رَأَوْهُ قَدْ جَاءَ سَابِقًا ، فَجَاءَ دَاحِسٌ سَابِقًا ، فَضَرَبُوا وَجْهَهُ ، وَجَاءَتِ الْغَبْرَاءُ . فَلَمَّا
جَاءَ فَارِسٌ دَاحِسٌ أَخْبَرَ قَيْسًا الْخَبَرَ ، فَوَثِبَ أَخُوهُ مَالِكُ بْنُ زُهَيْرٍ ، فَلَطَمَ وَجْهَ
الْغَبْرَاءِ ، فَقَامَ حَمَلُ بْنُ بَدْرِ ، فَلَطَمَ مَالِكًا . ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْجُنَيْدِ الْعَبْسِيَّ لَقِيَ
عَوْفَ بْنَ حُدَيْفَةَ فَمَاتَهُ ، ثُمَّ لَقِيَ رَجُلًا مِنْ بَنِي قَزَارَةَ مَالِكًا فَمَاتَهُ فَقَالَ حَمَلُ بْنُ
بَدْرِ أَخُو حُدَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ :

قَتَلْنَا بِعَوْفِ مَالِكَا وَهُوَ تَأْرُنَا فَإِنْ تَطَلَبُوا مَنَّا سَوَى الْحَقِّ تَنَدَمُوا

وهذا البيت في أبيات له . وقال الربيع بن زياد العبسي :

أَقْبَعَدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرَجُّو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ

وهذا البيت في قصيدة له .

فوقعت الحرب بين عبس وقزارة ، فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل
ابن بدر ، فقال قيس بن زهير بن جذيمة يرثي حذيفة ، وجرع عليه :

كَمْ فَارِسٍ يُدْعَى وَليْسَ بِفَارِسٍ وَعَلَى التَّهَامَةِ فَارِسٌ ذُو مَصْدَقٍ
فَأَبْكَوَا حُدَيْفَةَ لَنْ تُرْثَوْا مِثْلَهُ حَتَّى تَبِيدَ قَبَائِلُ لَمْ تُخْلَقْ

وهذان البيتان في أبيات له . وقال قيس بن زهير :

عَلَى أَنْ أَلْفَتِي حَمَلُ بْنُ بَدْرِ وَبَنِي ، وَالظُّلْمُ مَرَّتَهُ وَخِيمُ

.

وهذا البيت في أبيات له : وقال الحارث بن زهير أخو قيس بن زهير :

تركتُ على الهباءِ غيرَ فخرٍ حُدَيْفَةَ عندهِ قِصْدُ العوالى

وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن هشام : ويقال : أرسل قيسٌ داحساً والغبراء ، وأرسل حُدَيْفَةَ الخَطَّارَ والجَنَفَاءَ ، والأولُ أصحُّ الحديثين . وهو حديث طويل منَعْنَى من استقصاه قطعهُ حديثَ سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حرب حاطب

قال ابن هشام : وأما قوله : « حرب حاطب » . فيَعْنَى حاطبَ بن الحارث . ابن قيس بن هَيْشَةَ بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس ، كان قتل يهودياً جاراً للخزرج ، ففرج إليه يزيدُ بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمَر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج — وهو الذى يقال له : ابن فُسْحَم ، وفُسْنَعَم : أمه ، وهى امرأة من لَاقِيَن بن جَسْر — ليلاً فى نفر من بنى الحارث بن الخزرج قتلوه ، فوَقعت الحرب بين الأوس والخزرج فافتتلوا قتالا شديداً ، فكان الظفر للخزرج على الأوس ، وقُتل يومئذِ سُوَيْد بن صامت بن خالد بن عطية ابن حَوْط بن حَبِيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، قتله المُجَذَّر بن ذِيَادِ البلوى ، واسمه عبد الله ، حليف بنى عَوْف بن الخزرج . فلما كان يوم أحد .

• • • • •

خرج المجذّر بن ذِيَّاد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخرج معه الحارث بن سُوَيْد بن صامت ، فوجد الحارثُ بن سُوَيْد غِرَّةً من المَجذّر فقتله بأبيه . وسأذكر حديثه في موضعه - إن شاء الله تعالى - ثم كانت بينهم حروب منمعى من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت في حديث حرب داحس .

حكيم بن أمية ينهى قومه عن عداوة الرسول

قال ابن إسحاق : وقال حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمي ، حليف بنى أمية وقد أسلم ، يورع قومه عمّا أجمعوا عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فيهم شريفاً مطاعاً :

هل قائلٌ قولاً من الحقّ قاعدٌ عليه، وهل غضبانٌ للرّشد سامعٌ
وهل سيّدٌ ترّجو العشيرةُ نفعه لأقصى الموالى والأقارب جامعٌ
تبرأتُ إلا وجهه من يملك الصّبا وأهجركم مادام مُدلي ونازع
وأسلمٌ وجيبي للإله ومنطقي ولو راغى من الصّديق روائح

موقف الوليد بن المغيرة من القرآن :

وذكر خبر الوليد بن المغيرة وقوله : فيما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - من الوحي والقرآن : قد سمعنا الشعر فما هو بهزجه ، ولا رجزه . والمزح من أعارض الشعر معروف عند العرويين ، ولا أعرف له اشتقاقاً

إلا أن يكون من قولهم في وصف الذباب : هَزَجٌ ، أى : مُتَرَنِّمٌ (١) ، وأما الرَّجَزُ فيحتمل أن يكون من رجزت الحمل إذا عدلته بالرَّجَازة ، وهو شيء يعدل به الحمل ، وكذلك الرَّجَزُ في الشعر أشطار مُعَدَّلَةٌ ، ويجوز أن يكون من رَجَزَتْ الناقةُ إذا أصابها رَعْدَةٌ عند قيامها ، كما قال الشاعر : حتى تقومَ تَكْلُفَ الرَّجْزَاءِ (٢) فالرَّجَزُ كأنه مُرْتَمِدٌّ عند إنشاده لِقَصْرِ الأبيات (٣) .

(١) في المعجم الوسيط : هزج بفتح فسكر هزجا بفتح أوله وثانيه : تغنى والهزج كل صوت فيه ترنم خفيف مطرب وصوت فيه بحج ، وصوت الرعد وصوت الذباب ، ونوع من بحور الشعر العربي والفارسي ، سمى بذلك لتقارب أجزائه ، وهى : مفاعيلن ست مرات ، مجزوء وجوبا ، أى بأربع تنغيمات ، كل اثنتين في شطرة

(٢) المطررة في اللسان وفيه «الرجاء» ، وفي الروض كانت الرجاء بلا همزة .

وفي أمالي القالى ج ٢ ص ٢٨٠ والرجز أن يعد عجز البعير إذا أراد النهوض ، وأنشد :

تجد القيام كأنما هو نجدة حتى تقوم تكلف الرجاء
وفي سبط اللالى شرح أمالي القالى للبكرى : وهو لآنى النجم ارتجله عند عبد الملك حين قال له : إنك لا تحسن القصيد ، فقال : إني لأحسنه ، فهال : فقل في هذه الجارية ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : شعشاء ، وكانت أدماء ، فقال :

علق الهوى بجبائل الشعشاء والموت بعض جبائل الأهواء
والنجدة الشجاعة والشدة ص ٩٢٤ .

(٢) الرجز : بحر من بحور الشعر ، وقد قال الحرابي : لم يبلغنى أنه جرى على

وقوله : قد سمعنا الكهان ، فما هو بزَمَزَمَةَ الكاهِنِ ولا سَجَمَهُ : الزَمَزَمَةُ صوت ضعيف كنعو ما كانت الفُرسُ تفعله عند شربها الماء ، ويقال أيضا : زَمَزَمَ الرَّعْدُ ، وهو صوت له قبل التَهْدِيرِ ، وكذلك الكُهَّانُ ، كانت لهم زَمَزَمَةُ الله أعلم بكَيْفِيَّتِهَا ، وأما زَمَزَمَةُ الفُرسِ ، فكانت من أنوفهم .

وقول الوليد : إن أصله لَمَدَقٌ ، وإن فَرَعَهُ لَجَنَاءَةٌ . استعارة من النَّخْلَةِ التي ثَبَتَ أصلُهَا ، وقوى وطاب فرعها إذا جنى^(١) ، والنخلة هي : المَدَقُّ بفتح

لسان النبي صلى الله عليه وسلم من ضروب الرجز لإضرابان : المنهوك والمشطور ولم يعدهما الخليل شعرا ، فالمنهوك كقوله : « في حديث رواه البخاري وأحمد ومسلم والنسائي » :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب .
والمشطور كقوله ، في رواية جندب ، هو في البخاري .

هل أنت إلا أصابع دमित وفي سبيل الله ما لقيت
وقوله : أنا ابن عبد المطلب ليس افتخارا ، فقد كان يكره الانتساب إلى الآباء الكفار . ولكنه أشار إلى رؤيا رآها عبد المطلب كانت مشهورة عندهم ، رأى تصديقها ، فذكرهم إياها بهذا القول وانظر النباية لابن الأثير ، والرجز مركب من « مستغلن » ست مرات . والمشطور منه ما كان على ثلاث تفعيلات ، ويعتبر البيت في الوقت . نفسه شطرة فلا يجزأ . بد ذلك مثل :

رب أخ لي لم تولده أمي
والمنهوك ما بقي على تفعيلتين
مثل :

إلهنا ما أعد لك

ولم تكن العرب تعرف لهذه البحور هذه الأسماء .

(١) كل ما يجني فهو جنى وجنائة ، وفي حواشي أبي ذر : أي : فيه تمريحي ، وفي

العين ، ورواية ابن إسحاق أفصح من رواية ابن هشام ؛ لأنها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله ، ورواية ابن هشام : إن أصله لَغَدَقٌ ، وهو الماء الكثير ، ومنه يقال : غَيَّدَقَ الرجلُ إذا كثر بصاقه ، وأحدُ أعمام النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يُسَمَّى : الغَيِّدَاقَ لكثرة عطائه ، والغَيِّدَاقُ أيضا «وَلِدُّ الضَّبِّ» ، وهو أكبر من الحِجْسِلِ قاله قُطْرُبٌ في كتاب الأفعال «والأسماء له (١)» .

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَعَيْدًا :

فصل : وذكر ابن إسحاق قول الله تعالى : « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا » الآيات التي نزلت في الوليد ، وفيها له تهديد ووعيد شديد ، لأن معنى : « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ » أي دَعْنِي وإياه ، فسترى ما أصنع به ، كما قال : « فَذَرْنِي وَمَنْ يُكذِّبُ بهذا الحديث » القلم : ٤٤ وهي كلمة بقولها المغتاض إذا اشتد غيظه وغيضه ، وكرهه أن يُشَقِّقَ لمن اغتاض عليه ، فمعنى الكلام : أي : لاشفاعة تنفع لهذا الكافر ، ولا استغفار يا محمد منك ، ولا من غيرك وقوله : « وبينين شهودًا » أي : مقيمين معه غير محتاجين إلى الأسفار والغيبة عنه ، لأن ماله كان ممدودًا والمالُ الممدود عندهم : اثنا عشر ألف دينار ، فصاعدًا « وَمَهَّدْتُ لَهُ تَهْيِدًا »

رواية البيهقي : « وإنه لمشر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ، وما يعلى ، وإنه ليحطم ما تحته ، وفي رواية الحاكم : «إنه لمنير أعلاه مشرق أسفله ، وقد أخرج الحديث الحاكم وصححه عن ابن عباس ، وقريب منه ما رواه ابن جرير وابن أبي ساتم من طرق أخرى .

(١) انظر ص ٩٢ نوادر أبي زيد .

أعوذ بربي من النافثات في عُدِّ العاضِ المعضِ
ومنه قولهم :

يَا لِعَضِيَّةٍ (١) وَيَا لِلْأَفِيكَةِ [وَيَا لِلدَّهِيَّةِ]

شرح لاصية أبي طالب :

فصل : وذكر قصيدة أبي طالب إلى آخرها ، وفيها : وأبيض عَضِيَّةٍ
من تُراثِ المَقاولِ . قد شرحنا الأقيال والمقاول ، فيما تقدم ، وتراث أصله :
وُراث من وَرثت ، ولكن لا تبدل هذه الواو تاء إلا في مواضع محفوظة ،
وعِلْمُها كثيرة وجود التاء في تصاريف الكلمة ، فالتراث مال قد تُوُورث ،
وتوارثه قوم عن قوم ، فالتاء مستعملة في التورث والتوارث ، وكذلك تجاه
البيت ، التاء مستعملة في التَّوَجُّهِ والتَّوَجُّيه ونحوه ، فلما أَلَفَواها في تصاريف الكلمة
لم ينسكروا قلب الواو إليها ، كما فعلوا في ريحان وهو من الرِّوْح لكثرة الياء .

(١) كسرت اللام في ثلاث الكلمات على معنى : اعجبوا لهذا العضية الخ ، فإذا
فتحت فمعناه الاستغاثه ، ويقال ذلك عند التعجب من الإفك العظيم والزيادة من
اللسان . وعضه بفتح الضاد وكسرهما . وأعضه جاء بالعضية ، وعضه يعضه
بفتح الضاد . قال فيه ما لم يكن وفي البخاري عن ابن عباس في هذه الآية أنه قال :
هم أهل الكتاب جزأوه أجزاء ، وآمنوا ببعض ، وكفروا ببعض ونسب إلى ابن عباس
أيضاً في غير البخاري أنه قال عن عضين : السحر . قال عكرمة : العضه : السحر
بلسان قريش . ورأى ابن عباس الذي ذكره البخاري هو الأوفق

في تصاريف الكلمة ، كما قدمنا قبل ، وهي في تراث وبابه أبعد ؛ لأن الياء المألوفة في مادة السكامة زائدة ، وياء ربحان ليست كذلك ، وكذلك التَّسْكَاة من توكَات وتَتْرَى من التَّوَاتِر ، والتَّوَلَّج من التَّوَلَّج والمُتَلَّج ، لأنهم يقولون : اتَّلَجَ بالتشديد ، فتصير الواو تاء للإدغام ، حتى يقولوا : مُتَلَّج فيجعلونها تاء دون الإدغام ، وهذا أشبه بقياس رِبْحَان وبابه ؛ فإن التاء الأولى من مُتَلَّج أصلية وهي في مُتَلَّج إذا ضُعِّفَت أصلية أيضاً ، فهي هي ، فقف على هذا الأصل ؛ فإنه سر الباب (١) . وأراد بالمقاول : آباءه ، شبههم بالملوك ، ولم يكونوا ملوكا ، ولا كان فيهم من ملكٍ بدليل حديث أبي سفيان حين قال له هرقل : هل كان في آباءه من ملك ؟ فقال : لا . ويحتمل أن يكون هذا السيف الذي ذكر أبو طالب من هِبَات الملوك لأبيه ، فقد وهب ابنُ ذِي يزن لعبد المطلب هِبَاتٍ جَزَلَةٌ حين وفد عليه مع قريش ، يهنئونه بظفره بالحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعامين .

وقوله : مُوسِمَةُ الأَعْضَادِ أو قَصْرَاتِهَا : يعني [مُعَلِّمَةٌ] بسمة في أعضادها (٢) ،

(١) جاء في شرح الشافية للرضي : «اعلم أن التاء قريية من الواو في المخرج لتكون التاء من أصول الثنايا ، والواو من الشفتين ، ويجمعهما الهمس ، فتتم التاء بدلا منها كثيرا ، لكنه مع ذلك غير مطرد إلا في باب افتعل نحو تراث وتولج وتترى من الموااترة والتلج بضم التاء وفتح اللام وفرخ العقاب ، والتسكاة وتقوى . وتوراة عند البصريين فوعلة من وري الزند كتولج ، فإن كتاب الله نور ، وعند الكوفيين هما تفعله وتفعل ، والاول اولى لكون فوعل أكثر من تفعل ، ص ٨٠ - ٣٠ ومنه تجاه ، وتكلان وتلاد ، وتيقور ، وتهمة وتوأم ، وتخممة وتلاد فأصلها : وجه ، ووكل وولاد ، ووقر ووهم ووأم ووخم وولاد وأصل توراة : ووراة .

(٢) موسمة الأعضاد : معلمة ، والسمة العلاة ، القصرات : أصول الأعناق وزيادة معلبة التي وضعها بين قوسين يقتضها السياق .

ويقال لذلك الوسم السَّطَاعِ وَالْحَبَاطِ فِي الْفَخْدِ وَالرَّقْمَةَ أَيْضًا فِي الْمَضْدِ ، وَيَقَالُ
لِلْوَسْمِ فِي الْكَشْحِ : الْكِشَاحُ وَلَمَّا فِي قَصْرَةِ الْعُنُقِ : الْعِلَاطُ ، وَالْمُعْلَقَتَانِ
وَالشُّعْبِ أَيْضًا فِي الْعُنُقِ ، وَهُوَ كَالْمِحْجَنِ ، وَفِي الْعُنُقِ وَسْمٌ آخَرٌ أَيْضًا يُقَالُ لَهُ :
قَيْدُ الْفَرَسِ . قَالَ الرَّاجِزُ :

كَوْمٌ عَلَى أَعْنَاقِهَا قَيْدُ الْفَرَسِ تَنْجُو إِذَا اللَّيْلُ تَدَانَى ، وَالتَّبَسُّ

وَلَوْسُومُ الْإِبِلِ أَسْمَاءٌ كَثِيرَةٌ وَبَابٌ طَوِيلٌ ، ذَكَرَ أَبُو عَيْبِدٍ أَكْثَرَهُ
فِي كِتَابِ الْإِبِلِ ، فَهِيَ الْمُشَيْطَنَةُ وَالْمُفَعَّمَةُ وَالْقُرْمَةُ وَهِيَ فِي الْأَنْفِ ، وَكَذَلِكَ
الْجُرْفُ وَالْخَطَّافُ وَهِيَ فِي الْعُنُقِ ، وَالذَّلْوُ وَالْمُشْطُ وَالْفِرْتَاجُ وَالشُّوئُورُ
وَالدَّمَاعُ فِي مَوْضِعِ الدَّمْعِ ، وَالصَّدَاغُ فِي مَوْضِعِ الصَّدْعِ وَاللَّجَامُ مِنَ الْخَدِّ إِلَى
الْعَيْنِ ، يُقَالُ مِنْهُ : بَعِيرٌ مَلْجُومٌ ، وَالْهَلَالُ وَالْخِرَاشُ وَهُوَ مِنَ الصَّدْعِ إِلَى
الذَّقَنِ .

وقوله : أَوْ قَصَّرَاتِهَا جَمْعُ قَصْرَةٍ ، وَهِيَ أَصْلُ الْعُنُقِ ، وَخَفَضَهَا بِالْعَطْفِ
عَلَى الْأَعْضَادِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ فِي مَوْضِعِ نَصَبِ كَمَا تَقُولُ : هُوَ ضَارِبُ
الرَّجْلِ وَزَيْدًا فِي بَابِ اسْمِ الْفَاعِلِ ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ : مَوْسِمَةُ الْأَعْضَادِ مِنْ بَابِ الصِّفَةِ
الْمُشَبَّهَةِ ، وَهِيَ لَا تَعْمَلُ إِلَّا مُضْمَرَةً ، وَاسْمُ الْفَاعِلِ يُضْمَرُ إِذَا عَطْفٌ عَلَى
الْمُخْفُوضِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الصِّفَةَ لَا تَعْمَلُ بِالْمَعْنَى ، وَإِنَّمَا تَعْمَلُ بِشَبَّهِ لَفْظِي بَيْنَهَا ،
وَبَيْنَ اسْمِ الْفَاعِلِ ، فَإِذَا زَالَ اللَّفْظُ ، وَرَجَعَ إِلَى الْإِضْمَارِ لَمْ تَعْمَلْ ، وَتَخَالَفَ
اسْمُ الْفَاعِلِ أَيْضًا ؛ لِأَنَّ مَعْمُولَهَا لَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهَا ، كَمَا يَتَقَدَّمُ الْمَفْعُولُ عَلَى اسْمِ
الْفَاعِلِ ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْصُوبَهَا فَاعِلٌ فِي الْمَعْنَى ، وَالْفَاعِلُ لَا يَتَقَدَّمُ ، وَالصِّفَةُ

لا يُفصل بينها وبين منصوبها بالظرف ، ويجوز ذلك في اسم الفاعل ، والصفة لا تعمل إلا بمعنى الحال ، واسمُ الفاعل يعمل بمعنى الحال والاستقبال ، نعم ويعمل بمعنى الماضي إذا دخلت عليه الألف واللام ، ولوروى : موسمة الأعضاء بنصب الدال على معنى : موسمة الأعضاء بالتنوين ، وحذفه لإلتقاء الساكنين ، لجاز كما روى في شعر حنْدُج (١) :

كَبِكْرٍ مُقَانَاةِ الْبِيَاضِ

(١) في الأصل : جتدح ، ومقناة التي ستأتي في الشطرة ، وهما خطأ ، والصواب ما أثبتته ، وجاء صواب مقناة في موضع آخر من الروض . وحنْدُج هو امرق القيس الشاعر الجاهلي ، والشعر من معلقته المشهورة ، والرواية في المعلقة ، وفي اللسان هكذا .

كَبِكْرِ الْمُقَانَاةِ الْبِيَاضِ بِصَفْرَةٍ غَذَاهَا نَعِيرِ الْمَاءِ غَيْرِ مَحْلٍ

السكر من كل صنف مالم يسبقه مثله . والمقناة: الخلط ، والمقناة — كما يقول الزوزني — مصوغة للفعول دون المصدر ، وفي اللسان : في شرح كَبِكْرِ أَخ . . . أى : كالبيضة التي هي أول بيضة باضتها النعام التي قوتى بياضها بصفرة ، أى : خلط بياضها بصفرة . . . فترك الألف واللام من السكر ، وأضاف البكر إلى نعتها ، وفي اللسان له معنى آخر : « أراد : كَبِكْرِ الصَّدْفَةِ الْمُقَانَاةِ الْبِيَاضِ بِصَفْرَةٍ ؛ لأن في الصدفة لونين من بياض وصفرة أضاف الدرّة إليها ، وبكر الصدفة درتها التي لم ير مثلها . شهبها في صفاء اللون ونقاؤه بدرّة فريدة تضمنتها صدفة بياض شابت بياضها صفرة ، ويقول الزوزني : يورى البيت بنصب البياض وخفضه ، وهما جيدان بمنزلة قولهم زيد الحسن الوجه ، والحسن الوجه الخفض على الإضافة والنصب على التشبيه كقولهم : زيد الضارب الرجل ، ص ١٥ وما بعدها لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني ط ١٢٨٨ واللسان مادة قنا . هذا ورواية مقناة مقترنة بالألف واللام لاتأتى بالتنوين . وقد جاء تصويب مقناة في مكان آخر بمقناة .

بالنصب وبالرفع أيضاً ، أى : البياض منها على نية التنوين فى مقاناة ،
وحذفه لالتقاء الساكنين ، وأما الخفض فلا خفاء به ، وإذا كانت القصراتُ
مخفوضةً بالمطف على الأعضاء ، ففيه شاهد لمن قال : هو حسن وجهه كما روى
سيبويه حين أنشد :

كَمَيْتَا الْأَعَالَى جَوْنَتَا مُصْطَلَاهُمَا (١)

(١) أنشده سيبويه فى الكتاب ص ١٠٢ ط ١ ص ١٣١٦ فى بيتين للشياخ
ابن ضرار من قصيدة تبلغ أكثر من عشرين بيتا ، والبيتان اللذان أنشدهما سيبويه

أمن دمتين عرس الركب فيما بحقل الرخامى قد عفا طلاهما
أقامت على ربعيها جار تصفا كميता الأعلى جونتا مصطلاها

وتروى الشطرة الثانية من البيت الأول : « قد أنى لبلاها ، وفى الشعر شاهد
على أن الصفة المشبهة قد تضاف إلى ظاهر مضاف إلى ضمير صاحبها . والدمنة :
الموضع الذى أثر الناس فيه بنزولهم وإقامتهم ، وعرس : نزل آخر الليل قليلا
للاستراحة ، والركب : جمع ركب والطلل : ما بقى من آثار الدار ، والرخامى :
شجر مثل الضال ، وهو السدر البرى . والبلى : الفناء ، وأنى : حان . والرابع :
الدار والمنزل ، والضمير فى ربعيها للدمنتين خلافا للمرتضى الذى يزعم فى أماليه
أنه لامرأتين سيأتى ذكرهما . ولم يتقدم . والصفى : الجبل . وجاراتاه : أنثيتان - أى
حجران للقدر — مقطوعتان من الجبل ، وتقربان منه ، فيكون هو ثالثة
الاثاثى . وكميتا الأعلى : صفة جار تاصفا ، وكميتا مثنى : كميت بالتصغير من
الكمية ، وهى الحمرة الشديدة المائلة إلى السواد ، الأعلى : أعلى الجارتين شبه
أعلاهما بلون الكميت ؛ لأن النار لم تصل إليه ففسوده ، وجونتا مصطلاها =

وفي حديث أم زرع : صَفْرُ رِدَائِهَا ، وَمِلءُ كَسَائِهَا (١) مثل حَسَنَةُ وَجْهِهَا ،

== صفة أخرى لجارتا صفا ، والجوثة: السوداء ، وهو صفة مشبهة ، والمصطل على اسم مكان الصلاة ، أى : الاحتراق بالنار ، فيكون المصطل على موضع إحراق النار . يريد إن أسافل الأثافي ، الأثافي هي أرجل القدر الذى يطبخ عليه ، قد اسودت من إيقاد النار بينها . . . كل هذا فى وصف القدر الذى كان للأحبة بجواز الجبل يوقدون فيه النار . وعمل الشاهد فى قوله : جوتنا مصطلها . فإنه أضاف جوتنا إلى مصطلها ، جوتنا بمنزلة : حسنتا ، ومصطلها بمنزلة . وجهها ، والضمير الذى فى مصطلها يعود على قوله : جارتا صفا ، وفى خزانة الأدب للبغدادى تفصيل لما دار حول هذا البيت الذى استشهد به سيبويه ، أقامت على ربهيمما ، الخ فى قرابة عشر صفحات من ٢١٩ إلى ٢٢٨ > ٤ ط السلفية ، وانظر كتاب سيبويه ص ١٠٢ > ١ ، والامالى للبرقى > ٣ ص ١١٨ والاشمونى مع حاشية الصبان > ٣ ص ١٠ ط ١٣٠٥ .

(١) حديث أم زرع أخرجه البخارى ومسلم والترمذى فى الشمائل والطبرانى وأبو يعلى وغيرهم ، وفيه تتحدث عائشة - رضى الله عنها - عن إحدى عشرة امرأة من أهل اليمن تعاهدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا ، ثم مضت تقص عائشة ما قالته كل زوجة حتى الحادية عشرة التى قالت : زوجى أبو زرع ، وما أبو زرع ؟ . . ثم مضت هذه فى ثنائها العظم على زوجها وأهله حتى بلغت ذكر ابنة أبى زرع ، فقالت عنها : طوع أبيها ، وطوع أمها ، وزين أهلها ونسائها ، وملء كسائها ، وصفر رداؤها ، وغيظ جارها ، ثم تختم عائشة رضى الله عنها قصة أم زرع بأن زوجها طلقها ، فنسكت بعده رجلا سريا تقول عنه أم زرع : لو جمعت كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبى زرع ، قالت عائشة : فقال لى رسول الله ص . كنت لك كأتى زرع لام زرع ، إلا أنه طلقها ، وإنى لا أطلقك ، فقالت عائشة : و بأى أنت وأمى ، لانت خير لى من أبى زرع لام زرع والمقصود من صفر رداؤها أنها ضامرة البطن ، فكان رداؤها صفرا أى خاليا لشدة ضمور بطنها ، والرداء يقتهى إلى البطن ، فيقع عليه .

وفي الأمالى من صفة النبي صلى الله عليه وسلم : شَتْنُ للكفين (١) طويلُ
أصابعه ، أعنى : مثل صِفَرِ رَدَائِهَا .

وقوله : ترى الودع فيه . الودَع ، والودَع بالسكون والفتح : خرزاته
تنظم ، ويتحلى بها النساء والصبيان كما قال :

[السَّنُّ من جَلَنَزِيرٍ عَوْزَمٍ خَلَقِي]

والحِلْمِ حِلْمِ صَبِي يَمْرُوسٍ (٢) الودَعه

وقال الشاعرُ :

إن الرُّوَاةَ بلا قَنَمٍ لما حفظوا مثل الجِمالِ عليها يُحَمَلُ الودَعُ
لا الودَعُ ينفعه حملُ الجِمالِ له ولا الجِمالُ بحملِ الودَعِ تَنفَعُ

ويقال : إن هذه الخرزات يقذفها البحر ، وأنها حيوان في جوف البحر ،
فإذا قذفها ماتت ، ولها بريق ولون حسن ، وتصلب صلابة الحجر ، فتتقب ،
ويتخذ منها القلائد ، واسمها مشتق من ودَعته أى : تركته ، لأن البحر ينضب .

(١) ورد أنه شتن الكفين والمقدمين في أحاديث بعضها رواه البخاري
والترمذي ، والمعنى أن كفيه وقدميه يميلان إلى الغلظ والقصر ، وقيل : هو اللحم
في أنامله غلظ بلا قصر ويحمد هذا في الرجل لأنه أشد لقبضته ، ويذم في الفسامة
وفي حديث المغيرة : شدد الكف . أى غليظته ،

(٢) يلوكة ويمصه والبيت في الأصميات لرجل من تميم

عنها وبدءها ، فهي ودَّع مثل قَبِضَ ونَفِضَ (١) ، وإذا قلت الودَّع بالسكون فهي من باب ما سمي بالمصدر .

وقوله : والرُّخَامُ أى : ما قطع من الرُّخَامِ ، فنظم وهو حجر أبيض ناصع : والمثاكل : أراد العناكيل (٢) ، فحذف الياء ضرورة كما قال ابن مضاء : وفيها المصافر ، أراد : المصافير ، وفي أول القصيدة : وقد حالفوا قومًا علينا أظنَّة [جمع ظنَّين (٣)] أى مُتَمِّم ، ولو كان بالضاد مع قوله : علينا ، لعاد معناه مدحًا لهم ، كأنه قال : أشجَّة علينا ، كما أنشد عمرو بن بحر [الجاحظ] :

لو كنت في قوم عليك أشجَّة عليك ألا إن من طاح طائح
يودون لو خاطوا عليك جلودهم

وهل يدفع الموت النفوسُ الشجائحُ (٤)

(١) القبض بمعنى : مقبوض . النفض بفتح وسكون : مصدر نفضت الثوب والشجرة وبالتحريك ماتساقط من الورق والثمر والنفض بفاء ساكنة مع كسر النون : خرم النحل في العسالة أو مامات منه فيها . أو هو بالقاف وبالتحريك : ما سقط من الورق والثمر وحب العنب حين يوجد بعضه في بعض .

(٢) المثاكل : جمع عثكال ، وعشكول : الأغصان التي ينبت عليها الثمر الخشن .

(٣) زيادة ليست في الأصل والسياق يقتضيها .

(٤) البيتان في البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ص ٥٠ > ط ١٩٤٨ والبيت الأول يروى هكذا . .

لقد كنت في قوم عليك أشجَّة بنفسك لولا أن من طاح طائح
وها للأغر ، والأغر لقب لشاعرين من بني يشكر بن وائل .

.

وفيها :

وَنَوَزِرٍ وَمِنْ أَرْسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ وَرَاقٍ لِيرَقِي فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ

نور : جبل بمكة ، وثبير : جبل من جبالها ذكروا أن ثبيرا كان رجلا من هذيل مات في ذلك الجبل ، فعرف الجبل به ، كما عرف أبو قبيس بقببئيس بن شالح رجل من جرهم ، كان قد وشى بين عمرو بن مضاء ، وبين ابنة عمه مية ، فنذرت ألا تكلمه ، وكان شديد الكلف بها ، فحلف ليقتلن قبئيسا ، فهرب منه في الجبل المعروف به ، وانقطع خبره فأما مات ، وإما تردى منه ، فسمى الجبل : أبا قبئيس (١) وهو خبر طويل ذكره ابن هشام في غير هذا الكتاب .

وقوله : وراق ليرقى قد تقدم القول فيه ، وأصح الروايتين فيه : وراق ليرقى حراء ونازل (٢) . قال البرقي : هكذا رواه ابن إسحاق وغيره ، وهو الصواب . قال المؤلف : فالوهم فيه إذا من ابن هشام ، أو من البكائي . والله أعلم .

وقوله : وبالجر الأسود ، فيه زحاف (٣) يسمى : الكف ، وهو حذف

- (١) في القاموس : سمى برجل من مذحج حداد لانه أول من بنى فيه :
- (٢) وفي رواية : وعير وراق في حراء ونازل .. وعير : اسم جبل .
- (٣) في السيرة : المسود . فلا يكون زحاف الكف

النون من مفاعيلن^(١) وهو بعد الواو من الأسود ونحوه قول حُنْدُجٍ :

أَلَا رَبِّ يَوْمَ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ^(٢)

وموضع الزحاف بعد اللام من ذلك .

وقوله : إذا اكتنفوه بالضحي والأصائل . الأصائل : جمع أصيلة ، والأصل جمع أصيل ، وذلك أن فعائل جمع فعيلة ، والأصيلة : لفظة معروفة في الأصيل ، وظن بعضهم أن أصائل : جمع أصل على وزن أفعال ، وأصل : جمع أصل نحو أطناب وطنب ، وأصل : جمع أصيل مثل رُغْفٍ : جمع رغيف ، فأصائل على قولهم : بجمع بجمع الجمع ، وهذا خطأ بين من وجوه ، منها : أن جمع الجمع لم يوجد قط في الكلام ، فيكون هذا نظيره ، وعن جهة القياس إذ كانوا لا يجمعون الجمع الذي ليس لأدنى العدد ، فأحرى ألا يجمعوا جمع الجمع ، وأبين خطأ في هذا القول غفلتهم عن الهزمة التي هي فاء الفعل التي في أصيل وأصل ، وكذلك هي فاء الفعل في أصائل ، لأنها فعائل ، وتوهوها زائدة كالتى في أقاويل ، ولو كانت كذلك كانت الصاد فاء الفعل ، وإنما هي عينه ، كما هي في أصيل وأصل ، فلو كانت أصائل جمع أصل ، مثل أقوال

(١) من تفعيلات البحر الطويل وهي : فعولن مفاعيلن . أربع مرات للبيت الواحد .

(٢) هو من معلقته ، وشطرته الأخرى : ولاسيما يوم بدارة جليل . وللشطرة الأولى رواية لم يدخلها زحاف الكف ، وهي : ألا رب يوم كان منهم صالح . ودارة جليل : غدبر بعينه .

وأقوايل لاجتماع همزة الجمع مع همزة الأصل ولقالوا فيه : أواصيل بتسمييل
الهمزة الثانية ، ووجه آخر من الخطأ بين أيضاً ، وهو أن أفاعيل جمع أفعال ،
لا بُدَّ من ياءٍ قبل آخره ، كما قالوا في أقوايل ، فكان يكون أواصيل
وليس في أصائل حرف مَدَّوَيْنٍ قبل آخره إنما هي همزة فَعَائِلٍ ، ومن الخطأ
في قولهم أيضاً : أن جعلوا أصلاً جمعاً كثيراً مثل رُغْفٍ ، ثم زعموا أن أصالاً
جمعٌ له ، فهم بمنزلة من قال في رُغْفٍ جمع أرغاف ، فإن قيل : فجمع أى شئ
هى أصال ؟ قلنا : جمع أصل الذى هو اسم مُفْرَدٍ فى معنى الأصائل لا جمع
أصل الذى هو جمع ، فإن قيل : فهل يقال أصلٌ واحد ، كما يقال أصيلٌ واحد ؟
قلنا : قد قال بعض أرباب اللغة ذلك ، واستشهدوا بقول الأعشى :

يوماً بأطيب منها نشرَ رائحةٍ ولا بأحسن منها إذدنا الأصل (١)

أى : دنا الأصيل ، فإن صح أن الأصل بمعنى الأصيل ، وإلا فأصل جمع
أصيل على حذف الياء الزائدة مثل طوى (٢) وأطواء ، ولا أعرف أحداً
قال هذا القول ، أعنى : بجمع جمع الجمع غير الزجاجي وابن عزيز .

(١) قصيدة أولها : ودع هريرة إن الركب مرتحل ، ومنها قبل هذا البيت .

ماروضة من رياض الحزية معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعيم الثبت مكتحل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذدنا الأصل

(٢) الطوى كغنى : البئر .

وقوله : وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة . يعنى موضع قدميه حين غسلت كنته (١) رأسه ، وهو ركب ، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسه ليغسل ، وكانت سارة قد أخذت عليه عهداً حين استأذنها في أن يطالع رزقته (٢) بمكة ، فحلف لها أنه لا ينزل عن دابته ، ولا يزيد على السلام ، واستطلاع الحلال غيرته من سارة عليه من هاجر ، فحين اعتمد على الصخرة أبقى الله فيها أثر قدمه آية . قال الله سبحانه : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ آل عمران : ٩٧ أى : منها مقام إبراهيم ، ومن جعل مقاماً بدلاً من آيات ، قال : المقام جمع مقامة ، وقيل : بل هو أثر قدمه حين رفع القواعد من البيت وهو قائم عليه (٣) .

وقوله : بين المرؤتين : هو كنبحو ما تقدم في بطن المسكتين والحمّتين

- (١) الكنية بفتح فكسر : سقاء مسيك - بكسر فسین مشددة مكسورة - كثير الأخذ للماء والكنة : امرأة الابن يعنى امرأة إسماعيل
- (٢) بسكون الراء وفتح التاء بيض النعام يريد به ولده إسماعيل وأمه هاجر ولو روى بكسر الراء لكان من التركة ، وهى الشىء المتروك .
- (٣) روى عن ابن عباس أن المقام هو الحرم كله ، أو الحج كله ، وعن سعيد بن جبیر : الحجر مقام إبراهيم ، فكان يقوم عليه ، ويناوله إسماعيل الحجاره ، ولو غسل رأسه كما يقولون لاختلفت رجلاه ، واختار ابن كثير أنه الحجر الذى كان لإبراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار أمّاه إسماعيل عليه السلام به ليقوم فوقه ، ويناوله الحجاره ، فيضعها بيده لرفع الجدار . وكلما فرغ من جدار نقله إلى الناحية التى تليها ، وكان هذا المقام ملصقاً بجدار الكعبة قديماً ، ومكانه اليوم معروف .

وَعُنَيْزَتَيْنِ ، مما ورد مُثْنِيًّا من أسماء المواضع ، وهو واحد في الحقيقة ، وذكرنا
العلة في مجيئه مثنى ومجموعاً في الشعر . وفيها قوله :

وَبِالْمَشْعَرِ الْأَقْصَى إِذَا قَصَدُوا لَهُ إِلَّا لَأَ

البيت . فالمشعر الأقصى : عَرَفَةُ ، وَالْأَلَاَ : جبل عَرَفَةُ . قال النابغة :

يَرْزُنَ الْأَلَاَ سَيْرُهُنَّ التَّدَاْفُعُ (١)

وسمى : إِلَّا لَأَ لأنَّ الحجاج إذا رآوه ألوانى السير أى : اجتهدوا فيه :

ليدركوا الموقف قال الراجز :

مُهَرَّرَ أَبِي الْخُنْجَابِ لَا تَشَلِّي بَارِكْ فِيكَ اللَّهُ مِنْ ذِي أَلٍ (٢)

والشَّراج : جمع شَرَجٍ ، وهو مسيل الماء ، والتوابلُ : المتقابلة . وفيها
قوله : وَحَطَمِيْهِمْ سُمْرَ الصَّفَّاحِ : جمع صَفْحٍ ، وهو سَطْحُ الجبل ، والشمرُ
يجوز أن يكون أراد به السُّمْرَ ، يقال فيه : سَمْرٌ وَسَمْرٌ بسكون الميم ، ويجوز نقل
ضمة الميم إلى ما قبلها إلى السين ، كما قالوا فى حَسْنٍ : حُسْنٌ ، وكذا وقع
فى الأصل بضم السين ، غير أن هذا النَّقل إنما يقع غالباً فيما يراد به المدح أو التمدح

(١) شطرة البيت الأولى : « بمصطلحات من لاصاف وثيرة ، وفى المراسد :

إلال : جبل بعرفات . قيل جبل رمل بعرفات عليه يقوم الإمام ، وقيل عن يمين
الإمام ، وقيل : هو جبل عرفة نفسه . وفى البكرى قريب بما ذكر المراسد .
وقد يقال عنه الإلال ، وإلال كسحاب أو كلال .

(٢) البيت لأبى الخضر اليربوعى يمدح عبد الملك بن مروان ، وكان أجمرى .

مهرًا ، فسبق . وانظر ص ٢٣ لإصلاح المنطق لابن السكيت .

نحو حَسُنْ وقُبِحْ ، كما قال : وحُسْنٌ ذَا أَدْبَا . أَى حَسُنَ ذَا أَدْبَا (١) ، وجائز أن يراد بالشَّمْر ههنا جمع : أَسْمَرٌ وَسَمْرَاءٌ ويكون وصفاً للنبات ، والشجر كما يوصف بالدَّهْمَةِ إِذَا كَانَ مُحْضَرًّا ، وفي التنزيل : ﴿ مُدْهَامَتَانِ ﴾ الرحمن : ٦٤ . أَى : خضراوان إلى السواد .

وقوله : وشِبْرَقَةٌ . وهو نبات يقال لياسه : الحَلِيّ ، والرطبة : الشَّبْرِقُ .

(١) يقول الجوهري : تقول : قد حسن الشيء ، وإن شئت خففت الضمة ، فقلت : حسن الشيء بسكون السين ، ولا يجوز أن تنقل الضمة إلى الحاء ، لأنه خبر . وإنما يجوز النقل إذا كان بمعنى المدح والذم لأنه يشبه في جواز النقل بنعم وبئس ، وذلك أن الأصل فيها : نعم وبئس . . . قال سبهم بن حنظلة الغنوي :

لم يمنع الناس منى ما أردت ، وما أعطيهم ما أرادوا حسن ذَا أَدْبَا
أَى حسن هذا أدبا ، فنخفف ، ونقله اللسان ، في مادة حسن وقال ابن السكيت في
إصلاح المنطق ص ١٤ : يقال : عظم بضم - الظاء - البطن بطنك - وعظم بسكون الظاء -
البطن بطنك بتخفيف الضمة ، ويقال عظم - بضم العين وسكون الظاء - البطن بطنك ،
يخففون ضمة الظاء ، وينقلونها إلى العين ، وإنما يكون النقل فيما يكون مدحا
أو ذما ، فإذا لم يكن مدحا ولا ذما ، كان الضم والتخفيف ، ولم يكن النقل ، تقول :
حسن الوجه - بضم السين - وجهك ، وحسن بفتح الحاء بسكون السين الوجه وجهك : وحسن
بضم الحاء وسكون السين الوجه وجهك وقد حسن بسكون السين وجهك وفتح الحاء ،
وحسن بضم السين وجهك قال : حسن على أن يكون على مذهب نعم وبئس ، نقل وسطه
إلى أوله ، ومالم يحسن لم ينقل ، وقد حسن وجهك لا تنقل ضمة السين إلى الحاء وقد
فصل هذا أيضا التبريري في تهذيب إصلاح المنطق ص ٤٥ ط أولى ، ثم قال =

وقوله : نبذى محمداً (١) أى نسلبه ونُغلب عليه .
وقوله : نهوضَ الرّوايا . هى الإبيل تحمل الماء واحداًتها : راوية ،
والأَسْفِيَّةُ أيضاً يقال لها : روايا ، وأصل هذا الجمع : رَوَاوِي ثم يصير فى القياس :
رَوَائِي مثل حوائل جمع : حول ، ولكنهم قلبوا الكسرة فتحة بعد ما قدموا
الياء قبلها ، وصار وزنه : فوالع ، وإنما قلبوه كراهية اجتماع واوين ، واو فواعل ،
الواو التى هى عين الفعل ، ووجه آخر ، وهو أن الواو الثانية قياسها أن تنقلب
همزة فى الجمع لوقوع الألف بين واوين ، فلما انقلبت همزة قلبوها ياء ، كما فعلوا
فى خطايا وبابه ، مما الهمزة فيه معترضة فى الجمع ، والصّلاصل . المزادات لها
صَلَصَلَةٌ بالماء (٢) ،

وفى قولها : غير ذَرَبٍ مواكل . وهو مخفف من ذَرِبٍ والذَّرِبُ : اللسان
الفاحش المنطق ، والمواكل الذى لا يجد عنده فهو بكل أمره إلى غيره .

== فى شرح هذا البيت : « يريد أنه يقهر الناس ، فيمنعهم ما يريدون منه ،
ولا يمنعونه ما يريد منهم لعزه ، وجعله أدبا حسنا ، وقال أبو العلاء فى معنى
هذا البيت : كان ينكر على نفسه أن يعطيه الناس ، ولا يعطيهم ، وهو صواب ،
وذا فاعل حسن ، وأدبا منصوب على التمييز ، وأراد حسن ، فخفف ، ونقل ،
لأن هذا مذهب التعجب

(١) فى السيرة والروض يبذى بالذال وهو خطأ والصواب نبذى أى نسلب
ونغلب عليه — كما شرح الخشنى وصاحب الروض — وقد رواه اللسان فى مادة :
يبزى على البناء للفعول ورفع محمد . ونقل عن شمر أن معناه : يقهر ويستذل ،
وأنه من باب ضررته وأضررت به . . . وأراد : لا يبزى ، فحذف لامن
جواب القسم ، وهى مرادة ، أى لا يقهر ، ولم نقاتل عنه وندافع
(٢) فى شرح السيرة للخشنى : الصلاصل : جمع صلصلة . وهى بقية الماء .

وفيها قوله : ثَمَالِ الْيَتَامَى ، أَى : يَتَمُّهُمْ ، ويقوم بهم ، يقال : هو ثَمَالٌ .
مالٍ أَى يقوم به .

وفيها : قوله لِيُطْعِنَنَا فِي أَهْلِ شَاءٍ وَجَامِلٍ . الشَّاءُ وَالشَّوِيُّ : اسم للجمع مثل
الباقِر والبقيِر ، ولا واحد لشاء ، والشَّوِيُّ من لفظه ، وإذا قالوا فى الواحد :
شاةٌ ، فليس من هذا ؛ لأن لام الفعل فى شاة هاء بدليل قولهم فى التصغير :
شَوِيَّةٌ ، وفى الجمع شياه ، والجامل (١) اسم جمع بمنزلة الباقِر .

وقوله : وَكُنْتُمْ زَمَانًا (٢) حَطَبَ قَدْرٍ : حَطَبٌ اسم للجمع مثل رَكْبٌ ،
وَأَيْسٌ بجمع ، لأنك تقول فى تصغيره : حُطَيْبٌ وَرُكَيْبٌ .

وقوله : حِطَابٌ أَقْدَرٍ : هو جمع حَاطِبٌ فلا يُصَغَّرُ ، إلا أن ترده
إلى الواحد ، فتقول : حُوَيْطِبُونَ ، ومعنى البيت : أَى : كنتم متفقين لا حَاطِبُونَ
إلا لِقَدْرِ وَاحِدَةٍ ، فأنتم الآن بخلاف ذلك .

وفيها قوله : من الأَرْضِ بَيْنَ أَخْشَبٍ ، فَمَجَادِلٍ . أراد الأَخْشَبُ ، وهى
جبال مكة (٣) ، وجاء به على أَخْشَبٍ ، لأنه فى معنى أَجْبَلٍ ، مع أن الاسم

(١) فى القاموس أن جامل جمع جمل .

(٢) فى السيرة : وَكُنْتُمْ حَدِيثًا

(٣) هى أربعة أخشاب ، فأخشبا مكة : جبلاها ، وأخشبا المدينة : حرتاها
المسكتة فنتان لها ، وهما لابتاها ، وأخشبا الصان فى محلة بنى تميم ، ويروى : أخشب
على أنها مفرد

قد يجمع على حذف الزوائد كما يصغرونه كذلك ، والمَجَادِلُ : جمع مجادل وهو : القصر ، كأنه يريد ما بين جبال مكة ، فقصور الشام أو العراق ، والفاء من قوله : فمجادل تعطى الاتصال بخلاف الواو ، كقوله بين الدَّخُولِ فَجَوْمَلِ . وتقول : مُطِرْنَا بين مكة فالمدينة إذا اتصل المطر من هذا إلى هذه ، ولو كانت الواو لم تعط هذا المعنى .

وقوله : أُولِي جَدَلٍ مِنَ الْخُصُومِ الْمَسَاجِلِ يُرَوَى بِالْجِيمِ وَبِالْحَاءِ . فمن رواه بالميم فهو من الْمُسَاجِلَةِ في القول ، وأصله في استقاء الماء بالسَّجَلِ ، وصبّه فكأنه جمع مَسَاجِلِ على تقدير حذف الألف الزائدة من مفاعل ، أو جمع مِسْجَلٍ بكسر الميم ، وهو من نعت الخصوم ، ومن رواه للمساحِلِ بالحاء ، فهو جمع مِسْجَلٍ وهو اللسان ، وليس بصفة للخصوم ، إنمّا هو مخفوض بالإضافة ، أى : خصماء الألسنة ، وقال ابن أحرر :
مَنْ خَطِيبٌ إِذَا مَا انْحَلَّ مِسْجَلُهُ (١)

أى : لسانه وهو أيضاً من السَّجَلِ وهو الصَّبُّ ، ومنه حديث أيوب حين فرج عنه ، فجاءت سحابة فسحلت في بيئدره ذهباً ، وجاءت أخرى فسحلت في البيئدر الآخر فضة (٢) .

(١) روايته في اللسان :

ومن خطيب إذا ما انساح مسحله مفرج القول ميسورا ومعسوراً
ومن معاني مسجل أيضاً : الخطيب الماضي وغير هذا .

(٢) البيئدر : الجرن أو القمح ونحوه بعد دياسه ، ويقول الحافظ في الفتح =

فصل : وفيها :

لقد سَمَّيْتِ أَحْلَامُ قَوْمِ تَبَا لَوْا بَنِي خَلْفٍ قَيْضًا بِنَا وَالغِيَا طِلَّ

قَيْضًا أَى : معاوضة ، ومنه قول النبي عليه السلام لذي الجوشن (١) :
إِنْ شِئْتَ قَايَضْتُكَ بِهِ الْخِتَارَ مِنْ دُرُوعِ بَدْرٍ ، فقال : مَا كُنْتُ لِأَقِيضَهُ

== ولم يثبت عند البخارى فى قصة أيوب شىء سوى : «بيننا أيوب يغتسل عريانا خرا عليه رجل جراد من ذهب ، فجعل يحثى فى ثوبه ، فناداه ربه : يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى يارب ، ولكن لاغنى لى عن بركتك ، . ومسألة السحابة عند ابن أبى حاتم وابن جريج وابن حبان والحاكم ، ولكنها لا تخلو من غرابة ونكارة ، أقول : ويجب أن نقف عند الذى ذكره القرآن ، وما صح صحة قوينة عن رسول الله ص ، حتى لا نرجم بالغيب فى قصص النبيين التى وصلت زياداتها إلينا عن طريق أسفار اليهود ، وألسنة اليهود التى نافقت بكلمة الوحيد ، وخذع بها الكثير من ذوى القلوب الصافية

(١) أصل الجوشن : الصدر والدرع ، قال أبو السعادات ابن الأثير : يقال لأنه لقب ذا الجوشن ، لأنه دخل على كسرى ، فأعطاه جوشنا ، فلبسه فكان أول عربى لبسه ، وقال غيره : لأن صدره كان ناتئا . وفى القاموس مثله ، واختلف فى اسمه فقيل اسمه : أوس بن الأعور ، وقيل : شرحبيل - وهو الأشهر - بن الأعور بن عمرو ابن معاوية ، وينتهى إلى عامر بن صعصعة . وقيل : عثمان بن نوفل . وفى القاموس : شرحبيل بن قرط الأعور . ويقول ابن حجر فى الإصابة له حديث عند أبى داود من طريق أبى إسحاق عنه ، ويقال : إنه لم يسمع منه ، وإنما سمعه من ولده شمر . وفى ذخائر المواريث أن حديثه هذا هو الذى ذكره السهلبى : «أتيت التبي ص ، بعد أن فرغ من أهل بدر بابن فرس لى يقال لها الترحاء ، وذكر أن أبا داود رواه فى الجهاد عن مسدد .

اليوم بشيء يعنى : قرَسًا له ، يقال له : ابن القَرَسَاء . وقال أبو الشَّيْص (١) :

لا تنكرى صدِّي ولا إعراضى ليس المُقِلُّ عن الزمان براض
بُدِّلت من بُردِ الشباب مُلاءةً خلَقًا ، وبئس مُثُوبَةُ المُقْتَاضِ

والغياطل : بنو سهم ، لأن أهمهم الغَيْطَلَةُ ، وقد تقدم نسبها ، وقيل :
لأن بنى سهم سُموا بالغياطل ، لأن رجلا منهم قتل جَانًا طاف بالبيت سَبْعًا ، ثم
خرج من المسجد فقتله ، فأظلمت مكة ، حتى فزعوا من شدة الظلمة التي
أصابتهم (٢) ، والغَيْطَلَةُ : الظلمة الشديدة ، والغَيْطَلَةُ أيضًا : الشجرُ الملتف ،
والغَيْطَلَةُ : اختلاط الأصوات ، والغَيْطَلَةُ : البقرة الوحشية ، والغَيْطَلَةُ : غَلَبَةُ
النعاس ، وقوله : يُحْسِ شَعِيرَةً ، أى : ينقص ، وألْحَسِيسُ : الناقص من كل
شئ ، ويروى فى غير السيرة : يُحْصُ بالصاد والحاء مهملةً من حَصَّ الشَّعر :

(١) هو محمد بن رزين ، أو ابن عبد الله بن رزين ، وأبو الشَّيْص : لقب غلب
عليه ، والشَّيْص : ردىء القم ، وكان من شعراء الرشيد ، فأخمل أبو نواس ومسلم
ابن الوليد ذكره ، ومن قصيدته هذه :

ولقد أقول لشيبة أبصرتها فى مفرقى ، فنحتها إعراضى
عنى إلبك ، فلمت منتها ، ولو عممت منك مفارقى ببياض
هل لى سوى عشرين عاما قدمضت مع ستة فى إثرهن مواضى
ولقلبا أرتاع تنك . وإننى فيما هويت وإن وزعت لماض
فعلبك ما اسطعت الظهور بلمتى وعلى أن ألقاك بالمقراض

انظر ص ٣٣٧ سمط الألى ، ونسكت الهميان : « كان أبو الشَّيْص أعمى »
وص ١٢٣ > ٣ البيان للجاحظ بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون

(٢) أسطورة

إذا أذهب^(١) . وقوله : من كل طِمْلٍ وخاملٍ : الطِّمْلُ : اللص ، كذا وجدته في كتاب أبي بجر ، وفي العين : الطِّمْلُ الرجل الفاحش ، والطِّمْلُ والطِّمْلالُ : الفقير ، والطِّمْلُ : الذئب^(٢) . وقوله : نِقْحَةٌ غَيْرُ باهلٍ : الباهل : الناقة التي لا صِرَارَ على أخلافها ، فهي مباحة الحلب يقال : ناقة مَصْرُورَة ، إذا كان على خلفها صِرار يمنع الفصيل من أن يرضع ، وليست المَصْرَأة من هذا المعنى ، إنما هي التي جُمع لبنها في ضرعها ، فهو من الماء الصَّرَى^(٣) ، وقد غلط أبو علي في البارع ، فجعل المَصْرَأة بمعنى المَصْرُورَة ، وله وجه بعيد ، وذلك أن يُحْتَجَّجَ له بقلب إحدى الرايين ياء مثل : قَصَّيْتُ أَضْفَارِي ، غير أنه بعيد في المعنى ، وقالت امرأة المغيرة تعاتب زوجها ، وتذكر أنها جاءته كالناقة الباهلة التي لا صِرار على أخلافها : أطعمتكَ مَأْدُومِي وَأَبْشَثُكَ مَكْتُومِي ، وجئتُكَ باهلاً غير ذاتِ صِرَارٍ ، وفي الحديث : لا تورِدُ الإِبِلَ بُهْلاً [أَوْ بُهْلاً] ، فإن الشياطينَ تَرْضَعُهَا ، أي : لا أصِرَّةَ عليها .

وفيها قوله : بُرَاءٌ إِلَيْنَا مِنْ مَعَقَّةِ خَاذِلٍ . يقال قومٌ بُرَاءٌ [بِالضَّمِّ]^(٤)

(١) ويروى : لا يخبس : من قولهم : خاس بالعهد : إذا نقضه وأفسده .
والعائل هنا : الخائر ، الخشنى ص ٩١ .

(٢) وكذلك الطمّل ، بكسر الطاء والميم وتشديد اللام ، والطملال بكسر الطاء أما الفقير : فالطمل ، والطملال والطمليل بكسر الطاء في الجميع ، والطملول بضمها ، واللسان .

(٣) الذي طال مكثه .

(٤) الزيادة يقتضيها السياق وزيادة بهل من اللسان

وَبَرَّاءٌ بِالْفَتْحِ ، وَبِرَاءٌ بِالسَّكْسِرِ ، فَأَمَّا بِرَاءٌ بِالسَّكْسِرِ ، فَجَمْعُ بَرِيءٍ ، مِثْلُ كَرِيمٍ وَكَرَامٍ ، وَأَمَّا بَرَاءٌ فَصَدْرٌ ، مِثْلُ سَلَامٍ وَالْهَمْزَةُ فِيهِ ، وَفِي الَّذِي قَبْلَهُ لَامُ الْفِعْلِ ، وَيُقَالُ : رَجُلٌ بَرَاءٌ وَرَجُلَانِ بَرَاءٌ ، وَإِذَا كَسَرْتَهَا أَوْ ضَمَّمْتَهَا لَمْ يَجْزِ إِلَّا فِي الْجَمْعِ ، وَأَمَّا بُرَاءٌ بِضَمِّ الْبَاءِ ، فَالْأَصْلُ فِيهِ بُرَاءٌ مِثْلُ كُرْمَاءٍ فَاسْتَمْتَلَوْا اجْتِمَاعَ الْهَمْزَتَيْنِ ، فَحَذَفُوا الْأُولَى ، وَكَانَ وَزْنُهُ فُعْلَاءً ، فَلَمَّا حَذَفُوا الَّتِي هِيَ لَامُ الْفِعْلِ صَارَ وَزْنُهُ فُعَاءً ، وَانْصَرَفَ لِأَنَّهُ أَشْبَهَ فُعَالًا ، وَالنَّسَبُ (١) إِلَيْهِ إِذَا سُمِّيَتْ بِهِ : بُرَاوِي ، وَالنَّسَبُ إِلَى الْآخِرِينَ بَرَائِيٌّ وَبِرَائِيٌّ ، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ بُرَاءً بِضَمِّ أَوَّلِهِ مِنَ الْجَمْعِ الَّذِي جَاءَ عَلَى فُعَالٍ ، وَهِيَ ثَمَانِيَةُ الْفَاظِ : قَرِيرٌ وَفُرَارٌ وَعَرْنٌ وَعُرْنٌ (٢) ، وَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا ، وَقَالَ النَّحَّاسُ : بُرَاءٌ بِضَمِّ الْبَاءِ .

(١) حكى الفراء في براء أنه غير مصروف على حذف إحدى الهمزتين . ونص ابن جنى على أن لبريء أربعة أوجه : براء مثل ظريف وظراف ، وبرآء مثل : شريف وشرفاء ، وأبرياء مثل أصدقاء ، وبراء مثل توأم ورباء بضم الأول فهما جمع توأم ، وربى .

(٢) في أدب السكاك ص ٥٥٨ لابن قتيبة : « قال الفراء : الفرار بضم الفاء ولد البقرة الوحشية قال : ويقال : فرير وفرار مثل طويل وطوال وكان غيره يزعم أن فرارا : جمع فرير ، وفي القاموس : فرير بفتح الفاء وفرار بضم الفاء وفرور بفتح الفاء الخ ولد النعجة والماعز والبقرة الوحشية ، أو هي الخرفان والحلان ، وجمعها فرار نادر . وقال أبو عبيدة ، لم يأت شيء من الجمع على فعال إلا أحرف : هذا أحدها . وأما عرق فالعظم أكل ما عليه من اللحم ، ومثله عراق بضم العين . ويقول القائل في أماليه : لم يأت من فعال بضم الفاء جمعا إلا أحرف قليلة جدا مثل رباب جمع ربي بضم الراء وتشديد الباء مع فتح وهي الحديثة النتاج ونعم جفال : الكثيرة الشعر ، ونعم كباب كثيرة ، وفرار جمع فرير وهو ولد البقرة ، وبراء : جمع برى . وعند ابن السكيت والسيرا في أنها توأم جمع =

الاستسقاء :

فصل : وذكر حديث استسقاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
بالمدينة ، وهو حديث مرّوى من طرق كثيرة ، وبألفاظ مختلفة .

وقوله : حتى أتاه أهل الضواحي يشكون للغرق . الضواحي : جمع ضاحية ،
وهي الأرض البرّاز التي ليس فيها ما يسكن من المطر ، ولا منجاة من
السيول ، وقيل : ضاحية كل بلد : خارجه . وقوله عليه السلام : اللهم حوّاآئنا ،
ولا علينا ، كقوله في حديث آخر : اللهم منّأبت الشجر ، وبطون الأودية ،
وظهور الآكام ، فلم يقل : اللهم ارفعه عنا - هو من حسن الأدب في الدعاء ؛
لأنها رحمة الله ، ونعمته المطلوبة منه ، فكيف يطلب منه رفع نعمته ، وكشف
رحمته ، وإنما يُستل سبجانه كشف البلاء ، والمزيد من النعماء ، ففيه تعليم
كيفية الاستسقاء . وقال : اللهم منّأبت الشجر ، ولم يقل : أضرفها إلى منابت
الشجر ؛ لأن الرب تعالى أعلم بوجه اللطف ، وطريق المصاححة كان ذلك بمطر

توأّم ، وشاة ربي وغنم رباب ، وظئر وظؤار وعرق بنتح العين وعراق ورخل بكسر
الراء ورخال وفريبر وفرار وكل الجمع بضم الأول . وقال الزجاجي مثل قول لسيرافي . وقال
ابن خالويه في كتاب ليس : عرق وعراق ، ورخل من أولاد الضان ورخال وشاة ربي
ورباب ، وتوأّم وتوام ، وفريبر وفرار ولد الظبية ونذال ورذال ورثنى
وثناء ، وهو الولد الذي بعد البكر ، وناقاة بسطأو بسط بضم الباء أو كسرهما إذا
كانت غزيرة والجمع : بساط ، فتكون ثلاث عشرة كلمة . وزاد الزمخشري : عرام بمعنى
عراق ونظمها في أبيات وزاد السيوطي عنه : نذال « ص ٧٢ ، المزهري للسيوطي ج ٢

أو بِنْدَى أو طَلَّ ، أو كيف شاء ، وكذلك بطون الأودية ، والقدر الذي يحتاج إليه من مأها .

فصل : فإن قيل : كيف قال أبو طالب :

وأبيضَ يُسْتَسْقَى الغمامُ بوجهه

ولم يرَهُ قط استسقى ، وإنما كانت استسقاءاته عليه السلام بالمدينة في سفر وحضر ، وفيها شوهه ما كان من سرعة إجابة الله له .

فالجواب : أن أبا طالب قد شاهد من ذلك أيضاً في حياة عبد المطلب مادله على ما قال ، روى أبو سلمان محمد بن محمد بن إبراهيم [بن الخطاب ، الخطابي] البُستِي النيسابوري (١) ، أن رُقَيْقَةَ (٢) بنت أبي صَيْفِي بن هاشم قالت : تتابعت على قريش سِنُوجَبٍ قد أَقْحَلَتِ الظَّلْفَ ، وَأَرْقَتِ العِظْمَ ، فبينما أنا راقدة اللهم ، أو مُهْدَمَةٌ ، ومعى صِنُوى إذ أنا بهاتفٍ صَيَّتِ يصرخ بصوتٍ صَحِيلٍ يقول : يا معشر قريش إن هذا النبي المبعوث منكم ، هذا إِبَانُ

(١) هو صاحب معالم السنن توفي ببغداد سنة ٣٨٨ هـ كما في معجم الأدباء ، وفي وفيات الأعيان . وفي اللباب لابن الأثير أنه توفي سنة ٣٥٤ . وبست مدينة من بلاد كابل بين هراة وغزنة وقد سمع في اسمه : أحمد ، والأصح حمد كما ذكره والزيادة الموضوعه بين قوسين من اللباب لابن الأثير .

(٢) اسمها في نسب قريش : رقية ، ونص قوله عن أبي صيفي . انقرض إلا من بنته رقية ، ص ١٦ ولكنها رقيقة في كثير من الكتب . وفي الاشتقاق أن أبا صيفي أحد من حضر من بني هاشم حلف عبد المطلب وخزاعة ص ٦٩ .

نُجُومِهِ ، فَحَيَّ هَلَّا بِالْحَيَا وَالْحَصْب ، أَلَا فَانظُرُوا مِنْكُمْ رَجُلًا طَوَّالًا عَظَامًا
أَبْيَضَ قَطَا ، أَشَمَّ الْعَرَنِينَ ، لَهُ نَخْرٌ بِكَظِيمٍ (١) عَلَيْهِ . أَلَا فَلْيَخْلُصْ هُوَ وَوَلَدُهُ ،
وَلْيُدَلِّفْ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلٌ ، أَلَا فَلْيَشْتُوا مِنَ الْمَاءِ ، وَلْيَمَسُّوا مِنْ
الطَّيِّبِ ، وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ سَبْعًا ، أَلَا وَفِيهِمُ الطَّيِّبُ الطَّاهِرُ لَذَاتِهِ ، أَلَا فَلْيَدْعُ
الرَّجُلُ ، وَلْيُؤَمِّنِ الْقَوْمُ ، أَلَا فَفِثْتُمْ أَبَدًا مَا عَشْتُمْ . قَالَتْ : فَأَصْبَحْتُ مَذْعُورَةٌ
قَدْ قَفَّ جِلْدِي ، وَوَلَّهِ عَقْلِي ، فَأَقْتَصَصْتُ رُؤْيَايَ ، فَوَالْحَرَمَةِ وَالْحَرَمِ إِنْ بَقِيَ
أَبْطَحِيٌّ (٢) إِلَّا قَالَ : هَذَا شَيْبَةُ الْحَمْدِ ، وَتَمَامَتْ عِنْدَهُ قَرِيشٌ ، وَانْفَضَّ إِلَيْهِ
النَّاسُ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلٌ ، فَشْتُوا وَمَشُوا وَاسْتَلَمُوا وَاطُوفُوا ، ثُمَّ ارْتَقَوْا
أَبَا قُبَيْسٍ ، وَطَفِقَ الْقَوْمُ يَدْفُونَ حَوْلَهُ ، مَا إِنْ يَدْرِكُ سَمِيئَهُمْ مُهَلَّةً ، حَتَّى قَرُّوا
بِذُرَّةِ الْجَبَلِ ، وَاسْتَكْفَوْا جَنَابِيهِ ، فَقَامَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ ، فَأَعْتَصَدَ ابْنَ ابْنِهِ
مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَرَفَعَهُ عَلَى عَاتِقِهِ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ غَلَامٌ قَدْ أُيْقِعَ ،
أَوْ قَدْ كَرَّبَ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ سَادَّ الْخَلَّةَ ، وَكَاشَفَ الْكُرْبَةَ أَنْتَ عَالِمُ غَيْرِ
مُعَلِّمٍ ، وَمَسْئُولُ غَيْرِ مُبْخَلٍّ ، وَهَذِهِ عِبْدَاؤُكَ ، وَإِمْلاؤُكَ بِعَذْرَاتِ حَرَمِكَ
يَشْكُونَ إِلَيْكَ سَدَنَتَهُمْ ، فَاسْمَعَنَّ اللَّهُمَّ ، وَأَمِطْرَنَّ عَلَيْنَا غَيْثًا مَرِيحًا مُفْدِقًا ،
فَمَارَامُوا وَالْبَيْتَ ، حَتَّى انْفَجَرَتِ السَّمَاءُ بِمَائِهَا ، وَكَظَّ الْوَادِي بِشَجِيحِهِ . رَوَاهُ
أَبُو سَلِيحَانَ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ . قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْبُخْتَرِيِّ ، نَحْوُ
يَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ حَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ مَرَّ

(١) لا يبيد به ولا يظهره .

(٢) في رواية ففثتم في شعاب مكة فما بقي بها أبطحي النخ .

نا عبد العزيز بن عمران ، عن ابن حوَيْصَةَ ، قال يحدث نَحْرَمَةَ بن نَقِيل عن
أُمِّهِ رُقَيْقَةَ بنت أبي صَنِيْفٍ .

وذكر الحديث ، ورواه بإسناد آخر إلى رُقَيْقَةَ ، وفيه : ألافانظروا
منكم رجلا وسيطا عظاما جُساما أو طَف الأهداب ، وأن عبد المطلب قام
ومعه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد أَيْفَع أو كَرَب ، وذكر
القصة (١) .

(١) ذلك الأحاديث الصحيحة على مشروعية صلاة الاستسقاء ، وبذلك قال
جمهور العلماء من السلف والخلف ، ولم يخالف في ذلك إلا أبو حنيفة مستدلا
بأحاديث الاستسقاء التي ليس فيها صلاة ، وقد وقع الإجماع من المثبتين للصلاة
على أنها ركعتان ، ووقع الاتفاق على أنها سنة غير واجبة . وفي كيفية خلاف
مخارج إليها في كتب السنة والفقهاء . أقول : إذا كان المعتمد هنا هو الحديث ، فلم
ألا نقول إنها تجوز بصلاة فيها دعاء ، وتجوز بالدعاء من غير صلاة ؟

هذا وليس في البخاري ما رواه ابن هشام إنما فيه ما رواه بسنده عن
عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه قال : سمعت ابن عمر يتمثل بشعر
أبي طالب « وأبيض الخ ، وروى أيضاً من حديث سالم عن أبيه : ربما ذكرت
مقول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي يستسقى . فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب :
« وأبيض الخ ، أما القول المنسوب إلى الرسول «ص» في السيرة : لو كان أبو طالب الخ
فلم يروه أحد من أصحاب الصحيح كالحديث الذي ذكر في الروض . وأحب أن
أذكر هنا بما رواه الخمسة عن أنس رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله
عليه وسلم ، وهو يخطب يوم الجمعة ، فقال : يا رسول الله هلكت المواشي ،
وانقطعت السبل ، فادع الله ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي رواية :
مرفوع يديه — ثم قال : اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، فطروا من جمعة =

ابن الأَسَلْتِ وقصته بمرتة :

فصل : وذكر ابن هشام^(١) كل من سماه أبو طالب في قصيدته ،

إلى الجمعة ، فجاء رجل ، فقال : يا رسول الله تهدمت البيوت ، وتقطعت السبل ، وهلكت المواشى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم على رموس الجبال والآكام وبطون الأودية ومنايات الشجر ، وفي رواية : اللهم حوالينا ، ولا علينا ، فانجابت عن المدينة انجياب الثوب ، فجعلت تمطر حولها ، لا تمطر بها قطرة ، فنظرت إلى المدينة وإنما لفى مثل الإكليل رواه الحسن إلا الترمذى . وفى الحديث المتفق عليه أنه «ص» خرج بالناس إلى المصلى يستسقى ، فصلى بهم بركعتين جهر فيهما بالقراءة ، واستقبل القبلة يدعو ، ورفع يديه ، فما حول رداه حين استقبل القبلة ، وكان إذا رأى المطر يقول : اللهم صببا نافعا ، وروى عنه أنه كان يخرج متبذلا متواضعا متخشعا متضرعا « الترمذى والنسائي وأبو داود وابن ماجه » .

ومن الأحاديث الصحيحة ، تؤمن أن الاستسقاء النبوى إنما هو إلى الله ضراعة وإتهال فى صلاة أو فى غير صلاة ، وأن التوسل بذات فلان أو وجهه أو جاهه ليس مذهبى الرسول «ص» ولا سنته ، فلنحذر نزغة الشرك ، ولم يخرج قصة عبدالمطلب أحد من أصحاب الصحيح ، وإنما هى عند ابن عساكر وابن أبى الدنيا وابن سعد والبيهقى والطبرانى . ورواية الحديث بهذه الصورة لا توحى بالافتداء فإنه عمل عبدالمطلب ، وهى لا تثبت جواز الاستسقاء بالوجه أو بالذرات ، فالرواية تستند إلى عبدالمطلب أنه دعا الله ، ولم يدعه بوجه أحد أو ذات أحد .

ولم تستند إليه الرواية أنه حمل محمدا معه ليستسقى بوجهه أو بذاته . وحمل عبدالمطلب ابن ابنه فى مثل هذا أمر تفرضه عاطفة رجل شيخ ، فقد ابنه ، فهو يحبه مرتين فى هذا الحفيد العظيم .

(١) ذكر ابن هشام حديث الأخنس ، وهو صحابى من مسلمة الفتح شهد حنيناً ومات أول خلافة عمر

أو أشار إليه ، وعرف بهم تعريفاً مُستغنياً عن المزيد . وذكر قصيدة أبي قيس صَيْفِي بن الأَسَلْتِ ، واسمُ الأَسَلْتِ : عامرٌ ، والأَسَلْتُ : هو الشديد الفَطَسِ يقال : سَلَتَ اللهُ أَنْفَهُ ، ومن اسَلت حديث بشر بن عامر حين أراد عمر أن يستعمله ، فلما كتب له عهدَه أبي أن يقبله ، وقال : لا حاجة لي به . إني سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : إن الوُلاةَ يُجاءُ بهم يوم القيامة ، فيقفون على جِسْرِ جَهَنَّمَ ، فمن كان مُطاوِعاً لله تناوله بيمينه حتى ينجيه ، ومن كان عاصياً لله انخرق به الجسر إلى وادٍ من نارٍ تتهب التهاها ، قال : فأرسل عمرُ إلى أبي ذَرٍّ ، وإلى سَلْمَانَ ، فقال لأبي ذَرٍّ : أنت سمعت هذا من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : نعم والله ، وبعد الوادي وادٍ آخر من نارٍ . قال : وسأل سَلْمَانَ ، فكره أن يخبره بشيء ، فقال عمر : من يأخذها بما فيها (١) ؟ فقال أبو ذر . من سَلَتَ اللهُ أَنْفَهُ وعينيه ، وأَضْرَعَ خَدَّهُ إلى الأرض ذكره ابن أبي شيبة .

وأول القصيدة : يارا كبا إماماً عَرَضَتْ فَبَيَّلَنْ . البيت . المَغْلَغَلَةُ : الداخلة إلى أقمى ما يراد بُلُوغُه منها^(٢) ، ومنه تغافل في البلاد : إذا بالغ في الدخول فيها ، وأصله : تَغَلَّلَ وَمُغْلَغَلَةٌ ، وَلَكِنْ قَلَبُوا إِحْدَى اللَّامَيْنِ غَيْنًا ، كما فعلوا في كثير من المضاعف ، وأصله من الغل والغلالة ، فأما الغلُّ فلما يستره النبات والشجرُ ، وأما الغلالةُ فساترةٌ لما تحتمها وفيها . نُبَيْتُكُمْ شَرَّ جَيْنِ . أى : فريقين مختلفين ، وَنُبَيْتُكُمْ لَفْظٌ مُشْكَلٌ

(١) يعني الخلافة .

(٢) المغلغلة : الرسالة .

وفى حاشية الشيخ : نبيتكم شرّ جين^(١) ، وهو بين في المعنى ، وفيه زحاف خزّم ،
ولكن لا يعاب المعنى بذلك ، وأما لفظ التَّبَيُّت في هذا البيت ، فبمعيد من
معناه ، والأزْمَلُ : الصوت ، والأْمَذُكى : الذى يوقد النار ، والحاظِبُ :
الذى يحطّب لها ، ضُرب هذا مثلا لنار الحرب ، كما قال الآخر :

أرى خَمَلَ الرَّمَادِ وَمِيضَ بَجْرِ وَيوشك أن يكون لها ضرام
فإن النارَ بالعودين تُذْكَى وإن الحربَ أولها الكلامُ^(٢)

وقوله : هى الغول للأذنى^(٣) ، أى : هى الهلاك ، يقال : الفئضبُ : غول
الحلم ، أى يهالكه ، والغُولُ بفتح الغين : وَجَعُ البطن ، قاله البخارى فى تفسير
قوله : ﴿ لا فيها غَوْلٌ ﴾ . وقوله : وإحلالُ إحرامِ الظباءِ الشَّوْازِبِ^(٤) .
أى : إن بلدكم بلدٌ حَرَامٌ تَأْمَنُ فيه الظباءُ الشَّوْازِبُ التى تأتية من بُعدٍ ، لتَأْمَنَ

(١) والذى فى السيرة : نبيتكم .

(٢) من أبيات ضمنها نصر بن سيار والى خراسان فى آخر أيام بنى أمية - كتابه
لى مروان بن محمد حينما وجد أمر أبى مسلم الخراسانى يشتد فى الدعوة
لى آل العباس . ومنها :

أقول من التعجب : ليت شعرى أبقاظ أمية أم نيام
فإن يك قومنا أضحووا نياما فقل : قوموا ، فمقد حان القيام
فقرى عن رحالك ، ثم قولى على الإسلام والعرب السلام
ص ٢٥٦ - ٣٠ مروح الذهب .

(٣) فى السيرة : للأفصين .

(٤) التى يحرم صيدها فى الحرم والحشى ،

فيه ، فهي شازِبة أى : ضامرة من بعد المسافة ، وإذا لم تَحِلُّوا بالطباء فيه ، فَأَحْرَى ألا تَحِلُّوا بدمائكم ، وإحرامُ الطباء : كونها في الحرم ، يقال لمن دخل في الشهر الحرام ، أو في البلد الحرام : مُحْرَمٌ . والأَتْحَمِيَّةُ : ثيابٌ رِفاقٌ تصنع باليمن ، والشليل : دِرْعٌ قصيرة (١) ، والأَصْدَاءُ : جمع صَدَأُ الحديد ، والقَتِير : حَلَقُ الدَّرْعِ (٢) شبهها بعيون الجَرَادِ ، وأخذ هذا المعنى التَّنُوخِيُّ .
فقال :

كَأَثَابِ الأَرَامِ مَزَقْتَهَا نَخَاطَتَهَا بِأَعْيُنِهَا الجَرَادُ
وقوله في وصف الحرب :

تَزَيْنَ للأَقْوَامِ ، ثُمَّ يَرَوْنَهَا بِعَاقِبَةِ إِذْ بَيَّتَتْ أُمَّ صَاحِبِ
هو كقول عمرو بن معدى كرب :

الحربُ أَوَّلُ ما تَكُونُ فَتِيَّةٌ تَسْمَى بِبَزَّتِهَا لِكُلِّ جَبُولِ
حتى إذا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا وَلَّتْ عَجْوزاً غَيْرَ ذَاتِ خَلِيلِ
شَمَطَاءَ جَزَّتْ رَأْسَهَا ، فَتَنَكَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْيِيلِ

(١) أو هي ثياب تلبس تحت الدروع .

(٢) في اللسان : الصدأ مهموز متصور : الطبع والدنس يركب الحديد ،
وصدأ الحديد : وسخه . وفي شرح الخشني : أصداء : يعني دروعا متغيرة
بالصدأ . وفي الخشني أيضاً : أن القتير : مسامير حلق الدروع

قوله : أم صاحب ، أى : مجوزاً كأم صاحب لك ، إذ لا يصحب الرجل إلا رجلاً في سنه ، وفي جامع البخارى : كانوا إذا وقعت الحرب يأمرؤن . يحفظ هذه الأبيات ، يعنى : أبيات عمرو المتقدمة . وقوله : ألم تعلموا ما كان في حرب داحس . يذُكر معنى داحس إذا ذكره ابن إسحاق بعد هذه القصيدة إن شاء الله تعالى .

وقوله فيها : ولي امرىء فاختر ديناً فإنما (١) . أى : هو ولي امرىء . اختر ديناً ، والفاء زائدة على أصل أبي الحسن ، قال في قولهم : زيداً فاضرب : الفاء مُعَلِّمة أى : زائدة ، ومن لا يقول بهذا القول يجعل الفاء عاطفة على فعل مضمر ، كأنه قال : ولي امرىء تدبّر ، فاختر ديناً ، أو نحو هذا ، وقد تقدم شرح باقى القصيدة فى آخر قصة الحبشة .

وقال فيها : كريم المضارب ، وفى حاشية كتاب الشيخ : لعله الضرائب ، يريد : جمع ضريبة ، ولا يبعد أيضاً أن يكون قال : المضارب . يريد أن مضارب سيوف غير مذمومة ، ولا راجعة عليه إلا بالثناء والمد والوصف بالكارم .

وفىها قوله : وماء هُرَيْق فى الضلال . ويروى : فى الضلال جمع صالّة ، وهى الأرض التى لا تمسك الماء . أى رُبّ ماء هُرَيْق فى الضلال من أجل السراب ، لأنه لا يهزىق ماء من أجل السراب إلا ضال غير مميز بمواضع

(١) فى السيرة : فلا يكن بدلاً من « فإنما »

الماء ، وأذاعت به ، أى: بددته ، فلم ينتفع به ، وهذا مثل ضربه للنظر فى عواقب الأمور ، ويروى : وما أهريق فى أمر ، ومعناه : والذي أهريق فى أمر الضلال ، فوصل ألف التقطع ضرورة ، ويقال : أريق الماء ، وأهريق بالجمع بين الهمزة والماء ، وهى أقلها ، ولتعليلها موضع غير هذا .

وقوله فيها : بين سافٍ وحاصب : السافى : الذى يرمى بالتراب ، والحاصب الذى يقذف بالحصباء .

وفى ذكر الجباجب ، وهى منازل مفى . كذا قال ابن إسحاق ، وقال البرقي : هى حفر بمنى ، يجمع فيها دم البُدن ، والهدايا ، والعرب تعظمها وتفخر بها ، وقيل : الجباجب : الكروش . يقال للسكرش : جبجبة بفتح الجيم ، والذى تقدم واحده : جبجبة بالضم (١) .

مهرب داحس :

فصل : وذكر حديث حرب داحس مختصراً ، وداحس : اسم فرس كان لقيس بن أبى زهير ، ومعنى داحس : مدحوس كما قيل : ماء دافق ، أى : مدفوق ، والداحسُ : إدخال اليد بقوة فى ضيق ، كما روى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر بفلام يسلم شاة ، فأمره أن يقتنعى ليريه ، ثم دحس (٢)

(١) المراد : الجبجبة بالضم : ماء معروف بنواحي اليمامة . والجباجب والأخاشب : جبال مكة .

(٢) أدخلها بين جلدها ولحمها ليسلمها ، وفى الأصل عن الإبط التى ستأق : الأربط : والتصويب من اللسان والنهاية لابن الأثير

عليه السلام بيده بين الجلد واللحم ، حتى بلغ الإبط ثم صلى ، ولم يتوضأ .
فَدَاحِسٌ سُمِّيَ بهذا الاسم ؛ لأن أمه كانت لرجل من بني تَمِيمٍ ، ثم من بني
يَرْبُوعٍ اسمه : قِرَواش بن عَوْفٍ ، وكان اسم الفرس : جَلْوَى ، وكان ذُو العُقَالِ
قِرَسًا عَتِيقًا لِحَوْطِ بن جابر ، فخرجت به فتاتان له ، لتسقياه ، فبصر بجَلْوَى ،
فَأَدَّى حين (١) رآها ، فَضَحِكَ غِلْمَةً كانوا هنالك ، فاستحيت الفتاتان ،
وَنَكَّسَتَا رَأْسَيْهِمَا ، فَأفلت ذُو العُقَالِ حتى نَزَّ على جَلْوَى ، وقيل ذلك لِحَوْطِ
فَأقبل مفضبًا ، وهو يسعى حتى ضرب بيده في التراب ، ثم دَحَسَهَا في رَحْمِ
الفرس ، فسطأعليها ، فأخرج ماء الفحل منها ، واشتملت الرحمُ على بقية
الماء ، وحملت بمهر فسمّوه : داحِسًا ، وأظهر ما فيه أن يكون مِثْلَ : لابِنِ
وتامِرٍ ، وأن لا يكون فاعِلًا بمعنى مفعول ، فهو داحس بن ذى العُقَالِ بن
الأَعْوَجِ الذي تُنسب إليه الخليل الأَعْوَجِيَّةُ (٢) في قول بعضهم ، وقد تقدم غير
هذا القول - ابن سَبِيلٍ (٣) ، وكان لغنى بن يَعْصِرٍ ، وفيه يقال :

(١) أدلى الفرس وغيره أخرج جردانه ليبول ، أو يضرب .

(٢) أعوج : فرس لبني هلال تنسب إليه الأعوجيات كان لكندة ، فأخذته
سليم ، ثم صار إلى بني هلال ، أو صار إليهم من بني آكل المرار ، وفرس لغنى
ابن أعصر أو يعصر كما في الروض

(٣) في اللسان عن الأصمعي أن سبل هي أم أعوج وكانت لغنى ، وأعوج
لبني آكل المرار ، ثم صار لبني هلال بن عامر

(٨٢ - الروض الأنف - ٣)

إن الجواد بن الجواد بن سبيل إن ديموا جاد ، وإن جاد وبَل (١)

وفي ذى العُقَال يقول جرير :

تمسى جياذ الخليل حول بيوتنا من آل أعوج ، أولذى العُقَال (٢) ،

وأنشد :

أفبمد مَقْتَلِ مالِكِ بنِ زُهَيْرٍ ترجو النساء عواقبَ الاطِّهار (٣) ،

وفيه إقواء ، وهو حذف نصف سبب من القسم الأول ، وقد تكلمنا

على معنى الإقواء قبل ، وأما اختلاف التوافق فيسمى : اكتفاء ، وإقواء أيضاً

لأنه من الكُفء ، فكأنه جعل الرفع كفتناً للخفض ، فسوى بينهما ،

وفيهما قوله :

(١) قال ابن برى : الشعر لجهنم بن شبل ، وقال أبو زياد السكابي : وهو

من بني كعب بن بكر . . قال وقد أدركته يرعد رأسه ، وهو يقول :

أنا الجواد بن الجواد بن سبيل إن ديموا جاد ، وإن جادوا وبَل

قال ابن برى : فثبت بهذا أن سبيل اسم رجل وليس باسم فرس . هذا ما ذكره

اللسان في مادة سبيل ، وفي مادة : دوم رواه : وهو الجواد الخ .

(٢) وفي النقائض : إن الجياذ بيتن حول قباينا

(٣) القصيدة للربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن قارب العبسي ،

وقد ذكر ابن هشام نسبة مختصراً وأول قصيدته :

نام الخلى ، وما أغمض حار من سيء النبا الجليل السارى

ص ٨١ وما بعدها > النقائض بين جرير والفرزدق لابن عبيدة معمر

ابن المثنى ط ١٣٥٣ هـ ص ١٥١ > ١ أمالي المرتضى

ترجو النساء عواقب الاطهار . كقول الاخطل :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

فيقال : إن حرب داحس دامت أربعين سنة ، لم تحمل فيها أنثى ، لأنهم كانوا لا يقربون النساء ما داموا محاربين ، وذكر الأصبهاني أن حرب داحس كانت بعد يوم جبلة بأربعين سنة ، وقد تقدم يوم جبلة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد في تلك الأيام ، وقال لبيد :

وَعَنَيْتُ حَرَسًا قَبْلَ مَجْرَى دَاحِسٍ

لو كان للنفس اللجوج خُلُودُ

وكان لبيد في حرب جبلة ابن عشر سنين ، وقوله : حرساً أي : وقتاً من الدهر ، ويروى سبتاً والمعنى واحد ، وكان إجراء داحس والغبراء على ذات الإصايد موضع في بلاد فزارة ، وكان آخر أيام حرب داحس بقله من أرض قيس ، وهناك اصطاحت عيس ومَنْوَلَة : وهى أم بنى فزارة : شَمْخ وَعَدِي وَمَازِن ، فيقال لهذا الموضع : قلّه ، وأما قلّه فهو موضع بالحجاز ، وفيه اعتزل سعد بن أبي وقاص حين قُتل عثمان ، وأمر ألا يُحدّث بشيء من أخبار

(١) في اللسان في مادة سبت وجرى رواه :

وغنيت سبتاً قبل مجرى داحس . وفي الأصل : بجراء

(٢) في المراد : الإصايد : اسم الماء الذى لطم عليه داحس ، وكانت الحرب

المشهوره بسببها ، وذات الإصايد . ردهة في ديار بنى عيس وسط هضب القليب

ذكري ما لقيه رسول الله صلى عليه وسلم من قومه

مفتريات قريش وإيذاؤهم للرسول (ص) :

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم : سفهاءهم ، فكذبوه ، وأذوه ، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُظهِرٌ لأمر الله لا يستخفي به ، مُبَادِلُهُم بما يكرهون من عيب دينهم ، واعتزال أولئناهم ، وفراقه إيتابهم على كفرهم .

الناس ، وألا يسمع منها شيئاً ، حتى يصطلحوا ، ويقال : إن الخنفاء كانت فرس حذيفة^(١) ، وأنها أجريت مع الغبراء ذلك اليوم ، قال الشاعر :

إذا كان غيرُ الله للمرء عُدَّةً أنته الرزايا من وجوه الفوائد
فقد جرَّت الخنفاء حَتْفَ حذيفةٍ وكان يراها عُدَّةً للشدائدِ^(٢)
وأما حرب حاطب الذي ذكرها ، فهي حربٌ كانت على يد حاطب بن الحارث بن قيس بن هَيْشَةَ بن الأوس ، فنُسبت إليه ، وكانت بين الأوس والخزرج .

(١) في اللسان أن الخنفاء أخت داخس لآبيه من ولد العقال ، والغبراء : خالة داخس ، وأخته لآبيه ١١ والخنفاء : فرس حبر بن معاوية .

(٢) فصل القول في حرب داخس كتاب النقائص بين جرير والفرزدق

لابي عبيدة ص ٧٦ > ١

قال ابن إسحاق : فحدثني يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه عروة
ابن الزبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلت له : ما أكثر
مارأيت قريشا أصابوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما كانوا يظنهم من
عداوته ؟ قال : حضرتهم ، وقد اجتمع أشرفهم يوماً في الحجر ، فذكروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا
الرجل قط : سفته أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعابد بننا ، وفرق جماعتنا ، وسب
أهلتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قالوا ، فبيناهم في ذلك إذ طلع
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مرّ بهم
طائفاً بالبيت ، فلما مرّ بهم عمزوه ، ببعض القول ، قال : فعرفت ذلك في وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم مضى ، فلما مرّ بهم الثانية اغمزوه
بمثلها ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم مرّ بهم
الثالثة فعمزوه بمثلها ، فوقف ، ثم قال : أتسمعون يامعشر قريش؟! أما والذي
نفسى بيده ، لقد جئتكم بالدّبح . قال : فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم
رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك
ليزفوه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ،
فوالله ما كنت جهولاً . قال فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى
إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم
ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادا لكم بما تكرهون تركتموه .
فبيناهم في ذلك طلع عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوثبوا إليه وثبة

رجلٍ واحدٍ ، وأحاطوا به ، يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ، لِمَا
كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم؟! فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
نعم أنا الذى أقول ذلك ، قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع رداءه . قال :
فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه ، وهو يبكي ويقول : أتقتلون رجلا أن
يقول ربى الله؟! ثم انصرفوا عنه ، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا
منه قط .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض آل أمِّ كُثُوم ابنة أبي بكر ، أنها قالت :
رجع أبو بكر يومئذٍ وقد صدَعوا فَرَقَ رأسه ، مِمَّا جَبَدُوهُ بِإِخِيَّتِهِ ، وكان
رجلاً كثيرَ الشعر .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم : أن أشد ما لقي رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قريش أنه خرج يوماً فلم يلقه أحدٌ من الناس إلا كذبه وآذاه ،
لا حُرّاً ولا عَبْد ، فرجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله ، فتدنَّ من
شدة ما أصابه ، فأنزل الله تعالى عليه : « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ » المدثر : ٢٤١

إسلام حمزة رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : حدثني رجل من أسلم ، كان واعيةً : أن أبا جهل
مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فأذاه وشتمه ، ونال منه بعض
ما يكره من العيب لدينه ، والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسولُ الله - صلى الله

عليه وسلم ، ومَوْلَاةُ لعبدالله بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم
ابن مُرّة في مَسْكَن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه ، فعَمَد إلى ناد من قريش
عند الكعبة ، فجلس معهم ، فلم يلبث حمزةُ بن عبد المطلب رضى الله عنه أن
أقبل مُتَوَشِّحًا قوسه ، راجعًا من قَنَصٍ له ، وكان صاحبَ قَنَصٍ يَرْمِيهِ ، ويخرج
له ، وكان إذا رجع من قَنَصِهِ لم يصل إلى أهله ، حتى يطوف بالكعبة ،
وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف ، وسلم ، وتحدث
معهم ، وكان أعزّ فتى في قريش ، وأشدّ شَكِيمَةً ، فلما مرّ بالمَوْلَاةِ ، وقد رجع
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته قالت له : يا أبا عُمارة ، لو رأيت
ما لقي ابنُ أخيك محمدُ آنفا من أبي الحَكَم بن هشام : وَجَدَهُ هَاهُنَا جَالِسًا ،
فَأَذَاهُ وَسَبَّهُ وَبَلَّغَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ ، ثم انصرف عنه ، ولم يكلمه محمدُ صلى الله
عليه وسلم .

فاحتمل حمزةُ الغضبُ لِمَا أَرَادَ اللهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ ، فخرج يسعى ، ولم
يَقِفْ على أحد ، مُعِدًّا لأبي جهل إذا لَقِيَهِ أَنْ يُوقِعَ بِهِ ، فلما دخل المسجد
نظر إليه جالسًا في القومِ فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ ، حتى إذا قام على رأسه ، رفع القوس ،
ففضربه بها ، فشجّه شَجَّةً مُنْكَرَةً ، ثم قال : أَتَشْتَمُهُ ، فَأَنَا عَلَى دِينِهِ أَفُولُ
مَا يَقُولُ؟! فَرَدَّ ذَلِكَ عَلَى إِنْ اسْتَطَعْتَ . فقامت رجالٌ من بني مخزوم إلى حمزة ،
لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دَعُوا أَبَا عُمَارَةَ ، فَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ سَبَّيْتُ
ابْنَ أَخِيهِ سَبًّا قَبِيحًا ، وَتَمَّ حِمْرَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى إِسْلَامِهِ ، وَعَلَى مَا تَابَعَ
عَلَيْهِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْمِهِ . فلما أسلم حمزةُ عرفت قريشُ

.....

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عزّز وامتنع ، وأن حمزة سيمسعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

عتبة بن ربيعة يذهب إلى الرسول (ص)

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيّداً - قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلّمه ، وأعرضَ عليه أموراً لعله يقبل بعضها ، فنعطيه أيها شاء ، ويكفّ عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يزيدون ويكثرّون ؛ فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قم إليه ، فكلّمه ، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا بن أخي ، إنك منّا حيثُ قد علمت من السّطة في العشيّة ، والمسكان في النّسب ، وإنك قد أنيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفّهت به أعلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفّرت به من مضى من آباؤهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال : فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم : قل يا أبا الوليد ، أسمع ، قال : يا بن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا ، جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفاً سوتناك علينا ، حتى لا تقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به مُلكاً ملكناك علينا ، وإن كان

هذا الذى يأتىك رثيماً تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ،
وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبْرثك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى
يُدأوى منه ، أو كما قال له ، حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله - صلى الله عليه
وسلم - يستمع منه ، قال : أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال : فاستمع
منى ، قال : أفل ، فقال : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حم . تَنْزِيلٌ مِنْ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا
وَنَذِيرًا ، فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ ، فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ، وَقَالُوا : قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ
مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾ . فصلت : ١ - ٥ . ثم مضى رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - فيها يترؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف
ظهره معتمدا عليهما ، يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ،
فأنت وذاك .

فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : تخلف بالله : لقد جاءكم أبو
الوليد بغير الوجه الذى ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا
الوليد ؟ قال : ورأى أنى قد سمعتُ قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو
بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة . يا معشر قريش ! أطيعونى واجعلوها
بى ، وخلوا بين هذا الرجل ، وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكون لقوله
الذى سمعتُ منه نبأً عظيم ، فإن تُصِبه العربُ فقد كُفِيتُموه بغيركم ، وإن يَظْهَرُ
على العرب ، فذلكم مُلككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قولوا :
سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأى فيه ، فاصنعوا مابدا لكم .

بين النبي (ص) وبين قريش

قال ابن إسحاق : ثم إن الإسلام جعل يَفْشُو بِمَكَّةَ فِي قَبَائِلِ قُرَيْشٍ فِي الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، وَقُرَيْشٍ تَحْيِسُ مَنْ قَدَّرَتْ عَلَى حَبْسِهِ ، وَتَفْتَنُ مِنْ اسْتِطَاعَتِ فَتَنَّتَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ إِنَّ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ - كَمَا حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، وَعَنْ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ :

اجتمع عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُظَلِّبِ بْنِ أَسَدٍ ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَالْوَالِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ - لَعَنَهُ اللَّهُ - وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ ، وَالْعَاصِمُ بْنُ وَاثِلٍ ، وَنُبَيْهَةُ وَمُنَبِّهَةُ ابْنَاتُ الْحِجَّاجِ السَّهْمِيِّانِ ، وَأُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، أَوْ مِنْ اجْتَمَعَ مِنْهُمْ . قَالَ : اجْتَمَعُوا بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ عِنْدَ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ فَكَلِّمُوهُ وَخَاصِمُوهُ حَتَّى تُعْذِرُوا فِيهِ ، فَبِعَثُوا إِلَيْهِ : إِنْ أَشْرَافَ قَوْمِكَ قَدْ اجْتَمَعُوا لَكَ لِيَكَلِّمُوكَ ، فَأَتَهُمْ ، فَجَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَرِيعًا ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ قَدْ بَدَأَ لَهُمْ فِيمَا كَلَّمَهُمْ فِيهِ بَدَاءً ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَرِيصًا يَجِبُ رَشْدَهُمْ ، وَيَعِزُّ عَلَيْهِ عَنْهُمْ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالُوا لَهُ يَا مُحَمَّدُ ، إِنْ أُنَا قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ ؛ لِنَكَلِّمَكَ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ رِجَالًا مِنَ الْعَرَبِ نَدْخُلُ عَلَى قَوْمِهِ مِثْلَ مَا أَدْخَلْتَ عَلَى قَوْمِكَ ، لَقَدْ شَتَمْتَ الْآبَاءَ ، وَغَيْبْتَ

.....

والدين ، وشتمت الآلهة ، وسفّمت الأحلام ، وفرقت الجماعة ، فما بقي أمرٌ
تقبّح إلا قد جثته فيما بيننا وبينك - أو كما قالوا له - فإن كنت إنما جئت بهذا
للحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن
كنت إنما تطلب به الشرف فينا ، فنحن نُسوّدك علينا ، وإن كنت تريد
به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً تراه قد غلب عليك
- وكانوا يسمون التابع من الجن رثياً - فربما كان ذلك ، بذلنا لك أموالنا
في طلب الطب لك حتى مُبرئك منه ، أو نُعذّر فيك ، فقال لهم رسولُ الله
- صلى الله عليه وسلم : ما بي ما تقولون ، ما جئتُ بما جثتكم به أطلبُ
أموالكم ، ولا الشرفَ فيكم ، ولا الملكَ عليكم . ولكنَّ الله بعثني إليكم
مرسولاً ، وأنزل عليّ كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبأنتمكم
رسالات ربي ، ونصحتُ لكم ، فإن تقبلوا مني ما جثتكم به ، فهو حظكم في
الدنيا والآخرة ، وإن تردوه عليّ أصبرُ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ،
أو كما قال - صلى الله عليه وسلم - قالوا : يا محمد ، فإن كنت غيرَ قابلٍ منا شيئاً
فما عَرَضناه عليك ، فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحدٌ أضيقَ بلدًا ، ولا
أقلَّ ماءً ، ولا أشدَّ عيشاً منا ، فسَلْ لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به ، فليُسِّرْ
عنا هذه الجبالَ التي قد ضيّقت علينا ، وليبسِّط لنا بلادنا ، وليفجِّر لنا فيها
أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضي من آبائنا ، وليكن فيمن يُبعث
لنا منهم : قُصَى بن كلاب ، فإنه كان شيخَ صدق ، فنسألهم عما تقول : أحقّ
هو أم باطل ، فإن صدقوك ، وصنعت ما سألتناك ، صدقناك ، وعرفنا به منزلتَكَ

• • • • •

من الله ، وأنه بعثك رسولاً - كما تقول - فقال لهم صلواتُ الله وسلامُهُ عليه :
ما بهذا بُعِثْتُ إليكم ، إنما جئتكم من الله بما بعثني به ، وقد بَلَّغْتُكُمْ
ما أُرْسِلْتُ به إليكم ، فإن تقبلوه ، فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه
عني - أصبر لأمر الله تعالى ، حتى يحكم الله بيني وبينكم ، قالوا : فإذا لم تفعل
هذا لنا ، نخذ لنفسك ، سَلَّ رَبُّكَ أَنْ يبعث معك ما كما يصدقك بما تقول ،
ويراجعنا عنك وسله ، فليجمل لك جنانا وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة
يغنيك بها عما نراك تبتغي ، فإنك تقوم بالأسواق كما تقوم ، وتلمس المعاش
كما تلمسه ، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا
كما تزعم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعل ، وما أنت
بالذي يسأل ربّه هذا ، وما بُعِثْتُ إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيراً
ونذيراً - أو كما قال - فإن تقبلوا ما جئتكم به ، فهو حظكم في الدنيا
والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله ، حتى يحكم الله بيني وبينكم ، قالوا :
فأسقط السماء علينا كسفاً كما زعمت أن ربك لو شاء فعل ، فإننا لا نؤمن لك إلا أن
تفعل ، قال : فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : ذلك إلى الله ، إن
شاء أن يفعله بكم فعل ، قالوا : يا محمد ، أفما علم ربك أننا سنجلس معك
ونسألك عما سألتك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم إليك فيعلمك
ما تراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانعٌ في ذلك بنا ، إذ لم تقبل منك ما جئتنا به !
إنه قد بلغنا أنك إنما يمدك هذا رجلٌ باليمامة يقال له : الرحن ، وإننا والله
لا نؤمن بالرحن أبداً ، فقد أغدرنا إليك يا محمد ، وإننا والله لا نتركك .

• • • • •

هو ما بلغت منّا حتى نهلكك ، أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة
وهي بنات الله . وقال : قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة
قبيلا .

فلما قالوا ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قام عنهم ، وقام معه
عبدُ الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وهو ابن عمته
فهو لعاتكة بنت عبد المطلب - فقال له : يا محمد ، عَرَضَ عليك قومك
ما عَرَضُوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ، ليعرفوا بها منزلتك من
الله كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك
ما يعرفون به فضلك عليهم ، ومنزلتك من الله ، فلم تفعل ، ثم سألوك أن
تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب ، فلم تفعل - أو كما قال له - فوالله
لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ، ثم ترقى فيه ، وأنا أنظر إليك
حتى تأتيها ، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول .
وأنيم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننتُ أني أصدقك ، ثم انصرف عن رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - وانصرف رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أهله
حزيناً أسفاً لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دَعَوهُ ، ولما رأى من
مُباعديهم إياه .

فلما قام عنهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - قال أبو جهل : يا معشرَ
قريش ، إن محمداً قد أتى إلا ما ترَوْن من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه
أحلامنا ، وشتم آلهتنا ، وإني أعاهد الله لأجاسنَّ له غداً بجحر ما أطيق حمله

.....

- أو كما قال - فإذا سجد في صلاته ، فَضَخْتُ به رأسه ، فأسلموني عند ذلك ،
أو امنعوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدأ لهم ، قالوا : والله
لا نُسلمك لشيء أبداً ، فامض لما تريد .

فلما أصبح أبو جهل ، أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله - صلى
الله عليه وسلم - ينتظره ، وغدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما كان يغدو ،
وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة وقبيلته إلى الشام ، فكان إذا صلى
صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام .
فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي وقد غدت قريش ، فجلسوا في أنديةهم
ينتظرون ما أبو جهل فاعل . فلما سجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منهزماً . منتقماً
لونه مرعوباً . قد يبست يده على حجّره . حتى قذف الحجر من يده . وقامت
إليه رجال قريش . فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قتت إليه لأفعل به
ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرّض لي دونه فحخل من الإبل ، لا
والله ما رأيت مثل هامته ، ولا مثل قصرته ، ولا أنيابه لفحخل قط . فهمّ بي
أن يأكلني .

قال بن إسحاق : فذكر لي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :
ذلك جبريل عليه السلام : لو دنا لأخذه .

فلما قال لهم ذلك أبو جهل . قام النضر بن الحارث بن كلاب بن علقمة
ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي .

قال ابن هشام : ويقال : النضرُ بنُ الحارث بن عَلَقمة بن كَلَدَة بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : فقال : يا معشر قريش . إنه والله قد نزل بكم أمرٌ ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ، أرضاكم فيكم . وأصدقكم حديثا . وأعظمكم أمانة . حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به . قلتم : ساحرٌ ، لا والله ما هو بساحر . لقد رأينا السجرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم : كاهن . لا والله ما هو بكاهن ؛ قد رأينا الكهنة ، وتخالجهم ، وسمعنا سجعهم ، وقلتم : شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ؛ قد رأينا الشعر ، وسمعنا أصنافه كلها : هزجه ورجزه ، وقلتم : مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون ، فما هو بخنقه ، ولا وسوسته ، ولا تخليطه ، يا معشر قريش ، فانظروا في شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمرٌ عظيم .

وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، ومن كان يؤذي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة ، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس ، وأحاديث رستم واسبنديار ، فكان إذا جلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مجلسا فذكر فيه بالله ، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله ، خلفه في مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يا معشر قريش ، أحسن حديثا منه ، فهل إلى ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار . ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثا مني ؟

سُئِلَ ابْنُ هِشَامٍ : وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهَا بَلَغَنِي : سَأَنْزِلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ - فِيهَا بَلَغَنِي : نَزَلَ
عِنْدَهُ ثَمَانُ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ : قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِذَا تَنَزَّلْنَا قَالَ
تَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ . الْقَلَمُ : ١٥ وَكُلُّ مَا ذَكَرَ فِيهِ مِنَ الْأَسَاطِيرِ مِنَ الْقُرْآنِ .

فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بَعَثُوهُ ، وَبَعَثُوا مَعَهُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ
إِلَى أَحْبَارِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ ، وَقَالُوا لَهَا : سَلَامٌ عَنْ مُحَمَّدٍ ، وَصَفَا لَهُمْ صِفَتَهُ ،
وَأَخْبَرَاهُمْ بِقَوْلِهِ ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ ، وَعِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ
الْأَنْبِيَاءِ ، فَخَرَجَا حَتَّى قَدَمَا الْمَدِينَةَ ، فَسَأَلَا أَحْبَارَ يَهُودٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَوَصَفَا لَهُمْ أَمْرَهُ . وَأَخْبَرَاهُمْ بِبَعْضِ قَوْلِهِ . وَقَالُوا لَهُمْ : إِنْ كُنْتُمْ أَهْلُ
التَّوْرَةِ . وَقَدْ جِئْنَاكُمْ لِنُخَذِرِيكُمْ عَنْ صَاحِبِنَا هَذَا . فَقَالَتْ لَهَا أَحْبَارُ يَهُودٍ : سَأَلُوهُ
عَنْ ثَلَاثِ نَأْمُرُكُمْ بِهِنَّ . فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَّ ، فَهِيَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ . وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالرَّجُلُ
مُتَقَوِّلٌ . فَرَوَوْا فِيهِ رَأْيَكُمْ . سَأَلُوهُ عَنْ فِتْيَانَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ مَا كَانَ
أَمْرُهُمْ ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجَبٌ ، وَسَأَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ
الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا مَا كَانَ نَبِيُّهُ ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الرَّوْحِ مَا هِيَ ؟ فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِذَلِكَ
فَاتَّبِعُوهُ ، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ . وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ، فَهُوَ رَجُلٌ مُتَقَوِّلٌ . فَاصْنَعُوا فِي أَمْرِهِ مَا بَدَأَ
الْمَسْكُومُ . فَأَقْبَلَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بْنُ أَبِي عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةَ بْنَ
عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيِّ حَتَّى قَدَمَا مَسْكَةَ عَلَى قُرَيْشٍ . فَقَالَا : يَا مَعْشَرَ
قُرَيْشٍ ، قَدْ جِئْنَاكُمْ بِفَضْلٍ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ . قَدْ أَخْبَرْنَا أَحْبَارَ يَهُودٍ أَنَّ

تَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ أَمَرُونَا بِهَا ، فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ عَنْهَا فَهُوَ نَبِيٌّ ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالرَّجُلُ مُسْتَقْوَلٌ . فَرَوْا فِيهِ رَأْيَكُمْ .

نَجَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، أَخْبَرْنَا عَنْ فِئْتِيَّةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ قِصَّةٌ عَجَبٌ ، وَعَنْ رَجُلٍ كَانَ طَوَافًا قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا . وَأَخْبَرْنَا عَنِ الرُّوحِ مَا هِيَ ؟ قَالَ : فَقَالَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَخْبَرَكُمْ بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ غَدَاً ، وَلَمْ يَسْتَنْ ، فَانصَرَفُوا عَنْهُ ، فَكَثُرَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا يَذْكُرُونَ - خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لَا يُحَدِّثُ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَخَيَا ، وَلَا يَأْتِيهِ جِبْرِيْلُ ، حَتَّى أَرْجَفَ أَهْلُ مَكَّةِ وَقَالُوا : وَعَدَانَا مُحَمَّدٌ غَدَاً ، وَالْيَوْمَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً . قَدْ أَصْبَحْنَا مِنْهَا لَا يَخْبُرُنَا بِشَيْءٍ ، مِمَّا سَأَلْنَاهُ عَنْهُ ، وَحَتَّى أَحْزَنَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُكَّتُ الْوَحْيِ عَنْهُ ، وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ ، ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيْلُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِسُورَةِ أَصْحَابِ الْكَيْفِ ، فِيهَا مَعَانِيَتُهُ إِيَّاهُ عَلَى حُزْنِهِ عَلَيْهِمْ ، وَخَبَرُ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الْفِئْتِيَّةِ ، وَالرَّجُلِ الطَّوَّافِ ، وَالرُّوحِ .

قال ابن إسحاق : فذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لَجِبْرِيْلٍ حِينَ جَاءَهُ : لَقَدْ احْتَبَسْتَ عَنِّي يَا جِبْرِيْلُ حَتَّى سَوْتُ ظَنًّا ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيْلُ : « وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا » ﴿ مَرْيَمَ : ٦٤ . فَانْتَبَحَ السُّورَةَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِحَمْدِهِ وَذَكَرَ نُبُوَّةَ رَسُولِهِ ، لِمَا أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ الْكِتَابُ : ١ : ٢٦ : ١ . يَعْنِي : مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

إنك رسول مني : أى تحقيق لما سألوه عنه من نبوتك . ﴿ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ
عَوَاجًا قَيِّمًا ﴾ : أى : معتدلاً ، لا اختلاف فيه . ﴿ لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن
لَّدُنْهُ ﴾ : أى عاجل عقوبته فى الدنيا ، وَعَذَابًا أَلِيمًا فِي الْآخِرَةِ من عند
ربك الذى بعثك رسولا . ﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ
أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ، مَا كَثُرْنَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ : أى دار الخلد لا يموتون فيها
الذين صدقوك بما جئت به مما كذبتك به غيرهم ، وعملوا بما أمرتهم به من
الأعمال . ﴿ وَبُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا : اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ يعنى : قرىشا فى قولهم :
إنا نعبد الملائكة ، وهى بنات الله . ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ﴾ الذين
أعظموا فراقهم وعيبت دينهم . ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾
أى : لقولهم : إن الملائكة بنات الله . ﴿ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ، فَلَعَلَّكَ
بِاخْتِغَانِ نَفْسِكَ ﴾ يا محمد ﴿ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾
أى : لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم ، أى : لا نفعل .

قال ابن هشام : باخع نفسك ، أى : مهلك نفسك ، فيما حدثنى أبو عبيدة
قال ذو الرمة :

ألا أيهدأ الباخع الوجد نفسه لشيء تحته عن يديه المقادير
وجمه : باخعون وبخعة . وهذا البيت فى قصيدة له . وتقول العرب :
قد بخعت له نصحى ونفسى ، أى جهذت له . ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض
زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً ﴾ .

قال ابن إسحاق : أي : أيهم أتبع لأمرى ، وأعمل بطاعتي . ﴿ وَإِنَّا لَجَالِحُونَ مَا عَلَيْنَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ : أي : الأرض ، وإن ما عليها لقان وزائل ، وإن المرجع إلى ، فأجزى كلاً بعمله ، فلا تأس ، ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها .

قال ابن هشام : الصعيد : الأرض ، وجمعه : صُعد . قال ذو الرِّمَّةُ يَصِفُ ظَبِيًّا صَغِيرًا :

كَأَنَّهُ بِالضَّحَى تَرْمِي الصَّعِيدَ بِهِ دَبَابَةٌ فِي عِظَامِ الرَّأْسِ خُرْطُومٌ

وهذا البيت في قصيدة له . والصعيد أيضا : الطريق . وقد جاء في الحديث : ﴿ يَا كَمْ وَالْقَمُودَ عَلَى الصُّعَدَاتِ ﴾ يريد الطرق . وأجزز : الأرض التي لا تثبت شيئا ، وجمعها : أجزاز . ويقال : سنة جُرز ، وسنون أجزاز ، وهي التي لا يكون فيها عطر ، وتكون فيها جدوية ويُنس وشدة . قال ذو الرِّمَّة يَضِفُ إِيْلًا :

طَوَى النَّحْزُ وَالْأَجْرَازَ مَا فِي بَطُونِهَا فَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الضَّلُوعُ الْجَرَّاشِمِ

وهذا البيت في قصيدة له :

حول سورة الكهف

قال ابن إسحاق : ثم استقبل قصة الخبر فيما سأله عنه من شأن الفتية به . فقال : ﴿ إِنْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ .

أى : قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حُجَجِي ما هو أعجب من ذلك .
قال ابن هشام : والرقيم : الكتاب الذي رُقِمَ فيه بخبرهم ، وجمعه : رُقْم .
قال المعجَّاج :

وَمُسْتَقَرُّ الْمُضْحَفِ الْمُرْقَمِ .

وهذا البيت في أرجوة له .

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : ﴿ إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا :
رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ، وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ، فَضَرْبْنَا عَلَى
أَذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا . ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ : لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ
أَخْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ . ثم قال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ
بِالْحَقِّ ﴾ : أى : بصدق الخبر عنهم : ﴿ إِيَّاهُمْ فَتِيَّةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ، وَزِدْنَاهُمْ
هُدًى ، وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا ، فَقَالُوا : رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا ، لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا ﴾ : أى لم يشركوا
بى كما أشركتم بى ما ليس لكم به علم .

قال ابن هشام : والشطط : الغلو ومجاوزه الحق . قال أعشى بنى قيس
ابن ثعلبة :

لَا يَنْتَهُونَ ، وَلَا يَنْتَهَى ذَوِي شَطَطٍ كَالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَيْتُ وَالْقُلُوبُ
وهذا البيت في قصيدة له .

﴿هُوَ لَا قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ
بَيِّنٍ﴾ .

قال ابن إسحاق : أى بحجة بالغة .

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا . وَإِذَا ابْتَغَزْنَا لَهُمُ مَاءً
وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ، فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ، يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ
رَحْمَتِهِ ، وَيَهَيِّئُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا . وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ
تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ،
وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ .

قال ابن هشام : تزاور : تميل ، وهو من الزَّوَر : وقال امرؤ القيس بن حُجر :

وإني زعيمٌ إن رجعتُ مملاً كما بسيرٍ ترى منه الفُرانِقَ أزورا

وهذا البيت في قصيدة له . وقال أبو الزَّحَف الكَلْبِيُّ يصف بلداً :

جَابُ الْمُنْدَى عَنْ هَوَانَا أَزُورُ يُنْضِي الْمَطَايَا خِمْسَهُ الْعَشْرُ

وهذان البيتان في أرجوزة له . و « تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ » :

تجاوزهم وتركهم عن شمالها . قال ذو الرمة :

إلى ظعنٍ يَقْرِضُنْ أَفْوَازَ مُشْرِفٍ شِمَالاً وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْفَوَارِسُ

وهذا البيت في قصيدة له . والفجوة : السعة ، وجمعها : الفجاء

قال الشاعر :

.....

الْبَسْتِ قَوْمَكَ نَحْزَاةً وَمَنْقُصَةً حَتَّىٰ أَيْبَحُوا، وَخَلَّوْا فَجْوَةَ الدَّارِ

« ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ » أَى فِي الْحُجَّةِ عَلَى مَنْ عَرَفَ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ
حَنِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، مِمَّنْ أَمَرَ هُوَ لِأَنَّ بِمَسْأَلَتِكَ عَنْهُمْ فِي صِدْقِ نَبِيِّكَ بِتَحْقِيقِ
الْخَبْرِ عَنْهُمْ . ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ، وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ
نَاصِرًا مُرْشِدًا . وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَانًا وَهُمْ رُقُودٌ ، وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَذَاتَ
الشَّمَالِ وَكَلِّمُهُمْ بِأَسْطِ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ » .

قال ابن هشام : الوصيد : الباب . قال العباسي ، واسمه : عبيد بن وهب :

بَارِضٍ فَلَاةٍ لَا يَسُدُّ وَصِيدُهَا عَلَيَّ ، وَمَعْرُوفِي بِهَا غَيْرُ مُنْكَرٍ

وهذا البيت في أبيات له . والوصيد أيضا : الفناء ، وجمعه : وصائد ،
ووصُود ، ووُصْدَان ، وأُصْد ، وأُصْدَان .

﴿ لَوِاطَاعَتِ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتِ مِنْهُمْ فِرَارًا ، وَكَلِمَتِ مِنْهُمْ رُغْبًا ﴾

... إلى قوله : ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ ﴾ أهل السلطان والملك

: منهم : ﴿ لَنْتَخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا سَعِيْقُونَ ﴾ يعنى : أحبار يهود الذين أمروهم

بالمسألة عنهم : ﴿ ثَلَاثَةَ رَأْسِهِمْ كَلِمَتُهم وَيَقُولُونَ خَمْسَةَ سَادِسِهِمْ كَلِمَتُهم

رَجْمًا بِالغَيْبِ) أَى : لا علم لهم (وَيَقُولُونَ سَبْعَةَ وَثَمَانِيَةَ كَلِمَتُهم قُلْ رَبِّ اعْلَمْ

بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ، فَلَا تَمَارٍ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءَ ظَاهِرًا) :

أَى : لا تكابروهم . ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ فإبهم لا علم لهم بهم .

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ : إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، وَادُّكَّرُ

رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ ، وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشْدًا ﴿١٠﴾ :
أَيُّ : وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ سَأَلوكَ عَنْهُ كَمَا قُلْتَ فِي هَذَا : إني مَخْبِرُكُمْ غَدًا . وَاسْتَعْتَنَ
مَسْئِدَةَ اللَّهِ ، وَاذكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ، وَقُلْ : عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَخَيْرِ مَا
سَأَلْتُمُونِي عَنْهُ رَشْدًا ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَنَا صَانِعٌ فِي ذَلِكَ . ﴿١١﴾ وَلَمَبِثُوا
فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴿١٢﴾ : أَيُّ : سَيَقُولُونَ ذَلِكَ .
﴿١٣﴾ قُلْ : اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ، لَهُ الْغَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ
وَاسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ، وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿١٤﴾ أَيُّ
لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا سَأَلوكَ عَنْهُ .

وقال فيما سأله عنه من أمر الرجل الطواف : ﴿١٥﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي
الْقَرْنَيْنِ قُلْ : سَأَلْتُوْا عَلَيْنِكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا . إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ
وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿١٦﴾ الكهف : ٨٣ حتى انتهى إلى آخر
قصة خبره .

وكان من خبر ذى القرنين أنه أوتى ما لم يؤت أحدٌ غيره فهدت له
الأسباب ، حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها ، لا يبطأ أرضاً إلا
سلط على أهلها ، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراء شيء
من الخلق .

قال ابن إسحاق : حدثني من يسوق الأحاديث عن الأعاجم ، فيما توارثوا
من علمه : أن ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر ، اسمه : مَرْزَبَانُ بْنُ مَرْزَبَاةَ
اليوناني ، من ولد يونان بن يافث بن نوح .

• • • • •

قال ابن هشام : واسمه : الإسكندر ، وهو الذى بنى الإسكندرية ،
فنسبت إليه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلابي
وكان رجلاً قد أدرك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سُئِلَ عن ذى
القرنين ، فقال : مَلِكٌ مَسَّحَ الأَرْضَ من تحتها بالأسباب .

وقال خالد : سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلاً يقول : يا ذا القرنين ،
فقال عمر : اللهم غفراً ، أما رَضِيتُمْ أن تَسْمُوا بالأنبياء حتى تَسْمِيَهُم بِالْمَلَائِكَةِ ؟
قال ابن إسحاق : والله أعلم أى ذلك كان ، أقال ذلك رسولُ الله - صلى
الله عليه وسلم ، أم لا ؟ فإن كان قاله ، فالحق ما قال .

أسباب نزول بعض الآيات وعن الروح :

وقال تعالى فيما سألوه عنه من أمر الروح : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ،
قُلِ : الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء : ٨٥ .

قال ابن إسحاق : وحدثت عن ابن عباس ، أنه قال : لما قدم رسولُ الله
- صلى الله عليه وسلم - المدينة ، قالت أخبارُ يهود : يا محمد ، رأيتَ قولَكَ :
﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ إيانا تريد ، أم قومك ؟ قال : كُلاً ، قالوا :
فإنك تتلو فيما جاءك : أَنَا قَدْ أُوتِينَا التَّوْرَةَ فيها بيان كُلِّ شَيْءٍ . فقال رسولُ
الله - صلى الله عليه وسلم : إنها في عِلْمِ الله قليل ، وعندكم في ذلك ما يكفيكم

.....

لو أقمتموه . قال : فأنزل الله تعالى عليه فيما سأله عنه من ذلك : ﴿ وَلَوْ أَنْ
مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ، وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ لقمان : ٢٧ : أى : إن التوراة
فى هذا من علم الله قليل .

عن تسيير الجبال وبعث الموتى :

قال : وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال ،
وَنَقْطِيعِ الْأَرْضِ ، وَبَعَثَ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ مِنَ الْمَوْتَى : ﴿ وَلَوْ أَنْ قُرْآنًا
سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ، أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، أَوْ كُتِبَ بِهَا الْوَعْدُ ، لَبِئْسَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهِلٌ
أبْصَرٌ : لا أضع من ذلك إلا ماشئت .

وأنزل عليه فى قولهم : خذ لنفسك ، ما سأله أن يأخذ لنفسه ، أن يجعل له
جنانا وقصوراً وكُنُوزاً ، ويبعث معه ملكاً يصدق به بما يقول ، ويرد عنه :
﴿ وَقَالُوا : مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ، وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ؟ لَوْلَا
أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَنْسُكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ، أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ ، أَوْ تَكُونُ
لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ، وَقَالَ الظَّالِمُونَ : إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مُسْحُورًا
أَنْظُرْ : كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ، فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ، تَبَارَكَ
الَّذِى إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ﴾ : أى من أن تمشى فى الأسواق
وتلتبس المَعاش ﴿ جَنَاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴾
الفرقان ٧ : ١٠ .

.....

وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ، وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ، أَنْ تَنْصِبُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ الفرقان : ٢٠ أى جعلت بعضكم لبعض بلاء ، لتصبروا ، ولوشئت أن أجعل الدنيا مع رُسلى فلا يُخالفوا لعلت .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِيمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمِيَّةٍ : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا : أَوْ تَكُونَ لَكَ جَمْعٌ مِنْ نُحَيْلٍ وَعِنَبٍ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا مَكِيفًا ، أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيَاكَ . حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ . قُلْ : سُبْحَانَ رَبِّي . هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ . الإسراء : ٩٠ - ٩٥ .

قال ابن هشام : ينبوع : مانع من الماء من الأرض وغيرها . وجمعه ينبابيع . قال ابن هرمة . واسمه : إبراهيم بن عبد الله النهري .

وَإِذَا هَرَقْتَ بِكُلِّ دَارٍ عَجْرَةً نُزِفَ الشُّثُونُ . وَدَمَعَكَ الْيَنْبُوعُ

وهذا البيت فى قصيدة له . وَالسِّكِّفُ الْقِطْعُ مِنَ الْعَذَابِ . وَوَأَحَدُهُ : كِسْفَةٌ . مِثْلُ سِدْرَةٍ وَسِدْرٍ . وَهِيَ أَيْضًا : وَاحِدَةُ السِّكِّفِ . وَالْقَبِيلُ : يَكُونُ مَقَابِلَةً وَمَعَانِيَةً .. وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ : أى : عيانا . وَأَنْشَدَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ لِأَعَشَى بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ :

أَصَالِحُكُمْ ، حَتَّى تَبُوءُوا بِمِثْلِهَا كَصَرْخَةِ حُبْلَى يُسَرَّتْهَا قَبِيلُهَا

.....

يعنى : القابلة ؛ لأنها تُقَابِلُها ، وتَقْبِلُ ولدها . وهذا البيت في قصيدة له . ويقال
القبيل : جمعه قُبَيْل ، وهى الجماعات ، وفي كتاب الله تعالى : ﴿ وَحَسْرَتًا عَلَيْهِمْ
كُلُّ شَيْءٍ قُبَيْلًا ﴾ . الأنعام : ١١١ فقبيل : جمع قبيل ، مثل سُبَيْل : جمع سَبِيل
حوسُرٍ : جمع سرير ، وقمص : جمع قميص . والقَبِيل أيضا : فى مَثَل من الأمثال
وهو قولهم : ما يعرف قَبَيْلًا من دَبِير : أى : لا يعرف ما أقبل ممَّا أدبر ، قال
الكُمَيْت بن زيد :

تَفَرَّقَتِ الْأُمُورُ بِوَجْهَتِهِمْ فَمَا عَرَفُوا الدَّيْبَ مِنَ القَبِيلِ

وهذا البيت في قصيدة له ، ويقال : إنما أريد بهذا : القتل ، فما قُتِلَ إلى
الذراع فهو القَبِيل ، وما قُتِلَ إلى أطراف الأصابع فهو الدَّيْب ، وهو من الإقبال
سواء الإدبار الذى ذكرتُ . ويقال : قَتَلُ المِعْزَلُ . فإذا قُتِلَ إلى الركبة فهو القَبِيل ،
وإذا قُتِلَ إلى الوَرِكِ فهو الدَّيْب . والقَبِيل أيضا : قومُ الرجل . والزخرف :
الذهب . والمزخرف : المزين بالذهب . قال العجاج :

مِنْ طَلَلِ أُمْسَى تَخَالَ المُصْحَفَا رُسُومَه وَالمُذْهَبَ المَزْخَرَفَا

وهذان البيتان في أرجوزة له ، ويقال أيضا لكلِّ مُزَيَّنٍ : مُزْخَرَفٌ .

قال ابن إسحاق : وَأَنْزِلَ عَلَيْهِ فى قولهم : إنا قد بَلَّغْنَا أنكَ إِنما يُعَلِّمُكَ
رجل باليَمَامَةِ . يقال له : الرحمن . ولن نُؤْمِنَ به أبداً : ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فى
أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتَلَوُنَّ عَلَيْهِمُ اللّٰذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ . وَهُمْ

يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ . قُلْ : هُوَ رَبِّي . لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ .
وَإِلَيْهِ مَتَابُ ﴿ . الرعد : ٣٠ .

وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام - لعنه الله - وما هم به : ﴿ أَرَأَيْتَ
الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ ، أَرَأَيْتَ
إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ، كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ
لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ، فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ،
كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿ سورة العاق .

قال ابن هشام : كنسفاً : لنجذب ، ولناخذن . قال الشاعر :

قومٌ إذا سمِوا الضُّراخ رأيتهم من بين مُلجِمٍ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعٍ

والنادى : المجلس الذي يجتمع فيه القوم ، ويقضون فيه أمورهم .
وفي كتاب الله تعالى : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ العنكبوت : ٢٩ .
وهو الندى . قال عبيد بن الأبرص :

أذهب إليك فإني من بني أسد أهل الندى ، وأهل الجرد والنادى

وفي كتاب الله تعالى : ﴿ وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ مريم . ٧٣ . وجمعه : أندية . يقول :
فليدع أهل ناديه . كما قال تعالى : ﴿ وَاسْتَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ يوسف : ٨٢ يريد
أهل القرية . قال سلامة بن جندل ، أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم :

يومان : يوم مقامات ، وأندية ويوم سير إلى الأعداء تأويب

• • • • •

وهذا البيت في قصيدة له . وقال الكُمَيْت بن زَيْد :

لا مَهَازِيرَ فِي النَّدَى مَكَائِرَ وَلَا مُضْمِتِينَ بِالْإِفْحَامِ

وهذا البيت في قصيدة له . ويقال : النَادِي : الجلَسَاء . وَالزَّبَانِيَّة : الغِلَاطُ . الشَّدَاد ، وهم في هذا المَوْضِع : خَزَنَةُ النَّارِ . وَالزَّبَانِيَّةُ أَيضًا فِي الدُّنْيَا : أَعْوَانُ الرَّجُلِ الَّذِينَ يَخْدُمُونَهُ وَيُعِينُونَهُ ، وَالوَاحِدُ : زَبْدِيَّة . قَالَ ابْنُ الزَّبَعْرِيِّ فِي ذَلِكَ :

مَطَاعِيمٌ فِي الْمَقْرَى ، مَطَاعِينَ فِي الْوَعَى

زَبَانِيَّةٌ غُابٌ ، عِظَامٌ حُلُومُهَا

يَقُولُ : شِدَادٌ . وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَبْيَاتٍ لَهُ . وَقَالَ صَخْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَذَلِيُّ ، وَهُوَ صَخْرُ الْعَيْ :

وَمِنْ كَبِيرٍ نَفَرٌ زَبَانِيَّةٌ

وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى عليه فيما عرضوا عليه من أموالهم : ﴿ قُلْ : مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . سَبَأُ : ٤٧ ﴾ .

فلما جاءهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما عرفوا من الحق ، وعرفوا صدقه فيما حدث ، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوهم عما

.....

سألوا عنه ، حال الحسد منهم له بينهم وبين أتباعه وتصديقه ففتوا على الله
وتركوا أمره عيانا ، ولجؤا فيما هم عليه من الكفر ، فقال قائلهم : لا تسمعوا
لهذا القرآن والفتوا فيه لعلكم تغلبون ، أى : اجعلوه لغوا وباطلا ، واتخذوه
هزوا لعلكم تغلبونه بذلك ، فإنكم إن ناظرتموه أو خاصتموه يوما
غلبكم .

فقال أبو جهل يوما - وهو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما
جاء به من الحق : يا معشر قريش ، يزعم محمد أن جنود الله الذين يمدبونكم
في النار ، ويحبسونكم فيها تسعة عشر ، وأنتم أكثر الناس عدداً ، وكثرة ،
أفيمجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم ؟ فأنزل الله تعالى عليه في ذلك
من قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ، وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ
إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . المذثر : ٣١ إلى آخر القصة ، فلما قال ذلك
بعضهم لبعض ، جعلوا إذا جهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالقرآن وهو
يصلى ، يتفرقون عنه ، ويأبون أن يستمعوا له ، فكان الرجل منهم إذا أراد
أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو من القرآن ، وهو
يصلى ، استرق السمع دونهم فرأوا منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع
منه ذهب خشية أذاهم ، فلم يستمع ، وإن خفض رسول الله - صلى الله عليه
عليه وسلم - صوته ، فظن الذى يستمع أنهم لا يستمعون شيئاً من قراءته ،
وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يستمع منه .

قال ابن إسحاق : حدثني داود بن الحصين ، مولى عمرو بن عثمان ، أن
عكرمة مولى ابن عباس حدثهم أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حدثهم :

.....

إنما أنزلت هذه الآية : ﴿ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء : ١١٠ . من أجل أولئك النفر . يقول : لا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك ، ولا تخافت بها ، فلا يسمعونها من يحب أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم ، لعلَّ يرعوى إلى بعض ما يسمع ، فينتفع به .

أول صحابي جهر بالقرآن :

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : اجتمع يوماً أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يُجهر لها به قط ، فمن رجل يُسمعه موه ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا ، قلوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ، قال : دعوني فإن الله سيمنعني . قال : ففدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى ، وقريش في أندية حتى قام عند المقام ثم قرأ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ رافعا بها صوته ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ قال : ثم استقبلها يقرؤها . قال : فتأملوه فجمعوا يقولون . ماذا قال ابن أم عبد ؟ قال : ثم قالوا : ليتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا إليه ، فجمعوا يضربون في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثروا في وجهه ، فقالوا له : هذا الذي خشنا عليك فقال : ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينهم بمنزلها غداً ، قالوا : لا ، حسبك ، قد أسمعتمهم ما يكرهون .

مالقى رسول الله (ص) من قومه :

فصل : فيما لقي رسول الله صلى عليه وسلم من قومه ، ذكر ابن إسحاق والواقدي والتيمي ، وابن عُبَيْة وغيرهم في هذا الباب أموراً كثيرةً تتقارب ألفاظها ومعانيها ، وبعضهم يزيد على بعض ، فمنها حثوُ سفهاءهم الترابَ على رأسه ، ومنها أنهم كانوا يَنْضِدُونَ^(١) الْفَرَثَ والأَفْحَاثَ والدماء على بابه ، ويطر حون رحمة الشاة في بُرْمَتِهِ ، ومنها : يَصُقُّ أُمَيْة بن خلف في وجهه ، ومنها : وطء عقبة بن أبي مُعَيْط^(٢) على رقبته ، وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان ، ومنها أخذهم بِمُخْتَمِّهِ حين اجتمعوا له عند الحجر ، وقد ذكره ابن إسحاق ، وزاد غيره الخبر أنهم خنقوه خنقاً شديداً وقام أبو بكر دونه فَجَبَدُوا

(١) ينضدون : يضعون بعضه فوق بعض ، والأفحاث جمع الفحث — بسكون الحاء وكسرها — شيء متصل بالكركش ذو أطباق وأجواف ، والفرت ما في داخل الكركش

(٢) قتل بعد بدر ، وقيل : قتل صبيرا مع النصر في بدر وقد روى البخاري في كتاب خلق أفعال العباد . وأبو يعلى وابن حبان عن عمرو بن العاصي : ما رأيت قريشا أرادوا قتل النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا بوم أغروا به وهم في ظل الكعبة جلوس ، وهو يصلي عند المقام ، فقام إليه عقبة ، فجعل رداه في عنقه ، ثم جذبه ، حتى وجب لركبتيه ، وتصايح الناس ، وأقبل أبو بكر يشتد حتى أخذ بضبع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ورائه ، وهو يقول : أقتلون رجلا أن يقول : ربي الله ، ثم انصرفوا عنه ، فلما قضى صلاته ، سر بهم ، فقال : والذي نفسي بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذبح ، فقال له أبو جهل : يا محمد ما كنت جهولا ، فقال : أنت منهم ،

رأسه ولحيته حتى سقط أكثر شعره ، وأما السَّبُّ والهَجْوُ والتلقيب وتعذيب أصحابه وأحبائه ، وهو ينظر ، فقد ذكر من ذلك ابن إسحاق ما في الكتاب ، وقد قال أبو جهل لسُمَيَّةَ أمِّ عَمَّارِ بنِ ياسِرٍ : ما آمنتِ بِمحمدٍ إلا لأنك عَشِقْتَهُ بلحاله ، ثم طعنها بالحربة في قُبُلها حتى قتلها ، والأخبار في هذا المعنى كثيرة .

السبب في تلقيب بالمدثر والنذير العربيان :

وذكر ابن إسحاق قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « دَثْرُونِي دَثْرُونِي » فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ ^(١) قال بعض أهل العلم : في تسميته إياه

(١) ذكر في أسباب نزول هذه الآيات - روايتان . أما الأولى : فعن يحيى قال : سألت أبا سلمة رضي الله عنه : أي القرآن أنزل أول ؟ فقال : يا أيها المدثر . قلت : أنبتت : أنه اقرأ باسم ربك ، فقال : لا أخبرك إلا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : جاورت في حراء ، فلما قضيت جوارى هبطت ، فاستبطنت الوادي ، فنوديت ، فنظرت أمامي و خلفي وعن يميني ، وعن شمالي فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض ، فأتيت خديجة ، فقلت : دَثْرُونِي ، وَصَبُوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا ، ففعلوا ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ ، رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

أما الرواية الأخرى فعن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يحدث عن فترة الوحي ، فقال في حديثه : « فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء ، فرفعت رأسي ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، جثت منه رعبا ، فرجعت ، فقلت : زملوني ، فدَثْرُونِي ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ - إِلَى - وَالرَّجْزِ فَاهْجُرْ قَبْلَ أَنْ تَفْرُضَ الصَّلَاةَ . البخاري ومسلم والإمام أحمد . والروايتان عن جابر بن عبد الله .

وذكر الطبراني رواية ثالثة يسند ضعيف عن ابن عباس قال : إن الوليد ابن المغيرة صنع لقريش طعاما ، فلما أكلوا منه قال : ما تقولون في هذا الرجل ؟

بِالْمُدَّثِّرِ فِي هَذَا الْمَقَامِ مُلَاطَفَةٌ وَتَأْنِيسٌ ، وَمِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ إِذَا قَصِدَتْ الْمُلَاطَفَةُ أَنْ تَسْمَى الْخَاطَبَ بِاسْمِ مُشْتَقٍّ مِنَ الْحَالَةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا ، كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِحَدِيْفَةِ: قُمْ يَا نَوْْمَانُ ، وَقَوْلِهِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - وَقَدْ تَرَبَّ جَنْبُهُ: قُمْ يَا تُرَابِ (١) فُلُو نَادَاهُ سَبْحَانَهُ، وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالِ مِنَ الْكَرْبِ بِاسْمِهِ، أَوْ بِالْأَمْرِ الْمَجْرُودِ مِنْ هَذِهِ الْمُلَاطَفَةِ لِهَالَتِهِ ذَلِكَ ، وَلَسْكَنَ لَمَّا بَدَىءَ، بِبَيِّئِهَا الْمُدَّثِّرِ أَنْسَى ، وَعَلِمَ أَنَّ رَبَّهُ رَاضٍ عَنْهُ ، أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ قَالَ عِنْدَمَا لَقِيَ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ مِنْ شِدَّةِ الْبَلَاءِ وَالْكَرْبِ مَا لَقِيَ : رَبِّ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي (٢) إِلَى آخِرِ الدَّعَاءِ ، فَكَانَ مَطْلُوبُهُ رِضَا رَبِّهِ ، وَبِهِ كَانَتْ تَهْوُنٌ عَلَيْهِ الشَّدَائِدُ. فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ يَنْتَظِمُ بِأَيِّهَا الْمُدَّثِّرُ مَعَ قَوْلِهِ: قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَمَا الرِّابِطُ بَيْنَ الْمَعْنِيَيْنِ ، حَتَّى يَلْتَمِثَا فِي قَانُونِ الْبِلَاغَةِ ، وَيَقْشَا كَلَا فِي حُكْمِ الْفَصَاحَةِ ؟ قُلْنَا: مِنْ صِفَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ حِينَ قَالَ : أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ ، وَهُوَ مِثْلُ . مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْعَرَبِ ، يَقَالُ لِمَنْ أَنْذَرَ بِقُرْبِ

== فقال بعضهم : ساحر . وقال بعضهم: ليس بساحر ، وقال بعضهم: كاهن ، وقال بعضهم: ليس بكاهن ، وقال بعضهم: شاعر ، وقال بعضهم: ليس بشاعر ، وقال بعضهم: بل سحر يؤثر ، فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر ، فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فحزن ، وقنع رأسه ، وتدنثر ، فأُنزِلَ اللهُ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبِّكَ فَكْبِيرُ ، وَثِيَابُكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجِرْ ، وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ ، وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) وَأَخْرَجَهُ الْبَزَارُ بِنَحْوِهِ عَنْ جَابِرِ .

(١) كَانَ عَلَى رِضَى اللهِ عَنْهُ قَدْ غَاظِبَ فَاطِمَةَ ، فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْزِلَ فَاطِمَةَ ، وَعَلِمَ بِهَذَا ، أُرْسِلَ مِنْ يَبْحَثُ عَنْهُ ، فَجَاءَ ، فَأَخْبِرَهُ أَنَّهُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَجَاءَهُ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقَّتِهِ وَأَصَابَهُ تَرَابٌ . فَجَمَلَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَيَقُولُ : قُمْ يَا تَرَابُ ، قُمْ يَا تَرَابُ .. مَخْتَصِرٌ مِنْ حَدِيثِ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ .

(٢) مِنْ حَدِيثِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرِ .

العدو ، وبالغ في الإنذار ، وهو النذير العُرْيَانُ (١) ، وذلك أن النذير الجَادَّ يَجْرَدُ ثوبه ، ويُشير به إذا خاف أن يسبق العدوُّ صوتَه ، وقد قيل : إن أصل المثل لرجل من خَثَمَمَ سلبه العدوُّ ثوبَه ، وقطموا يده ، فانطلق إلى قومه نذيراً على تلك الحال ، فقوله عليه السلام : أنا النذير العريان أي : مثلي مثل ذلك ، والتدثر بالثياب مُضَادٌّ لِلتَّعَرَّى ، فسكان في قوله : (يا أيها المدثر) مع قوله : (قم فأنذر) والنذيرُ الجَادُّ يسمي : العُرْيَانُ : تشاكل بَيْنَ ، والثمام بديعٌ وسَمَاءٌ قَدَّ في المعنى ، وجزَّ الآلة في اللفظ .

تقديم المفعول على الفعل :

وقوله بعد هذا : (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) أي : ربك كبر ، لا غيره لا يكبر عليك شيء من أمر الخلق ، وفي تقديم المفعول على فعل الأمر إخلاصٌ ، ومثله قوله : إِيَّاكَ نَعْبُدُ [وإياك نستعين] أي : لا نعبد غيرك [ولا نستعين إلا بك] (٢) ، ولم يقل : نعبدك ونستعينك ، وفي الحديث : إذا قال العبد : إياك نعبد ، وإياك نستعين ، يقول الله تعالى : أخلص لي عبدي العبادة ، واستعانني عليها ، فهذه بيني وبين عبدي (٣) .

(١) روى الصحيحان قول النبي «ص» : « إنما مثلي ، ومثل ما بعثنى الله كمثل رجل أتى قومه ، فقال : يا قوم : إنى رأيت الجيش بعينى ، وإنى أنا النذير العريان ، فالنجاء النجاء ، فأطاعته طائفة من قومه ، فأدلجوا ، وانطلقوا على مهلبهم ، فنجوا ، وكذبت طائفة منهم ، فأصبحوا مكاثرهم ، فصبحهم الجيش ، فأهلكهم ، واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعني ، واتبع ما جئت به ، ومثل من عصاني ، وكذب ما جئت به من الحق » وانظر بجمع الأمثال

(٢) الزيادة يقتضيها سياق الكلام .

(٣) في رواية مسلم : « وإذا قال : إياك نعبد ، وإياك نستعين ، قال : هذا بيني وبين عبدي ، وعبدي ما سألت »

عتبة بن ربيعة والرئي :

فصل : وذكر قول عتبة : إن كان هذا رئيًّا تراه . ولفظة بني تميم : رئيًّا بكسر الراء ، وكذلك يقولون في كل فعيل عين الفعل منه همزة ، أو غيرها من حروف الخلق ، يكسرون أوله ، مثل : رحيم وشهيد والرئيُّ : فعيل بمعنى مفعول (١) ، ولا يكون إلا من الجن ، ولا يكون فعيل بمعنى مفعول في غير الجن . إلا أن يؤثر فيه الفعل نحو : جريح وقتيل وذبيح وطحين ، ولا يقال من الشكر : شكير ، ولا ذكرته فهو ذكير ، ولا فيمن لطم : لطم إلا أن تغير منه اللطمة ، كما قالوا : لطم الشيطان . قال ابن الزبير حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق [ابن العاص] (٢) : ألا إن أباذبان قتل لطم الشيطان : كذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ﴿ الأنعام : ٢٩ . وقالوا من الحمد : حميد ، ذهبوا به مذهب كريم ، وكذلك قالوا في الجن : رئيُّ ، وإن كانت الرؤيا لا تؤثر في المرئيُّ ؛ لأنهم ذهبوا به مذهب قرين ونجى .

(١) وعن اللحياني : رئي بكسر الراء — إذا كان يحبه ويؤلفه ، وفي اللسان كذلك : هو فعيل أو فاعول سمي به لأنه يترامى لمتبوعه ، أو هو من الرأى من قولهم : فلان رئي قومه بفتح الراء وكسر الهمزة وتضعيف الياء ، إذا كان صاحب وأهم . وحروف الخلق هي حروف الهجاء التي تخرج من الخلق عند النطق ، أو هي الهمزة والحاء والخاء والعين والغين والهاء .

(٢) الذي قتله عبد الملك بن مروان ، وكان الأشدق يلقب بلطم الشيطان فلما بلغ ابن الزبير مقتله ، وهو بمكة صعد المنير ، وقال ما ذكره السهيلي ، وأبوذبان بكسر الذال وتشديد الباء مع فتح كنية لعبد الملك بن مروان ، وقد كنى بها لشدة بخره ، وموت الذبان إذا دنت من فيه (ص ٧٩ الاشتقاق لابن دريد وتعليقاته للأستاذ عبد السلام هارون .

(٣) عن قصة عتبة روى عبد ابن حميد في مسنده عن ابن أبي شيبة بسنده عن

جابر وأبو يعلى أيضا بسنده عن جابر : (اجتمعت قريش يوما ، فقالوا : انظروا
أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليات هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا ،
وشئت أمرنا ، وعاب ديننا ، فليكنمه ولننظر ماذا يرد عليه ، فقالوا : ما تعلم
أحدا غير عتبة بن ربيعة ، فقالوا : أنت يا أبا الوليد ، فأتاه عتبة ، فقال : يا محمد
أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله «ص» فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟
فسكت رسول الله «ص» فقال : إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك ، فقد عبدوا
الآلهة التي عبت ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم ، فتكلم حتى نسمع قولك ،
وإنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا ، وشئت
أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش
ساحرا وأن في قريش كاهنا ، والله ما تنتظر إلا مثل صيحة الجبل أن يقوم
بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى تتفانى . أيها الرجل ، إن كان إنما بك الحاجة
جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا ، وأخذا ، وإن كان إنما بك من الباءة ،
فاختر أي نساء قريش شئت ، فلنزوجك عشرا ، فقال رسول الله «ص» فرغت ؟
قال : نعم ، فقرأ رسول الله «ص» من أول سورة فصلت إلى قوله سبحانه :
(فإن أعرضوا فقل : أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فقال عتبة :
حسبك حسبك ما عندك غير هذا ؟ فقال رسول الله «ص» لا . فرجع إلى قريش ،
قالوا : ماوراءك . قال : ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمون به إلا كلمته
قالوا : فهل أجابك ؟ قال : نعم والذي نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قاله ، غير أنه
أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . قالوا : ويملك يكلمك الرجل بالعربية
لا تدرى ما قال ؟ قال : لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة ، وقد
ساقه البغوي بسنده عن محمد بن فضيل عن الأجلح وهو ابن عبد الله الكندي
الكوفي ، وقد ضعف بعض الشيء عن الزبال بن حرملة عن جابر ، فذكر الحديث
إلى قوله « فإن أعرضوا ، فأمسك عتبة على فيه ، وناشده بالرحم ، ورجع إلى
أهله ، ولم يخرج إلى قريش ، واحتبس عنهم ، فقال أبو جهل : يا معشر قريش
والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد ، وأعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجة

إسلام حمزة :

فصل : وذكر إسلام حمزة ، وأمه : هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وأهيب : عم أمه بنت وهب تزوجها عبد المطلب ، وتزوج ابنه عبد الله أمته في ساعة واحدة ، فولدت هالة لعبد المطلب حمزة . وولدت أمته لعبد الله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم أرضعتها ثويبة كما تقدم ، وزاد غير

أصابته ، فانطلقوا بنا إليه ، فانطلقوا إليه ، فقال أبو جهل : يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبأت لإلى محمد ، وأعجبك طعامه ، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد ، فنضب عتبة ، وأقسم ألا يكلم محمدًا أبدًا . وقال : والله لقد علمت أني من أكثر قريش مالا ، ولكني أتيتك ، وقصصت عليه القصة ، فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ، ولا كهانة ، ولا سحر . وقرأ السورة إلى قوله تعالى : (فإن عرضوا . .) فأمسكت بفيه ، وناشدته بالرحم أن يكف ، وقد علمت أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب ، فخشيت أن ينزل بكم العذاب ، وسياق ابن إسحاق أشبهه .

(١) حمزة هو أخو النبي «ص» من الرضاعة أرضعتها - كما سيذكر السبيل - ثويبة مولاة أبي لهب ، وقد ثبت هذا في الصحيحين . وقد أسلم حمزة في الثانية أو الثالثة - كما في الإصابة والاستيعاب - أو في السادسة كما ذكر ابن الجوزي .

(١) في الإصابة أنه ولد قبل النبي بأربع ، ولا يشكل هذا مع حديث الأخوة من الرضاعة إذ يمكن القول بأنها أرضعتها في زمنين مختلفين . وكنيته : أبو عمارة بابن له من امرأة من بني النجار ، وقيل : هي بنت له ، وقيل : كنيته أبو يعلى الذي قيل إنه لم يعيش له ولد سواه . وفي ابن هشام أن التي كلمته هي مولاة عبد الله بن جدعان . وعند غيره أن صفية أخته هي التي كلمته . ولا منافاة فمعد ابن أبي حاتم : أخبرته امرأتان .

ابن إسحاق في إسلام حمزة أنه قال : لما احتملني الغضب ، وقلت : أنا على قوله ، أدركني الندم على فراق دين آبائي وقومي ، وبت من الشك في أمر عظيم لا أكتحل بنوم ، ثم أتيت الكعبة ، وتضرعت إلى الله سبحانه أن يشرح صدري للحق ، ويذهب عني الريب (١) فما استتممت دعائي حتى زاح عني الباطل ، وامتلاً قلبي يقينا - أو كما قال - فعدوت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما كان من أمري ، فدعا لي بأن يُثبَّتني الله ، وقال حمزة بن عبد المطلب حين أسلم :

حَدَّثَ اللهُ حِينَ هَدَى فُؤَادِي إِلَى الْإِسْلَامِ وَالِدِينَ الْخَنِيفِ
لِدِينٍ جَاءَ مِنْ رَبِّ عَزِيزٍ خَيْرٍ بِالْعِبَادِ بِهِمْ لَطِيفِ
إِذَا تَلَيْتُ رِسَالَهُ عَلَيْنَا تَحَدَّرَ دَمْعُ ذِي الْأَبِّ الْخَصِيفِ
رِسَائِلُ جَاءَ أَحَدٌ مِنْ هَدَايَا بَآيَاتِ مُبَيِّنَةِ الْحُرُوفِ
وَأَحَدٌ مُصْطَفَى فِينَا (٢) مَطَاعٌ فَلَا تَغْشَوْهُ بِالْقَوْلِ الْعَنِيفِ
فَلَا وَاللَّهِ نُسَلِّهِ لِقَوْمٍ وَلَمَّا نَقَضَ فِيهِمُ بِالسُّيُوفِ
وَفَتَرَكَ مِنْهُمْ قَتْلَى بِقَاعٍ عَلَيْهَا الطَّيْرُ كَالْوَرْدِ الْعَكُوفِ

(١) وعند يونس بن بكير عن ابن إسحاق أنه قال لنفسه بعد رجوعه من شج أبي جهل : أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابي ، وتركت دين آبائك . للذوات خير لك مما صنعت . ثم قال : اللهم إن كان هذا رشدا ، فاجعل تصديقه في قلبي ، وإلا فاجعل لي ما وقعت فيه مخرجا . ثم غدا إلى رسول الله يطلب نصيحته ، فوعظه حتى ثبت إيمانه .

(٢) في الأصل : فينا مصطفي وهو خطأ يكسر البيت .

وقد خُبرت ما صنعت ثقيف به ، فجزى القبائل من ثقيف
إله الناس شراً جزاء قومٍ ولا أسقام صوابٍ التُريف .

طلب الآيات :

فصل : وذكر ما سأله قومه من الآيات وإزالة الجبال عنهم ، وإزالة
الملائكة عليه ، وغير ذلك ، جهلاً منهم بحكمة الله تعالى في امتحانه الخلق ، وتعمد منهم
بتصديق الرسل ، وأن يكون إيمانهم عن نظر وفكر في الأدلة ، فيقع الثواب
على حسب ذلك ، ولو كشف الغطاء ، وحصل لهم العلم الضروري ، بطلت
الحكمة التي من أجلها يكون الثواب والعقاب ، إذ لا يؤجر الإنسان على ما ليس
من كسبه ، كما لا يؤجر على ما خلق فيه من لون وشعر ونحو ذلك ، وإنما أعطاهم
من الدلائل ما يقتضى النظر فيه العلم الكسبي ، وذلك لا يحصل إلا بفعل من
أفعال القلب ، وهو النظر في الدليل ، وفي وجه دلالة المعجزة على صدق
الرسول ، وإلا فقد كان قادراً سبحانه أن يأمرهم بكلام يسمعونه ، ويفنيهم عن
إرسال الرسل إليهم ، ولكنه سبحانه قسم الأمر بين الدارين ، فجعل الأمر
يُعلم في الدنيا بنظرٍ واستدلال وتفكير واعتبار ؛ لأنها دار تعبد واختبار ،
وجعل الأمر يُعلم في الآخرة بماينة واضطرار ، لا يستحق به ثواب ولا جزاء ،
وإنما يكون الجزاء فيها على ما سبق في الدار الأولى ، حكمة دبرها ، وقضية
أحكامها ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَسْنَا أَنْ تُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا
الْأَوَّلُونَ ﴾ الإسراء : ٥٩ . يريد - فيما قال أهل التأويل - إن التكذيب
بالآيات نحو ما سأله من إزالة الجبال عنهم وإزالة الملائكة يوجب في حكم

الله، أَلَّا يُدَبِّثُ الْكَافِرِينَ بِهَا، وَأَنْ يَعاَجِلَهُمْ بِالنِّعْمَةِ، كما فعل بقوم صالح وبآل فرعون، فلو أعطيت قريش ما سألوه من الآيات، وجاءهم بما اقترحوا ثم كذبوا لم يَلْتَبِثُوا، ولكن الله أكرم محمدا في الأمة التي أرسله إليهم ثم إذ قد سبق في علمه أن يكذب به من يكذب، ويصدق به من يصدق، وابتغته رحمة للعالمين بر^(١) وفاجر، أما البرُّ فرحمته إياهم في الدنيا والآخرة، وأما الفاجر، فإنهم أمنوا من الخسْفِ والفرق وإرسال حاصب عليهم من السماء. كذلك قال بعض أهل التفسير في قوله: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ الأنبياء: ١٠٧ مع أنهم لم يسألوا ما سألوهم من الآيات إلا تَعَثُّوا واستهزاء، لاعلى جهة الاسترشاد، ودفع الشك، فقد كانوا رأوا من دلائل النبوة ما فيه شفاء لمن أنصف، قال الله سبحانه: ﴿أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ المنكوت ٥١ الآية، وفي هذا المعنى قيل:

لوم تكن فيه آيات مينة كانت بدايته تُنبيك بالخبر

وقد ذكر ابن إسحاق في غير هذه الرواية أنهم سألوهم أن يجعل لهم الصفة

(١) يقول ابن كثير عن مجلس المشركين وسؤالهم ما سألوهم: وهذا المجلس الذي اجتمع هؤلاء له، لو علم الله منهم أنهم إنما يسألون ذلك استرشادا لأجيوا إليه، ولكن علم أنهم إنما يطلبون ذلك كفرا وعنادا فقبل رسول الله وص: إن شئت أعطيتناهم ما سألوهم، فإن كفروا عذبناهم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة. فقال: بل تفتح عليهم باب التوبة والرحمة، وختم كلام ابن كثير ورد في حديث رواه أحمد عن ابن عباس.

ذهبوا ، فَهَمَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَدْعُو اللَّهَ لَهُمْ ، فَزَلَّ جَبْرِيلُ ، فَقَالَ لَهُمْ : مَا شِئْتُمْ إِنْ شِئْتُمْ فَعَلْتُمْ مَا سَأَلْتُمْ ، ثُمَّ لَا تُؤْتِيكُمْ إِنْ كَذَبْتُمْ بَعْدَ مَعَايِنَةِ آيَاتِهِ ، فَقَالُوا : لَأَحَاجَةُ لَنَا بِهَا (١) .

عبد الله بن أبي أمية :

فصل : وذكر قول عبد الله بن أبي أمية له ، واسم أبي أمية : حُدَيْفَةُ ، وَاللَّهُ لَا أَوْ مِنْ بَكَ حَتَّى تَتَّخِذَ سَأْمًا (٢) إِلَى آخِرِ الْكَلَامِ ، وَقَدْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِيَةَ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُ إِسْلَامِهِ .

هم أبي جهل بإلقاء الحجر :

وذكر خبر أبي جهل ، وما هم به من إلقاء الحجر على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو ساجد ، وقد رواه النَّسَوِيُّ بِإِسْنَادٍ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ أَبُو جَهْلٍ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى قَوْلِهِ : فَنَكَّصَ أَبُو جَهْلٍ عَلَى عَقْبَيْهِ ، فَقَالُوا : مَا لَكَ ؟ قَالَ : إِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ ، وَهُوَ لَأَوْ أَجْنَحَةٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَوْ دَنَا لَأَخْتَطَفْتَهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا ، وَخَرَّجَهُ أَيْضًا . (٣) وَذَكَرَ النَّسَوِيُّ أَيْضًا بِإِسْنَادِهِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ لَهُ :

(١) روى أحمد قريباً منه

(٢) في ابن كثير بعد حديثه في السيرة : حتى تأتيها : وتأتي معك بصحيفة منشورة ، ومعك أربعة : . الخ .

(٣) وابن حنبل والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم ، وسيأتي نص الأحاديث التي ذكرت حول هذا في الصفحة الآتية .

ألم أشهرك؟ فوالله ما بمكة نادٍ أعز من نادى ، فأنزل الله تعالى : ﴿ أرأيتَ الذى ينهى عبداً إذا صلى ﴾ إلى قوله : ﴿ فليدع ناديه ، سندع الزبانية ﴾ (١) العلق .

(١) روى البخارى عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لأطأن على عنقه ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم - فقال : لئن فعل ، لأخذته الملائكة ، وكذا رواه الترمذى والنسائى فى تفسيرهما ، وهكذا رواه ابن جرير .

وروى أحمد والترمذى والنسائى وابن جرير - وهذا لفظه من طريق داود ابن أبى هند - عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند المقام ، فرأه أبو جهل بن هشام ، فقال : يا محمد ! ألم أشهرك عن هذا ؟ وتوعده ، فأغلظ له رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، وانتهره ، فقال : يا محمد بأى شيء تهددنى ؟ أما والله لئن لا أكثر هذا الوادى نادياً فأنزل الله : (فليدع ناديه ، سندع الزبانية) وقال ابن عباس : لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته ، وقال الترمذى : حسن صحيح . وعن أبى هريرة قال : قال أبو جهل : هل يعرف محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم ، قال : فقال : واللوات والعزى لئن رأيت ي صلى كذلك لأطأن على رقبتة ولأعفرن وجهه فى التراب ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو يصلى ليلاً على رقبتة ، قال : فما لجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقى يديه ، قال : فقيل له : مالك ؟ فقال إن بينى وبينه خندقاً من نار وهو لا وأجنحة . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو دنا منى لأخطفتته الملائكة عضوا عضوا ، قال : وأنزل الله لا أدري فى حديث أبى هريرة أم لا : (كلا إن الإنسان ليطغى) إلى آخر السورة ، رواه مسلم وابن حنبل والنسائى وابن جرير وابن أبى حاتم ، وهكذا تؤكد هذه الأحاديث فرضية الصلاة قبل الإسراء .

تفسير آريأت:

قال محمد بن يزيد: في الكلام حذف، تقديره: آريأت الذي ينهى عبداً إذا صلى، أمصيب هو أو مُحطى؟ وكذلك في قوله: ﴿آريأت إن كان على الهدى﴾ العلق كأنه قال: أليس من ينهيه بضال؟ وقوله ﴿لننسفعا بالنأصية﴾ العلق أى لناخذن بها إلى النار، وقيل معنى السفع ههنا: إذلاله وقهره، والنادى والندي والمُنْتدى بمعنى واحد، وهو: مجلسُ القوم الذين يتنادون إليه، وقال أهل التفسير فيه أقوالاً متقاربة، قال بعضهم: فلْيَدْعُ حَيَّه، وقال بعضهم: عشيرته، وقال بعضهم: مجلسه، وفي آريأت معنى: أخبرني، ولذلك قال سيبويه: لم يجز إلغاؤها، كما تُلغى: علمت إذا قلت: علمت أزيد عندك أم عمرتو، ولا يجوز هذا في: آريأت، ولا بُدَّ من النَّصْبِ إذا قلت: آريأت زيدا، أبوة من هو؟ قال سيبويه: لأن دخول معنى أخبرني فيها لا يجعلها بمنزلة: أخبرني في جميع أحوالها، قال المؤلف: وظاهر القرآن يقضى بخلاف ما قال سيبويه إلا بعد البيان، وذلك أنها في القرآن مُلغاة؛ لأن الاستفهام هو مطلوبها، وعليه وقعت في قوله: ﴿آريأت، إن كذَّبَ وتولى، ألم يعلم﴾ العلق: فقوله: ألم يعلم: استفهام، وعليه وقعت: آريأت، وكذلك: آريأتكم، وآريأتكم في الأنعام، فإن الاستفهام واقع بعدها نحو: ﴿هل يهلك إلا القوم الظالمون﴾ الأنعام: ٤٧. وهذا هو الذي منع سيبويه في: آريأت وآريأتك أبومن أنت؟ وأما البيان فالذي قاله سيبويه صحيح، ولكن إذا ولي الاستفهام: آريأت، ولم يكن لها مفعول سوى الجملة، رأما في هذه المواضع التي في التنزيل، فليست الجملة المستنهم عنها هي مفعول: آريأت، إنما مفعولها محذوف يدل عليه

الشرطُ ، ولا بد من الشرط بعدها في هذه الصور ؛ لأن المعنى : أرأيتم صنيعكم إن كان كذا ، وكذا ، كما يقول القائل : أرأيت إن لقيت العدو أتقاتله أم لا؟ تقدير الكلام : أرأيت رأيك أو صنيعك إن لقيت العدو فحرف الشرط ، وهو : إن ، دالٌّ على ذلك المحذوف ، ومُرْتَبِطٌ به ، والجملة المستفهمُ عنها كلامٌ مُستأنفٌ منقطع ، إلا أن فيه زيادةً بيانٍ لما يستفهم عنه ، ولو زال الشرط ، ووليها الاستفهامُ اقْبَحَ كما قال سيديويه ، ويحسُنُ في : علمت ، وهل علمت وهل رأيت ، وإنما قُبِحَ مع رأيت خاصة ، وهي التي دخلها معنى : أخبرني فتدبره .

الأساطير وسُمى عن الفرس :

فصل : وذكر حديث النَّضر بن الحارث ، وما نزل فيه من قول الله تعالى : ﴿ قَالُوا : أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ واحد الأساطير : أسطورة كأخذوثه وأحاديث ، وهو ما سطره الأولون ، وقيل : أساطير : جمع أسطار ، وأسطارٌ جمع : سَطَرَ بفتح الطاء ، وأما سَطَرٌ بسكون الطاء ، فجمعه : أسَطَرٌ ، وجمع الجمع : أساطر بغير ياء ، وذكر أن النضر بن الحارث كان يُحدِّثُ قريشا بأحاديث رُسْتَمٍ وأسفندياذ ، وما تعلم في بلاد الفرس من أخبارهم ، وذكر ما أنزل الله في ذلك من قوله ، وقد قيل فيه نزلت : ﴿ ومن قال : سأُنزلُ مثلَ ما أنزلَ اللهُ ﴾ الأَنْعام : ٩٣ . وأما أحاديث رستم ، ففي تاريخ الطبري أن رُسْتَمُ بن ريسان (١) كان يحارب كي يستاسب بن كي لهراسب ، بعد ما قتل أباه لهراسب ابن كي اجو . وكى

(١) في الطبري ص ٥٠٤ ج ١ رستم الشديد بن دستان بن بريمان ،

في أوائل هذه الأسماء عبارة عن البهاء ، ويقال : عبارة عن إدراك النار ،
ويقال لهؤلاء الملوك : السكينية من أجل هذا ، وكان رُسْتَمُ الذي يقال له : رُسْتَمُ
سَيِّدُ بنى ريسان من ملوك الترك ، وكان كى يستاسب قد غضب على ابنه ،
فسجنه حسداً له على مآظير من وقائمه في الترك ، حتى صار الذكر له ، فعندها
ظهرت الترك على بلاد فارس ، وسبوا بنتين : ليستاسب ، اسم إحداهما : خثانة ،
أو نحو هذا ، فلما رأى يستاسب ألا يدين له بقتالهم أطلق ابنه من السجن ،
وهو اسفندياذ ، ورضى عنه وولاه أمر الجيوش ، فنهذ إلى رستم ، وكانت بينهما
ملاحم يطول ذكرها ، لكنه قتل رستم ، واستباح عساكره ، ودوخ في بلاد
الترك ، واستخرج أخته من أيديهم ، ثم مات اسفندياذ قبل أبيه ، وكان ملك
أبيه نحواً من مائة عام ، ثم عهد إلى بهمن بن اسفندياذ ، فولاه الأمر بعد موته
وبهمن بلغتهم : الحسن النية ، ودام ملكه نيفاً على مائة عام ، وكان له ابنان :
ساسان ودارا ، وقد أملينا في أول الكتاب طرفاً من حديث ساسان وبنيه ،
وهم الساسانية الذين قام عليهم الإسلام ، ورُسْتَمُ آخرُ مذكور أيضاً قبل هذا
في أحاديث كى قباد ، وكان قبل عهد سليمان ، ثم كان رستم وزيراً بعد كى قباد
لابنه كى قاووس ، وكانت الجن قد سُخِّرَتْ له . يقال إن سليمان أمرهم بذلك ،
فبلغ ملكه من العجائب ما لا يكاد أن يصدقه ذوو العقول لخروجها عن المعتاد
لكن محمد بن جرير الطبرى ذكر منها أخباراً عجيبة (١) .

(١) إنما سخر الجن بأمر الله لسليمان ، لا بأمر سليمان . وانظر ما قصه

السهيلى في الطبرى ج ١ من ص ٥٠٤ ط المعارف ، وفيه : سیاوخش بدلا من

شاوخش ، وفيه بعض ما يخالف ما هنا ، ففى ص ٥٦٤ ج ١ يذكر الطبرى أن

وذكر أنه همَّ بما هم به نمرود من الصعود إلى السماء ، فطرحته الريح ،
 ووضَعَصَتْ أركانَه ، وهدمت بنيانه^(۱) ، ثم تاب إليه بعض جنوده ، فصار كسائر
 الملوك يغلب تارة ، ويُغلب بخلاف ما كان قبل ذلك ، وسار بجنوده إلى اليمن
 فنَهَدَ إليه عمرو ذو الأذعار ، فهزمه عمرو ، وأخذه أسيرا ، وحبسه في تحبس حتى
 جاء رُسْتَم ، وكان صاحب أمره ، فاستنقذه من عمرو ، إِمَّا بَطْوِج ، وإِمَّا بِإِكْرَاه ،
 وردّه إلى بلاد فارس . ولابنه شاوخش مع قراسيات ملك الترك خبر عجيب ،
 وكان رستم هو القيم على شاوخش والكافل له في صفره ، وكان آخر أمر
 شاوخش بعد عجائب أن قتله قراسيات ، وقام ابنه كي خسرو يطلب بثاره ،
 فدارت بينه وبين الترك وقائع لم يسمع بمنلها ، وكان الظفر له ، فلما ظفروا رأى
 أمه في أعدائه ماملأ عينه قُرَّة ، وقلبه سرورا زهد في الدنيا ، وأراد السياحة
 في الأرض ، ففتَعَاتَ به أبناء فارس ، وحذرته من شَتَاتِ الشَّمَلِ بعده ، وشماتة
 العدو ، فاستخلف عليهم : كي لهراسب ، بن كي اجو ، بن كي كينة ، بن كي
 قاووس المتقدم ذكره^(۲) ، ولا أدري : هل رستم الذي قتله أسفنديار هو رستم

مقتل اسفنديار كان على يد رستم ، وأما الذي قتل رستم وأباه دستان فهو أزدشير
 بهمن ابن بشتاسب ص ۵۶۸ .

(۱) في الطبری ص ۵۰۷ ج ۱ ويذكر الطبری عن كي قارسي : « أن الله أعطاه قوة
 ارتفع بها ، ومن معه في الهواء ، حتى انتهى إلى السحاب ، ثم إن الله سلبهم تلك ،
 القوة ، فسقطوا ، فهلكوا ، وأفلت كي قاروس بنفسه ، أكانت لديهم معرفة
 بغزو الفضاء ؟ وقد ظهر الترك على بلاد فارس في عهد ملك الترك خزاسف . واسم
 ابنة ليستنسب الأخرى : باذفراه .

(۲) نسبة في الطبری هكذا : كيلهراسب بن كيوجي بن كيمنوش بن كيافوشين
 ابن كيديه بن كيبياذ الأكبر ص ۵۱۵ ، وتستطيع فصل كي عن كل امم بما سبق .

صاحب كى قاووس ، أم غيره ، والظاهر أنه ليس به ، لأن مدة ماين كى قاووس
وكى يستاسب بعيدة جدا ، وأحسبه كما قدمنا أنه كان من الترك ، وهذا كله
كان فى مدة الكينية ، وعند اشتغالهم بقتال الترك استعملوا بُحْتَ نَصْرَ البابلى
على العراق ، فكان من أموره مع بنى إسرائيل وإيخانه فيهم ، وهدمه لبيت
المقدس وإحراقه للتوراة وقتله لأولاد الأنبياء ، واسترقاقه لنساء ملوكهم
والفراريهم مع عيشه فى بلاد العرب حين جاس خلال ديارهم ، ماهو مشهور
فى كتب التفسير ، ومعلوم عند أصحاب التواريخ (١) .

فهذه جملة مختصرة تشرح لك ما وقع فى كتاب ابن إسحاق من ذكر رستم
واسفندياذ ، وكانت الكينية قبل مدة عيسى بن مريم ، أولهم فى عهد أفريدون
قبل موسى عليه السلام بمئتين من السنين ، وآخرهم فى مدة الاسكندر

(١) أخبار مختصر فى الجزء الأول من تاريخ الطبرى ص ٥٢٨ ، وكان
فى أيام لمراسب أحد ملوك الفرس ، ويذكر الطبرى أن مختصر وجد فى سجن بنى
إسرائيل لآرميا النبى ، فسأله : ما خطبك : فأخبره أن الله بعثه إلى قومه — بنى
إسرائيل ؛ ليحذرهم الذى حل بهم — يعنى : من مختصر — فكذبوه ، وحبسوه ،
فقال مختصر : ينس القوم قوم عصوا رسول ربهم . ثم أطلق سراحه ، وأحسن
إليه ص ٥٢٨ ج ١ وفى سفر آرميا لإصحاح ٢٦ أن بنى إسرائيل هموا بقتل
آرميا لأنه قال لهم : ارجعوا كل واحد عن طريقه الردى . وعن شر أعمالكم .
ولا تسلكوا وراء آلهة أخرى لتعبدوها وتسجدوا لها ، لإصحاح ٢٥ ، وفيه أيضاً أنه
حذرهم من « نبوخذ راصر » أى : مختصر فإن الله سيدسلطه عليهم إن لم يرجعوا .
ويقع سفر آرميا هذا فى أكثر من ستين صفحة ، وكله حول هذا . وبعده سفر آخر
اسمه : مراثى آرميا ، وهى منسوبة إليه فى رثاء أو شلليم بعد تخريب مختصر لها .

ابن قليس^(١) والإسكندر هو الذى سلب ملكهم ، وقتل دارا بن دارا ، وهو آخرهم ، ثم كانت الأستغانية مع ملوك الطوائف أربعمائة وثمانين عاما ، وقيل : أقل من ذلك فى قول الطبرى ، وقول المسعودى : خمسمائة وعشر سنين فى خلال أمرهم بئث عيسى بن مريم ، ثم كانت الساسانية نحو من ثلاثين ملكا حتى قام الإسلام ، ففض خدَمَتَهُمْ . وخَضَدَ شوكتهم ، وهدم هياكلهم ، وأطفأ شيرانهم التى كانوا يعبدون ، وذلك كله فى خلافة عمر .

عن سورتي الكهف والفرقان - سبب نزول الكهف :

فصل : وذكر ابن إسحاق إرسال قرَيْشِ النَّضْرِ بن الحارث وعُقْبَةَ بن أبى سَمْعِيْنٍ إلى يهود ، وما رجعا به من عندهم من الفصل بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ، فسألوه عن الأمور الثلاثة التى قالت اليهود : إن أخبركم بها فهو نبى أو إلا فهو مَتَقَوِّلٌ ، فقال لهم : سأخبركم غدا ، ولم يقل : إن شاء الله ، فأبطأ عنه الوحي فى قول ابن إسحاق خمسة عشر يوماً^(٢) ، وفى سير التيمي وموسى بن عُقْبَةَ

(١) يعنى اسكندر المقدونى بن فليبس .

(٢) جاء فى حديث روى بعضه فى كتب الصحاح ما يخالف ما ذهب إليه ابن إسحاق فى شأن إرسال النضر وعقبة ، وإليك ما روى فى هذا الشأن .

روى البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وقال : إنه صحيح - عن ابن مسعود : « كنت أمتشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرت المدينة ، وهو متوكيء على عسيب ، فرى بقوم من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم : لا تسألوه ، قال : فسألوه عن الروح ، فقالوا : يا محمد : ما الروح ؟ فما زال متوكئا على العسيب ، قال : فظننت أنه — (م ١١ - الروض الأنف ج ٣)

أن الوحيَ إنما أبطأ عنه ثلاثة أيام ، ثم جاء جبريل بسورة الكهف .
لم قدم الحمد على الكتاب ؟!

وذكر افتتاح الربِّ سبحانه بحمد نفسه، وذكر نبوة نبيه . حمده لنفسه تعالى .
خبرٌ باطنه الأمرُ والتعليمُ لعبده كيف يحمده ، إذ لولا ذلك لاقتضت الحالُ
الوقوف عن تسميته ، والعباراتِ عن جلاله ، لتصور كلَّ عبارةٍ عما هنا لك من
الجلال ، وأوصافِ الكمال ، ولما كان الحمدُ واجباً على العبدِ قدَّم في هذه الآيةٍ ليقترنَ
في اللفظِ بالحمد الذي هو واجبٌ عليه ، وليستشعرَ العبدُ وجوبَ الحمدِ عليه ،
وفي سورة الفرقان قال : « تبارك الذي نزل الفرقانَ على عبده » وبدأ بذكر
الفرقانِ الذي هو الكتابُ المبارك . قال الله سبحانه : ﴿ وهذا كتابٌ أنزلناه ﴾ (١)

== يوحى إليه ، فقال : (ويسألونك عن الروح ، قل : الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم
من العلم إلا قليلاً) قال : فقال بعضهم لبعض : قد قلنا لكم : لا تسألوه ،
وفي رواية البخارى : فلم يرد عليهم شيئاً ، فعلمت أنه يوحى إليه ، فقامت مقامى .
فلما نزل الوحي ، قال : (ويسألونك عن الروح قل : الروح من أمر ربي) .
والمشكل هنا أن سورة الإسراء : مكية وظاهر القصة يوحى بان الآية مدنية .
ولو كان الامر قاصراً على الرواية الأولى : وفطننت أنه يوحى إليه ، لقلنا إن
الرسول انما سكت ليتذكر الآية التي يرد بها عليهم ، فظن ابن مسعود أنه يوحى
إليه ، إما ابن كثير فيقول : وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه
بالمدينة مرة ثانية ، كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك ، أو أنه نزل عليه الوحي بأنه
يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه . والذي يدل على نزول هذه الآية
بمكة ما رواه أحمد أن قريشاً قالت ليهود : أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل ،
فقالوا : سلوه عن الروح ، فنزلت الآية ، وإجابة ابن كثير غير مةنة والعيسب :
عصن من جريد النخلة .

(١) هذا جزء من آية رقم ٩٢ و ١٥٥ من سورة الأنعام . والذي ذكره ==

مُبَارَكٌ ﴿﴾ فلما افتتح السورة بتبارك الذي ، بدأ بذكر الفرقان ، وهو الكتاب المبارك ، ثم قال : على عبده ، فانظر إلى تقديم ذكر عبده على الكتاب ، وتقديم ذكر الكتاب عليه في سورة الفرقان ، وما في ذلك من تشاكل اللفظ والتثام الكلام نرى الإعجازَ ظاهراً ، والحكمةَ باهرةً ، والبرهانَ واضحاً ، وأنشد لذي الرِّمَّةِ .

شرح شواهد شعرية :

كأنه بالضحى ترمى الصعید به دَبَابَةٌ في عظام الرأس خُرْطُومٌ
يصف ولدَ الطيبة : وأخْرُطُومٌ : من أسماء الحجر ، أى : كأنه من نشاطه
دَبَّتِ الحجرُ في رأسه . وأنشد له أيضاً :
طوى الفَحْزُ والأجْرَازُ البيت . والنَّخْرُ : النَّخْسُ ، والنَّحَازُ : داء يأخذ الإبلَ
والنَّحِيزَةَ : الفَرِيزَةَ ، والنَّحِيزَةُ (١) : نسيجة كالخزام : والضلوعُ الجَرَّاشِعُ . هو
جمع جُرْشِع . قال صاحب العين . الجُرْشِعُ : العظم الصدر ، فمعناه إذاً في البيت
على هذا : الضلوعُ من الهزال قد نَتَأَّتْ ، وبرزت كالصدر البارز .

== ابن إسحاق في أسباب نزول وما تنزل إلا بأمر ربك ، روى فيه الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «ص، لجبرائيل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ١٤ قال : فنزلت هذه الآية ، انفرد بإخراجه البخارى فرواه عند تفسير هذه الآية عن أبى نعيم عن عمر بن ذربة

(١) في اللسان أيضاً : النحر : الضرب والدفع والسعال عامة ، والنحاز : داء يأخذ الإبل والدواب ، والنحيزة : الطريق بعينه . وشيء ينسج أعرض من الخزام يخاط على طرف شقة البيت ، وفي القاموس : تكون على الفساطيط والبيوت ، والأجراز : جميع جزر : السنة أو الأرض المجذبة .

الرقيم وأهل الكهف :

فصل :وذكر الرقيم وفيه سوى مقاله أقوال . روى عن أنس أنه قال :الرقيمُ :
الكلبُ ، وعن كعب أنه قال : هو اسم القرية التي خرجوا منها ، وقيل : هو اسم
الوادي وقيل : هو صخرة ، ويقال : لوح كتب فيه أسماءهم ودينهم وقصتهم ،
وقال ابن عباس : كل القرآن أعلم إلا الرقيم والغسلين وحناناً والأوا (١) ، وقد
ذكرت أسماءهم على الاختلاف في بعض ألفاظها وهي : مليخا ، كسايما ، مرطوش
ابن أنس ، اريطانس ، أيونس ، شاطيطوش (٢) . وقيل في اسم مدينتهم :
أفوس ، واختلف في بقائهم إلى الآن ، فروى عن ابن عباس أنه أنكر
أن يكون بقي شيء منهم ، بل صاروا ترابا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ،
وقال بعض أصحاب الأخبار غير هذا ، وأن الأرض لم تأكلهم ، ولم تغيرهم ،
وأنهم على مقربة من القسطنطينية ، فالله أعلم . روى أنهم سيحجون البيت
إذا نزل عيسى بن مريم . ألفت هذا الخبر في كتاب البدء لابن أبي خيثمة (٣) .
إعراب أمصى :

وذكر قول الله تعالى : ﴿ لَنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾
الكهف :١٢ قد أملينا في إعراب هذه الآية نحواً من كراسة . وذكرنا ماوهم فيه
الزجاج من إعرابها : حيث جعل أمصى اسماً في موضع رفع على خبر المبتدأ ،
وأدماً : تمييز وهذا لا يصح ؛ لأن التمييز هو الفاعل في المعنى ، فإذا قلت : أيهم
أعلم أباً ، فالأب هو العالم ، وكذلك إذا قلت أيهم أقره عبداً ، فالعبد هو الغارة ،

(١) لاشك في أنه نقل غير صحيح عن ابن عباس يراد به غرض خبيث .

(٢) رجم بالغيب فالسند في معرفتها ضعيف جداً .

(٣) الخت فيما نقل عن ابن عباس .

فيلزم على قوله إذاً أن يكونَ الأمدُ فاعلاً بالإحصاء ، وهذا محال ، بل هو
مفعول ، وأحصى : فعل ماضٍ ، وهو الناصب له ، وذكرنا في ذلك الإملة
أنَّ أيهم ، قد يجوز فيه النصبُ بما قبله إذا جعلته خيراً ، وذلك على شروط
بينها هنالك لمن أراد الوقوف على حقيقتها ، أي : ومواضعها ، وكشفها
أسرارها .

عن الضرب وزرور الشمس وفائدة القصة :

وقوله سبحانه : ﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ أي : أعمناهم ، وإنما قيل في النائم :
ضرب على أذنه ؛ لأن النائم ينتبه من جهة السَّمْع ، والضربُ هنا مُستعار من
ضربت القفل على الباب ، وذكر قوله تعالى : ﴿ تَزَاوَرُ عَنْ كَنُفِهِمْ ذَاتَ الِيمِينِ ﴾
الآية . وقيل في تَقَرُّضِهِمْ : تحاذيهم ، وقيل : تتجاوزهم شيئاً شيئاً من القرض ،
وهو القطع ، أي : تقطع ما هنالك من الأرض ، وهذا كله شرح اللفظ ،
وأما فائدة المعنى ، فإنه بين أنهم في مَقْنُوقٍ من الأرض ، لا تدخل عليهم الشمس ،
فتحرقهم ، وتبلى ثيابهم ، ويقلبون ذات اليمين وذات الشمال .
لئلا تأكلهم الأرض ، والفائدة العظمى في هذه الصفة بيان كيفية حالهم
في الكهف ، وحال كلبهم ، وأين هو من الكهف ، وأنه بالوَصِيدِ منه ، وأن
باب الكهف إلى جهة الشمال للحكمة التي تقدمت ، وأن هذا البيان لا يكاد يعرفه
من رآهم ، فإن المطلع عليهم يُملأ منهم رعباً ، فلا يمكنه تأمل هذه الدقائق
من أحوالهم ، والنبي عليه السلام لم يره قط ، ولا سمع بهم ، ولا قرأ كتاباً فيه
صفتهم ؛ لأنه أميٌّ في أمة أمية ، وقد جاءكم ببيان لا يأتي به من وصل إليهم
حتى إن كلبهم قد ذكر ، وذكر موضعه وبسطه ذراعيه بالوَصِيدِ ، وهم في

الفجوة، وفي هذا كله برهانٌ عظيمٌ على نبوته، ودليلٌ واضحٌ على صدقه، وأنه غير مُتَقَوِّلٍ، كما زعموا، فَيَفُ بِقَلْبِكَ على مضمون هذه الأوصاف، والمراد بها تَعَصُّمٌ إن شاء الله مما وقعت فيه المُلْحِجَةُ من الاستخفاف بهذه الآية من كتاب الله، وقولهم: أى فائدة في أن تكون الشمسُ تَزَاوَرُ عن كهفهم، وهكذا هو كل بيت يكون في مَقْنُوَّةٍ، أى: بابه لجهة الشمال، فنبه أهل المعاني على الفائدة الأولى المنبئة عن لطف الله بهم، حيث جعلهم في مَقْنُوَّةٍ تزاور عنهم الشمسُ فلا تؤذيهم، فيقال: لمن اقتصر من أهل التأويل على هذا: فما في ذكر الكلب وبسط ذراعيه من الفائدة، وما فيه من معنى اللطف بهم؟ فالجواب: ما قدمناه من أن الله سبحانه لم يترك من بيان حالهم شيئاً، حتى ذكر حال كلبهم مع أن تأملهم متعذر على من اطلع عليهم من أجل الرعب، فكيف من لم يرههم، ولا سمع بهم، لولا الوحي الذي جاءه من الله سبحانه بالبيان الواضح الشافي، والبرهان السكافي، والرعب الذي كان يلحق المُطَّلِعَ عليهم، قيل: كان مما طالت شعورهم وأظفارهم. ومن الآيات في هذه القصة قوله سبحانه: ﴿ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ﴾ أى: في فضاء، ومع أنهم في فضاء منه، فلا تصيبهم الشمس. قال ابن سلام: فهذه آية. قال: وكانوا يقابون في السنة مرتين (١)، ومن فوائد الآية: أنه أخرج الكلب عن التقلب، فقال: باسط ذراعيه، ومع أنه كان لا يقلب لم تأكله الأرض؛ لأن التقايب كان من فعل الملائكة بهم، والملائكة أولياء المؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة، والكلبُ خارجٌ من هذه الآية. ألا تراه

(١) قوله: مرتين رجم بالغييب أيضا، واللفظ يفيد أكثر من مرتين.

كيف قال : بالوصيد ، أى : بقاء الغار لادخالهم ؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب (١) فهذه فوائد جمة قد اشتمل عليها هذا الكلام . قال ابن سلام : وإنما كانوا يقبلون فى الرقدة الأولى قبل أن يبعثوا .

المتنازعون فى امرهم :

فصل : وذكر قول الله سبحانه : (قال الذين غلبوا على أمرهم لننخذن عليهم مسجداً) الكهف : ٢١ وقال : يعنى أصحاب السلطان ، فاستدل بعض أهل العلم على أنهم كانوا مسلمين بقوله : لننخذن عليهم مسجداً (٢) . وذكر الطبرى أن أهل

(١) البخارى ومسلم والترمذى وأحمد والنسائى وابن ماجه . ولكن الله لم يذكر كلب أهل الكهف بما يفيد لعنه ، وقد أباح الله فى القرآن لنا تربية الجوارح ، وأكل ما صادته ، يقول ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : (وما علمتم من الجوارح) : : وأحل لكم ما صدتموه بالجوارح وهى من الكلاب والفهود والصقور وأشباهاها ، كما هو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والأئمة . وقد ثبت فى الصحيحين عن عدى بن حاتم قال : قلت : يا رسول الله إنى أرسل الكلاب المعلبة ، وأذكر اسم الله ، فقال : إذا أرسلت كلبك المعلم ، وذكرت اسم الله ، فكل ما أمسك عليك قلت : وإن قتلن ؟ قال : وإن قتلن ، ما لم يشركها كلب ليس منها ، فإذك إنما سميت على كلبك ، ولم تسم على غيره فأصيب . قلت له : فإنى أرمى بالمراض الصيد ، فقال : إذا رميت بالمراض شققت فكله ، وإن أصابه بعرض ، فإنه وقيد ، فلا تأكله ، خزق السهم وخسق : إذا أصاب الرمية ونفذ فيها . والمراض بالكسر : سهم بلا ريش ولا فصل ، وإنما يصيب بعرضه دون حده ، وشاة وقيد : قتل بالخشب . فلعن المراد : كلب الزبنة لا كلب الصيد والحرب .

(٢) ذكرت مراراً أن دين رسل الله جميعاً من لدن نوح إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم - هو دين الإسلام . ويقال عن أتباعهم إنهم مسلمون ، والدين =

تلك المدينة تنازعوا قبل مبعثهم في الأجساد والأرواح : كيف تكون إعادتها يوم القيامة ، فقال قوم : تعاد الأجساد كما كانت بأرواحها ، كما يقوله أهل الإسلام ، وخالفهم آخرون ، وقالوا : تبعث الأرواح دون الأجساد ، كما يقوله النصراني ، وشَرِيَّ بينهم الشرُّ ، واشتد الخلاف ، واشتد على مَدِّكُمْ ما نزل بقومه من ذلك ، فلبس المُسُوح ، وافتش الرماد ، وأقبل على البكاء والتضرع إلى الله أن يريه الفصل فيما اختلفوا فيه ، فأحيا الله أصحاب الكهف عند ذلك ، فكان من حديثهم ما عرف وشهر ، فقال الملك لقومه : هذه آية أظهرها الله لكم لتتفقوا ، وتعلموا أن الله عز وجل كما أحياه هؤلاء ، وأعاد أرواحهم إلى أجسادهم ، فكذلك يعيد الخلق يوم القيامة كما بدأهم ، فرجع الكل إلى ما قاله الملك ، وعلما أنه الحق .

== تنازعوا في أمر الفتية طائفتان . إحداهما : قالت ما يقوله المسلم الذي بكل الأمر لله ، ولا يعدو على الغيب . إذ قالت : « ابنوا عليهم بنياناً ، وعلقت الأمر بكلمة مؤمنة ، لا تصدر إلا عن مؤمن ، وهي قولهم : « ربهم أعلم بهم . وفي كل لفظه هنا : إشراقه من نور الإيمان القوى بالله . أما الآخرون ، فقد وصفوا بغير ما يوصف به المؤمن التقي الخاشع ، إذ وصفوا بأنهم : « غلبوا على أمرهم ، فهم إذا أخذوا الأمر بالقهر والغلبة دون ترو أو نزوع إلى معرفة أمر الله ، أو انعطاف إلى خشوع . ثم اقترحوا مصممين على ما اقترحوا : « لنتخذن عليهم مسجداً ، هكذا بالتوكيد والقهر المستعلي . ووازن بين اقتراح الأوابين وهو بناء بنيان عليهم ، أي : سد باب الكهف تجده عملاً إسلامياً ، وبين اقتراح الآخرين ، وهو اتخاذ مسجداً واتخاذ المساجد على القبور أمر الله ورسوله ، وهو أشمل من إقامة مسجد

عن واو الثمانية :

فعل : وذكر قول الله سبحانه ﴿ ويقولون : سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ قدر
أفردنا للكلام على هذه الواو التي يسميها بعض الناس : واو الثمانية (١) بابا

(١) أى الواو التي تأتي بعد استيفاء سبعة أشياء ، ثم تذكر قبل الثامن ،
وقد استشهد أصحابها بقوله سبحانه : « الثائبون العابدون الحامدون السائحون
الراكون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، التوبة : ١١٢ »
فقالوا : إن الواو جاءت بعد استيفاء الأوصاف السبعة . واستدلوا أيضاً بقوله
سبحانه : (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً ممنكن مسلمات مؤمنات
قاتلات ثابتات ، عابدات ، سائحات ثيبات وأبكاراً) التحريم : ه فجاءت بعد
استيفاء الأوصاف السبعة . واستشهدوا بالآية التي سيتركلم عنها السهيلي : « سبعة
وثامنهم » . واستشهدوا أيضاً بقوله سبحانه : (وسبق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة
زمرأ ، حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ، الزمر : ٣ - ٧ . فأتى بالواو لما كانت
أبواب الجنة ثمانية . وقال في النار : « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ، لما كانت
سبعة . وقد رد الإمام ابن القيم على هذا رداً طيباً . فقال عن آية التوبة باختصار :
إن كل صفة لم تعطف على ما قبلها فيها كان فيه تنبيه على أنهما في اجتماعهما كالوصف
الواحد لموصوف واحد ، فلم يحتج إلى عطف . فلما ذكر الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر ، وهما متلازمان مستمدان من مادة واحدة ، حسن العطف لئيبين أن
كل وصف منهما قائم على حدته . مطلوب تعيينه ، لا يكتفي فيه حصول الوصف الآخر ،
بل لا بد أن يظهر أمره بالمعروف بصريحه ، ونهيه عن المنكر بصريحه ، وأيضاً لحسن
العطف ههنا ما تقدم من التضاد ، فلما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
ضدين أحدهما : طلب الإيجاد ، والآخر : طلب الإعدام ، كانا كالتوعين المتغايرين
المتضادين . وقال : عن آية التحريم : إن دخول الواو قبل أبكار متعين ؛ لأن
الأوصاف التي قبلها المراد اجتماعها في النساء . وأما وصفا البكارة والثبوبة ،
فلا يمكن اجتماعهما ، فعين العطف ؛ لأن المقصود أنه يزوجه بالنوعين : الثيبات
والأبكار ، وسيأتي الكلام عن آية الكهف . أما آية الزمر عن الجنة والنار ، فقال :
لادلالة في اللفظ على الثمانية حتى تدخل الواو لاجلها ، بل هذا من باب حذف

طويلا ، والذي يليق بهذا الموضوع أن تعلم : أن هذا الواو تدل على تصديق القائلين لأنها عاطفة على كلام مُضْمَر ، تقديره : نعم ، وثامنهم كلهم ، وذلك أن قائلا لوقال : إن زيدا شاعرٌ ، فقلت له : وقيقه ، كنت قد صدقته ، كأنك قلت : نعم هو كذلك ، وقيقه أيضا ، وفي الحديث : سُئِلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أيتوضأ بما أفضلت الحجر ، فقال : وبما أفضلت السباع . يريد : نعم ، وبما أفضلت السباع . خرجه الدارقطني . وفي التنزيل : (وارزقْ أهله من الثمرات مَنْ آمَنَ منهم بالله واليوم الآخر ، قال : وَمَنْ كَفَرَ) البقرة : ١٢٦ هو من هذا الباب . فكذلك ما أخبره عنهم من قولهم : ويقولون : سبعة ، فقال سبحانه : « وثامنهم كلهم » وأيس كذلك : سادسهم كلهم ، ورابعهم كلهم ؛ لأنه في موضع النعت لما

الجواب لنسكتة بدیعة ، وهي أن تفتیح أبواب النار كان حال موافاة أهلها ، ففتحت في وجوههم ؛ لأنه أبلغ في مفاجأة المسكروه ، وأما الجنة فلما كانت ذات الكرامة ، وهي مائدة الله ، وكان الكريم إذا دعا أضيافه إلى داره ، شرع لهم أبوابها ، ثم استدعاهم إليها مفتحة الأبواب ، أتى بالواو العاطفة هكذا ، الدالة على أنهم جاءوا بعد ما فتحت أبوابها ، وحذف الجواب تفخيما لشأنه ، وتعظيما لقدرة كعادتهم في حذف الأجوبة ، ويقول عن دعوى واو الثمانية في مسألة أبواب الجنة في مكان آخر : « إن هذا لو صح ، فإنما يكون إذا كانت الثمانية منسوقة في اللفظ واحدا بعد واحد ، فينتهون إلى السبعة ، ثم يستأنفون العدد من الثمانية بالواو ، وهنا لا ذكر للفظ الثمانية في الآية ولا عدها ، انظر ص ٥٢ وما بعدها ج ٣ بدائع الفوائد وح ١٧٤ ج ٢ من نفس الكتاب وفيه قال : « على أن في كون الواو تجمي . للثمانية كلاما آخر قد ذكرناه في الفتح المسكي ، وبيننا المواضع التي نادى فيها أن الواو للثمانية ، وأين يمكن دعوى ذلك ، وأين يستحيل . »

قوله ، فهو داخل تحت قوله سبحانه : (رَجَمًا بِالْغَيْبِ) ولم يقل ذلك في آخر القصة (١) .

آية الاستثناء :

فصل : وذكر قول الله تعالى (وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ) وفسره ، فقال : أى استثنى شيئا لله . الشئمة : مصدر شاء يشاء ، كما أن الخيفة مصدر خاف يخاف ، ولكن هذا التفسير ، وإن كان صحيح المعنى ، فلفظ الآية مُشكِلٌ جداً ؛ لأن بقوله : (لَا تَقُولَنَّ لشيءٍ) إني فاعل ذلك غداً الكهف : ٢٣ نهى عن أن يقول هذا الكلام ، ولم ينه عن أن يصله بالأن يشاء الله ، فيكون العبد النهى عن هذا القول منهيأ أيضاً عن أن يصله بقوله إلا أن يشاء الله . هذا محال : فقوله إذاً : إلا أن يشاء الله استثناء من الله ، راجع إلى أول الكلام ، وهذا أيضاً إذا تأملته نقض لعزيمة النهى ، وإبطال لِحُكْمِهِ ، فإن السيد إذا قال لعبده : لا تقم إلا أن يشاء الله أن تقوم ، فقد حل عقدة النهى ؛ لأن مشيئة الله للفعل لا تعلم إلا بالفعل ، فلا عبد إذاً أن يقوم ، ويقول : قد شاء الله أن تقوم ، فلا يكون للنهى معنى على هذا ، فإذا لم يكن رد حرف الاستثناء إلى النهى ، ولا هو من

(١) يقول الإمام ابن القيم عن كلام السهيلي هذا واستنباطه حسن ، غير أنه إنما يفيد ويعن أن الواو تقتضى تقرير الجملة الأولى ، إذا كان المعطوف بالواو ليس داخلًا في جملة قولهم : بل يكون قد حكى سبحانه أنهم قالوا : سبعة ، ثم أخبر تعالى أن ثامنهم الكلب ، فحينئذ يكون ذلك تقريرًا لما قالوه ، وإخبارًا بكون الكلب ثامنًا ، وأما إذا كان الإخبار عن الكلب من جملة قولهم ، وأنهم قالوا هذا ، وهذا ، لم يظهر ما قاله ، ولا تقتضى الواو في ذلك تقريرًا ولا تصديقًا فتأمله وص ١٧٦ ج ٢ بدائع الفوائد وانظر أيضاً ج ٣ ص ٥٤ .

الكلام الذي نهى العبد عنه ، فقد تبين إشكاله ، والجواب : أن في الكلام حذفاً وإضماراً تقديره : ولا تقولن : إني فاعل ذلك غداً إلا إذا كراً إلا أن يشاء الله ، أو ناطقاً بأن يشاء الله ، ومعناه : إلا إذا كراً شيئاً الله ، كما قال ابن إسحاق ؛ لأن الشئنة مصدر ، وأن مع الفعل ، في تأويل المصدر ، وإعراب ذلك المصدر مفعول بالقول المضمير ، والعرب تحذف القول ، وتكتفي بالقول . ففي التنزيل : (فأما الذين أسودّت وجوههم أ كَفَرْتُمْ) آل عمران : ١٠٦ أى : يقال لهم : أ كَفَرْتُمْ ، فحذف القول ، وبقى الكلام المقول ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ الرعد : ٢٤ أى يقولون : سلام عليكم ، وهو كثير ، وكذلك إذا قوله ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ هى من كلام الناهى له سبحانه ، ثم أضمر أقول ، وهو الذكر الذى قدمناه ، وبقى المقول ، وهو : أن يشاء الله ، وهذا القدر يكفى فى هذا المقام ، وإن كان فى الآية من البسط والتفتيش ما هو أكثر من هذا .

ولبثوا فى كفهمهم :

فصل : وقد فسر قوله تعالى : ﴿ ولبثوا فى كفهمهم ﴾ فقال : معناه أى : سيقولون ذلك ، وهو أحد التأويلات فيها . وعلى هذا القول قرأه ابن مسعود : وقالوا : لبثوا ، بزيادة قالوا . ثم قال ابن إسحاق : قل : ربى أعلم بما لبثوا ، وهو وهم من المؤلف أو غيره ، وإنما التلاوة : ﴿ قُلْ : اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾ (١)

(١) فى النسخة التى معى : هى كما فى المصحف . وتأويل ابن هشام قوله تعالى : « ولبثوا فى كفهم » ، تأويل رائع ، إذ يجعل هذا القول من قول أهل الكتاب ، وبهذا يستقيم خمينا للآية . ويتفق هذا مع ما بعده ، وهو قوله سبحانه : (قل الله أعلم بما لبثوا)

وقد قيل : إنه إخبار من الله تعالى عن مقدار كُتُبِهِمْ ، ولكن لما علم استبعاد قریش وغيرهم من الكفار لهذا المقدار ، وعُلم أن فيه تنازعا بين الناس ، فمن سَمَّ قال : ﴿ قل : الله أعلم بما لبثوا ﴾ وقوله : ﴿ ثلاثمائة سنين ، وازدادوا تسعا ﴾ أى : إنها ثلاثمائة بحسب العجم ، وإن حسبت الأهلة ، فقد زاد العدد تسعا ، لأن ثلاثمائة سنة بحسب الشمس تزيد تسع سنين بحسب القمر (١) فإن قيل : فكيف قال ثلاثمائة سنين ، ولم يقل : سنة ، وهو قياس العدد في العربية (٢) ، لأن المائة تضاف إلى لفظ الواحد ، فالجواب أن سنين في الآية بدل مما قبله ، ليس على حد الإضافة ولا التمييز ، ولحكمة عظيمة عدل باللفظ عن الإضافة إلى البدل ، وذلك أنه لو قال : ثلاثمائة سنة ، لكان الكلام كأنه جواب لطائفة واحدة من الناس ، والناس فيهم طائفتان : طائفة عرفوا طول نُبُهِمْ ، ولم يعلموا كمية السنين ، فعرفهم أنها ثلاثمائة ، وطائفة لم يعرفوا طول لبثهم ، ولا شيئا من خبرهم ، فلما قال : ثلاثمائة معرفا للأولين بالكمية التي شكوا فيها ، مبينا للآخرين أن هذه الثلاثمائة سنون ، وليست أياما ولا شهورا ، فانظم البيان للطائفتين

— اذ لو كان : د ولبثوا ، من كلام الله نفسه ما كان لقوله : قل الله أعلم معنى .
وقراءة ابن مسعود قراءة شاذة ورواية قتادة لها منقطعة .

(١) بل تزيد عن هذا . وهذا تأويل لا يليق بكتاب الله ، ولا بكلام الله إنما يضطرون إليه ، لأنهم يرون أن قوله تعالى : د ولبثوا في كمهم ثلاثمائة سنين ، هو من قول الله نفسه ، وليس قولاً يقصه الله عن غيره ، وليس في الآية ما يشير مطلقاً إلى هذا الأربيل ، وقد أعرب سنين بدلا ؛ لأن تمييز العدد مائة وما بعدها يكون مفردا مجرورا بإضافة كقوله تعالى . فأما ما الله مائة عام ثم بعثه ، وكقوله :
« كآلف سنه بما تعدون . »

من ذكر العدد ، وجمع العدود ، وتبين أنه بدل ؛ إذ البدل يراد به : تبين ما قبله ،
ألا ترى أن اليهود قد كانوا عرفوا أن لأصحاب الكهف نبأ عجيبا ، ولم يكن
العجب إلا من طول كُتبتهم غير أنهم لم يكونوا على يقين من أنها ثلاثمائة أو أقل ،
فأخبر أن تلك السنين ثلاثمائة ، ثم لو وقف الكلام ههنا لقاتل العرب ، ومن
لم يسمع بخبرهم : ماهذه الثلاثمائة ؟ فقال كالمبين لهم : سنين ، وقد روى معنى هذا
التفسير عن الضحاك ، ذكره النحاس .

السنة والعام :

فصل : وقال : سنين ، ولم يقل أعواما ، والسنة والعام ، وإن اتسعت العرب
فيهما ، واستعملت كل واحد منهما مكان الآخر اتساعا ، ولكن بينهما في حكم
البلاغة والعلم بتنزيل الكلام فرقا ، فخذُه أولا من الاشتقاق ، فإن السنة من سَنَا
يَسْنُو إذا دار حول البئر ، والدابة : هي السَّانِيَةُ ، فكذلك السنة دَوْرَةٌ من
دورات الشمس ، وقد تسمى السنة : دارا ، ففي الخبر : إن بين آدم ونوح
ألف دار ، أي : ألف سنة ، هذا أصل الاسم ، ومن ثم قالوا : أكلتهم السَّنة ،
فَسَمَوْا شِدَّةَ القَحْطِ سَنَةً ، قال الله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾
الأعراف : ١٣ ومن ثم قيل : أسدَّت القوم إذا أقحطوا ، وكان وزنه أفعَتُوا ،
لا أفعَلُوا ، كذلك قال بعضهم ، وجعل سيبويه التاء بدلا من الواو ، فهي عنده
أفعَلُوا ، لأن الجُدوبة والخُصب مُعتبر بالشتاء والصيف ، وحساب العَجَم إنما هو
بالسنين الشمسية بها يُورِّخون ، وأصحاب الكهف من أمة عجمية ، والنصارى
يعرفون حديثهم ، ويورِّخون به ، فجاء اللفظ في القرآن بذكر السنين الموافقة
لحسابهم ، وتمم الفائدة بقوله : وازدادوا تسعا ليوافق حساب العرب ، فإن

حسابهم بالشهور القمرية كالبحر والصحراء (١) وانظر بعد هذا إلى قوله :
﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا ﴾ يوسف : ٤٧ الآية ، ولم يقل أعواما ، نفيه شاهد
لما تقدم : غير أنه قال : (ثم يأتي من بعد ذلك عام) ، ولم يقل : سنة عدولا عن اللفظ
المشترك ، فإن السنة قد يعبر بها عن الشدة والأزمة (٢) كما تقدم ، فلو قال : سنة
فذهب الوهم إليها ؛ لأن العام أقل أياما من السنة ، وإنما ذات الرؤيا على سبع
سنين شداد ، وإذا انقضى العدد ، فليس بعد الشدة إلا رخاء ، وليس في الرؤيا
ما يدل على مدة ذلك الرخاء ، ولا يمكن أن يكون أقل من عام ، والزيادة على
العام مشكوك فيها ، لا تقتضيها الرؤيا ، فحكم بالأقل ، وترك ما يقع فيه الشك من
الزيادة على العام ، فهاتان فائدتان في اللفظ بالعام في هذا الموطن ، وأما قوله :
(وبلغ أربعين سنة) وإنما ذكر السنين ، وهي أطول من الأعوام ، لأنه مخبر
عن اكتهال الإنسان ، وتمام قوته واستوائه ، فلفظ السنين أولى بهذا الموطن ؛
لأنها أكمل من الأعوام ، وفائدة أخرى : أنه خبر عن السن ، والسن معتبر
بالسنين ، لأن أصل السن في الحيوان لا يعتبر إلا بالسنة الشمسية ، لأن
النتاج ، والحمل يكون بالربيع والصيف ، حتى قيل ربيعى للكبيرة وصيفى (٣) للمؤخر ،
قال الراجز :

(١) رأى يحتاج إلى دليل أقوى مما ذكر .

(٢) في الراجز : أكثر ما تستعمل السنة في الحول الذى فيه الحرب .

(٣) في القاموس : « وجمع الربيع : ربيع بضمين ، وكسر د : الفصيل ينتج في

الربيع ، وهو أول النتاج . . فإذا نتج في آخر النتاج فبيع ، وهي هبة ،

إِنَّ بَنِي صَبِيَّةٍ صَبِيْفِيُونَ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيُونَ^(١)

فاستعمله في الآدميين ، فلما قيل في التفصيل ونحوه : ابن سنة وابن سنتين ، قيل ذلك في الآدميين ، وإن كان أصله في الماشية لما قدمنا ، وأما قوله : ﴿ وَحَلَّهُ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ فلأنه قال سبحانه : ﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ ، قُل : هِيَ وَاقِيَةٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ البقرة : ١٨٩ فالرضاع من الأحكام الشرعية ، وقد قصرنا فيها على الحساب بالأهلة ، وكذلك قوله : ﴿ يُحَلِّوْنَهُ عَامًا وَيُحْرِمُوْنَهُ عَامًا ﴾ ولم يقل : سنة ؛ لأنه يعني شهر الحرم وربيع إلى آخر العام ، ولم يكونوا يحسبون بأيلول ولا بئشرين ولا بئير^(٢) ، وهي الشهور الشمسية وقوله سبحانه : ﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ﴾ إخباراً منه لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وأمته وحسابهم بالأعوام والأهلة كما وقت لهم سبحانه ، وقوله سبحانه في قصة نوح : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ العنكبوت : ١٤٠ قيل : إنما ذكر أول السنين ؛ لأنه كان في شدائد

(١) البيت لسعد بن مالك بن ضبيعة ، وقيل : هي لاكثم بن صيفى د اللسان مادة ربيع ، وصيف ، ونسبه أبو زيد الأنصاري في نوادره إلى أكرم بن صيفى . وقال : د يقال : أصاف الرجل فهو مصيف إذا ترك النساء شاباً لم يتزوج ، ثم تزوج بعد ما أسن ، ويقال لولده : صيفيون ، ثم استشهد بهذا البيت ثم قال : د الربيعون الذين ولدوا وآبأؤهم شباب فهم رجال ، ص ٨٧ طبع لبنان .

وفي إصلاح المنطق ص ٤٧٠ : د يقال للرجل إذا ولد له في فتاه السن : قد أربيع ، وهو مربيع وولده : ربيعون ، وإذا تأخر ولده إلى آخر عمره قيل : أصاف فلان ، وهو مصيف ، وولده : صيفيون ، ثم استشهد بهذا البيت (د) ، يعني يتناير .

مدته كلها إلا خمسين عاماً منذ جاءه الفرج ، وأتاه الفوْث ، ويجوز أن يكون
الله - سبحانه - علم أن عمره كان ألفاً ، إلا أن الخمسين منها ، كانت أعواماً ،
فيكون عمره ألف سنة ، تفقص منها ما بين السنين الشمسية والقمرية في الخمسين
خاصة ؛ لأن خمسين عاماً بحساب الأهلّة أقل من خمسين سنة شمسية بنحو عام ونصف ،
فإن كان الله سبحانه قد علم هذا من عمره ، فاللفظ موافق لهذا المعنى ، وإلا ففى
القول الأول مقنع ، والله أعلم بما أراد ، فتأمل هذا ، فإن العلم بتنزيل الكلام ،
ووضع الألفاظ فى مواضعها اللاتقة بها يفتح لك باباً من العلم بإعجاز القرآن ،
وابن هذا الأصل تعرف المعنى فى قوله تعالى : ﴿ فى يوم كان مقداره خمسين
ألف سنة ﴾ المعارج : ٤ . وقوله تعالى : ﴿ وإن يوماً عند ربك [كآلف سنة مما
تعدون ﴾ الحجر : ٤٧ وأنه كلام ورد فى معرض التكثير والتفخيم ، لطول ذلك
اليوم والسنة أطول من العام ، كما تقدم ، فلفظها أليق بهذا المقام .

ذكر قصة الرجل الطواف زى القرنين :

فصل : وذكر قصة الرجل الطواف ، والحديث الذى جاء فيه عن رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - أنه كان مَلِكاً مسح الأرض بالأسباب ، ولم يشرح معنى
الأسباب . ولأهل التفسير فيه أقوال متقاربة ، قالوا فى قوله تعالى : ﴿ وآتيناه
من كل شئ سبباً ﴾ الكهف : ٨٤ : أى : علماً يتبعه ، وفى قوله تعالى : ﴿ فأتبع
سبباً ﴾ الكهف : ٨٥ : أى : طريقاً موصلة ، وقال ابن هشام فى غير هذا الكتاب
السببُ : جبل من نور ، كان ملكٌ يمشى به بين يديه ، فيتبعه ، وقد قيل فى اسم
ذلك الملك : زياقيل ، وهذا يقرب من قول من قال : سبباً أى : طريقاً ، ويقرب
(م - ١٢ - الروض الأثف ج ٢)

أن يكون تفسيراً لقول النبي صلى الله عليه وسلم : مسح الأرض بالأسباب^(١) ، واختاف في تسميته بذى القرنين ، كما اختاف في اسمه ، واسم أبيه ، فأصح ما جاء في ذلك ما روى عن أبي الطُّفَيْلِ عامر بن وائلة قال : سأل ابن الكَوَّاءِ على بن أبي طالب ، فقال : أرأيت ذا القرنين ، أنبيا كان أم ملكاً؟ فقال : لا نبيا كان ، ولا ملكاً ، ولكن كان عبداً صالحاً دعا قومه إلى عبادة الله ، فضربوه على قَرْنَيْهِ رأسه ضربتين ، وفيكم مثله . يعنى : نفسه ، وقيل : كانت له ضفيران من شعر ، والعربُ تسمى الخُضْلَةَ من الشعر : قرناً ، وقيل : إنه رأى في المنام رؤيا طويلة أنه أخذ بقرني الشمس ، فكان التأويل أنه المشرق والمغرب ، وذكر هذا الخبر على بن أبي طالب أقيمرواني العابد في كتاب البستان له ، قال : وبهذا سمي ذا القرنين ، وأما اسمه ، فقال ابن هشام في هذا الكتاب : اسمه مَرْزَبَانُ بن مَرْزَبَةَ بذال مفتوحة في اسم أبيه ، وزاى في اسمه ، وقيل فيه :

(١) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وقتادة والضحاك وغيرهم عن السبب : العلم . وقال قتادة أيضاً : منازل الأرض وأعلامها . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : تعلم اللسانة . أما كعب الاحبار ، فيروى عنه ابن لهيعة أنه قال : كان يربط خيله بالثرية . وقد أنكر معاوية على كعب قوله هذا وكان يقول عن كعب : وإن كنا لتبلو عليه الكذب . وما أحسن ما يقول ابن كثير : قال الله في حق بلقيس : وأوتيت من كل شيء ، أى : بما يوتى مثلها من الملوك . وهكذا ذو القرنين يسر الله له الأسباب ، أى : الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم والرساتيق والبلاد والأراضى وكسر الأعداء ، وكبت ملوك الأرض ، وإذلال أهل الشرك قد أوتى من كل شيء بما يحتاج إليه مثله سيبا ، والله أعلم . خلاصة هذا أن الله من عليه . فعلمه أسباب ما سخره له ، ومسألة الملك يهودية صارخة .

(٢) في السيرة : مرزبان .

هرمس (١) ، وقيل : هرديس . وقال ابن هشام في غير هذا الكتاب (٢) اسمه الصَّعب بن ذى مرَّادٍ، وهو أول التَّبابعة ، وهو الذى حكم لإبراهيم عليه السلام فى بئر السبع حين حاكم إليه فيها ، وقيل : إنه أفريدون بن أمثيان الذى قتل الضحاك (٣) ، ويروى فى خطبة قيس بن ساعدة التى خطبها بسوق عكاظ ، أنه قال فيها : يامعشر إباد ! أين الصعب ذو القرنين ، ملَّك الخافقين ، وأذلَّ الثقلين ، وعمَّر ألفين ، ثم كان ذلك كاحظة عين ، وأنشد ابن هشام للأعشى :
والصعبُ ذو القرنين أصبحَ ثاويًا بالحنوفِ جدَّثِ أميمٍ مقيمٍ (٤)

(١) زابر داكولا والدار تاطى .

(٢) ذكره فى كتاب « النيجان » فى ملوك حمير وروايته عن وهب بن منبه

(٣) تقرأ أخبار الضحاك وأفريدون فى الطبرى ص ١٩٤ - ١ المعارف

(٤) هوفى اللسان والمخير: للبيد. ورواه ابن كثير فى البداية نقلًا عن السهيلي فى الروض

الأنف « أشم مقيما ، بدلا من « أميم مقيم » كما فى نسخة الروض التى بين أيدينا

انظر ص ١٠٥ ج ٢ البداية . وفى فتح البارى : والذى يقوى أن ذا القرنين من

العرب أنهم ذكروه كثيرا فى أشعارهم . قال أعشى بن ثعلبة .

والصعب ذو القرنين أمسى ثاويًا بالحنوفِ جدثِ أميمٍ مقيمٍ

والحنو بكسر المهملة وسكون التون فى ناحية المشرق ، وقال الربيع بن ضبيع :

والصعب ذو القرنين عمر ملسكه ألفين أمسى بعد ذاك رميما

وقال قيس بن ساعدة .

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويًا باللحد بين ملاعب الأرياح

وقال النعمان بن بشير الأنصارى الصحابى ابن الصحابى :

ومن ذا يعاديننا من الناس معشر كرام ، وذو القرنين منا وحاتم

ووقع ذكر ذى القرنين فى شعر امرئ القيس وأوس بن حجر وطرفة وغيرهم

ص ٢٦١ ج ٦ فتح البارى للمحافظ بن حجر ط ١٣٣٨

وقوله بالحَنُويَريد : حِنُو قَرَاقِرِ الذى مات فيه ذو القرنين بالعراق، وقول ابن هشام فى السيرة : إنه من أهلِ مِصرَ، وإنه الإسكندر الذى بنى الإسكندرية، فعرفت به : قولٌ بعيد مما تقدم ، ويحتمل أن يكون الإسكندر سُمى ذا القرنين أيضاً تشبيهاً له بالأول، لأنه ملك ما بين المشرق والمغرب فيما ذكروا أيضاً، وأذلَّ ملوكَ فارس، وقتل دارا بن دارا، وأذلَّ ملوكَ الروم وغيرهم، وقال الطبرى فى الإسكندر : وهو اسكندروس بن قليقوس ، ويقال فيه : ابن قليس ، وكانت أمه زنجية ، وكانت أهديت لدارا الأكبر أو سبأها ، فوجد منها نكحةً استنقلها ، فعولجت ببقرة ، يقل لها : اندروس ، فحملت منه بدارا الأصغر ، فلما وضعته ردها ، فتزوجها والد الإسكندر ، فحملت منه بالإسكندروس ، فاسمه عندهم مُشْتَقٌّ من تلك البقرة التى طهرت أمه بها فيما ذكروا ، وذكر عن الزبير : أنه قال : ذو القرنين هو : عبد الله بن الضحاك بن معدِّ [وقال ابن حبيب فى] المُحَبَّرِ فى ذكر ملوك الحيرة ، قال : الصَّعْبُ بن قرين [بن الهمال] (٢) : هو ذو القرنين ، ويحتمل أن يكونوا ملوكا فى أوقاتٍ شتى ، يسمى كلُّ واحد منهم : ذا القرنين والله أعلم . والأول كان على عهد إبراهيم عليه السلام ، وهو صاحب الخضر حين طلب عين الحياة فوجدها الخضر ، ولم يجدها ذو القرنين ، حالت بينه وبينها الظلمات التى وقع فيها هو وأجناده فى خبر طويل مذكور فى بعض التفاسير مشهور عند الأخباريين (١) .

(١) وهى أخبار ترضى عشاق الاساطير . وأسارى العبودية الوثنية فلم يجول ، وقد اخترع المفترون عين الحياة ؛ لىكى ينسبوا الى الخضر الخلود والبقاء حتى الآن . وهى فرية لا يصدقها مسلم ؛ لأنها أسطورة .
(٢) الزيادة من المحبر .

حكم التسمي بأسماء النبيين

وأما قول عمر لرجل سمعه يقول : ياذا القرنين : لم يكفكم أن تتسموا بالأنبياء حتى تسميتهم بالملائكة ، إن كان عمر قاله بتوقيف من الرسول عليه السلام ، فهو ملك ، لا يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا الحق ، وإن كان قاله بتأويل تأوله [فقد] خالفه علي في الخبر المتقدم ، والله أعلم أي الخبرين أصح نقلا ، غير أن الرواية المتقدمة عن علي بتوقيفها ما نقله أهل الأخبار عن ذى القرنين ، والله أعلم ^(١) . وكان من مذهب عمر رحمه الله كراهية التسمي بأسماء الأنبياء ، فقد أنكر على المغيرة تكنيته بأبي عيسى ، وأنكر على صهيب تكنيته بأبي يحيى ، فأخبر كل واحد منهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كناه بذلك ، فسكت ، وكان عمر إنما كره من ذلك الإكثار ، وأن يظن أن للمسلمين شرفا في الأسم إذا سُمي باسم نبي ، أو أنه ينفعه ذلك في الآخرة ، فكأنه استشعر من رعيته هذا الغرض أو نحوه ، هو أعلم بما كره من ذلك ^(٢) . وإلا فقد سُمي بحمد طائفة من الصحابة منهم : أبو بكر وعلي وطلحة وأبو حذيفة وأبو جهم ابن حذيفة ، وخاطب وخطاب ابنا الحارث ، كل هؤلاء الحمدين كانوا يُكنون بأبي القاسم إلا محمد بن خطاب ، وسمي أبو موسى ابنا له بموسى ، فكان يُكنى به ، وأسيد بن حضير سمي ابنه بيحيى ، وعلم به النبي عليه السلام فلم يُنكر عليه ، وكان لطلحة عشرة من الولد ، كلهم يُسمى باسم نبي ، منهم : موسى بن طلحة عيسى ، وإسحاق ويعقوب وإبراهيم ، ومحمد ، وكان للزبير

(١) نستطيع الجزم بأن الخبر المنسوب إلى عمر خبر غير صحيح ، لأنه يخالف هدى القرآن ، ويخالف المعروف من سيرة عمر وعلمه وفقهه .

(٢) هذا تعليل طيب من السهيلي .

عشرة ، كلُّهم يسمى باسم شهيد ، فقال له طلحة : أنا أسميهم بأسماء الأنبياء ، وأنت تسميهم بأسماء الشهداء ، فقال له الزبير : فإني أطمع أن يكون بنى شهداء ، ولا تطمع أنت أن يكون بنوك أنبياء ، ذكره بن أبي خيثمة ، وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم - ابنه إبراهيم ، والآثار في هذا المعنى كثيرة ، وفي السنن لأبي داود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : سمّوا بأسماء الأنبياء ، وهذا محمول على الإباحة ، لاعلى الوجوب ، وأما التسمي بمحمد ، ففي مسند الحارث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : من كان له ثلاثة من الولد ، ولم يُسمَّ أحدهم بمحمد ، فقد جهل^(٤) ، وفي المعيطي عن مالك أنه سئل عمَّن اسمه محمد ، ويكنى أبا القاسم ، فلم يرَّبه بأساً ، فقيل له : أكنيت ابنك أبا القاسم ، واسمه محمد ؟ فقال : ما كنيته بها ولكن أهله يُكنونها بها ، ولم أسمع في ذلك نهياً ، ولا أرى بذلك بأساً ، وهذا يدل على أن مالكا لم يبلغه ، أو لم يصح عنده حديث النهي عن ذلك ، وقد رواه أهل الصحيح^(١)

(١) عن جابر رضي الله عنه ، قال : ولد لرجل منا غلام فسماه القاسم ، فقالوا لا تكنيه حتى نسأل النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : سموا باسمي ، ولا تكنوا بكنيتي ، رواه الأربعة ، ولعل المقصود - والله أعلم - العمل بمقتضاه طول مدة حياته - صلى الله عليه وسلم - فقط . وسيأتي رأي ابن سيرين . وعن الاسماء ورد حديث رواه ابن عمر رضي الله عنها : « إن أحب أسماءكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن ، مسلم وأبو داود والترمذي . وعن أبي هريرة عن النبي «ص» : « أخرج الاسماء يوم القيامة عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ، رواه الأربعة وزاد مسلم « لا مالك إلا الله تعالى ، وعن ابن عمر قال : « إن أئمة لمركبات تسمى عاصية ، فسماها رسول الله «ص» جميلة ، مسلم وأبو داود والترمذي ونسختح بتدبير هذه الأحاديث تبين الهدى في الاسماء . وأخرج = أوضع

خالفه أعلم - وعله بلغه حديث عائشة أنه عليه السلام - قال : ما الذى أحلَّ اسمى
وحرَّم كُنْيَتِي ، وهذا هو الناسخ لحديث النهي ، والله أعلم ، وكان ابن سيرين
يكره لكل أحد أن يتكَّنَى بأبى القاسم ، كان اسمه محمداً ، أو لم يكن . وطائفة
إنما يكرهونه لمن اسمه محمد ، وفي المَعْيَطِي أيضاً أنه سُئِلَ عن التسمية بمَهْدِي
فكرهه ، وقال : وما علمه بأنه مَهْدِيٌّ ، وأباح التسمية بالهادى ، وقال : لأن
الهادى هو الذى يهْدَى إلى الطريق ، وقد قدمنا كراهية مالك للتسْمِي بمَجْرِيْل .
وقد ذكر ابن إسحاق كراهية عُمرَ للتسْمِي بأسماء الملائكة ، وكره مالك التسمي
ببِياسين (١) .

الروح والنفس :

فصل : وذكر سؤالهم عن الروح ، وما أنزل الله فيه من قوله تعالى :
﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ (٢) الآية ورُوي عن ابن إسحاق من غير طريق
الْبَسْكَائِيُّ أنه قال في هذا الخبر : فناداهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم :
هو جبريلُ ، وهذه الرواية عن ابن إسحاق تدل على خلاف ما روى غيره أن
يهودَ قالت لقريش : اسئَلُوهُ عن الروح ، فإن أخبركم به فليس بنبي ، وإن لم
يخبركم فهو نبي ، وقال ابن إسحاق فيما تقدم من الحديث : اسئَلُوهُ عن الرجل

(١) ليس ياسين اسماً للرسول وص ، كما يظن بعض المفسرين ، إنما هي مثل :
حم ، وطس و طه ونون فهي مركبة من حرفين : الياء والسين .

(٢) سبق ذكر الأحاديث حول هذا

الطَّوَّافِ ، وعن الفِثْيَةِ ، وعن الروح ، فإن أخبركم وإلا فالرجل مُتَقَوِّلٌ .
فسوى في الخبر بين الروح وغيره ، واختلف أهل التأويل في الروح المستولم
عنه ، فقال بعضهم : هو جبريل ؛ لأنه الروح الأمين ، وروح القدس ، وعلى
هذا رواية ابن إسحاق أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لقريش حين
سألوه : هو جبريل ، وقالت طائفة : الروح خلق من الملائكة على صور
بني آدم ، وقالت طائفة : الروح خلق يرون الملائكة ، ولا تراهم ، فهم للملائكة
كالملائكة لبني آدم ، وروى عن علي أنه قال : الرُّوحُ مَلَكٌ له مائة ألف
رأس ، لكل رأس مائة ألف وجه ، في كل وجه مائة ألف فم ، في كل فم
مائة ألف لسان ، يُسَبِّحُ الله بلغات مختلفة^(١) ، وقالت طائفة : الروح الذي
سألت عنه يهود هو : روح الإنسان ، ثم اختلف أصحاب هذا القول ، فمنهم
من قال : لم يجبههم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن سؤالهم ، لأنهم
سألوه تَعَمُّقًا واستهزاءً ، فقال الله له : قُل : الروح من أمر ربي ، ولم يامرهم أن
يُبيِّنْهُ لهم ، وقالت طائفة : بل قد أخبرهم الله به ، وأجابهم عما سألوا ؛ لأنه قال
لنبيه : قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وأمرُ الرَّبِّ هو الشرع ، والكتاب الذي
جاء به ، فمن دخل في الشرع وتفقه في الكتاب والسنة عرَفَ الرُّوحَ ،
فكان معنى الكلام : ادخلوا في الدين تعرفوا ما سألتهم عنه ، فإنه من أمر
ربي ، أي : من الأمر الذي جئت به مُبَلِّغًا عن ربي ، وذلك أن الروح لا سبيل
إلى معرفته من جهة الطبيعة ، ولا من جهة الفلسفة ، ولا من جهة الرأي

إنما هي - فتريات على منها يرى .

والقياس ، وإنما يُعرف من جهة الشرع ، فإذا نظرت إلى ما في الكتاب والسنة من ذكره نحو قوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾ السجدة : ٩ . أى من روح الحياة ، والحياة من صفات الله سبحانه ، والنفخُ في الحقيقة مضافٌ إلى مَلَكٍ ينفخ فيه بأمر رَبِّهِ ، وتنظر إلى ما أخبر به الرسول عليه السلام أن الأرواحَ جنودٌ مُجَنَّدَةٌ ، وأنها تتعارف^(١) وتَدَشَّامُ في الهواء ، وأنها تُقبِضُ من الأجساد بعد الموت ، وأنها تُسْتَلُّ في القبر ، فتفهم السؤال وتسمع وترى ، وتُنَعَّمُ وتُعَذَّبُ وتَلْتذُّ وتَأَلَّمُ ، وهذه كلها من صفات الأجسام ، فتعرف أنها أجسام بهذه الدلائل ، لكنها ليست كالأجساد في كثافتها وثقلها وإظلامها ، إذ الأجساد خلقت من ماء وطين وحماءٍ مَسْنُونٍ ، فهو أصلها ، والأرواحُ خلقت مما قال الله تعالى ، وهو النفخ المتقدم المضاف إلى الملك . والملائكة خلقت من نور كما جاء في الصحيح^(٢) ، وإن كان قد أضاف النفخ إلى نفسه ، فكذلك أضاف قبض الأرواح إلى نفسه فقال : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الزمر : ٤٢ وأضاف ذلك إلى الملك أيضاً فقال : ﴿ قُلْ : يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ ﴾ السجدة : ١١ والفعل مضاف إلى الملك مجازاً ، وإلى الرب حقيقة ، فهو أيضاً جنسٌ ، واسكنه من جنس الريح ، ولذلك سُمِّيَ رُوحاً من لفظ الريح ، ونفخُ الملك في معنى الريح غير أنه ضمُّ أوله ؛ لأنه نُوراني ،

(١) «الأرواح جنود مجنّدة فا تعارف منها اختلف . وماتنا كرمها اختلف» مسلم والبخارى في الأدب وغيرهما .

(٢) في مسلم عن عائشة : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق إبليس من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » .

والريح هواء متحرك ، وإذا كان الشرعُ قد عرّفنا من معاني الروح وصفاته بهذا القدر ، فقد عرّف من جهة أمره كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ: الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ وقوله : من أمر ربّي أيضاً ، ولم يقل من أمر الله ، ولا من أمر ربّكم يدل على خصوص ، وعلى ما قدمناه من أنه لا يعلمه إلا من أخذ معناه من قول الله سبحانه ، وقول رسوله بعد الإيمان بالله ورسوله واليقين الصادق والفقّه في الدين ، فإن كان لم يخبر اليهود حين سألوه عنه ، فقد أحاطهم على موضع العلم به (١) .

الفرو بين الروح والنفس :

فصل : ومما يتصل بمعنى الروح وحقيقته أن تعرف : هل هي النفسُ أو غيرها ، وقد كثرت في ذلك الأقوالُ ، واضطربت المذاهبُ ، فتعلق قومٌ

(١) وأحسن ما قيل : إن المفصود بالروح هو القرآن نفسه ، وقد كان الكلام قبل هذا في شأنه ، وقد وصف كلام الله بأنه روح في القرآن : (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) النحل : ٢ (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده) غافر : ١٥ (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) الشورى : ٥٢ وهذا الرأي قريب مما ذكره السهيلي حول أمر الله . وليت السهيلي سكت عند الصحيح المنقول !! فقد بلغت الأقوال في حقيقة النفس والروح بلغت المائة أو الألف كما نقل الزرقاني في شرح المواهب عن ابن جماعة : ويقول ابن بطال شارح البخاري ومن شيوخ ابن عبد البر عن الروح الإنسانية : معرفة حقيقتها مما استأثر الله بعلمه ، وقال القرطبي عن الحكمة في إلهام حقيقة الروح : إذ إظهار عجز المرء لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق « أي الله ، من باب أولى »

بظواهر من الأحاديث لا توجب القطع ، لأنها نقل آحاد^(١) ، وأيضاً فإن ألفاظها محتمة للتأويل ، ومجازات العرف واتساعاتها في الكلام كثيرة ، فما تعلقوا به في أن الروح هي النفس قول بلال : «أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ»^(٢) سمع قول النبي عليه السلام : إن الله قبض أرواحنا ، وقوله — عز وجل — ﴿الله يتوفى الأنفس﴾ والمقبوضة هي الأرواح ، ولم يفرقوا بين القبض والتوفى ، سؤالا بين الأخذ في قول بلال : «أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ» وبين قول النبي عليه السلام : «قبض أرواحنا» ، وتنقيح الأقوال وترجيحها يطول .

وقد روى أبو عمر في التمهيد حديثاً يدل على خلاف مذهبهم في أن النفس هي الروح ، لكن علله فيه أن الله خلق آدم ، وجعل فيه نفساً وروحاً ، فمن الروح : عفافه ، وفهمه وحلمه وسخاؤه ، ووقاؤه ، ومن النفس : شهوته وطيشه وسفاهه وغضبه ، ونحو هذا ، وهذا الحديث معناه صحيح إذا تَوَلَّمَّ صحَّ نقله أو لم يصح ، وسبيلك أن تنظر في كتاب الله أولاً ، لا إلى الأحاديث التي تنقل سمرة على اللفظ ، ومرة على المعنى ، وتختلف فيها ألفاظ الحديثين^(٣) ، فنقول قال الله تعالى : ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي»^(٤) ولم يقل : من نفسي وكذلك قال : ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ السجدة : ٩ ولم يقل من

(١) لماذا إذاً يأخذ بأضعف الأحاديث ؟

(٢) من حديث في البخاري ومسلم وغيرهما

(٣) هذا مبدأ عظيم ، غير أن السهيلي لم يأخذ به في كثير من الأحيان ، فاعتمد

على أضعف الأحاديث .

(٤) ذكرت مرة في سورة الحجر رقم ٢٩ وفي ص رقم ٧٢ .

نفسه ، ولا يجوز أيضاً أن يقال هذا ، ولا خفاء فيما بينهما من الفرق في الكلام ، وذلك يدل على أن بينهما فرقا في المعنى ، وبالعكس هذا قوله سبحانه : ﴿ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ولم يقل : تعلم ما في روحي ، ولا أعلم ما في روحك ، ولا يحسن هذا القول أيضاً أن يقوله غير عيسى (١) ، ولو كانت النفس والروح اسمين لمعنى واحد ، كالليث والأسد لصح وقوع كل واحد منهما مكان صاحبه ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ ولا يحسن في الكلام : يقولون في أرواحهم ، وقال تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ ﴾ ولم يقل : أن تقول روح ، ولا يقوله أعرابي ، فأين إذاً كون النفس والروح بمعنى واحد لولا الغفلة عن تدبر كلام الله تعالى؟! ولكن بقت دقيقة يُعرف منها السر والحقيقة ، ولا يكون بين القولين اختلاف متباين إن شاء الله ، فنقول وبالله التوفيق : الروح مشتق من الريح ، وهو جسم هوائي لطيف ، به تكون حياة الجسد عادة ، أجراها الله تعالى ؛ لأن العقل يوجب ألا يكون للجسم حياة ، حتى ينفخ فيه ذلك الروح الذي هو في تجايف الجسد ، كما قال ابن فورك وأبو المعالى وأبو بكر المرادى ، وسبقهم إلى نحو منه أبو الحسن الأشعري ، ومعنى كلامهم واحد أو متقارب .

الروح سبب الحياة :

فصل : فإذا ثبت أن الروح سبب الحياة عادة ، أجراها الله تعالى ، فهو

(١) قول النبوة أزكى الأقوال وأهداها . فلم لا يقولها غير عيسى ؟

كالماء الجارى فى عروق الشجرة صُعدا ، حتى تحيا به عادة ، فنسميه ماء باعتبار
أَوْلِيَّتِهِ ، ونسمى أيضاً هذا روحاً باعتبار أوليته ، واعتبار النفخة التى هى ربح ،
فإدام الجنين فى بطن أمه حياً ، فهو ذو روح ، فإذا نشأوا كتب ذلك الروحُ
أخلاقاً وأوصافاً لم تكن فيه ، وأقبل على مصالح الجسم كلفا به ، وعشق مصالح
الجسد ولذاته ، ودفع المضار عنه سمي : نفساً ، كما يكتب الماء الصاعد
فى الشجرة من الشجرة أوصافاً لم تكن فيه ، فالماء فى العنبة مثلاً هو : ماء
باعتبار الأصل والبدأة ، ففيه من الماء لليوعة والرطوبة ، وفيه من العنبة
الحلاوة ، وأوصاف آخر ، فنسميه مُضْطَارّاً إن شئت ، أو خراً إن شئت ، أو غير
ذلك مما أوجبها الاكتساب لهذه الأوصاف ، فمن قال : إن النفس هى الروحُ
على الإطلاق من غير تقييد ، فلم يحسن العبارة ، وإنما فيها من الروح الأوصاف
التي تقتضيها نفخة الملك ، وَالْمَلِكُ موصوف بكلِّ خالقٍ كريمٍ ؛ ولذلك قال
فى الحديث : فمن الروح عفافه وحلمه ووفائوه وفهمه ، ومن النفس شهوته وغضبه
وطيشه ، وذلك أن الروح كما قدمنا مزج الجسد الذى فيه الدم ، ويسمى الدم :
نفساً ، وهو مجرى الشيطان ، وقد حكمت الشريعة بنجاسة الدم لسرِّ لعله أن
يفهم مما نحن بسبيله ، فمن يعرف جوهر الكلام ، ويُنزل الألفاظ منازلها ،
لا يُسمى روحاً إلا ما وقع به الفرق بين الجماد والحى ، والذي كان سبباً للحياة ،
كما فى الكتاب العزيز عند ذكر إحياء النطفة ، ونفخ الروح فيها ، ولا يُقال :
نفخ النفس فيها إلا عند الاتساع فى الكلام ، وتسمية الشيء بما يؤول إليه ،

(١) مصطار بضم الميم : الخمر ، ومصطار يكسر الميم وبالسين : الخمرة الصارعة
لشاربها أو الحامضة أو الحديثة .

ومن ههنا سمي جبريل عليه السلام : روحا ، والوحى : روحا ، لأن به تكون حياة القلوب ، قال الله سبحانه : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ [الأنعام : ١٢٢] وقال في الكفار : ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ [النحل : ٢١] وقال في النفس ما تقدم ، وقال : ﴿ إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [يوسف : ٥٣] ولم يقل إن الروحَ لَأَمَّارَةٌ ؛ لأن الروح الذى هو سبب الحياة لا يأمر بسوء ، ولا يسمّى أيضاً نفساً ، كما قدمنا حتى يكتسب من الجسد الأوصاف المذكورة ، وما كان نحوها ، والماء النازل من السماء جنس واحد ، فإذا مازج أجساد الشجر كالتفاح والفرسك^(١) والحنظل والعُشْبِرِ ، وغير ذلك اختلفت أنواعه ، كذلك الروح الباطنة التى هى من عند الله ، هى جنس واحد ، وقد أضافها إلى نفسه تشريفاً لها حين قال : وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، ثم يخالط الأجساد التى خلقت من طين ، وقد كان فى ذلك الطين طيب وخبِيث ، فينزع كلُّ فرع إلى أصله ، وينزع ذلك الأصل إلى ما سبق فى أم الكتاب ، وإلى ما دبره وأحكمه الحكيم الخبير ، فعند ذلك تنفطر النفوس ، أو تتقارب ، وتتجابُّ أو تتباغض على حسب التشاكل فى أصل الخلقة ، وهى معنى قول النبي — صلى الله عليه وسلم : فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اثْنَاثِف ، وما تناكر منها اختلف . وقد كتب بعض الحكماء إلى صديق له : « إن نفسى غير مشكورة على الانقياد إليك بغير زمام ؛ فإنها صادفت عندك بعض جواهرها ، والشئ يتبع بعضه بعضاً » .

(١) الفرسك ، الخوخ أو ضرب منه أجرد أحمر ، أو ما يتفلق عن نواه والعشْر شجر يخرج من زهره وشعبه سكر .

الإنسان روح وجسد :

فصل : وقد يُعبر بالنفس عن جملة الإنسان روحه وجسده ، فتقول: عندي ثلاثة أنفس ، ولاتقول: عندي ثلاثة أرواح ، لا يعبر بالروح إلا عن المعنى المتقدّم ذكره ، وإنما اتسع في النفس ، وعبر بها عن الجملة لغلبة أوصاف الجسد على الروح ، حتى صار يسمى نفساً ، وطراً هذا الاسم بسبب الجسد ، كما يطرأ على الماء في الشجر أسماء على حسب اختلاف أنواع الشجر من حلو وحامض ومُرٌّ وحريّيف ، وغير ذلك فتحصل من مضمون ما ذكرنا ألا يقال في النفس : هي الروح على الإطلاق ، حتى تُقيد بما تقدم ، ولا يقال في الروح : هو النفس إلا كما يقال في المعنى هو الإنسان ، أو كما يقال للماء المغدّي للسكرمة هو : الخمر ، أو الخلل ، على معنى أنه ستنضاف إليه أوصاف يسمّى بها خمر أو خلا ، فتقيد الألفاظ هو : معنى الكلام ، وتنزيل كل لفظ في موضعه ، هو معنى البلاغة . فافهمه .

النفس

فصل : وإذا ثبت هذا فلم يبق إلا قول بلال : أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ ، فذكر النفس ؛ لأنه معتذر من ترك عمل أمر به ، والأعمال مضافة إلى النفس : لأن الأعمال جَسَدَانِيَّةٌ ، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم : إن الله قبض أرواحنا ، فذكر الروح الذي هو الأصل ، لأنه أنسهم من فزعهم ، فأعلمهم أن خالق الأرواح يقبضها إذا شاء ، فلا تنبسط انبساطها في اليقظة وروح النائم وإن وُصِفَ بالقبض ، فلا يدل لفظ القَبْضِ على انتزاعه بالكلية .

كما لا يدل قوله سبحانه في الظل : ﴿ ثُمَّ قَبِضْنَا إِلَيْنَا قَبِيضًا يَسِيرًا ﴾ الفرقان : ٤٦ . على إعدام الظل بالسكوية ، وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ ﴾ فلم يقل : الأرواح ، لأنه وعظ العباد الغافلين عنه ، فأخبر أنه يتوفى أنفسهم ، ثم يعيدها حتى يتوفاها ، فلا يعيدها إلى الحشر لِتَزْدَجِرَ الْفُؤُوسُ بهذه العظة عن سوء أعمالها ؛ إذ الآية مكية ، والخطاب للكفار ، وقد نزلت الألفاظ منازلها في الحديث والقرآن ، وذلك معنى الفصاحة وسر البلاغة .

ابن هرمة :

فصل : واستشهد ابن هشام بقول ابن هرمة ونسبه فقال : فهري ، وإنما هو خُلجِيٌّ ، والخُلج اسم : قيس ابن الحارث بن فهر ، واختلف في تسمية بنى

(١) في الاشتقاق : والخُلج بطن يزعمون أنهم من قريش منهم ابن هرمة الشاعر ، وفيه أيضاً : الخُلج بفتح فكسر الشاعر ، واسمه : عبد الله ، وسمى الخُلج لقوله :

كان تخالج الأشطان فيها شأبيب تجود من النوادي

وفي حاشية الاشتقاق للأستاذ عبد السلام هارون : وأما خُلج بكسر الخاء وتخفيف اللام وسكونها فهو عبد الله بن الحارث بن عمرو بن وهب ابن الحارث ، بن سعد الجهفي ، وقيل : الخُلج بفتح الخاء وكسر اللام . وفي الطبقات لابن قتيبة عنه : هو من الخُلج من قيس عيلان ، ويقال : لمنهم من قريش ، وفي الأغاني أن نسبه ينتهي إلى قيس بن الحارث ، وقيس : هم الخُلج . فلما تولى عثمان أثبتهم في بنى الحارث بن فهر ، وجعل لهم ديوانا ، فسموا الخُلج ، لأنهم اختلجوا عما كانوا عليه من عدوان ، وورد عن ابن هرمة في سمط اللالي للبكري ما نصه : إبراهيم بن علي بن سلمة من هرمة من خُلج

مقيس بن الحارث الخُلج ، فمقيس : لأنهم اختلجوا من قريش وسكان مكة ،
وقيل : لأنهم نزلوا بموضع فيه خلج من ماء ، ونسبوا إليه ، وابن هرمة واسمه :
إبراهيم بن علي بن هرمة ، وهو شاعر من شعراء الدولة العباسية ، وبيته :

وَإِذَا هَرَقْتَ بِكُلِّ دَارٍ عَيْبَةً نَزِفَ الشُّثُونُ وَدَمَعَكَ الْيَنْبُوعُ

والشُّثُونُ : مجارى الدمع ، وهي أطباق الرأس ، وهي أربعة للرجل ،
وثلاثة للمرأة ، كذلك ذكروا عن أهل التشريح ، وكذلك ذكر قاسم بن ثابت
في الدلائل ، فالله أعلم .

من شرح الآيات :

وكل ما شرح ابن هشام من الآيات التي تلاها ابن إسحاق ، فقد تقدم
ما يحتاج بيانه منه ، وفي قوله سبحانه : ﴿ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ ﴾ دليل على أن البيت
يراد به : القصر والمنزل ، وإن كان عظيماً ، فإنه يسمى بيتاً كما قدمنا في شرح
بيت القصب في حديث خديجة .

== قريش - بزيادة : ابن سلمة قبل ابن هرمة - والخلج هو : قيس بن الحارث بن
فهر ، سموا بذلك لأنهم كانوا في عدوان ، ثم في هوازن ، فلما استخلف عمر
أتوه ليفرض لهم ، فأنكر نسبهم ، فلما استخلف عثمان أتوه ، فأثبتهم في بني الحارث
ابن فهر ، فسموا بذلك : الخُلج ، لأنهم اختلجوا من كانوا معه ، ثم ذكر أن
الموضع الذي نزلوا فيه كان على خالج بالمدينة . وأن ابن هرمة من متقدمي الشعراء
ومن أدرك الدولتين الأموية والهاشمية يكنى أبا إسحاق . . وفي السيرة : لإبراهيم بن
عبد الله ، وهند مصعب الزبيرى عن السكبي ورد نسبه : سلمة بن عامر بن هرمة بن
الهديل بن ربيع بن عامر بن صبيح بن كنانة بن عدى بن قيس بن الحارث بن فهر
انظر ٢٩٨ سمط اللآلى ، والمذهبي يضبط الخُلج بضم فسكون

(م ١٣ - الروض الأفج ٣)

مزنة جهنم وأبو الأشرين :

فصل : وذكر ابن إسحاق قول أبي جهل مستهزئاً : يزعم محمد أن جنود ربه التي يخوفكم بها تسعة عشر ، وأنتم الناس ، إلى آخر القصة . وأهل التفسير يعزون هذه المقالة إلى أبي الأشدّين الجُمجِي (١) ، واسمه : كَلَدَة بن أُسَيْد بن خلف ، وأبو دَهَبِل الشاعر هو ابن أخيه ، واسمه : وَهْب بن زَمَعَة بن أُسَيْد بن خلف ابن وَهْب بن حُدَافَة بن جُمج ، وكانت عند أبي دَهَبِل التَّوْأَمَة التي يعرف بها صالح مولى التَّوْأَمَة ، وهي أخت عبد الله بن صَفْوَان بن أمية ، ولدت له عبد الرحمن قتل يوم الجمل ، وأنه قال : ا كفوني منهم اثنين ، وأنا أ كفيكم سبعة عشر إعجاباً منه بنفسه ، وكان بلغ من شدته - فيما زعموا - أنه كان يقف على

(١) وقيل كما ذكر ابن أبي حاتم : إن رهطاً من اليهود سألوا رجلاً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن خزنة جهنم ، فقال : الله ورسوله أعلم ، فجاء رجل ، فأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم ، فأنزله تعالى عليه ساعته : (عليه السلام تسعة عشر) الخ .

وهناك رواية أخرى للترمذي وأحمد والبخاري أن رجلاً جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له : غلب أصحابك اليوم ، فقال : بأى شيء ، قال : سألتهم يهود : هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار - ؟ قالوا : لا نعلم حتى نسأل نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أفغلب قوم يستلون عما لا يعلمون ، فقالوا : لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم - على بأعداء الله ، لكنهم قد سألوا نبيهم أن يريهم الله جهره ، فأرسل إليهم محمد فدعاهم ، قالوا : يا أبا القاسم : كم عدة خزنة أهل النار : قال : هكذا ، وطبق كعين منهم طبق كفيه مرتين ، وعقد واحدة الخ

جلد البقرة، ويجاذبه عشرة، لينتزعه من تحت قدمه، فيتمزق الجلد، ولا يتزحزح عنه، وقد دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المصارعة، وقال: إن صرعتني آمنت بك، فصرعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم مراراً، فلم يؤمن، وقد نسب ابن إسحاق خير المصارعة إلى رُكَّانة بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب، وسيأتي في الكتاب والله أعلم، وأما ما قال أهل التأويل في خزنة جهنم التسعة عشر، فروى عن كعب أنه قال: بيد كل واحد منهم عمود له شُعْبَتَانِ، وإنه ليدفع بالشعبة تسعين ألفاً إلى النار، وقد أملينا في معنى أبواب الجنة وأبواب النار فأدلة عددها وتسميتها، وذكر الزبانية، والحكمة في كونهم عدداً قليلاً مستلثةً في قريب من جزء، فلتنظر هناك.

بريت الرسول «ص» أنه بشرنا يعلم:

فصل: وذكر قول قريش: إنما يعلمه رجل باليمامة يقال له: الرحمن، وإنا لا نؤمن بالرحمن، فأنزل الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ قُلْ: هُوَ رَبِّي﴾ كان مُسَيِّمَةً بن حبيب الخنفي، ثم أحمد بن الدؤل قد تسمى: بالرحمن في الجاهلية، وكان من المعمرين، ذكر وَثِيمة بن موسى أن مسيامة تسمى بالرحمن قبل أن يولد عبدُ الله أو رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم .

كبير:

وأنشد في تفسير الزبانية:

الذين استمعوا إلى قراءة النبي (ص)

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث : أن
أبا سفيان بن حرب ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب
الثقفى حليف بنى زهرة ، خرجوا ليلة ؛ ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وهو يصلي من الليل في بيته ، فأخذ كل رجلٍ منهم مجلسا يستمع فيه ،
وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجرُ تفرقوا .
فجمعهم الطريقُ ، فتلاّوا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رأيتم بعضُ
سُفهاءكم لأوقفتم في نفسه شيئا ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية ،
عاد كل رجلٍ منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجرُ تفرقوا ،
فجمعهم الطريقُ ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أوّل مرة ، ثم انصرفوا . حتى

ومن كبيرٍ نقره زبانيه^(١)

وجدت في حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت : كبير : حتى من هذيل
قال المؤلف : وفي أسد أيضا : كبير بن غنم بن دودان بن أسد ، ومن ذريته :
بنو جحش بن ريان بن يعمر بن صبوة بن مرة بن كبير^(٢) ولعل الراجز أن
يكون أراد هؤلاء ، فإنهم أشهر ، والله أعلم ، وبنو كبير أيضا : بطن من بنى غامد ،
وهم من الأزد ، والذي تقدم ذكره من هذيل هو : كبير بن طابجة بن حليان
ابن سعد بن هذيل .

(١) سبق ذكر الأحاديث التي وردت في هذا الشأن ، والذي نقله السهيلي عن كعب
الاحبار في أمر خزنة جهنم لا سند له

(٢) من شعراء هذيل من كنيته أبو كبير ، وفي اللسان : كبير بن هند : حتى من هذيل .

إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبْرُحُ حتى نتماهد ألا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا .

فلما أصبح الأحنسُ بن شَرِيْقٍ أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أباسفيان في بيته ، فقال : أخبرني يا أباحنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ، فقال : يا أبانعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها ، وأعرف ما يُراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يُراد بها ، قال الأحنسُ : وأنا والذي حلفت به .

قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم ، مارأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تمخاذينا على الرؤى كعب ، وكُنَّا كَقَرَسَى رِهَانٍ ، قالوا : منأ نبي يأتيه الوحى من السماء ، فنتى نُدرك مثل هذه ، والله لا نُؤمن به أبداً ، ولا نصدقَه . قال : فقام عنه الأحنسُ وتركه .

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إذا تلا عليهم القرآن ، ودعاهم إلى الله ، قالوا يهزمون به : (قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه) لانفقه ماتقول : (وفي آذاننا وقْر) لانسمع ما تقول : (ومن بيننا وبينك حجابٌ) قد حال بيننا وبينك (فاعمل) بما أنت عليه (إننا عاملون) بما نحن عليه ، إننا لانفقه عنك شيئاً ، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قولهم : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ﴾

الْقُرْآنَ جَمَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾
إلى قوله : ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أذْبَارِهِمْ
نُفُورًا ﴾ الإسراء : ٤٥ ، ٤٦ أى : كيف فهموا توحيدك ربك إن كنت جملت
على قلوبهم أكمة ، وفي آذانهم وقراً ، وبينك وبينهم حجاباً بزعمهم ؛ أى :
إني لم أفعل ذلك . ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ، إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ :
وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ، إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ : إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾
الإسراء : ٤٧ أى : ذلك ماتوا صواً به من ترك ما بعثتكم به إليهم . ﴿ انظُرْ :
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ الإسراء : ٤٨
أى : أخطأوا المثل الذى ضربوا لك ، فلا يُصيبون به هدى ، ولا يعتدل
لهم فيه قول ﴿ وَقَالُوا : أءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أُنَّا لَنَتَّبِعُوكُم مَّوَدَّعِينَ
جَدِيدًا ﴾ أى : قد جئتُم نخبرنا : أُنَّا سُدُبُثْ بَعْدَ مَوْتِنَا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا
وذلك ما لا يكون . ﴿ قُلْ : كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ، أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ
فِي صُدُورِكُمْ ، فَسَيَقُولُونَ : مَنْ يُعِيدُنَا ، قُلْ : الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾
الإسراء : ٤٩ - ٥١ : الذى خلقكم مما تعرفون ، فليس خلقكم من تراب
بأعز من ذلك عليه .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس
رضي الله عنهما ، قال : سألته عن قول الله تعالى : ﴿ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي
صُدُورِكُمْ ﴾ ما الذى أراد الله به ؟ فقال : الموت .

تذكر عدوان المشركين على المستضعفين من أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن إسحاق : ثم إنهم عدوا على من أسلم ، وأتبع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحسبونهم ويمعدونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم ، يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه ، ومنهم من يضلب لهم ، ويعصمه الله منهم .

تعذيب بلال وعتقه

وكان بلال مولى أبي بكر رضى الله عنهما ، لبعض بنى جحج ، مؤلداً من مولديهم ، وهو بلال بن رباح ، وكان اسماً أمه : حمامة ، وكان صادق الإسلام طاهر القلب ، وكان أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جحج يخرجها إذا سميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لاتزال هكذا حتى تموت ، أو تكفر بمحمد فتعبد اللات والعزى ؛ فيقول وهو في ذلك البلاء : أحد أحد .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يمذب بذلك ، وهو يقول : أحد أحد ، فيقول : أحد ، أحد ، والله يا بلال ، ثم يقبل على أمية بن خلف ، ومن يصنع ذلك به من بنى جحج ، فيقول : أحلف بالله لئن قتلتهموه على هذا لأخذنّه حنّانا ، حتى مرّ به أبو بكر

الصدّيق بن أبي نُحَافَةَ - رضى الله عنه - يوماً ، وهم يصنعون ذلك به ، وكانت دارُ أبي بكرٍ في بني جُحَح ، فقال لأمية بن خَاف : ألا تتقى الله في هذا المسكين؟! حتى متى ؟ قال : أنت الذى أفسدته ، فأنقذه مما ترى ، فقال أبو بكرٍ : أفعَلْ عندى غلام أسودٌ أُجَلدُ منه وأقوى ، على دينك ، أُعْطيكه به ، قال : قد قبلتُ فقال : هولك . فأعطاه أبو بكرٍ الصديقُ رضى الله عنه غلامه ذلك وأخذَه فأعتقه .

من عتقاه أبى بكر

ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب ، بلالٌ سابعهم : عامر بن فهيرة ، شهيد بدرًا وأحدًا ، وقُتِلَ يوم بئر معونة شهيداً ، وأمُّ شُمَيْسٍ وَزَيْنَبُ ، وأصيب بصرها حين أعتقها ، فقالت قُرَيْش : ما أذهب بصرها إلا اللات والأُمزى ؛ فقالت : كذبوا - وبيت الله - ما تضر اللات والأُمزى ، وما تنفعان ، فردَّ اللهُ بصرها .

وأعتق النهدية وبناتها ، وكانت لامرأة من بنى عبد الدار ، فربهنها وقد بعثتهما سيدهما بطحين لها ، وهى تقول : والله لا أعتقكما أبداً ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : حيلًا يا أمَّ فلان ، فقالت : حلٌّ ، أنت أفسدتهما فأعتقتهما ؛ قال : فبكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا ، قال : قد أخذتُهما وما حُرَّتَانِ ، أَرْجعهما إليهما طحينها ، قالتا : أو نفرغ منه يا أبا بكر ، ثم نردّه إليهما؟! قال : وذلك إن شئتما .

ومرَّ بجارية بنى مؤمِّل ، حتى من بنى عدى بن كعب ، وكانت مسلمة .

وعمر بن الخطاب يُعذّبها لترك الإسلام ، وهو يومئذ مشركٌ وهو يضربها ، حتى إذا ملّ قال : إني أعتذر إليك ، إني لم أتركك إلا مَلَأَةً ، فتقول : كذلك فعل الله بك ، فابتاعها أبو بكر ، فأعتقها .

بين أبي بكر وأبيه

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق ، عن عامر ابن عبد الله بن الزبير ، عن بعض أهله ، قال :

قال أبو جحافة لأبي بكر : يا بُنَيَّ ، إني أراك تُعْتِقُ رِقَابًا ضِعَافًا ، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جُلْدًا يمنعونك ، ويقومون دونك ؟ قال : فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا أبتِ ، إني إنما أريد ما أريد ، لله عزّ وجل ، قال : فَيُتَحَدَّثُ أَنَّهُ مَا نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ إِلَّا فِيهِ ، وَفِيهَا قَالَهُ أَبُوهُ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى ، وَانْتَمَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ الليل : ٥ ، ٦ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ الليل : ١٩ ، ٢١ .

تعذيب عمار بن ياسر

قال ابن إسحاق : وكانت بنو نَجْرُومٍ يَخْرُجُونَ بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ، وَبِأَبِيهِ - وَأُمِّهِ - وَكَانُوا أَهْلَ بَيْتِ إِسْلَامٍ - إِذَا حَمَيْتِ الظَّهِيرَةَ ، يُعَذِّبُونَهُمْ بِرَمْضَاءِ مَكَّةَ ، فَيَعْرِتُّ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَيَقُولُ ، فَيَمَّا بَلَغَنِي : صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ ، مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةَ . فَأَمَّا أُمُّهُ فَقَتَلُوهَا ، وَهِيَ تَأْتِي إِلَّا الْإِسْلَامَ .

وكان أبو جهل الفاسق الذي يُغري بهم في رجال من قريش ، إذا سمع

.....

بِالرَّجُلِ قَدْ أَسْلَمَ ، لَهُ شَرَفٌ وَمَنْعَةٌ أَنْبَى وَأَخْزَاهُ وَقَالَ : تَرَكْتَ دِينَ أَبِيكَ
بِهِ وَهُوَ خَيْرٌ مِنْكَ : لَنْسُفَنَنَّ حِلْمَكَ وَلَنْفَيِّنَنَّ رَأْيَكَ ، وَلَنْضَعَنَّ شَرَفَكَ ،
وَإِنْ كَانَ تَاجِرًا ، قَالَ : وَاللَّهِ لَنْكَسِدَنَّ تِجَارَتَكَ ، وَلَنْهَلِكَنَّ مَالُكَ ، وَإِنْ كَانَ
ضَعِيفًا ضَرَبَهُ وَأَغْرَى بِهِ .

فتنة المعذبين

قال ابن إسحاق : وحدثني حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير ، قال :
قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم من العذاب ما يُعذرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم ، والله ،
إن كانوا ليضربون أحدهم ، ويُجيعونه ، ويُعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي
سجالسا من شدة الضر الذي نزل به ، حتى يُعطيه ما سأله من الفتنة ، حتى
يقولوا له ، آلاتُ والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، حتى إن الجعل
سليم بهم ، فيقولون له : أهذا الجعل إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتداء
منهم مما يبلغون من جهده .

رفض تسليم الوليد لتقتله قريش

قال ابن إسحاق : وحدثني الزبير بن عكاشة بن عبد الله بن أبي أحمد
أنه حدث أن رجلا من بني مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد ، حين أسلم
أخوه الوليد بن الوليد ، وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد
أسلبوا ، منهم : سلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة . قال : فقالوا له —
سوخشوا شرهم : إنا قد أردنا أن نمتب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذي
تأحدثوا ، فإننا نأمن بذلك في غيرهم . قال : هذا ، فماليكم به . فماتبوه وإياكم
سوفنفسه . وأنشأ يقول :

.....

أَلَا لَا يُقْتَلَنَّ أَخِي عُمَيْشٌ فَيَبْقَى بَيْنَنَا أبدأً تَلَاحِي

احذروا على نفسه ، فأقسم بالله انن قتلتموه ، لأقتلن أشرفكم رجلاً . قال :
فقالوا : اللهم العنه . من يُفترّر بهذا الخبيث ، فوالله لو أصيب في أيدينا لقتل
أشرفنا رجلاً . قال : فتركوه ونزَعوا عنه . قال : وكان ذلك مما دفع الله به عنهم .

ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : فلما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
حايصيب أصحابه من البلاء . وما هو فيه من العافية . بمكانه من الله ، ومن عمه أبي
طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمتنعهم مما هم فيه من البلاء . قال لهم : لو خرجتم
إلى أرض الحبشة ، فإن بها مآسكا لا يُظلم عنده أحد . وهي أرض صدق ، حتى
يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه ، نخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أرض الحبشة ، مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله
يدينهم . فكانت أول هجرة كانت في الإسلام .

أصحاب الهجرة الأولى إلى الحبشة

وكان أول من خرج من المسلمين من بنى أمية بن عبد شمس
ابن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب
ابن فهر : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، معه امرأته : رقية بنت
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن بني عبد شمس بن عبد مناف : أبو خديفة

.....

ابن عُثْبَةَ بن رَبِيعَةَ بن عَبْدِ شَمْسٍ ، معه امرأته : سَهْلَةُ بنت سَهَيْلِ بن عمرو ، أحد
بنى عامر بن لُؤَيٍّ ، ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبي حُدَافَةَ . ومن بنى أسد
ابن عبد العُزْزِيِّ بن قُصَيٍّ : الزُّبَيْرِ بن العوام بن مُخَوَّلِجِ بن أسد . ومن بنى
عبد الدار بن قُصَيٍّ : مُضْعَبِ بن مُعَمَّرِ بن هاشم بن عبدمناف بن عبد الدار . ومن
بنى زُهْرَةَ بن كِلَابِ : عبد الرحمن بن عَوْفِ بن عبد عَوْفِ بن عبد بن الحارث
ابن زُهْرَةَ . ومن بنى نَحْزُومِ ابن يَقْظَةَ بن مُرَّةَ : أبو سَلَمَةَ بن عبد الأسد بن
هِلالِ بن عبد الله بن عُمرِ بن نَحْزُومِ ، معه امرأته أُمُّ سَلَمَةَ بنت أبي أُمَيَّةَ
ابن المُغِيرَةَ بن عبد الله بن عُمرِ بن نَحْزُومِ . ومن بنى جُمَحِ بن عمرو بن هُصَيْيصِ
بن كعب : عَمَّانُ بن مَظْعُونِ بن حَبِيبِ بن وَهَبِ بن مُحْدَاةِ بن جُمَحِ . ومن
بنى عدى بن كعب : عامر بن ربيعة ، حليف آل الخطاب ، من عنز بن وائل معه
امرأته : لَيْلَى بنت أبي حَثْمَةَ بن حُدَافَةَ بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عَوْفِ
بن عبيد بن عُويجِ بن عدى بن كعب . ومن بنى عامر بن لُؤَيٍّ أبو سَكْبَرَةَ
ابن أبي رُهْمِ بن هبذ العُزْزِيِّ بن أبي قَيْسِ بن عبد وُدِّ بن نصر بن مالك
ابن حَسِلِ بن عامر ، ويقال : بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدِّ
ابن نصر بن مالك بن حَسِلِ بن عامر .

ويقال : هو أول من قدمها . ومن بنى الحارث بن فهر : سهيل بن بيضاء ،
وهو : سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضَبَّةِ بن الحارث .
فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، فيما بلغني .
قال ابن هشام : وكان عليهم عمان بن مظعون ، فيما ذكر لي بعض
أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ثم خرج جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ،
وتتابع المسلمون ، حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكانوا بها ، منهم من خرج
بأهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه .

المهاجرون من بنى هاشم وبنى أمية

ومن بنى هاشم بن عبد مناف بن قُصَيِّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب
ابن لُؤَيِّ بن غالب بن فهر : جعفرُ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ،
معه امرأته : أسماء بنت عُمَيْس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم ،
ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر ، رجل .

ومن بنى أمية بن عبد شمس بن عبدمناف : عثمان بن عفان بن أبي العاص
ابن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته : رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وعمر بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته : فاطمة بنت صقوان
ابن أمية ابن مُحَرَّر بن حَمَل بن شِقِّ بن رَقَبَةَ بن مُخَدِّج الكنانى ، وأخوه
خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته : أُمَيَّة بنت خلف بن أسعد
ابن عامر بن بياضة بن سُبَيْع بن جُعْمَةَ بن سعد بن مُلَيْح بن عمرو ، من خزاعة
قال ابن هشام : ويقال : هُمَيْمَة بنت خلف .

قال ابن إسحاق : ولدت له بأرض الحبشة سعيد بن خالد ، وأمة بنت
خالد ، فتزوج أمة بعد ذلك الزبير بن العوام ، فولدت له عمرو بن الزبير ،
وخالد بن الزبير .

المهاجرون من بني أسد وبني عبد شمس

ومن حلفائهم ، من بني أسد بن خزيمه : عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد ؛ وأخوه عبید الله بن جحش ، معه امرأته : أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية ، وقيس بن عبد الله ، رجل من بني أسد بن خزيمه ، معه امرأته بركة بنت يسار ، مولاة أبي سفيان بن حرب بن أمية ، ومُعَيْقِب بن أبي فاطمة ، وهؤلاء آل سَعِيد بن العاص ، سبعة نفر .

قال ابن هشام : مُعَيْقِب من دؤس .

قال ابن إسحاق : ومن بني عبد شمس بن عبد مناف ، أبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وأبو موسى الأشعري ، واسمه : عبد الله ابن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة ، رجلا .

المهاجرون من بني نوفل وبني أسد

ومن بني نوفل بن عبد مناف : عُتْبَةُ بن غزوان بن جابر بن وهب ابن نسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن مَنصُور بن عكرمة بن خَصَمَة ابن قيس بن عيلان ، حليف لهم ، رجل .

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصى : الزبير بن العوام بن خويلد ابن أسد ، والأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد ، ويزيد بن زَمعة بن الأسود ابن المُطَلَب بن أسد . وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد ، أربعة نفر .

المهاجرون من بني عبد وعبد الدار ولدى قصى

ومن بني عبد بن قصى : طليب بن عمير بن وهب بن أبي كثير بن عبد
[ابن قصى] رجل .

ومن بني عبد الدار بن قصى : مُصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف .
ابن عبد الدار ، وسويط بن سعد بن حرمة بن مالك بن عميلة بن السباق .
ابن عبد الدار ، وجهم بن قيس بن عبد شريحيل بن هاشم بن عبد مناف .
ابن عبد الدار ، مع امرأته أم حرمة بنت عبد الأسود بن جذيمة بن أفيش بن عامر .
ابن بياضة بن سبيع بن جعثة بن سعد بن مليح بن عمرو ، من خزاعة ، وابناه :
عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم ، وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف .
ابن عبد الدار ، وفراس بن النضر بن الحارث بن كلفة بن علقمة بن عبد مناف .
ابن عبد الدار ، خمسة نفر .

المهاجرون من بني زهرة وبني هذيل وبهراء

ومن بني زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد
ابن الحارث بن زهرة ، وعامر بن أبي وقاص ، وأبو وقاص : مالك بن أهيب .
ابن عبد مناف ابن زهرة ، والمطلب بن أزر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث .
ابن زهرة ، مع امرأته : رمة بنت أبي عوف بن ضبيرة بن سعيد بن سعد .
ابن سهم ، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب .

ومن حلفائهم من هذيل : عبد الله بن مسعود بن الحارث بن شمع .

ابن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، وأخوه:
عُتْبة بن مسعود.

ومن بهراء: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة
ابن مطرود بن عمرو بن سعد بن زهير بن لؤي بن ثعلبة بن مالك بن الشريد
ابن أبي أهوز بن أبي فائس بن دريم بن القين بن أهود بن بهراء بن عمرو
ابن الحاف بن قضاة.

قال ابن هشام: ويقال هزل بن فاس بن ذر، ودهير بن ثور.
قال ابن إسحاق: وكان يقال له: المقداد بن الأسود بن عبد يغوث
ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة، وذلك أنه تبناه في الجاهلية، وحالقه،
سنة نفر.

المهاجرون من بني تميم وبني مخزوم

ومن بني تميم بن مرة: الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن عمرو
ابن كعب بن سعد بن تميم، معه امرأته ربيعة بنت الحارث بن جبلة بن عامر
ابن كعب بن سعد بن تميم، ولدت له بأرض الحبشة موسى بن الحارث،
وعائشة بنت الحارث، وزينب بنت الحارث، وفاطمة بنت الحارث، وعمرو
ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم، رجлан.

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة: أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال
ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، ومعه امرأته: أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة

ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ولدت له بأرض الحبشة زينب بنت أبي سلمة ،
واسم أبي سلمة : عبد الله ، واسم أم سلمة : هند . وشماس بن عثمان بن الشريد
ابن سويد بن هرمي بن عامر بن مخزوم .

من سيرة الشماس

قال ابن هشام : واسم شماس : عثمان ، وإنما سمي شماساً ؛ لأن شماسا من
الشماسية ، قدم مكة في الجاهلية ، وكان جميلاً فمحبب الناس من جماله ، فقال
عتبة بن ربيعة - وكان خال شماس : أنا آتيتكم بشماس أحسن منه ، فجاء ابن أخته
عثمان بن عثمان ، فسمى : شماساً . فيما ذكر ابن شهاب وغيره .

قال ابن إسحاق : وهبّار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله
ابن عمر بن مخزوم ، وأخوه عبد الله بن سفيان ، وهشام بن أبي حذيفة
ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وسلمة بن هشام بن المغيرة
ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعيَّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله
ابن عمر بن مخزوم .

المهاجرون من حلفاء بني مخزوم ومن بني جمح

ومن حلفائهم : مُعْتَب بن عَوْف بن عامر بن الفضل بن عفيف بن كليب
ابن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو ، من خزاعة ، وهو الذي يُقال له :
عَيْهامة ، ثمانية نفر .

قال ابن هشام : ويقال : حُبْشِيَّة بن سلول ، وهو الذي يُقال له مُعْتَب
ابن حراء .

ومن بنى مُجَمِّح بن عمرو بن هُصَيْيص بن كعب : عثمانُ بن مَظْعُونِ
ابن حَبِيب بن وَهَب بن حُذَافَةَ بن مُجَمِّح ، وابنه : السائب بن عثمان ، وأخواه :
قُدَامَةُ بن مَظْعُون ، وعبدُ اللَّهِ بن مَظْعُون ، وحاطب بن الحارث بن مَعْمَر
ابن حَبِيب بن وَهَب بن حُذَافَةَ بن مُجَمِّح ، معه امرأته : فاطمة بنت الْمُجَلَّلِ
ابن عبد الله بن أبي قَيْسِ بن عبدود بن نَضْر بن مالك بن حِيسَل بن عامر ،
وابناه : محمد بن حاطب ، والحارث بن حاطب ، وهالِبتُ الْمُجَلَّلِ ، وأخوه : حطَّاب
ابن الحارث ، معه امرأته فُكَيْهَةُ بنت يسار ، وسُفْيَان بن مَعْمَر بن حَبِيب
ابن وَهَب بن حُذَافَةَ بن مُجَمِّح ، معه ابناه جابر بن سُفْيَان ، وجُنَادَةُ بن سُفْيَان ،
ومعه امرأته حَسَنَةُ ، وهى أمهما ، وأخوهما من أمهما : شَرْحَبِيل بن حَسَنَةَ ،
أحد الغوث .

قال ابن هشام : شرحبيل بن عبد الله أحد الغوث بن مُرَّ ، أخى تميم
ابن مُرَّ .

المهاجرون من بنى سهم وبنى عدى وبنى عامر

قال ابن إسحاق : وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حُذَافَةَ بن مُجَمِّح
أحد عشر رجلاً .

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيْيص بن كعب : خُنَيْس بن حُذَافَةَ بن
قَيْس بن عدى بن سعد بن سَهْم ، وعبد الله بن الحارث بن قَيْس بن عدى
ابن سعد بن سهل ، وهشام بن العاص بن وائل بن سعد بن سهم .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم .

قال ابن إسحاق : وقيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وعبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، والحارث بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، ومعمّر بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وبشر بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وأخ له من أمه من بني تميم ، يقال له : سعيد بن عمرو ، وسعيد بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، والسائب بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وعمير بن رباب بن حذيفة بن مہشم بن سعد بن سهم ، ومحمية بن الجزاء ، حليف لهم ، من بني زبيد ، أربعة عشر رجلاً .

ومن بني عدى بن كعب : معمّر بن عبد الله بن نضلة بن عبد العزى بن حُرثان بن عوف بن عبید بن عويج بن عدى ، وعروة بن عبد العزى بن حُرثان بن عوف بن عبید بن عويج بن عدى ، وعدى بن نضلة بن عبد العزى بن حُرثان بن عوف بن عبید بن عويج بن عدى ، وابنه النعمان بن عدى ، وعامر بن ربيعة ، حليف لآل الخطّاب ، من عنز بن وائل ، معه امرأته : ليلي بنت أبي حثمة بن غانم . خمسة نفر .

ومن بني عامر بن لوئى : أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، معه امرأته :

• • • • •

أُمُّ كَلْبُومُ بِنْتُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِوُدِّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ
ابْنِ حِيسَلِ بْنِ عَامِرٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَخْرَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْعَزْمِيِّ بْنِ أَبِي قَيْسِ بْنِ
عَبْدُوُدِّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِيسَلِ بْنِ عَامِرٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو
ابْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِوُدِّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِيسَلِ بْنِ عَامِرٍ ، وَسَلَيْطُ بْنُ
عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِوُدِّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِيسَلِ بْنِ عَامِرٍ ، وَأَخُوهُ :
السَّكْرَانُ بْنُ عَمْرٍو ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ : سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ
ابْنِ عَبْدِوُدِّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِيسَلِ بْنِ عَامِرٍ ، وَمَالِكُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسِ
ابْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِوُدِّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِيسَلِ بْنِ عَامِرٍ ، مَعَهُ امْرَأَتُهُ :
عَمْرَةَ بِنْتُ السَّعْدِيِّ بْنِ وَقْدَانَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِوُدِّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ
حِيسَلِ بْنِ عَامِرٍ ، وَحَاطِبُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِوُدِّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ
ابْنِ حِيسَلِ بْنِ عَامِرٍ ، وَسَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ ، حَلِيفُ لَهُمْ . ثَمَانِيَةَ نَفَرٍ .

قال ابن هشام : سعد بن خولة من اليمن .

المهاجرون من بني الحارث

قال ابن إسحاق : ومن بني الحارث . بن فهر : أبو عبيدة بن الجراح ،
وهو : عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث
ابن فهر ، وسُهَيْلُ بْنُ بَيْضَاءَ ، وهو : سُهَيْلُ بْنُ وَهْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ هَلَالِ بْنِ
أَهْيَبِ بْنِ ضَبَةَ بْنِ الْحَارِثِ ، وَلَكِنْ أُمُّهُ غَلِبَتْ عَلَى نَسَبِهِ ، فَهُوَ يَنْسَبُ إِلَيْهَا ،
وهي : دَعْدُ بِنْتُ جَعْدَمِ بْنِ أُمَيَّةِ بْنِ ظَرِبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ فَهْرِ ، وَكَانَتْ

.

تدعى : بِيضاء ، وعمرو بن أبي سَرَح بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضَبَّة
ابن الحارث ، وعِيَاض بن زُهَيْر بن أبي شَدَّاد بن ربيعة بن هلال بن أهيب
ابن ضَبَّة بن الحارث ، ويقال : بل ربيعة بن هلال بن مالك بن ضَبَّة
ابن الحارث ، وعمرو بن الحارث بن زُهَيْر بن أبي شَدَّاد بن ربيعة بن هلال بن مالك
ابن ضبة بن الحارث ، وعثمان بن عَبدِ غَمِّم بن زُهَيْر بن أبي شَدَّاد بن ربيعة
ابن هلال بن مالك بن ضَبَّة بن الحارث ، وسعد بن عبد قَيْس بن لَقِيْط بن عامر
ابن أمية بن ظَرَب بن الحارث بن فهر ، والحارث بن عبد قَيْس بن لَقِيْط
ابن عامر بن أمية بن ظَرَب بن الحارث بن فهر . ثمانية نفر .

عدد الذين هاجروا إلى الحبشة

فكان جميع من لحق بأرض الحبشة ، وهاجر إليها من المسلمين ، سوى
أبنائهم الذين أخرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها ، ثلاثة وثمانين رجلاً ، إن
كان عمَّار بن ياسر فيهم ، وهو يُشك فيهِ .

من شعر الهجرة الحبشية

وكان مما قيل من الشعر في الحبشة ، أن عبد الله بن الحارث بن قيس
ابن عدى بن سعد بن سَهْم ، حين أمّنوا بأرض الحبشة ، وحمدوا جِوار
النجاشي ، وعبدوا الله ، لا يخافون على ذلك أحداً ، وقد أحسن النجاشي
جوارهم حين نزلوا به ، قال :

يا رَاكِباً بَلَّغْنِي عَنِّي مُغْلَقَةً مَنْ كَانَ يَرْجُو بِلَاغَ اللَّهِ وَالِدِينَ
كُلِّ امْرِئٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مُضْطَهَدٍ بِيَطْنِ مَكَّةَ مَقْمُورٍ وَمَقْتُونِ

أَنَا وَجَدْنَا بِلَادَ اللَّهِ وَاسِعَةً تُنَجِّي مِنَ الذَّلِّ وَالْمَخْزَاةِ وَالْهُونِ
فَلَا تُقِيمُوا عَلَى ذُلِّ الْحَيَاةِ ، وَخِزْيِ فِي فِي الِئَمَاتِ ، وَعَيْبِ غَيْرِ مَأْمُونِ
إِنَّا تَبِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاطَّرَحُوا قَوْلَ النَّبِيِّ ، وَعَالُوا فِي التَّوَازِينِ
فَاجْعَلْ عَذَابَكَ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ بَغَوْا وَعَائِذَا بِكَ أَنْ يَغْلُوا فَيُظْفَرُونِي

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً ، يذكر نفي قريش إياهم من بلادهم ، ويعاتب
بعض قومه في ذلك :

أَبْتُ كَيْدِي لِأَكْذِبِنِكَ قَتْلَهُمْ عَلِيَّ ، وَتَأْبَاهُ عَلِيَّ أَنَامِلِي
وَكَيْفَ قِتَالِي مَفْشَرًا أَدْبُوكُمْ عَلِيَّ الْحَقَّ أَنْ لَا تُأَشِيبُوهُ بِبَاطِلِ
نَفْتَهُمْ عِبَادَ الْجَنِّ مِنْ حُرِّ أَرْضِهِمْ فَاضْحَوْا عَلِيَّ أَمْرَ شَدِيدِ الْبَلَابِلِ
فَإِنْ تَكُنْ كَانَتْ فِي عَدِي أَمَانَةٌ

عدي بن سعد عن مقي ، أو تواصل
فقد كنت أرجو أن ذلك فيكم
وبدلت شبلاً شبل كل خبيثة
وقال عبد الله بن الحارث أيضاً :

وَتَلَكُ قُرَيْشٌ تُجَدِّدُ اللَّهُ حَمَّهُ كَمَا جَعَدَتْ عَادٌ وَمَدْيَنُ وَالْحِجْرُ
فَإِن أَنَا لَمْ أُبْرِقْ فَلَا يَسْعَنِي مِنَ الْأَرْضِ بَرٌّ ذُو فَضَاءٍ وَلَا بَحْرُ
بَارِضٍ بِهَا عَبْدُ الْإِلَهِ مُحَمَّدٌ أُبَيِّنُ مَا فِي النَّفْسِ إِذْ بَلَغَ النَّقْرُ

فسمي عبد الله بن الحارث - رحمه الله - لبيته الذي قال: **الْبُرِّقُ** .
وقال عثمان بن مظعون **يُعَانِبُ أُمَيَّةَ** بن خَلَفِ بن وَهَبِ بن حُدَافَةَ بن جُمَحِ ،
وهو ابن عمِّه ، وكان يُؤذِيهِ في إسلامه ، وكان أُمَيَّةَ شريفًا في قومه في زمانه
بذلك :

أَتَيْمَ بنِ عَمْرُو لِّلَّذِي جَاءَ بِفِضَّةٍ
وَمِنْ دُونِهِ الشَّرْمَانِ وَالْبَرْكِ أَكْتَمُعُ
نَأْخَرَجْتَنِي مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ آمِنًا وَأَسْكَنْتَنِي فِي صَرْحِ بَيْضَاءَ تَقْدَعُ
تَرِيشَ نَيْبَالًا لَا يُوَاتِيكَ رِيْشُهَا وَتَبْرَى نَيْبَالًا رِيْشُهَا لَكَ أَجْمَعُ
وَحَارَبْتَ أَقْوَامًا كِرَامًا أَعِزَّةً
وَأَهْلَكْتَ أَقْوَامًا بِهِمْ كُنْتَ تَفْرَعُ
سَقَمْتُ لِمَنْ نَابَتَكَ يَوْمًا مُلَمَّةً وَأَسْلَمَكَ الْأَوْبَاشَ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ
وتيم بن عمرو ، الذي يدعو عثمان ، جمح ، كان اسمه : تَيْمًا .

حول آيات من القرآن :

فصل : وذكر استماع أبي جهل وأبي سفيان والأخنس إلى قول أبي جهل :
فلما تجاذبنا على الرُّكْبِ . وقع في الجمهرة : الجاذي : الْمُتَمَعِي على قدميه^(١) قال : وربما
جعلوا الجاذي والجاني سواء .

(١) في القاموس : جذا جذوا وجذوا كسمو ثبت قائما ، كأجذي ، أو جثا ،
أو قام على أطراف أصابعه : وتجادى : نسل ، وهي في النسخة التي معي
تلا بن هشام : تجاذينا

وذكر قول الله سبحانه خيراً عنهم: ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ ، وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ الإسراء: ٤٥ قال بعضهم: مستور بمعنى: ساتر
كما قال: «وكان وعده مأتياً» أي: آتياً، والصحيح أن مستوراً هنا على بابته
لأنه حجاب على القلب، فهو لا يرى.

وذكر حديث ابن عباس حين سئل عن قوله: ﴿أَوْ خَافًا مِمَّا يَكْبُرُ

== هذا وقد ذكر ابن هشام سبب نزول قوله سبحانه: «ولا تجهر بصلاتك
ولا تخافت بها» وإليك هنا ما ورد عن هذا في الصحيحين وأحمد عن ابن عباس قال:
نزلت هذه الآية ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - متوار بمكة: (ولا تجهر
بصلاتك، ولا تخافت بها) قال: كان إذا صلى بأصحا به رفع صوته بالقرآن،
فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن، وسبوا من أنزله، ومن جاء به، قال:
فقال الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم - (ولا تجهر بصلاتك) أي بقراءتك،
فيسمع المشركون، فيسبون القرآن، ولا تخافت بها عن أصحابك، فلا تسمعهم
القرآن حتى يأخذوه منك: (وابتغ بين ذلك سبيلاً) ولكن قصر الآية على هذا
السبب يجعلها معطلة الآن، إذ ما هم بيننا مثل هؤلاء المشركين الذين نخشاهم. ومن
زعم أنها للدعاء فقد أخطأ، فالدعاء يقول الله فيه: (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية)
وقد روى عن ابن عباس: «ولا تصل مراعاة الناس، ولا تدعها مخافة الناس»، وعن
الحسن البصري: لا تحسن علانيتها، وتسمى سريرتها.

وقد روى ابن جرير عن ابن سيرين قوله: نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى
فقرأ خفض صوته، وأن عمر كان يرفع صوته، فقيل لأبي بكر: لم تصنع هذا؟
قال: أنا جئ ربي عز وجل - وقد علم حاجتي، فقيل: أحسنت، وقيل لعمر:
لم تصنع هذا؟ قال أطرده الشيطان، وأوقفه الوسمان، قيل: أحسنت، فلما نزلت:
(ولا تجهر بصلاتك، ولا تخافت بها) ابتغ بين ذلك سبيلاً) قيل لأبي بكر:
ارفع شيئاً، وقيل لعمر: اخفض شيئاً. هذا هدى القرآن في القراءة في الصلاة.

المكروه على الكفر والمعصية :

فصل : وذكر تعذيب من أسلم وطرحهم في الرمضاء ، وكانو يلبسونهم
أدراع الحديد ، حتى أعطوهم بالسنتهم ماسألوامن كلمة الكفر إلا بلالا - رحمه
الله - وأنزل الله فيهم : ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ ونزل
في عمار وأبيه : ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ (١) ولما كان الإيمان أصله
في القلب ، رخص للمؤمن في حال الإكراه أن يقول بلسانه إذا خاف على نفسه
حتى يأمن . قال ابن مسعود : ما من كلمة تدفع عن سوطين إلا قُلتها هذا
في القول ، فأما الفعل ، فتنقسم فيه الحال : فمنه ما لا خلاف في جوازه كشرب
الخمر ، إذا خاف على نفسه القتل ، وإن لم يخف إلا مادون القتل ، فالصبر له
أفضل ، وإن لم يخف في ذلك إلا كسجن يوم ، أو طرف من الهوان خفيف ،
فلا تحل له المعصية من أجل ذلك ، وأما الإكراه على القتل ، فلا خلاف
في حظره ؛ لأنه إنما رخص له فيما دون القتل ، ليدفع بذلك قتل نفس مؤمنة ،

(١) روى العوفي عن ابن عباس أن الآية : « إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ » نزلت في حق عمار
ابن ياسر ، وهكذا قال الشعبي وقتادة وأبو مالك وابن جرير ، ورواه البيهقي ، وفيه
أنه سب النبي «ص» ، وذكر آهتهم بخير ، فشكا ذلك إلى النبي ، فقال : يا رسول الله
لما تركت حتى سببتك ، وذكرت آهتهم بخير ، قال : كيف تجرد قلبك ؟ قال :
مطمئنا بالإيمان ، فقال : إن عادوا فعد . أما الأخرى فلم يذكر لها سبب .
وروى قصة تعذيب بلال أحمد في مسنده ، وروى ابن أبي شيبة أن أبا بكر
اشتراه بخمس أواق وهو مدفون ، كما روى الطبراني أن عامر بن فهيرة كان يمن
يعذب في الله ، فاشتراه أبو بكر وأعتقه .

وهي نفسه ، فأما إذا دَفَع عن نفسه بنفسٍ أخرى ، فلا رُخْصَة ، واختلف في الإكراه على الزَّنى ، فذكر عن ابن الماجُشُونِ أنه قال : لا رُخْصَة فيه ؛ لأنه لا ينتشر له إلا عن إرادة في القلب أو شهوة ، وأفعالُ القلب لا تُباح مع الإكراه ، وقال غيره : بل يرخص في ذلك لمن خاف القتل ، لأن انبعاث الشهوة عند المماسَّة بمنزلة انبعاث اللعاب عند مَضغ الطعام ، وقد يجوز أكل الحرام إذا أكره عليه .

فصل : واختلف الأصوليون في مسألة من الإكراه ، وهي : هل المُكْرَه على الفعل مخاطَبٌ بالفعل ، أم لا ؟ فقالت المعتزلة : لا يصح الأمر بالفعل مع الإكراه عليه ، وقالت الأشعرية : ذلك جائز ؛ لأن العزم إنما هو فعل القلب ، وقد يتصور منه في ذلك الحين العزم والنية ، وهي القصد إلى امتثال أمر الله تعالى ، وإن كان ظاهره أنه يفعله خوفاً من الناس ، وذلك إذا أكره على فرض كالصلاة مثلاً ، إذا قيل : صَلِّ وإلا قُتلت ، وأما إذا قيل له : إن صليت قُتلت ، فظن القاضى أن الخلاف بيننا ، وبين المعتزلة في ذلك ، وغلطه بعض أصحابه ، وقالوا : لا خلاف في هذه المسئلة أنه مخاطَبٌ بالصلاة مأمورٌ بها ، وإن رخص له في تركها ، فليس بالترخيص مما يخرجُه عن حكم الخطاب ، وإنما يرفع عنه الإكراه المائم ، ولا يخرجُه عن أن يكون مخاطباً بها ، وهذا الغلط المنسوب إلى القاضى في هذه المسئلة ليس بقول له ، وإنما حكاة في كتاب التقريب والإرشاد عن طائفة من الفقهاء . قالوا : لا يتصور القصد والإرادة للفعل مع الإكراه عليه . قال القاضى : وهذا باطل ؛ لأنه يتصور انكفاه عنه مع الإكراه ، فكذلك يتصور منه القصد إلى الامتثال له ، وبه يتعلق التكليف ، فإنما غلط من نسب إليه من الأصوليين

هذا القول الذي أبطله ، وبين بطلانه ، وإنما ذكرت ما قالوه قبل أن أرى كلامه في المسألة ، وأقف على حقيقة مذهبه ، وهو برىء من الغلط فيها .

آل ياسر :

فصل : وذكر فيمن عُدِّب في الله : سُمِّيَّةُ أمِّ عمار ، وقد ذكرنا قتل أبي جهل لها ، وهي أول شهيد في الإسلام ، وروى أن عماراً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد بلغ منا العذابُ كل مبلغ ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : صبراً أبا اليقظان (١) ، ثم قال : اللهم لا تعذب أحداً من آل عمار بالنار ، وسُمِّيَّةُ أمه ، وهي بنت خِيَّاط (٢) ، كانت مَوْلَاةً لأبي حذيفة بن المعيرة ، واسمه مُهَشَّمٌ ، وهو عم أبي جهل ، وغلط ابن قُتَيْبَةَ فيها ، فزعم أن الأزرق مولى الحارث بن كَلْدَةَ خلف عليها بعد ياسر ، فولدت له سلمة بن الأزرق ، وقال أهل العلم بالنساء : إنما سُمِّيَّةُ أم سلمة بن الأزرق سُمِّيَّةُ أخرى ، وهي أم زياد ابن أبي سفينان ، لا أم عمار ، وعمارٌ وأُخْوَيْرِثٌ وعبود بنو ياسر بن عامر بن مالك ابن كِنَانَةَ بن قَيْسِ بنِ الحُصَيْنِ بنِ لُوذَيْنِ ، ويقال الوُذَيْمِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عَوْفِ بنِ عَامِرِ بنِ حَارِثَةَ بنِ زِيَامِ بنِ عَنَسِ (٣) بن مالك بن أدد بن زيد العنسي المذحجي

(١) ذكره ابن عبد البر .

(٢) وقيل خباط بضم الحاء وتشديد الباء ، وعند الفاكهي : خبط بفتح الحاء وسكون الباء ، وعند ابن سعد أنها بنت سليم

(٣) في الاشتقاق : عمار والحريث وعبدالله بنو ياسر . وفيه الوذيم . ويام بدلا من زيام وهذه أيضاً في الإصابة . وقد روى أحمد في مسنده أن الرسول ص ، مر على عمار وأبيه وأمه ، وهم يعذبون ، فقال أبو عمار : يا رسول الله الدهر هكذا ؟ فقال له : —

حليف لبني مخزوم ، ومن ولد عمار : عبدُ الله بن سعد بن الحسن بن عثمان
ابن الحسن بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر ، وهو المقتول بالأندلس ، قتله
عبد الرحمن بن معاوية .

زَنْبِرَةٌ وَغَيْرُهَا :

فصل : وذكر زَنْبِرَةٌ (١) التي أعتقها أبو بكر ، وأول اسمها : زاي مكسورة
بعدها نون مكسورة مشددة على وزن فَعِيلَةٍ ، هكذا سمحت الرواية في الكتاب ،
والزَنْبِرَةُ : واحدة الزنانير ، وهي الحصا الصغار (٢) ، قاله أبو عبيدة ، وبعضهم يقول
فيها : زَنْبِرَةٌ بفتح الزاي وسكون النون وباء بعدها ، ولا تُعرف زَنْبِرَةٌ في النساء ،
وأما في الرجال فَزَنْبِرَةُ بن زُبَيْر بن مخزوم بن صَاهِلَةَ بن كاهل بن الحارث
ابن تميم بن سعد بن هُدَيْل بن مُدْرِكَةَ بن الياس بن مُصَرِّ ، وابنه : خالد بن
زَنْبِرَةَ ، وهو الفَرِّقُ قاله الدارقطني .

أُمُّ عَمَيْسٍ :

فصل : وذكر أُمُّ عَمَيْسٍ (٣) ، وكانت لبني تميم بن مُرَّةٍ أعتقها أبو بكر ،

النبي «ص» اصبر ثم قال : اللهم غفرا لآل ياسر ، وقد فعلت . وعند الطبراني
في الأوسط : اصبروا آل ياسر موعدهم الجنة . أو أبشروا آل ياسر موعدهم الجنة
(١) كان أبو جهل يتهمكم بها وبمن آمن ، فيقول : « ألا تعجبون إلى هؤلاء
وأتباعهم . لو كان ما أتى محمد خيرا وحقا ماسبقونا إليه ، أفتسبقنا زنبرة إلى
رشد » ص ٢٦٩ > شرح المواهب .

(٢) وذباب صغار أيضاً .

(٣) أو عنيس ، أو عبيس بالتصغير .

وذكر غير ابن إسحاق هؤلاء الذين عذبوا في الله لما أعطوا بألسنتهم ما سئلوا من الكفر ، جاءت قبيلة كل رجل منهم بأنطاع الأدم فيها الماء ، فوضوهم فيها ، وأخذوهم بأطراف الأنطاع ، واحتملوهم إلا بلالا .

عن بلال :

وقول ورقة بن نوفل : لئن قتلتُموه يعني : بلالا ، وهو على هذا الحال لا تتخذنه حنانا^(١) . أى : لا تتخذن قبره منسكاً ومُسْتَرْحَمًا . والحنان : الرحمة ، وكان بلال رحمه الله يكنى : أبا عبد الكريم ، وقيل : أبا عبد الله ، وأخته غفرة ، وقد تقدم في أول الكتاب ذكر عمر مولى غفرة ، وهى هذه . والغفرة : الأنثى من أولاد الأراوى^(٢) ، والذكر : غفر .

باب الهجرة إلى أرض الحبشة

وقد ذكرنا نسب الحبشة في أول الكتاب ، وأما النجاشي فاسم لكل ملك بلى الحبشة ، كما أن كسرى اسم لمن ملك الفرس ، وخاقان اسم للملك الترك كأننا من كان ، وبطليموس : اسم لمن ملك يونان ، وقد ذكرنا هذا المعنى قبل ، واسم هذا النجاشي : أضحمة^(٣) بن أبجر . وتفسيره : عطية . وذكر

(١) هو عند الزبير بن بكار وأبي الفتح اليعمرى .

(٢) أراوى بفتح أوله وثانيه وكسر الوار وتضعيف الياء : جمع قلة لأروية بضم أو كسر فسكون فكسرت بفتح مع تشديد : أنثى الوعول ، أو أنثى التيس الجبلى ، وكذلك غفرة وجمع الكثرة : أروى على وزن أفعال ، على غير قياس . وفى اللسان عن أبي العباس : والصحيح عندي أن أراوى تكسير أروية . كأرجوحة وأراجيح ، والأروى : اسم للجمع ، وأروى تنون ولا تنون ، انظر اللسان مادة روى ،

(٣) كـ لـ بـ ورد اسمه فى البخارى ، وفى مصنف ابن أبى شيبة بحذف الهمة وحكى

في أول من خرج إلى الحبشة : عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - وكان حين تزوجها يغنيها النساء :

أَحْسَنُ شَخْصِينَ رَأَى إِنْسَانٌ رُقِيَّةُ وَبَعْلَاهَا عُثْمَانُ

ولدت رقية لعثمان ابنة عبد الله ، وبه كان يكنى ، ومات عبد الله وهو ابن
ست سنين ، وكان سبب موته أن ديكاً نقره في عينه ، فتورم وجهه فمرض ،
فمات . وذلك في جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة ، ثم كنى بعد ذلك
أبا عمرو ، وهذا هو عبد الله الأصغر . وعبد الله الأكبر هو ابنه من فاختة بنت
غزوان ، وأكبر بنيه بعد هذين : عمرو ، ومن بنيه عمر و خالد وسعيد والوليد
والمغيرة وعبد الملك (١) ، وأبان ، وفي السيرة من غير هذه الرواية أن رقية كانت

الإسماعيل : أصخمة وقيل : أصحابة وقيل : صحبة ، وقيل : مصحمة ، وقيل : مبحول .
وقال مغلطى : ملك الترك خاقان ، والروم : قيصر واليمن : تبع ، واليونان :
بطليموس ، واليهود : القبطون فيما قيل ، والمعروف : مالح ، وملك الصابئة :
النروذ ودهمز ، وملك الهند : يعفور ، والزنج : زغانة ، ومصر والشام : فرعون ،
فإن أضيف إليهما الإسكندرية سمي : العزيز ، ويقال المقوقس . وملك العجم :
كسرى ، وملك فرغانة : الإخشيد ، والعرب من قبل العجم : النعمان ، وملك
البربر : جالوت . وجمع الحبش : أحبوش بضم أوله ، وأما قولهم : الحبش فعلى غير
قياس ، وقالوا : حبشان وقالوا : أحبش وأصل التحبش : التجميع . وكان
التجاشى قديماً لقباً لملوك الحبشة ، ثم غير إلى الخطى . والتجاشى إما بفتح النون
وإسكان الياء أو تشديدها أو بكسر النون مع مد الشين .

(١) في نسب قریش : عمرو وعمر و خالد و أبان و حريم و أمهم : أم عمرو
بنت جندب بن عمر بن حمة من الأزدمن دوس . ومنهم الوليد وسعيد وأم عثمان

من أحسن البشر ، وأن رجلا من الحبشة رأوها بأرضهم ، فكانوا يُدْرِكُون^(١) إذا رأوها إعجابا منهم بحسنها ، فكانت تتأذى بذلك ، وكانوا لا يستطيعون لغزبتهم أن يقولوا لهم شيئا ، حتى خرج أولئك النفرم البجاشى إلى عدوه الذى كان ثار عليه ، فقتلوا جميعا ، فاستراحت منهم ، وظهر النجاشى على عدوه ، وروى الزبير فى حديث أسنده أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعث رجلا بلطُفٍ إلى عثمان ورقية ، فاحتبس عليه الرسول ، فقال له عليه السلام : إن شئت أخبرتك ما حبسك ، قال : نعم ، قال : وقفت تنظر إلى عثمان ورقية تعجب من حسنها .

وذكر ابن إسحاق تسمية المهاجرين^(٢) إلى أرض الحبشة ، وقد تقدم التعريف ببعضهم ، وذكرنا سبب إسلام عمرو بن سعيد بن العاصى ، وأنه

== أهمهم : فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . ومنهم عبد الملك لا بقية له ، وتوفى رجلا ، أمه : أم البنين بنت عيينة بن حصين ابن حذيفة بن بدر . ومنهم : عائشة ، وأم أبان ، وأم عمرو . وأمهم : رملة بنت شيبه بن ربيعة بن عبد شمس ص ١٠٤

(٢) الدررلة كشرذمة وسبجلة أى بكسر ففتح فسكون ففتح : لعبة للعجم أو ضرب من الرقص أو هى حبشية

(٣) فى فتح البارى : و أن الهجرة وقعت مرتين ، وذكر أهل السير أن الأولى كانت فى شهر رجب من سنة خمس من المبعث ، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلا وأربع نسوة ، وقيل : وامرأتان ، وقيل : كانوا اثنى عشر رجلا ، وقيل : كانوا عشرة ، وأنهم خرجوا . حتى وصلوا إلى شعبية مكان على ساحل البحر الأحمر ، فاستأجروا سفينة — فى غير الفتح : سفينتين — بنصف دينار

رأى نوراً خرج من زمزم أضاعت له منه نخل المدينة ، حتى رأوا البئسَ فيها ،
فقص رؤياه ، فقيل له : هذه بئر بنى عبد المطلب ، وهذا النور فيهم يكون ،
فكان سبباً لبيداره للإسلام .

رؤيا سعد وخالده ولدى العاص :

وقد ذكرنا فيما تقدم أن هذه الرؤيا إنما كانت لأخيه ، وأن عمراً هو الذى
عبرها له ، وهذا هو الصحيح فيها ، والله أعلم ، وأما أخوه خالد بن سعيد ، فكان
يرى - قبل أن يسلم - نفسه قد أشتى على نار تأجج ، وكان رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - قد أخذ بججزته^(١) ، يصرفه عنها ، فلما استيقظ علم أن نجاته من النار
على يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما أظهر إيمانه ضربه أبوه بمقرعة ،
حتى كسرها على رأسه ، وحلف ألا ينطق عليه ، وأغرى به إخوته ، فطردوه
وآذوه ، فانقطع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى هاجر إلى أرض الحيشة
- كما ذكر ابن إسحاق - وأبوه سعيد بن العاصى أبو أحيحة الذى يقول فيه القائل :

أبو أحيحة :

أبو أحيحة من يعمته^(٢) يضرب وإن كان ذا مال وذاعد
وكان إذا اعتم لم يعتم قرشى إعظماً له^(٣) ، وقد قيل في عمته أيضاً
ما أنشده عمرو بن بحر الجاحظ :

وكان أبو أحيحة قد علمتم بمسكة غير مهتضم ذميم
إذا شدَّ العصابة ذات يوم وقام إلى المجالس والخصوم

(١) الحجرة : معقد الإزار

(٢) انظر أيضاً ص ٧٨ الاشتقاق ، وفيه يقول فوق ما ذكره السهيلي :

أحيحة : تصغير : أحة ، وهو ما يجده الإنسان في قلبه من حرارة غيظ وحن .

(٣) م - ١٥ الروض الأثف ج ٣

لقد حرمت على من كان يمشى بمكة غير مُحْتَقِرٍ لَيْثِمٍ (١)
مات أُحَيْحَةَ الَّذِي كَانَ يُكْنَى بِهِ فِي حَرْبِ الْفِجَارِ ، وَأَسْلَمَ مِنْ بَنِيهِ أَرْبَعَةٌ
أَبَانٌ وَخَالِدٌ وَعَمْرُو وَالْحَكَمُ الَّذِي سَمَّاهُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
عَبْدَ اللَّهِ ، وَمَاتَ أُحَيْحَةَ بْنُ سَعِيدٍ ، وَالْعَاصِي بْنُ سَعِيدٍ وَغَيْرُهُمَا مِنْ بَنِيهِ عَلَى
الْكَفْرِ ، قَتَلَ الْعَاصِي مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا .

أُمَّةُ بِنْتِ خَالِدٍ وَأَبُوهَا :

وَذَكَرَ أُمَّةَ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ الَّتِي وَلَدَتْ بَارِضَ الْحَبْشَةَ ، قَالَ : وَتَزَوَّجَهَا
الزَّيْبِرُ بْنُ الْعَوَامِ ، وَهِيَ الَّتِي كَسَاهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهِيَ

(١) الآيات لأبي قيس بن الأسلم، وهي في البيان والتبيين للجاحظ ص ٩٧
ط ٣٢ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر . والشطرة الثانية من البيت الثالث هكذا
و بمكة غير مدخل سقيم ، وبعدها .

وكان البختری غداة جمع
بأزهر من سمرات بني لؤي
هو البيت الذي بنيت عليه
وسطت ذوائب الفرعين منهم
يدافعهم بلقمان الحكيم
كبدل الليل راق على النجوم
قريش السرف في الزمان القديم
فأنت لباب سرهم الصميم

وفي الروض : و إذا ماشد العصابة ، وهو خطأ .

ملحوظة : ما زدت في الانساب هو من نسب قريش ، كما حدث في نسب
عبد الرحمن بن عوف . فقد زدت بين عبد الحارث كلمة ابن من صفحة ٣٦٥
ومن الإصابة وتمت خلافت يسيرة عما هنا . ويقول ابن سعد إن الخطاب
كان قد تبني عامر بن ربيعة ، فكان يقال : عامر بن الخطاب حتى نزلت :
ادعهم لأبائهم .

صغيرة ، وجعل يقول : سَنَاهُ ، سَنَاهُ يَا أُمَّ خَالِدٍ !! أُمِي : حَسَنٌ حَسَنٌ (١) بلغة الحبيشة ، وكانت قد تعلمت لسان الحبيشة ؛ لأنها ولدت بأرضهم ، وولدت للزبير عمراً وخالداً ، يقال : إن أباهما خالد بن سعيد أول من كتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، مات بأجنادَينِ (٢) شهيداً ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد استعمله على صنَعَاءَ واليمن ، فلما توفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أراد أبو بكر أن يستعمله ، فقال : لا أعمل لأحدٍ بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبداً ، ويروى أن أباه سعيد بن العاصي مرض ، فقال : إن رفعني الله من مرضي لا يعبد إلا ابن أبي كَبْشَةَ (٣) بمكة أبداً ، فقال ابنه خالد : اللهم لاترفعه فهلك مكانه ، فهو لاء بنو سعيد بن العاصي بن أمية :

عبد شمس :

وعثمان : هو ابن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، ولا يختلف في عبد شمس أنه بالدال ، وأما عَبْ شمس بن سعيد بن زيد مناة بن تميم ، (١) حديثها في البخاري ، وأن النبي كساها خميصة لها أعلام ، فجعل رسول الله «ص» يسمح الأعلام بيده ، ويقول : سناه سناه . قال الحميدي : يعني : حسن حسن ويقال سنا بالتشديد والتخفيف أو سنه

(٢) إذا نطقت بفتح الدال كسرت النون كالشني ، وإذا قرئت بكسر الدال فتحت النون كالجمع

(٣) أبو كبشة هو : وجز بن غالب الذي كانت قريش تنسب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليه ؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم - خالف دين قريش ، فقالت قريش : « نزع أبو كبشة » ، لأن أبا كبشة خالف الناس في عبادة الشعري ، والعرب تزعم أن أحدا لا يعمل شيئاً إلا يعرق بنزعه شبهه . وكان أبو كبشة سيدياً في خزاعة . لم يعير وارسل الله صلى الله عليه وسلم به من تصير كان فيه ، ولكنهم أرادوا أن يشبهوه بخلاف أبي كبشة ، فيقولون : خالف كما خالف أبو كبشة .

ص ٢٦٢ نسب قريش .

فقال فيه أبو عبيد وأقربى: عبد شمس كما في الأول. وقال أكثر الناس فيه: عب شمس^(١)، ثم اختلفوا في معناه، فقيل، معناه: عبد شمس، لكن أدغمت الدال، وقيل: بل [عب شمس و] عب الشمس هو ضوءها أو صفاؤها، وقيل في المثل: هو أبرد من عبقر أي: البرد، وبعضهم يقول: وهو المبرد: من عب قر أي: بياض قر، ومن حب قر أيضاً^(٢). وفيه قول ثالث: أعني: عب شمس. وهو مروى عن ابن عمر. وقال معناه: عب شمس بالهمز. ثم حذفت الهمزة تسميلاً. وعب الشمس. وعبوها مثله^(٣).

عمار لم يهاجر إلى الحبشة:

وشك ابن إسحاق في عمار بن ياسر: هل هاجر إلى أرض الحبشة، أم لا. والأصح عند أهل السير كالواقدي وابن عسبة. وغيرها أنه لم يكن فيهم.

(١) يكتب: عبشمس، ولقبه: مقروع ويقال بتضعيف الباء مع الإضافة في القاموس. حقر: بفتح فسكون فضم فراء مشددة، كفعلل ذكره في الأبنية، ولم يفسروه، ومعناه: البرد حب الغمام، يقال: أبرد من حقر، ويقال: عبقر، وأصله: حب قر بفتح حاء حب وتشديد الباء مع إضافتها إلى قر، والقر - بضم القاف - البرد، والدليل على ما ذكرته: أن أبا عمر ابن العلاء يرويه: أبرد من عب قر، والعب - بفتح فتضعيف: اسم للبرد. انتهى. وعب الشمس الذي هو ضوءها بفتح العين وتشديد الباء أو تخفيفها.

(٢) ضوءها ويقول محمد بن حبيب في كتابه متشابه القبائل: كل شيء في العرب عبد شمس غير عبشمس بن سعد في تميم، وعبشمس بن آخر في طي. هكذا قال بسكون الباء فيهما، وذكر غيره أن الذي في تميم: عبشمس - بفتح الباء - والذي في طي: عبشمس بكسر الباء، انظر ص ٤٥٠ > ٢ المزهر

هول بنى الحارث بن قيس:

وذكر ابن إسحاق من بنى الحارث بن قيس من هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يذكر فيهم تميم بن الحارث . وذكره الواقدي وغيره . والحارث ابن قيس كان أبوه^(١) من المستهزئين الذين أنزل الله فيهم : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ الحجر : ٩٥ .

هول بنى زهرة وطليب بن عبد :

وذكر من بنى زهرة من هاجر إلى أرض الحبشة ، وهم ستة نفر ، ولم يذكر السابع ، وهو : عبد الله بن شهاب^(٢) جد محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ، وكان اسمه : عبد الجان ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبد الله^(٣) مات بمكة بعد الفتح^(٤) وأخوه : عبد الله الأصغر شهد أحداً مع المشركين ، ثم أسلم .

(١) الحارث بن قيس بن عدى السهمي إليه في الجاهلية كانت الحكومة والأموال . ذكر ابن عبد البر أنه أسلم ، وهاجر إلى الحبشة مع بنيه الحارث وبشر ومعمر ، وتعبه ابن الأثير بأن الزبير بن بكار وابن الكلبي ذكرا أنه كان من المستهزئين ، وزاد الذهبي في التجريد : لم يذكر أحد أنه أسلم إلا أبا عمر ، وردده في الإصابة بأنه ذكره في الصحابة أيضاً : أبو عبيد ومصعب والطبر وغيرهم ، ولا مانع من أن يكون قد تاب وصحب وهاجر ، والآية ليست صريحة في عدم توبة بعضهم .

(٢) هو عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن زهرة بن كلاب الزهري . ذكره الزهري والزبير وغيرهما فيمن هاجر إلى الحبشة ، ومات بمكة قبل هجرة المدينة وكذا قال الطبري

(٣) عن ابن سعد والزبير وزاد ابن سعد : ليس له حديث

(٤) رد الحافظ في الإصابة قوله هذا ؛ لأنه مأخوذ عن رواية الواقسي

وذكر المطلب بن عبدعوف ولم يذكر أخاه طايبا ، وكلاهما هاجر إلى أرض
الحبشة ، ومات بها ، وهما أخوا أزهر بن عبدعوف .

من شعر الهجرة الحبشية ومساند النخوية :

فصل : وأنشد لعبد الله بن الحارث ما قاله في أرض الحبشة ، وفيه قوله :

أَلْحَقْ عَذَابَكَ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ طَعَنُوا وَعَانَدَا بِكَ أَنْ يَغُورُوا فَيُطْفِئُونِي

أنشده سيبويه فيما ينتصب على الفعل المتروك لإظهاره ، وذلك لحكمة ،
وهي أن الفعل لو ظهر لم يخجل أن يكون ماضيا أو مستقبلا ، فالماضي يوم
الانقطاع ، والمتكلم إنما يريد أنه في مقام العائد ، وفي حال عود ، والفعل المستقبل
أيضا يؤذن بالانتظار ، وفعل الحال مشترك مع المستقبل في لفظ واحد ، وذلك
يوم أنه غير عائد ، فكان مجيئه بلفظ الاسم المنصوب على الحال أدل على
ما يريد ، فإن عاندا كقائم وقاعد ، وهو الذي يسمى عند الكوفيين : الدائم ،
فالقائل : عاندا بك يارب ، إنما يريد : أنا في حال عياد بك ، والعامل في هذه
الحال : تكلمه ونداؤه ، أي : أقول قولي هذا عاندا ، وليس تقديره : عذت
ولا أعوذ ، إنما يريد أن يسمعه ربه ، أو يراه عانداً به .

وقوله : أن يعلو يجوز أن تكون أن مع ما بعدها في موضع نصب ،

= ابن الزهري ، وهي تقول أنه قدم مع جعفر في السفينة . لكن الواقسي ضعيف .
وذكر البخاري في تاريخه عن عبد الله أنه أقام بالحبشة .

(١) في السيرة : فاجعل عذابك . وانظر ص ١٧ ج ١ من كتاب سيبويه

وفي موضع خفض عند النحويين ، أما النصب فعلى إضمار الفعل ، لأنه قال :
عائذاً ، فأعلم أنه خائف ، فكأنه قال : أخاف أن يعلو فيطففوني ، وأما الخفض
فعلى إضمار حرف الجر ، فكأنه قال : من أن يعلو ، وهو مذهب الخليل
وسيبويه في أن الخففة وأن المشددة نحو قوله تعالى : ﴿ إِن هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً ﴾ الأنبياء : ٩٢ تقديره : لأن هذه ، وجاز إضمار حرف الجر في هذين
الموضعين ، وإن كانت حروف الجر لا تضم ، لأنهما موصولتان بما بعدها ،
فطال الاسم بالصلة ، فجاز حذف الجر تخفيفاً .

ولقائل أن يقول : هذه دعوى ادعيتم أن أن وما بعدها اسم مخفوض ،
وهو لا يظهر فيه الخفض ، ثم بنيتم التعاميل على غير أصل ؛ لأن الخفض لم يثبت
بعد ، فنقول : إنما علمنا أنه في موضع خفض لوقوعه في موضع لا يقع فيه
إلا المخفوض بحرف الجر نحو قوله سبحانه : ﴿ وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ ﴾ التوبة : ٩٧ ونحو قوله تعالى : ﴿ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ التوبة ١٠٨ ونحو
قوله : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ﴾ البقرة : ٢٨ . فقوله تعالى : أجدر ألا يعلموا ، معناه :
بأن لا يعلموا ، فلو كان قبل أن فِعْلٌ لقلنا : حذف حرف الجر ، فتعدى الفعل ،
فنصب ، ولكن أجدر وأحق اسمان لا يعملان ، فمن هاهنا عرف النحويون أنه
في موضع خاض ؛ إذ لا ناصب له ، وأما ما اعتلوا به من طول الاسم بالصلة ،
وأن ذلك هو الذي سَوَّغَ لهم إضمار حرف الجر ، فتعاميل مدخول ، ينتقض عليهم
بالأسماء الموصولة كالذي ومن وما ، فإنها قد طالت بالصلة ، ومع ذلك لا يجوز
إضمار حرف الجر فيها ، لا تقول : خرجت ما عندك ، ولا هربت الذي عندك

أى : من الذى عندك ، وتقول : خرجت أن يرانى زيد ، وفررت أن يرانى عمرو ، أى : من أن يرانى ، ولأن يرانى بدل ، على أن العلة غير ما قالوا ، وهى أن أن مع الفعل ليس باسم محض ، وإنما هو فى تأويل اسم ، والاسم المحض ما دل عليه حرف الجر ، فلا بد إذاً من إظهار حرف الجر إذا جئت به ؛ لأنه اسم قابل لدخول الحواض عليه ، وأما أن فحرف محض لا يصح دخول حرف جر عليه ، ولا على الفعل المتصل به فلا تقول : هو اسم مخفوض ، وإنما هو فى تأويل اسم مخفوض ، فمن هاهنا فرقت العرب بينه ، وبين غيره من الأسماء ، فإذا أدخلت عليه حرف الجر مظهراً جاز ، لأنه فى تأويل اسم ، وإذا أضمرت حرف الجر جاز أيضاً التفتاً إلى أن الحرف الجار لا يدخل على الحرف ، ولا على الفعل فحسن إسقاطه مراعاة للفظ أن ، ولللفظ الفعل ، وقالنا : هو فى موضع خفض على معنى أن الكلام يتناول إلى الاسم المخفوض ، لأنه يظهر فيه خفض ، أو يقدر تقدير المبنى الذى منعه البناء من ظهور الخفض فيه ، حتى يشبه أن فنقول : هو اسم مبنى على السكون ، لا بل نقول : هى حرف ، والحرف لا يدخل عليه حرف الجر ، لا مضمراً ولا مظهراً ، وإنما هو تقدير فى المعنى ، لا فى اللفظ ، فافهمه .

لا يضاف اسم إلى أنه المصدرية :

فصل : واعلم أن [أن] التى فى تأويل المصدر لا يضاف إليها اسم . تقول : هذا موضع أن تقعد ويوم خروجك ، ولا تقول : يوم أن تخرج ؛ لأنها ليست باسم كما قدمنا ، وإنما تضاف إلى الأسماء المحضة ، لا إلى التأويل ، ولا يضاف إليها أيضاً

اسم الفاعل ، لا بمعنى المُضِيِّ ، ولا بمعنى الاستقبال ، ولا المصدر إلا على وجه واحد نحو : مخافة أن تقوم ، وذلك إذا أردت معنى المفعول بأن وما بعدها ، وأما على نحو إضافة المصدر إلى الفاعل ، فلا يجوز ذلك .

وإنما تكون فاعلة مع الفعل إذا ذكرته قبلها نحو : يسرنى أن تقوم ، وأما مع المصدر مضافا إليها فلا ، وتكون مفعولة مع المصدر ومع الفعل معاً ، وكل هذا الأسرار بديعة موضعها غير هذا ، لكنى أقول ههنا قولاً لا نقابها هذا الموضوع ، فإنى لم أذكر الخفض بإضمار حرف الجر ، فى أن وإن إلا مساعدة لمن تقدم ، فعليه بنيت التعليل والتأصيل ، وإذا أبيت من التقليد فلا إضمار لحروف الجر فيها ، إنما هو النصب بفعل مضمّر أو مظهر ، أما قوله تعالى : ﴿ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ فإنما لما قال أحق علم أنه يوجب عليه أن يقوم فيه ، وكذلك أجدر ألا يعلموا ، ومعنى أجدر : أخلق وأقرب ، ولما ثبت لهم هذه الصفة اقتضى ذلك ألا يعلموا ؛ فصار منصوباً فى المعنى ، ولو جئت بالمصدر الذى هو اسم محض نحو : القيام والعلم لم يصح إضمار هذا الفعل ؛ لأن أجدر وأحق ونحوهما اسمان يضافان إلى ما بعدهما ، فلو جئت بالقيام بعد قولك أحق ، فقلت : أحق قيامك ، لا نقاب المعنى .

ولو نصبته بإضمار الفعل الذى أضمرت مع أن لم يكن دليل عليه ؛ لأن الاسم يطلب الإضافة ، فيمنع من الإضمار والنصب ، وإذا وقعت بعده لم يطلب الإضافة ؛ لما قدمناه من امتناع إضافة الأسماء إليها ، وإنما اخترنا هذا المذهب ، وآثرناه على ما تقدم من إضمار الخافض ؛ لأننا قد نجدّها فى مواضع مجرورة .

ولا يجوز إضمار حرف الجر ، كقولك : سر إلى أن تطلع الشمس ، ولا يجوز
إضمار إلى ههنا ، وكذلك تقول : هذا خير من أن تفعل كذا ، ولا يجوز أيضاً
إضمار من ، ولو كان حرف الجر معها للعتين المتقدمتين لا طَرَدَ جواز ذلك
فيها على الإطلاق ، وإنما هي أبداً إذا لم يكن معها حرف الجر ظاهراً مفعولة
بفعل مضمر ، وقد تكون فاعلة ، ولكن بفعل ظاهر نحو : يعجبني أن تقوم ،
وأما خرجت أن أرى زيدا فعلى إضمار الإرادة والقصد ، كأنك أردت : أن أراه ،
أو أن لا أراه ؛ لأن كل من فعل فعلاً ، فقد أراد به أمراً ما ، لكنك إن جعلت
مكانها المصدر لم يجز الإضمار أو قبُح ؛ لأن المصدر تعمل فيه الأفعال الظاهرة
إذا كانت متعدية ، وتصل إليه بحرف جر إذا لم تكن متعدية ، وأن مع الفعل
لا تعمل فيها الحواس ولا أفعال الجوارح الظاهرة ، تقول : رأيت قيام زيد ،
ولا تقول : أن يقوم ، وسمعت كلامك ، ولا تقول : سمعت أن تتكلم ، وإنما
يتعاقب بها ، وتعمل فيها الأفعال الباطنة نحو : خفت واشتهيت وكرهت ، وما كان
نحو معنى هذا أو قريباً منه ، فإذا سمع المخاطب أن مع الفعل لم يذهب وهمه بحكم
العادة إلا إلى هذه المعاني ، فإن كانت ظاهرة فذاك ، وإلا اعتقدنا أنها مضمرة ،
وأن الفعل الظاهر دالٌّ عليها ، وغيرها من الأسماء ليس كذلك ، إذا وقع قبلها
فعمل من أفعال الجوارح الظاهرة ، وقع عليها إن كان متعدياً أو وُصل بحرف ،
إن كان غير متعد ، ومنع من الإضمار أنه لفظي ، والإضمار معنوي إلا في باب
المفعول من أجله ، وقد قدمنا فيه سرّاً بديعاً فيما سبق من هذا الكتاب .

فصل : وأنشد لعبد الله بن الحارث شعراً فيه :

كَمَا جَعَدْتُ عَادٌ وَمَدِينُ وَالْحِجْرُ

أما عاد فقد تقدم نسبها ، وأما الحِجْرُ فإيست بأُمَّةٍ ، ولكنها ديار ثمود .
أراد : أهل الحجر ، وأما مَدِينُ فَأُمَّةٌ شعيب ، وهم بنو مديان بن إبراهيم عليه
السلام ، وأمههم : قطور ابنت يَظْطَانِ الكنعانية ، ولدت له ثمانية من الولد تنافست
عنهم أمم ، وقد سمي بهم في كتاب التعريف والإعلام ، وفي أول هذا الكتاب .
وفيه أيضاً قوله : فَإِن أَنَا لَمْ أُبْرِقْ فَلَا يَسَعْنِي . البيت ، قال : وبه سمي
«الْمُبْرِقُ» ، قال المؤلف : وفي هذا حجة على الْأَصْمَعِيِّ حين منع أن يقال : أرعد
وأبرق ، وذُكر له قولُ الكُمَيْتِ :

أرعد وأبرق يا يزيد (١)

فلم يره حجة ، [وقال : الكميت جُرْمَقَانِيٌّ من أهل الموصل] ليس بحجة ،
وألحقه بالحدثين لتأخر زمانه ، كما فعل بذي الرُّمَّةِ حين احتج عليه بقوله :

(١) في [إصلاح المنطق لابن السكيت : وقد برق في الوعيد ورعد يبرق ويرعد .
- وزن نصر قال الأصمعي : ولا يقال أرعد وأبرق ، وحكى اللغتين أبو عبيدة
وأبو عمرو ، فاحتج على الأصمعي ببيت الكميت .

أرعد وأبرق يا يزيد يد فإ وعيدك لي بضائر

فقال : ليس قول الكميت بحجة ، هو مولد ، واحتج ببيت المتلس :

فإذا حلتك ودون بيتي غاوة فابرق بأرضك ما بدالك وارعد

ص ٢١٦ ط ٥ . المعارف . مصر ، وانظر ص ٩٧ ج ١ أمالي والسمط ص ٣٠٠

ذو زَوْجَةٍ بِالْمِضْرِ أَمْ ذُو خُصُومَةٍ

فأبى أن يقول: زوجة بهاء التأنيت، وقال: طالما أكل ذو الرِّمَّةِ الزيتَ في حوانيت البقالين^(١)، وبيت المُبْرِقِ في هذا حجة بلا خلاف، وقد وجد أُرْعَدَ وَأَبْرَقَ في غير هذا البيت، مما تقوم به الحجة أيضاً، وبيت المُبْرِقِ هذا يحتمل وجهاً آخر، وهو أن يكون من أبرق في الأرض إذا ذهب بها لامن أُرعد وأبرق، وكذلك وجدته في حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت منسوباً للمُضْعَبِ، قال: الإبراق: الذهب^(٢)، وفي العين: أبرقت الناقة بذنبتها إذا ضربت به يمينا وشمالا، وهو في معنى الذهب في الأرض، لأنه جَوْلَانٌ فيها، وهي البروق، قال نَهْشَلُ بن دَارِمٍ لأخيه سَلِيطَ - وقد لامه على ترك الكلام في بعض المواطن: لأحسن تَأَنَامَكَ، ولا تَكْذَابَكَ، تَشُولُ بلسانك شَوْلَانِ البروق. وذكر في الشعر:

يلين ما في النفس إذ بلغ النَّقْرُ^(٣)

ويروى: يُلَيِّنُ ما في الصدر. والنَّقْرُ: البحثُ عن الشيء، وأكثر ما يقال فيه: التَّنْقِيرُ، واستشهد عبدُ الله المُبْرِقُ في غَزْوَةِ الطائف، وكان أبوه الحارثُ من المستهزئين، وكان جدُّه قيسُ أعزَّ قريش في زمانه، يروى أن عبدَ المطلب كانُ

(١) يقال: أبرق طعامه بزيت أو سمن: جعل منه فيه قليلاً

(٢) فسرها المصعب بما قال السهيلي في ص ٤٠١ من كتابه نسب قريش.

(٣) في السيرة: أبين ما في النفس، وفي نسب قريش ص ٤٠١ يبينه

ما في الصدر.

مَيَنْفَزٌ (١) ابنه عبد الله ، والد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو طفل ،
فيقول :

كأنه في العزقيسُ بنِ عدى في دار قيسِ الندى يُنتدى (٢)

قاله الزبير بن أبي بكر :

مول لامِ التعجب :

فصل : وذكر شعر عثمان بن مظعون :

أَتَيْمٌ بِنَ عَمْرٍو لِلَّذِي جَاءَ بِغُضَّةٍ

أراه : عجبا للذي جاء ، والعرب تسكتني بهذه اللام في التعجب ، كقوله
عليه السلام : لهذا العبدِ الحبشي جاء من أرضه وسماؤه إلى الأرض التي خلق
منها ، قاله في عبدِ حبشيٍّ دُفن بالمدينة ، وقال في جنازة سعد بن معاذ وهو واقف
على قبره ، وتقهقر ثم قال : سبحان الله لهذا العبدِ الصالح ضمَّ عليه القبر ثم فرج
عنه ، وقيل في قوله سبحانه : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ أقوال منها : أنها متعلقة
بمعنى التعجب ، كأنه قال : اعجبوا لإيلاف قريش ، وبغضة نُصِبَ على التمييز

(١) في الأصل ينقر ، وهو خطأ كان أيضاً في نسب قريش ، وأصلحه محققه ،
في القاموس : نقره تنفيذاً : رقصه ، وكذلك في اللسان .

(٢) في الاشتقاق ص ١٢٠ : وكان عبد المطلب يرقص ابنه الحارث
أو الزبير فيقول :

يا بآبي يا بآبي يا بآبي كأنه في العزقيس بن عدى

والشطرة الثانية روايتها هكذا « في دار قيس ينتدى أهل الندى » ص ٤٠٠

نسب قريش .

كأنه قال: يا عجبا لما جاء به من بفضة، ويجوز أن يكون مفعولا من أجله ،
وروى الزبير هذا البيت :

أَتَيْمَ بنِ عَمْرٍِ لِذِي فَارِضِغْنُهُ

من معاني شعر ابن مظهر

وكذلك روى في هذا الشعر : في صرح بَيْطَاءَ تُقَدِّعُ بِالطَّاءِ وَفَتَحَ الْبَاءِ
وَكَسَّرَهَا ، وَقَالَ بَيْطَاءُ : اسْمُ سَفِينَةٍ ، وَتُقَدِّعُ بِالذَّالِ ، أَيْ : تَدْفَعُ ، وَزَعِمَ أَنَّ
تَيْمَ بنَ عَمْرٍو وَهُوَ جُمَحٌ سُمِّيَ جُمَحًا ؛ لِأَنَّ أَخَاهُ سَهْمَ بنَ عَمْرٍو - وَكَانَ اسْمُهُ
زَيْدًا - سَابِقَهُ إِلَى غَايَةِ ، فَجُمَحَ عَنْهَا تَيْمٌ ، فَسُمِّيَ جُمَحًا ، وَوَقَفَ عَلَيْهَا زَيْدٌ ،
فَقِيلَ : قَدْ سَهَّمَ (١) زَيْدٌ فُسْمَى : سَهْمًا .

وقوله : ومن دوننا الشَّرمَان . الشَّرم : البحر (٢) وقال الشَّرمَان بالتثنية ؛
لأنه أراد البحر المِلْحَ ، والبحر العَذْبُ ، وفي التَّنْزِيلِ : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾
وَالشَّرمُ من : شَرَمْتُ الشَّيْءَ إِذَا خَرَفْتَهُ ، وَكَذَلِكَ الْبَحْرُ من بَحَرْتُ الْأَرْضَ
إِذَا خَرَفْتَهَا ، وَمِنْهُ سَمِيَتِ الْبَحِيرَةُ تَخْرُقُ أُذُنَهَا وَالْبَرْكُ : مَا اطْمَأَنَّ مِنَ الْأَرْضِ
وَاتَّسَعَ ، وَلَمْ يَكُنْ مُنْتَصِبًا كَالْجِبَالِ .

وقوله : في صرح بيضاء . يريد : مدينة الحبشة ، وأصل الصَّرح : القصر ، يريد :
أنه ساكن عند صَرْحِ النَّجَاشِيِّ .

(١) يقال : ساهم القوم ، فسهمهم : غلبهم .

(٢) في القاموس : لغة البحر ، أو الخليج منه ، وفي شرح السيرة للخشني أيضاً

الشرمان بضم النون : موضع . ويقول عن البرك أكتع ، هذه رواية غريبة
لأنه أكد بأكتع دون أن يتقدمه : أجمع .

وقوله : تُقَدِّعُ أَى : تُسَكِّرُهُ ، كَأَنَّهُ مِنْ أَفْذَعْتَ الشَّيْءَ ، إِذَا صَادَفْتَهُ قَدِيعًا
وَيُقَالُ أَيْضًا : قَدِّعْتُ الرَّجُلَ إِذَا رَمَيْتَهُ بِالْفَحْشِ ، يَرِيدُ أَنْ أَرْضَ الْحَبْشَةَ
مَقْدُوعَةً ، وَأَحْسَبُ هَذِهِ الرَّوَايَةَ تَصْحِيْفًا ، وَالْمُصْحِحُّ : مَا قَدِمْنَا مِنْ قَوْلِ الزُّبَيْرِ
وَرَوَايَتِهِ ، وَأَنَّهُ بَيْطَاءٌ بِالطَّاءِ ، وَتُقَدِّعُ بِالذَّالِ .

وقوله : وَأَسْلَمَكَ الْأَوْبَاشَ يَرِيدُ أَخْلَاطًا مِنَ النَّاسِ ^(١) ، يُقَالُ : أَوْشَابَ
وَأَوْبَاشَ ، وَالْأَوْبَاشُ أَيْضًا شَجَرٌ مَتَفَرِّقٌ ، وَالْوَوْشُ بِيَاضٍ فِي أَظْفَارِ الْأَحْدَاثِ .
النعاب :

وَذَكَرَ فِيمَنْ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ مِنْ بَنِي عَدَى : مَعْمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
ابن نَضَلَةَ ، وَقَالَ فِيهِ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ : إِنَّمَا هُوَ : مَعْمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَافِعِ
ابن نَضَلَةَ .

وقال ابن إسحاق : نَضَلَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيِّ بْنِ حُرْثَانَ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ حَاشِيَةَ
كِتَابِ الشَّيْخِ قَالَ : إِنَّمَا هُوَ نَضَلَةُ بْنُ عَوْفِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَوْيَجٍ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ قَوْلُ
مُصْعَبٍ فِي كِتَابِ النَّسَبِ ^(٢) . وَذَكَرَ فِي بَنِي عَدَى : عُرْوَةَ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيِّ بْنِ
حُرْثَانَ ، كَذَا فِي كِتَابِ الْمُصْعَبِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : عَمْرُو بْنُ أَبِي أُنَائَةَ أَوْ عُرْوَةَ بْنُ أَبِي أُنَائَةَ
عَلَى الشَّكِّ وَذَكَرَهُ أَبُو عُمَرَ فِي كِتَابِ الْأَسْتِيْعَابِ فَقَالَ فِيهِ : عُرْوَةَ بْنُ أَبِي أُنَائَةَ وَيُقَالُ
ابن أُنَائَةَ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيِّ بْنِ حُرْثَانَ ، قَالَ : وَأُمُّهُ ، أُمُّ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِي ، فَهُوَ

(١) عند الخشنى : الضعفاء الداخلون في القوم ، وهو منهم . والبطارقة :

الوزراء .

(٢) هو كما ذكر في جهرة ابن حزم ص ١٤٧ وما بعدها ، وفي نسب قرش

لمصعب الزبيري ص ٣٨٢ ، ص ٣٨٦ وزاد بعد عويج : ابن عدى بن كعب .

أخوه لأم^(١) .

قال المؤلف : وأمهما اسمها : ايلي ، وتلقب بالنابعة ، وهي من بنى ربيعة ثم من بنى جَلَّان^(٢) قال أبو عمر : ويقال فيه : ابن أبي أئانة ، قال المؤلف : وقد قدمنا أن المصعب الزبيري شك فيه ، فقال : عروة ، أو عمرو ، وأما الزبير : فقال عمرو بن أبي أئانة ، ولم يشك ، ثم قال أبو عمر : لم يذكره ابن إسحاق فيمن هاجر إلى أرض الحبشة ، وذكره الواقدي ، وأبو معشر وموسى بن عقبة ، قال المؤلف : وهذا وهم من أبي عمر - رحمه الله - فإن ابن إسحاق ذكره فيهم ، غير أنه نسب إلى جده عبد العزى ، وأسقط اسم أبيه أبي أئانة ، وقال حين ذكر من هاجر من بنى عدى بعد ما عدتم خمسة ، قال :

(١) في نسب قريش ، ولد أبو أئانة بن عبد العزى ، عمرو بن أبي أئانة ، وعروة بن أبي أئانة ، وهو من مهاجرة الحبشة ، وأمه : النابعة بنت حرمة أخواه لأمه ؛ عمرو بن العاصي وأرنب بنت عفيف بن أبي العاصي بن أمية ابن عبد شمس ، ص ٣٨١ . وانظر ٤٠٩ من نفس الكتاب ، فليس فيه شك ، وإنما هما ولدان . أحدهما : عمرو ، والآخر عروة . وتوجد لهما ترجمتان في الإصابة ، إلا أنه قال عن عروة - ولعله تصحيف - بن أبانة . ثم قال : ويقال ابن أبي أبانة ابن عبد العزى ، بن حرام بن عوف بن عبيد بن عويج الخ وفي جمهرة ابن حزم وعمر بن أبي أئانة بن عبد العزى بن حريثان بن عوف بن عويج بن عدى ابن كعب من مهاجرة الحبشة وهو أخو عمرو بن العاص لأمه وأخوه عروة ابن ابن أئانة من مهاجرة الحبشة ص ١٤٨ وفي ص ١٥٤ منه ، وأخواه لأمه - يعني عمرو وعروة أبنا أبي أئانة الحبشة .

(٢) في نسب قريش أن أمه : سبية من بنى عنزة ص ٤٠٩ وفي الإصابة : أمه من بنى عنزة . وفي جمهرة ابن حزم كما في نسب قريش واسمها : النابعة ص ١٥٤ .

أربعة نفر ، وهو وهم من ابن إسحاق ، وذكر فيهم مع الخمسة : ليلي بنت
أبي حشمة امرأة عامر بن ربيعة ، فهم على هذا ستة ، غير أنه يحتمل أن يريد
أربعة نفر دون حليفهم عامر ، وما أظنه قصد هذا ؛ لأن من عادته أن يعد
الحلفاء مع الصميم ؛ لأن الدعوة تجمعهم .

أُم سلمة :

وذكر أم سلمة وبعلمها أبا سلمة ، توفي عنها بالمدينة ، وخلف عليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم - وذكر اسمها هذا ، وقيل في اسمها : رملة^(١) ، وأبوها
أبو أمية اسمه : حذيفة يعرف بزاد الراكب^(٢) .

وذكر أنها ولدت بأرض الحبشة زينب بنت أبي سلمة ، وكان اسم زينب

(١) في الإصابة اسمها : هند . وقال عن القول بأن اسمها رملة : ليس بشيء .

(٢) وقيل أيضاً : سهيل ولقب بهذا ؛ لأنه كان إذا سافر لم تود معه نار إلى أن

يرجع . ورثاه أبو طالب :

ألا إن خير الناس غير مدافع بسرو سحيم غيبته المقابر

سومنها :

وكان إذا يأتي من الشام قافلاً تقدمه - تسعى إلينا - البشائر

وهناك غيره من قريش أزواد الراكب : أبو أمية بن المغيرة ، مسافر

الابن أبي عمرو بن أمية ، زمعة بن الأسود ، لأنهم - كما في اللسان - كانوا إذا

سافروا ، فخرج معهم الناس لم يتخذوا زادا معهم ، ولم يوقدوا ، يكفونهم ويغنونهم

يقول : المصعب الزبيري : رثاه أبو طالب :

وقد أيقن الراكب الذي أنت فيهم إذا رحلوا يوماً بأنك عاقر

فسمى زاد الراكب ، واسمه : حذيفة ، وكانت عنده عاتكة بنت عبد المطلب .

انظر الاشتقاق ص ١٥٠ ، ٩٤ واللسان مادة : زود والإصابة ترجمة أم سلمة ،

سونسب قريش ص ٣٠٠ .

(م ١٦ - الروض الأنف ج ٣)

برّة ، فسمّاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زينب ، كانت زينبُ هذه عند عبد الله بن زَمَعَةَ ، وكانت قد دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يفتسل ، وهى إذ ذاك طفلة ، فَتَضَحَّ فى وجهها من الماء ، فلم يزل ماء الشباب فى وجهها^(١) ، حتى عجزت وقاربت المائة ، وكانت من أفقه أهل زمانها ، وأدركت وقعة الحرّة بالمدينة^(٢) ، وقُتل لها فى ذلك اليوم ولدان ، اسم أحدهما : كبير ، والآخر : يزيد من عبد الله بن زَمَعَةَ ، فكانت تبكى على أحدهما ، ولا تبكى على الآخر ، فسئلت عن ذلك ، فقالت : أبكيه لأنه جرد سيفه وقاتل ، والآخر لا أبكيه لأنه لزم بيته ، وكف يده حتى قتل ، روى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين ابتنى بأم سلمة دخل عليها بيتها فى ظلمة ، فوطىء على زينب ، فبكت ، فلما كان من الليلة الأخرى دخل فى ظلمة أيضا ، فقال : أنظروا زنا بكم أن لا أطأ عايتها^(٣) ، أو قال : أخروا ذكره الزبير ، وفى هذه الحديث توهمين لرواية من روى أنه كان يرى بالليل ، كما يرى بالنهار .

(١) حديث تغيير الاسم أسنده ابن خيشمة من طريق محمد بن عمرو بن عطاء عنها ، وذكر مثله فى زينب بنت جحش ، وأصله فى مسلم فى حق زينب هذه وفى حق جوهرية بنت الحارث ، ومسألة نضح الماء ذكرها ابن حجر فى الإصابة . وروى أنها كانت أفقه امرأة بالمدينة ، وأما نداؤها بزنا ب بضم الزاى ، فقد ورد فى حديث رواه النسائى وفتزوجها - أى أم سلمة - فجعل يأتينا ، فيقول : أين زنا ب ،

(٢) وقعت سنة ٦٣ هـ

(٣) سبق الحديث عن هذا

إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها

قال ابن إسحاق : فلما رأَت قُريش أن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد آمنوا ، واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجُلين من قريش جُلدين إلى النجاشي ، فيردهم عليهم ؛ ليقتنوهم في دينهم ، ويُخرجوهم من دارهم ، التي اطمأنوا بها ، وأمَّنوا فيها ، فبعثوا عبدَ الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص بن وائل ، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارفته ، ثم بعثوهما إليه فيهم .

النور الذي ظهر على قبر النجاشي :

فصل : وذكر حديث عائشة : كذا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبر النجاشي نور ، وقد خرجه أبو داود من طريق سالم بن الفضل ، وعن ابن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عائشة ، وأورده في باب : النور يرى عند الشهيد ، وليس في هذا الحديث ولا غيره ما يدل على أن النجاشي مات شهيداً ، وأحسبه أراد : أن يشهد بهذا الحديث ما وقع في كتب التاريخ من أن عبد الرحمن ابن ربيعة أخا سلمان بن ربيعة الذي يقال له : ذو النور ، وكان على باب الأبواب فقتله الترك زمان عمر ، فهو لا يزال يرى على قبره نور ، وبعض هذا حديث النجاشي ، يقول : فإذا كان النجاشي - وليس بشهيد - يرى عنده نور ، فالشهيد أحرى بذلك لقول الله سبحانه : ﴿ وَالشَّهَدَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ (١)

الحديد : ١٩ .

(١) الواضح أن هذا في الآخرة ، ولا أدري لماذا خالف مبداءه ، فاعتمد على أحاديث واهية ، وفي سلة بن الفضل تشيع وسيأتي حديث النور في ص ٢٥١ .

فقال أبو طالب - حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه - أبيتا للنجاشي
يخصه على حُسن جوارهم ، والدَّفْع عنهم :

ألا ليت شعري كيف في النَّأى جعفرُ

وعمرُو وأعداء العدو الأقاربُ

وهل نالت أفعالُ النجاشي جعفرًا وأصحابه أوعاق ذلك شاغب

تعلم - أبيتَ اللعن - أنك ماجدٌ كريمٌ فلا يشقُّ لديك المُجانب

تعلم بأن الله زادك بسطةً وأسبابَ خيرٍ كلُّها بك لازب

وأنت فيضٌ ذو سِجالٍ غزيرةٍ ينال الأعداى نفعها والأقاربُ

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم الزُّهرى عن أبي بكر بن عبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام المخزومي ، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما نزلنا أرضَ الحبشة ، جاؤرنا بها
خيرَ جارٍ: النجاشي ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى ، لا نُؤدَى ، ولا نسمع
شيئًا نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشا ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا
رجلين منهم جلدَيْن ، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يُستطرف من متاع مكة ،
وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدمُ ، فجمعوا له أدمًا كثيرًا ، ولم يتركوا من
بطارقتِه بطريقًا إلا أهدوا له هديةً ، ثم بعثوا عبدَ الله بن أبي ربيعة ،
وعمرُ بن العاص ، وأسروهما بأمرهم ، وقالوا لهما : ادفعَا إلى كلِّ بطريق هديتِه
قبل أن تكلمنا النجاشي فيهم ، ثم قدما إلى النجاشي هداياه ، ثم سلاه أن
يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم . قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشي ،

• • • • •

ونحن عنده بخير دار عند خير جار ، فلم يبق من بطارقتة بطريق إلا دَفَعَا إليه هديته قبل أن يُكَلِّمَ النجاشي ، وقالوا لسكِّلِ بطريق منهم : إنه قد ضَوَى إلى بلدِ الملأ ، منَّا غلمانٌ سفهاء ، فارقوا دينَ قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مُبتدع ، لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بَعَثْنَا إلى الملك فيهم أشرفُ قومهم ، ليردهم إليهم ، فإذا كَلَّمْنَا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بأن يُسَلِّمَهُمَ إلينا ، ولا يكلمهم ، فإن قومهم أعلَى بهم عَيْنَا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فقلوا لها : نعم . ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما ، ثم كلماه ، فقالا له : أيها الملك ، إنه قد ضَوَى إلى بلدك منَّا غلمان سفهاء ، فارقوا دينَ قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين مبتدعوه ، لا نعرفه نحن ، ولا أنت ، وقد بَعَثْنَا إليك فيهم أشرفُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائهم : لتردهم إليهم ، فهم أعلَى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، وعاتبوهم فيه . قالت : ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي . قالت : فقالت بطارقتة حوله : صدقا أيها الملك ، قومهم أعلَى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلمهم إليهما ، فليردَّاهم إلى بلادهم وقومهم . قالت : فغضب النجاشي ، ثم قال : لاها الله ، إذن لأسلمهم إليهما ، ولا يُكادقومٌ جاوروني ، ونزلوا بلادى ، واختاروني على من سواى ، حتى أدعوهم ، فأسألمهم عما يقولون دنان في أمرهم ، فإن كانوا يقولون ، أسألمهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منها ، وأحسنتُ جوارهم ما جاوروني .

حوار بين النجاشي وبين المهاجرين

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول : والله ما علمنا ، وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كأننا في ذلك ما هو كائن ، فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشي أساقفته ، فشرخوا مصاحفهم حوله سألمهم ، فقال لهم : ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل ! قالت : فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب ، فقال له : أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار وبأكل القوى من الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعناقه ، فدعانا إلى الله ؛ لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحرم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده - لا نشرك به شيئا - وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، قالت : فمدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه وآمننا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعلمنا قومنا ، فعدبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا

.....

تستحلُّ من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحلوا بيننا وبين
ديننا ، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ،
ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك . قالت : فقال له النجاشي : هل معك
سما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ، فقال النجاشي :
فاقرأه علي ، قالت : فقرأ عليه صدرا من : ﴿ كهيعص ﴾ . قالت : فبكى والله
النجاشي ، حتى اخضت لحيته ، وبكت أساقفته ، حتى أخضلوا مصاحفهم ،
حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج
من مشكاة واحدة ، انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما ، ولا يكادون .

قالت : فلما خرجنا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لأتيته غداً عنهم
بما أستأصِل به خضراءهم . قالت : فقال له عبد الله بن أبي ربيعة - وكان أتي
الرجلين فينا : لا نفعل ؛ فإن لهم أرحاما ، وإن كانوا قد خالفونا . قال :
والله لأخبرته أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبدٌ ، قالت : ثم غدا عليه
من الغد ، فقال له : أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما ،
فأرسل إليهم فسلمهم عما يقولون فيه . قالت : فأرسل إليهم ، ليسألهم عنه .
قالت : ولم ينزل بنا مثلها قط . فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا
تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول - والله - [فيه] ما
قال الله ، وما جاءنا به نبينا ، كائنا في ذلك ما هو كأنا . قالت : فلما دخلوا
عليه ، قال لهم : ماذا تقولون في عيسى ابن مريم ؟ قالت : فقال [له] جعفر
ابن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم : هو عبدُ الله

ورسوله ، وروحه ، وكرامته ألقاها إلى مريم العذراء البتول . قالت : فضربه
النجاشي بيده إلى الأرض ، فأخذ منها عودا ، ثم قال : والله ما عدا عيسى
ابن مريم ما قات هذا العود ، قالت : فتناخرت بطارقته حوله حين قال
. اقال ، فقال : وإن نخزتم الله ، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي - والشيوم :
الأمنون - من سبكم غريم ، ثم قال : من سبكم غريم ، ثم قال : من سبكم غريم
ما أحب أن لي دبرا من ذهب ، وأنى آذيت رجلا منكم - قال ابن هشام :
ويقال : دبرى من ذهب . ويقال فأنتم شيوم ، والدير - بلسان الحبشة :
الجيل - ردوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لي بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة
حين رددت عليّ ملكي ، فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه .
قالت : فخرجا من عنده مقبوحين ، مردودا عليهما ماجاء به ، وأقمنا عنده
بخير دار ، مع خير جار .

المهاجرون وانتصار النجاشي

قالت : فوالله إننا لعلنا ذلك ، إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه فيه
ملكه . قالت : فوالله ما علمتنا حزنا حزنا قط كان أشد علينا من حزني
حزناه عند ذلك ، تخوفا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي ، فيأتي رجل
لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه ، قلت : وسار إليه النجاشي ،
وبينهما عرض النيل ، قالت : فقال أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -
من رجل يخرج حتى يضر وقية القوم ، ثم يأتينا بالخبر ؟ قلت : فقال الزبير
ابن العوام : أنا ، قالوا : فأنت - وكان من أحدث القوم سنا - قالت : فنفعوا

له قِربَة ، فجعلها في صدره ، ثم سَبَّحَ عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ،
مُلتقى القوم ، ثم انطلق حتى حَضَرَهم ، قالت : فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور
على عدوّه ، والتمسكين له في بلاده ، قالت : فوالله إننا لعلّ ذلك مُتوقِّعون
لِمَا هو كائن ، إذ طلع الزُّبير وهو يسعى ، فلمع بثوبه وهو يقول : ألا أبشروا ،
فقد ظفر النجاشي ، وأهلك الله عدوه ، ومكن له في بلاده . قالت : فوالله
ما علمتنا فرِحنا فرِحَة قطّ مثلها . قالت : ورجع النجاشي ، وقد أهلك الله
عدوّه ، ومكّن له في بلاده ، واستوثقَ عليه أمر الحبشة ، فكنا عنده في خير
مَنزل ، حتى قدمنا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

قصه تملك النجاشي على الحبشة

قال ابن إسحاق : قال الزهري : حَدَّثت عُروة بن الزبير حديثَ أبي بكر
ابن عبد الرحمن ، عن أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل
تدري ما قوله : ما أخذ الله مني الرِّشوة حين ردّ عليّ مُلْكِي ، فأخذ الرِّشوة
فيه ، وما أطاع النَّاسَ فيّ ، فأطبع النَّاسَ فيه ؟ قال : قات : لا ، قال : فإن
عائشة أمّ المؤمنين حَدَّثتني أن أباه كان ملكَ قومه ، ولم يكن له ولدٌ إلا
النجاشي ، وكان للنجاشي عمّ ، له من صلبه اثنا عشر رجلاً ، وكانوا أهلَ
بيت مملكة الحبشة ، فقالت الحبشة بينها : لو أننا قتلنا أبا النجاشي ، ومَلَّكنا أخاه
فإنه لا ولد له غير هذا الغلام ، وإن لأخيه من صلبه اثني عشر رجلاً ، فتوارثوا
مُلْكَه من بعده ، بقيت الحبشة بعده دهرًا ، فَعَدَّوا على أبي النجاشي فقتلوه ،
ومَلَّكوا أخاه ، فكتبوا على ذلك حينًا .

ونشأ النجاشي مع عمّه - وكان ليبيًا حازمًا من الرجال - فغلب على أمر عمّه ، ونزل منه بكل منزلة ، فلما رأت الحبشة مكانه منه ، قالت بينها : والله لقد غلب هذا المتى على أمر عمّه ، وإنا لنتخوف أن يملكه عابنا ، وإن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين ، لقد عرف أننا نحن قتلنا أباه . فمشوا إلى عمّه ، فقالوا : إِمَّا أَنْ تَقْتُلَ هَذَا الْفَتَى ، وَإِمَّا أَنْ تَخْرُجَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا ، فَإِنَّا قَدْ خِفْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا ، قَالَ : وَيَلِكُمْ ! قَتَلْتُ أَبَاهُ بِالْأَمْسِ ، وَأَقْتَلَهُ الْيَوْمَ ! بَلْ أَخْرَجَهُ مِنْ بِلَادِكُمْ . قَالَتْ : فَخَرَجُوا بِهِ إِلَى السُّوقِ ، فَبَاعُوهُ مِنْ رَجُلٍ مِنَ التَّجَّارِ بِسِتْمَانَةِ دَرَاهِمٍ ، فَقَذَفَهُ فِي سَفِينَةٍ فَانْطَلَقَ بِهِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْعِشِيِّ مِنَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، هَاجَتْ سَحَابَةٌ مِنْ سَحَابِ الْخَرِيفِ ، فَخَرَجَ عَمَّهُ يَسْتَمْطِرُ تَحْتَهَا ، فَأَصَابَتْهُ صَاعِقَةٌ ، فَقَتَلَتْهُ . قَالَتْ : فَفَرَزَعَتِ الْحَبِشَةَ إِلَى وُلْدِهِ ، فَإِذَا هُوَ مُحْمِقٌ ، لَيْسَ فِي وُلْدِهِ خَيْرٌ ، فَخَرَجَ عَلَى الْحَبِشَةَ أَمْرُهُمْ .

فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك ، قال بعضهم لبعض : تعلموا والله أن مَلِكِكُمْ الَّذِي لَا يُقِيمُ أَمْرَكُمْ غَيْرُهُ لِلَّذِي يَغْتَمُ غَدْوَةً ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ بِأَمْرِ الْحَبِشَةَ حَاجَةٌ ، فَأَدْرِكُوهُ الْآنَ . قَالَتْ : فَخَرَجُوا فِي طَلْبِهِ ، وَطَلَبَ الرَّجُلُ الَّذِي بَاعُوهُ مِنْهُ حَتَّى أَدْرِكُوهُ ، فَأَخَذُوهُ مِنْهُ ، ثُمَّ جَاءُوا بِهِ ، فَعَقَدُوا عَلَيْهِ التَّاجَ ، وَأَقْعَدُوهُ عَلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ ، فَمَلَّكَوهُ .

فجاءهم التاجر الذي كانوا باعوه منه ، فقال : إِمَّا أَنْ تُعْطُونِي مَالِي ، وَإِمَّا أَنْ أَكَلِمَهُ فِي ذَلِكَ ؟ قَالُوا : لَا نُعْطِيكَ شَيْئًا ، قَالَ : إِذْنِ وَاللَّهِ أَكَلِمَهُ ، قَالُوا : فَدُونِكَ وَإِيَّاهُ . قَالَتْ : فَجَاءَهُ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، ابْتَعْتُ

.....

غلاما من قوم بالسوق يستأثمة درهم ، فأمنهوا إلى غلامى ، وأخذوا دراهمى ، حتى إذا سرت بغلامى ، أدركونى ، فأخذوا غلامى ، ومنعوني دراهمى . قالت : فقال لهم النجاشى : لتُعْطَنَّهُ دراهمه ، أو ليضعنَّ غلامه يده فى يده ، فليذهبنَّ به حيث شاء ، قالوا : بل نُعطيه دراهمه . قالت : فلذلك يقول : ما أخذ الله منى رشوةً حين ردّ على مُلْسى ، فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فى ، فأطيع الناس فيه . قالت : وكان ذلك أوّل ما خُبر من صلابته فى دينه ، وعدله فى حكمه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير ، عن عائشة قالت : لما مات النجاشى ، كان يتحدّث أنه لا يزال يرى على قبره نورٌ .

إسلام النجاشى والصلاة عليه

قال ابن إسحاق : وحدثنى جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : اجتمعت الحبشة ، فقالوا للنجاشى : إنك قد فارقت ديننا ، وخرجوا عليه قال : فأرسل إلى جعفر وأصحابه ، فهدّوا لهم سفنا ، وقال : اركبوا فيها ، وكونوا كما أنتم ، فإن هُزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإن ظفرت فائبتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى بن مريم عبده ورسوله ، وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، ثم جعله فى قببنة عند المنكب الأيمن ، وخرج إلى الحبشة ، وصَفُّوا له ، فقال : يامعشر الحبشة ، ألسن أحقّ الناس بكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فكيف رأيتم

• • • • •

سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة، قال: فما لكم؟ قالوا: فارقت ديننا، وزعمت أن عيسى عبدٌ، قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول: هو ابنُ الله، فقال النجاشي، ووضع يده على صدره على قبائه: هو يشهد أن عيسى بنَ مريم لم يزد على هذا شيئاً، وإنما يعني ما كتّبت، فرضوا وانصرفوا، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له.

إرسال قريش إلى النجاشي في أمر أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم

ذكر ابن إسحاق أنهم أرسلوا عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة ابن المغيرة، وأهدوا معهما هدايا إلى النجاشي. وعبد الله بن أبي ربيعة هذا كان اسمه بجيرا^(١)، فسماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أسلم: عبد الله، وأبوه: أبو ربيعة ذو الرحين، وفيه يقول ابن الزبّعي.

بجيرا بن ذي الرحين قرّب مجاسي وراح علينا فضله وهو عاتم^(٢)

(١) بجير بفتح وكسر أو ضم الباء وسكون الياء، هذا وذكر الذهبي في أعلام النبلاء ج ١ ص ١٥١ أن الذين هاجروا كانوا ثمانين. ويؤيده ما روى أحمد بإسناد حسن عن ابن مسعود قال: بعثنا النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى النجاشي، ونحن نحو من ثمانين رجلاً ص ١٤٨ > ٧ فتح الباي، وذكر ابن جرير أنهم ٨٢ وشك في عمار هل كان فيهم أولاً، وقيل: إن عدة كل نساءهم كانت ثمان عشرة امرأة.

(٢) في نسب قريش: يروح علينا فضله غير عاتم، وفي الإصابة أيضاً: غير عاتم، وهو الصواب فعاتم: بطيء، فقوله: كما في السهيلي: وهو عاتم لا يستقيم مع غرض الشاعر.

واسم أبي ربيعة : عمرو ، وقيل : مُحَدِّبَةُ ، وأم عبد الله بن أبي ربيعة :
أسماء بنت مُحَرَّبَةَ التَّمِيمِيَّةِ (١) ، وهي أم أبي جهل بن هشام ، وعبدُ الله بن أبي
ربيعة هذا هو والدُ عُمَرَ بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر ، ووالد الحارث
أمير البصرة المعروف بالقُبَاعِ ، وكان في أيام عمر واليًّا على الجند ، وفي أيام
عثمان ، فلما سمع بحصر عثمان ، جاء لينصره ، فسقط عن دابته فمات .

عمارة بن الوليد بن المغيرة :

فصل : وكان معهما في ذلك السفر مُمَارَةَ بن الوليد بن المغيرة الذي تقدم
ذكره حين قالت قريش لأبي طالب : خذُ عُمَارَةَ بدلا من محمد ، وادفع إلينا
محمدًا نقتله ، وكان مُمَارَةَ من أجمل الناس ، فذكر أصحاب الأخبار أنهم أرسلوه
مع عمرو بن العاصي إلى النَّجَاشِيِّ ، ولم يذكره ابن إسحاق في رواية ابن هشام ،
وذكر حديثه مع عمرو في رواية يونس ، ولسكن في غير هذه القصة المذكورة
ها هنا ، ولعل إرسالهم إياه مع عمرو ، كان في المرة الأخرى التي سيأتي ذكرها
في السيرة عند حديث إسلام عمرو ، وَبِمَنْ ذكر قصة عمارة بطولها أبو الفرج
الأصبهاني ، وذكر أن عَمْرًا سافر بامرأته ، فلما ركبوا البحر ، وكان مُمَارَةَ قد
هَوِيَ امرأَةَ عَمْرٍو وهَوَيْتَهُ ، فعزما على دفع عمرو ، أو كان ذلك من عمارة على
غير قصد فدفع عمرا ، فسقط في البحر ، فسبح عمرو ، ونادى أصحاب السفينة

(١) في نسب قريش ص ٢١٨ أسماء بنت مُحَرَّبَةَ بن جندل بن أبيير بن نهمل
ابن دارم ، وفي الإصابة : بنت مخزومة ، وفي القاموس : أسماء بنت مُحَرَّبَةَ واسم
ذي الرعين في نسب قريش : عمرو ، أما حذيفة فأخوه زاد الركب .

فأخذوه، ورفعوه إلى السفينة، فأضرها عمرو في نفسه، ولم يُبدها لعمارة، بل قال لامرأته- فيما ذكر أبو الفرج- قَبِلَ ابن عمك عمارة لتطيبَ بذلك نفسه، فلما أتيا أرض الحبشة مكر به عمرو، وقال: إني قد كتبت لني بني سهم ليبرءوا من دمي لك، فاكتب أنت لبني مخزوم ليبرءوا من دمك لي، حتى تعلم قريش أننا قد تصافينا، فلما كتب عمارة، إلى بني مخزوم، وتبرءوا من دمه لبني سهم، قال شيخ من قريش: قُتِلَ عمارة- والله- وعلم أنه مكر من عمرو، ثم أخذ عمرو يحرص عمارة على التعرض لامرأة النجاشي، وقال له: أنت امرؤ جميل، وهن النساء يُحِبُّنَ الجمال من الرجال، فاعلمنا أن تشفع لنا عند الملك في قضاء حاجتنا، فنعل عمارة فلما رأى عمرو ذلك، وتكرر عمارة على امرأة الملك، ورأى إنابتها إليه، أتى الملك مُتَمَتِّصِحًا، وجاءه بأمانة عرفها الملك، قد كان عمارة أطلع عمرًا عليها، فأذركته غيرة الملك، وقال: لولا أنه جاري لقتلته، ولكن سأفعل به ما هو شرٌّ من القتل، فدعا بالسَّوَّاحِرَ، فأمرهن أن يَسْحَرَنَّهُ، فنفضن في إِحْلِيلِهِ (١) نَفْخَةً، طار منها هائمًا على وجهه، حتى لحق بالوَحُوشِ فِي الجبال، وكان يرى آدميا فيفر منه، وكان ذلك آخر العهد به، إلى زمن عمر ابن الخطاب، فجاء ابنُ عمه عبدُ الله بن أبي ربيعة إلى عمر، واستأذنه، في المسير إليه لعله يجده، فأذن له عمر فسار عبدُ الله إلى أرض الحبشة، فأكثر النَّشْدَةَ عنه، والنَّحْصَ عن أمره، حتى أخبر أنه - بِتَحْمِيلِ (٢) يرد مع الوحوش، إذا وردت، ويصدر معها إذا صدرت، فسار إليه حتى كَمَنَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ إِلَى

(١) الإحليل: مخرج البول من ذكر الإنسان واللبن من الثدي والضرع.

(٢) الحيل: الماء المستنقع في بطن واد:

الماء ، فإذا هو قد غطاه شعره ، وطالت أظفاره ، وتمزقت عليه ثيابه ، حتى كأنه شيطان ، فقبض عليه عبدُ الله ، وجعل يذكره بالرحم ويستعطفه ، وهو ينتفض منه ، ويقول : أرسلني يا بحيرُ ، أرسلني يا بحيرُ ، وأبى عبدُ الله أن يرسله ، حتى مات بين يديه ، وهو خير مشهور اختصره بعضُ من أَلَّف في السير ، وطوله أبو الفرج ، وأوردته على معنى كلامه ، متحريا لبعض ألفاظه^(١) .

عن حديث أصحاب الهجرة مع النجاشي :

فصل : وذكر حديث أصحاب الهجرة مع النجاشي ، وما قال له جعفر إلى آخر القصة^(٢) ، وليس فيها إشكال ، وفيه من الفقه : الخروج عن الوطن ، وإن كان الوطن مكَّة على فضلها ، إذا كان الخروج فراراً بالدين ، وإن لم يكن إلى إسلام ، فإن الحبشة كانوا انصارى يعبدون المسيح ، ولا يقولون : هو عبد الله ، وقد تبين ذلك في هذا الحديث ، وسبوا بهذه مهاجرين ، وهم أصحاب المهاجرين الذين أنثى الله عليهم بالسبق ، فقال : ﴿ والسابقون الأولون ﴾ وجاء

(١) في نسب قريش : فلدا يئس عمرو — يعني من استجابة النجاشي له في أمر المهاجرين محل بعمارة — أي كادله — عند النجاشي فذمخ النجاشي في إحليله سحرا ، فذهب مع الوحش فيما تقول قريش . فلم يزل مستوحشا يرد الماء في جزيرة بأرض الحبشة ، وفيه أنه قال لآخيه عبد الله : يا بحير أرسلني ، فبني أموت إن أمسكتني ، فأمسك ، فمات في يده ص ٣٢٢ . والقصة خرافة ، ومصعب دقيق في تعبيره إذ يقول : « فيما تقول قريش ، فهي إذا أقاويل ! »

(٢) يقول ابن تيمية عن قصة المهاجرين في حديث أم سلمة . . . وقد ذكر قصتهم جماعة من العلماء والحفاظ كأحمد بن حنبل في المسند ، وابن سعد في الطبقات وأبي نعيم في الحلية وغيرهم وذكرها أهل التفسير والحديث والفقه وهي متواترة عند العلماء ، ص ٨١ > ١ الجواب الصحيح ، طبع المدني .

في التفسير : أنهم الذين صلوا القبلتين ، وهاجروا المهجرتين ، وقد قيل أيضا : هم الذين شهدوا بيعة الرضوان ، فانظر كيف أننى الله عليهم بهند الهجرة ، وهم قد خرجوا من بيت الله الحرام إلى دار كفر ، لما كان فعلهم ذلك احتياطاً على دينهم ، ورجاء أن يخلى بينهم وبين عبادة ربهم ، يذكرونه آمنين مطمئنين ، وهذا حكم مستمر متى غلب المنكر في بلد ، وأوذى على الحق مؤمن ، ورأى الباطل قاهراً للحق ، ورجا أن يكون في بلد آخر - أى بلد كان - يخلى بينه وبين دينه ، ويظهر فيه عبادة ربه ، فإن الخروج على هذا الوجه حتم على المؤمن ، وهذه الهجرة التي لا تنقطع إلى يوم القيامة : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ البقرة : ١١٥ .

فصل : وليس في باقى حديثهم شىء يُشْرَحُ ، قد شرح ابن هشام الشُّيُومَ ، وهم الآمنون ، فيحتمل أن تكون لفظه حبشية غير مشتقة ، ويحتمل أن يكون لها أصل في العربية ، وأن تكون من شِمَتِ السيفِ إذا أغمدته ، لأن الآمنَ مُغَمَّدٌ عنه السيف ، أو لأنه مَصُونٌ في صِوَانٍ^(١) وحرز كالسيف في غمده .

وقوله : صَوَى إِلَيْكَ فِتْيَةٌ^(٢) أى : أووا إليك ، ولا ذوابك ، وأما صَوَى بكسر الواو ، فهو من الصَّوَى مقصور ، وهو الهزال ، وقال الشاعر :

(١) في الأصل : صور بالحبشية وسيوم : آمن أو جمع سائم بالعربية

(٢) في السيرة : غلمان

فتى لم تلده بنتُ عم قريبه —

فَيَضُؤِي ، وقد يَضُؤِي رَدِيدُ أَغْرَابِ (١)

ومنه الحديث : اغتربوا لا تَضُؤُوا ، يقول : إن تزويج القرائب يورث الضؤى

في الولد (٢) ، والضعف في القلب ، قال الراجز :

إِنَّ بِلَالًا لَمْ تَشِفْهُ أُمُّهُ لَمْ يَتَنَاسَبْ خَالُهُ وَعَمُّهُ

إضافة العين إلى الله :

وفيه : قومهم أعلى بهم عينا ، أى : أبصر بهم ، أى : عينهم وإبصارهم فوق عين غيرهم في أمرهم ، فالعين هاهنا بمعنى الرؤية والإبصار ، لا بمعنى العين التي هي الجارحة ، وما سميت الجارحة عينا إجمالا ؛ لأنها موضع العين ، وقد قالوا : عانه يعينه عينا إذا رآه ، وإن كان الأشهر في هذا أن يقال : عاينه معاينة ، والأشهر في عنت أن يكون بمعنى الإصابة بالعين ، وإنما أوردنا هذا الكلام ، لتعلم أن العين في أصل وضع اللغة صفة لا جارحة ، وأنها إذا أضيفت إلى البارى سبحانه ، فإنها حقيقة نحو قول أم سلمة لعائشة : بعين الله مهواك ، وعلى رسول الله ترددين ؟ وفي التنزيل : ﴿ وَلَتَصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ وقد أملينا في المسائل

(١) في اللسان : القرائب بالقاف .

(٢) تدبر قول الله سبحانه : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ ، وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَبَنَاتِ عَمِّكَ ، وَبَنَاتِ خَالَكَ ، وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ، وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَنْكَحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْأَحْزَابِ : ٥٠ ، وقوله تعالى : « فَاذْكُرُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ » ، وَأَنْكِحُوا

(م - ١٧ الروض الأتق ج ٣)

المفردات : مسئله في هذا المعنى ، وفيها الرد على من أجاز التثنية في العين مع
إضافتها إلى الله تعالى^(١) ، وقاسها على اليدين ، وفيها الرد على من احتج بقول
النبي عليه السلام : إن ربكم ليس بأعور^(٢) ، وأوردنا في ذلك ما فيه شفاء ،
وأتبعناه بمعان بديعة في معنى عَوْرِ الدَّجَالِ ، فليُنظر هناك .

معنى أنه عيسى كلمة الله وروحه :

وقول جعفر في عيسى : هو رُوح الله وكلته ، ومعنى : كلمته أى : قال
له ، كما قال لآدم حين خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون ، ولم يقل :
فكان ، لثلاث يتوهم وقوع الفعل بعد القول بيسير ، وإنما هو واقع للحال ، فقوله :

== الأيايم منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ، النور : ٣٢ بتدبر هذه البيئات
يتجلى لك أنها هي الهدى .

(١) الدين الحق في هذا - وهو دين السلف الصالح لا الخلف الطالح - أن
نصف الله سبحانه ، ونسبته بكل ما وصف وسمى به نفسه ، ونسب إليه كل
مائسبه جل شأنه إلى نفسه ، وتنفي عنه كل ما نفاه عن نفسه ، فله سبحانه عين
حقا ، ولكنها ليست كعين البشر ؛ لأن الله ليس كمثله شيء . ولا يصح تأويل
العين تأويلا هو تحريف للكلم عن مواضعه ، فنضع لها معنى مبتدعا ليس لها
في لغة القرآن .

(٢) في حديث رواه البخارى ومسلم : إن الله لا يخفى عليكم ، إن الله تعالى
ليس بأعور ، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى - أى الجهة اليمنى - كأن
عينه عنبة طافية ، هذا عن ابن عمر ، وورد في حديث رواه البخارى ومسلم أيضا عن
أنس : إن ربكم ليس بأعور ، وقرأ ما كتب الإمام ابن القيم في الصواعق
المرسلة عن العين ، وما شابه هذا بما نسب الله إلى نفسه ، لتؤمن بتدبر القرآن أن
الله لا ينسب إلى نفسه إلا حقا .

فَيَكُونُ مُشْعِرًا بِوُقُوعِ الْفِعْلِ فِي حَالِ الْقَوْلِ ، وَتَوَجُّهُ الْفِعْلِ بِسَيْرِ عَلَى الْقَوْلِ ،
لَا يُمْكِنُ مُسْتَقْدَمٌ وَلَا مُسْتَأْخِرٌ ، فَهَذَا مَعْنَى الْكَلِمَةِ ، وَأَمَّا رُوحُ اللَّهِ بِمَعْنَى نَفْخَةِ
رُوحِ الْقُدْسِ فِي جَيْبِ الطَّاهِرَةِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَالْقُدْسِ : الطَّهَارَةُ مِنْ كُلِّ مَا يَشِينُ ،
أَوْ يَمِيبُ ، أَوْ تَقْدَرُهُ نَفْسٌ ، أَوْ يَكْرَهُهُ شَرَعٌ ، وَجِبْرِيلُ : رُوحُ الْقُدْسِ ، لِأَنَّهُ
رُوحٌ لَمْ يُخْلَقْ مِنْ مَنِيٍّ ، وَلَا صَدَرَ عَنْ شَهْوَةٍ ، فَهُوَ مُضَافٌ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ
إِضَافَةً تَشْرِيفٍ وَتَكْرِيمٍ ؛ لِأَنَّهُ صَادِرٌ عَنِ الْحَضْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ (١) ، وَعَيْسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ صَادِرٌ عَنْهُ ، فَهُوَ : رُوحُ اللَّهِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى ؛ إِذَا نَفَخَ قَدْ يُسَمَّى : رُوحًا
أَيْضًا ، كَمَا قَالَ غَيْلَانُ [بِنِ عَقْبَةَ ذُو الرُّمَّةِ] يَصِفُ النَّارَ :

فَقُلْتُ لَهُ : أَرْفَعُهَا إِلَيْكَ ، وَأُحْيِيهَا بِرُوحِكَ ، وَأَقْدِرُهَا لَهَا قِيَمَةً بَدْرًا (٢)

وَأَضْفُ هَذَا الْكَلَامَ فِي رُوحِ الْقُدْسِ ، وَفِي تَسْمِيَةِ النَّفْخِ رُوحًا إِلَى

(١) كَلِمَةُ الْحَضْرَةِ لَا يَجُوزُ نَسْبُهَا إِلَى اللَّهِ ، لِأَنَّهَا هُوَ تَعْبِيرٌ مُبْتَدِعٌ لِهَذِهِ النِّسْبَةِ . هَذَا وَيَقُولُ
ابْنُ تَيْمِيَّةٍ عَنْ رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ بِسُنْدِهِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ فِي شَأْنِ النَّجَاشِيِّ : « وَقد رَوَى
جَمَلُ هَذِهِ الْقِصَّةِ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى ، ص ٨٧ > ١ الجواب
الصَّحِيحُ ، وَفِي رِوَايَةِ أَنْ جَعْفَرَ قَرَأَ عَلَى النَّجَاشِيِّ أَرْبَعِينَ آيَةً مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى قَوْلِهِ
سُبْحَانَهِ : « إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا بِرِجْعِنَا ، وَفِي رِوَايَةٍ :
« بَلَوْهَا بِدَمُوعِهِمْ ، بَدَلًا مِنْ : « وَأَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ ، وَهِيَ بِمَعْنَاهَا . وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ
النَّجَاشِيَّ قَالَ : « إِنِّ هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لِيُخْرِجَ مِنْ مَشْكَاةٍ ، وَأَظْنَاهَا أَدْقُ .
هَذَا وَقَدْ رَاجَعْتُ الْحَدِيثَ عَلَى رِوَايَةِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ لَهُ

(٢) الْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ ، وَرِوَايَتُهُ :

فَقُلْتُ لَهُ : خُذْهُمَا إِلَيْكَ وَأُحْيِيهَا بِرُوحِكَ وَاقْتَهُ لَهَا قِيَمَةً قَدْرًا
وَاقْتِ لِنَارِكَ قِيَمَةً ، أَي : أَطْعَمَهَا ، بِأَمْرِهِ بِالرَّفْقِ وَالنَّفْخِ الْقَلِيلِ

ما ذكرناه قبل في حقيقة الروح ، وشرح معناه فإنه تكلمة له .

النجاشي أصحمة :

فصل : وذكر حديث عائشة عن النجاشي حين رد الله عليه ملكه ، وأن قومه كانوا بأعوه ، فلما مرج أمر الحبشة ، أخذوه من سيده واستردوه . وظاهر الحديث يدل على أنهم أخذوه منه قبل أن يأتي به بلاده لقوله : خرجوا في طلبه ، فأدركوه ، وقد بين في حديث آخر أن سيده كان من العرب وأنه استعبده طويلاً ، وهو الذي يقتضيه قوله : فلما مرج على الحبشة أمرهم ، وضاق عليهم ما هم فيه ، وهذا يدل على طول المدة في مغيبه عنهم ، وقد روى أن وقعة بدر حين انتهى خبرها إلى النجاشي علم بها قبل من عنده من المسلمين ، فأرسل إليهم ، فلما دخلوا عليه إذا هو قد لبس مسحاً ، وقعد على التراب والرماد ، فقالوا له : ما هذا أيها الملك ؟! فقال : إنا نجد في الإنجيل أن الله سبحانه إذا أحدث بعبده ، وجب على العبد أن يحدث الله تواضعاً ، وإن الله قد أحدث إلينا وإليكم نعمة عظيمة ، وهي أن النبي محمداً - صلى الله عليه وسلم - بلغني أنه التقى هو وأعداؤه بوادي يقال له : بدر كثير الأراك ، كنت أرعى فيه الغنم على سيدي ، وهو من بني ضمرة ، وأن الله دهم أعداءه فيه ، ونصر دينه ، فدل هذا الخبر على طول مكثه في بلاد العرب ، فمن هنا - والله أعلم - تعلم من لسان العرب ما فهم به سورة مريم حين نلت عليه ، حتى بكى ، وأخضل لحيته ، وروى عنه أنه قال : إنا نجد في الإنجيل أن اللعنة تقع في الأرض إذا كانت إمارة الصبيان .

مررت الهجرة إلى الحبشة :

فصل : ومما في حديث الهجرة إلى الحبشة من الفقه أن جَعْفَر بن أبي طالب قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم كيف نصلى في السفينة إذا ركبنا في البحر؟ فقال صلى الله عليه وسلم : صلّ قائماً إلا أن تخاف الغرق . خرجه الدَّارَقُطَنِي ، ولكن في إسناده مقال ، وفي مُسْنَد ابن أبي شيبة : وصلى أنس في السفينة جالسا . وذكر البخاري عن الحسن : يصلى قائماً إلا أن يَصُرَّ بأهلهما .

مول كتاب النجاشي والصلوة عليه :

فصل : وذكر الكتاب الذي كتبه النجاشي ، وجعله بين صدره وقبائه ، وقال للقوم : أشهد أن عيسى لم يزد على هذا ، وفيه من الفقه أنه لا ينبغي للمؤمن أن يكذب كذبا صُراحاً ، ولا أن يعطى بلسانه الكفر ، وإن أكره ما أمكنه الحيلة ، وفي المعارض مندوحة عن الكذب^(١) ، وكذلك قال أهل العلم في قول النبي عليه السلام : ليس بالكاذب من أصاح بين اثنين ، فقال خيرا . روته أم كلثوم بنت عقبة . قالوا : معناه أن يُعْرَضَ ، ولا يُفْصَحَ بالكذب ، مثل أن يقول : سمعته يستغفر لك ، ويدعوك ، وهو يعني أنه سمعه يستغفر للمسلمين ، ويدعولهم ؛ لأن الآخر من جملة المسلمين ، ويحتمل في التعريض

(١) إن في المعارض لمندوحة عن الكذب ، أخرجه — كما يقول ابن الأثير — أبو عبيد وغيره ، وهو حديث مرفوع . والمعارض : جمع معارض من التعريض ، وهو خلاف التصريح من القول ، يقال : عرفت ذلك في معارض كلامه ومعرض كلامه . ومندوحة : فسحة وسعة .

ما استطاع ، ولا يَخْتَلِقُ الكَذِبَ اختلاقاً ، وكذلك في خُدَعَةِ الحرب يُورِّى ،
ويَكْنِي ، ولا يَخْتَلِقُ الكَذِبَ يستحله بما جاء من إباحة الكذب في خُدَعِ
الحرب ، هذا كله ما وجد إلى الكناية سبيلاً .

وذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم : صلى على النجاشي ،
واستغفر^(١) له ، وكان موتُ النجاشي في رجب من سنة تسع ، ونعاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى الناس في اليوم الذي مات فيه ، وصلى عليه بالبيعة ، رُفِعَ
إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه ، وهو بالمدينة فصلى عليه ، وتكلم المنافقون ،
فقالوا : أيصلى على هذا العِلج !؟ فأَنْزَلَ اللهُ تعالى^(٢) :

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ، وَمَا أُنزِلَ
إِلَيْهِمْ ﴾ آل عمران : ١٩٩ ومن رواية يونس عن ابن إسحاق أن أبا نذر

(١) روى صلاة الرسول «ص» على النجاشي : البخاري ومسلم وأحمد والنسائي
والترمذي والطبراني . والرواية المتفق عليها : «توفي اليوم رجل صالح من الحبش
فهلّموا . فصلوا عليه ، فصفقنا خلفه ، فصلى رسول الله عليه ، ونحن صفوف»
وعن جابر أن النبي صلى على أصحمة النجاشي . فكبر أربعاً
(٢) ليست هذه الرواية في الصحيح ، وإنما هو عند ابن أبي حاتم وابن مردويه
وعبد بن حميد . وروى الحاكم أن الآية في حق النجاشي ، وحديث النور على
قبره رواه أبو داود بسنده عن محمد بن إسحاق . ولو كان هذا حقاً لتواتر
خبره . وأجِبْ أن أعرج على مسألة شرعية هي صلاة الجنائز على الغائب وحكها .
وليك خلاصة القول: ذهب الشافعي وأحمد وجمهور السلف إلى مشروعية الصلاة
على الغائب عن البلد ، وذهب الحنفية والمالكية إلى أن صلاة الغائب غير
مشروعة مطلقاً . واعتذروا عن القصة بأن النجاشي كان بأرض ليس فيها من

مولى على بن أبي طالب ، كان ابناً للنجاشي نفسه (١) ، وأن علياً وجده عند
تتاجر بمكة ، فاشتراه منه ، وأعتقه . كفاة لما صنع أبوه مع المسلمين .
وذكر أن الحبشة مَرَجَ عليها أمرها بعد النجاشي ، وأنهم أرسلوا وفداً
منهم إلى أبي نزيّر ، وهو مع علي ليمسكوه ويتوجوه ، ولم يختلفوا عليه فأبى
وقال : ما كنت لأطلب الملك بعد أن من الله على بالإسلام ، قال : وكان أبو نزيّر
من أطول الناس قامه ، وأحسنهم وجهاً ، قال : ولم يكن لونه كألوان الحبشة ،
ولكن إذا رأيته قلت : هذا رجل من العرب .

== يصى عليه ، ولهذا قال الخطابي : لا يصى على الغائب إلا إذا وقع موته بأرض
ليس فيها من يصى عليه ، وترجم بهذا أبو داود .
وقد اختار ابن تيمية هذا مستدلاً بما أخرجه الطيالسي وأحمد وابن ماجه
وابن قانع والطبراني والضياء المقدسي ، وعن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد
أن النبي « ص » قال : « إن أخاكم مات بغير أرضكم ، فقوموا فصلوا عليه » .
واستدلوا أيضاً بأن صلاة الرسول على النجاشي كانت خاصة لأنه لم يثبت أنه صلى
على ميت غائباً غيره ، وردوا على من جاء بأحاديث تثبت غير هذا بأن أسانيد
هذه الأحاديث ليست بالقوية . وقال الذهبي عن معاوية بن معاوية الذي زعموا
أن النبي صلى عليه أنه لا يعلم في الصحابة من اسمه معاوية بن معاوية ، وكذلك تكلم
فيه البخاري . وقال ابن القيم لا يصح حديث صلته على معاوية بن معاوية ،
لأن في إسناده العلاء بن يزيد ، وقد قال عنه ابن المديني أنه كان يضع الحديث ،
وأقول : وهذا هو الصواب ، ولكن إذا كان هذا هو الحكم فإن الإسلام يدعونا إلى أن
ندعو لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان بالمغفرة .

(١) له ترجمة في الإصابه . ذكره الذهبي مستدركا ، وقال : يقال إنه ولد
بالنجاشي جاء وأسلم ، وكان مع النبي « ص » في مؤتته . وقال الحافظ : إنه قرأ قصته
في كتاب الكامل للمبرد ، وأنه كان من أبناء ملوك الاعاجم ، وأنه أسلم صغيراً
على يد النبي صلى الله عليه وسلم وأن أمره انتهى إلى أن كان مع فاطمة ثم معها .

ذكر إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : ولما قدم عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة على قُريش ، ولم يُدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وردّهما النجاشيُّ بما يكرهونه ، وأسلم عمرُ بن الخطاب - وكان رجلاً ذا شكيمة لا يُرام ما وراء ظهره - امتنع به أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبجُمُرة حتى عازوا قُريشاً ، وكان عبدُ الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلي عند السكبة ، حتى أسلم عمر بن الخطاب ، فلما أسلم قاتل قريشاً ، حتى صلى عند السكبة ، وصلينا معه ، وكان إسلام عمر بعد خروج مَنْ خَرَجَ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة .

قال البكائي : قال : حدثني مسعرُ بن كِدّام ، عن سَمَدِ بن إبراهيم ، قال : قال عبد الله بن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحةً ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا ما نصلي عند السكبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم ، قاتل قريشاً حتى صلى عند السكبة ، وصلينا معه .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة ، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أمه أم عبد الله بنت أبي حثمة ، قالت :

والله إننا لفتَحْلُ إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامرٌ في بعض حاجاتنا ،

إذ أفبل عمر بن الخطّاب ، حتى وقف علىّ ، وهو على شركه - قالت : وكنا ،
نلقى منه البلاء أذى لنا ، وشدة علينا - قالت : فقال : إنه للانطلاق يا أمّ
عبد الله . قالت : فقلت : نعم والله ، لنخرجن في أرض الله ، آذيتونا
وقهرتمونا ، حتى يجعل الله مخرجنا . قالت : فقال : صحّ بكم الله ، ورأيت له
رِقّة ، لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أخزّنه - فيما أرى - خروجننا .
قالت : فجاء عامر بحاجته تلك ، فقالت له : يا أبا عبد الله ، لو رأيت عمرَ آفء
ورقته وخزّنه علينا ! قال : أطمعت في إسلامه ؟ قالت : قلت : نعم ، قال :
فلا يُسلم الذي رأيت ، حتى يُسلم حمار الخطّاب ؛ قالت : يا سا منه ، لما كان يُرى
من غلظته وقسوته عن الإسلام .

قال ابن إسحاق : وكان إسلامُ عمرَ فيما بانى أن أخته فاطمة بنت الخطّاب ،
وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت قد أسلمت وأسلم بعليها ،
سعيدُ بن زيد ، وهما مُستخفيان بإسلامهما من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله
النخّام من مكة ، رجل من قومه ، من بنى عدى بن كعب قد أسلم ، وكان
أيضاً يستخفي بإسلامه قرّقا من قومه ، وكان خباب بن الأرت يتخلف إلى
فاطمة بنت الخطّاب يُقرئها القرآن ، فخرج عمرُ يوماً متوشّحاً سيفه يريد رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - ورهطاً من أصحابه ، قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا
في بيت عند الصفا ، وهم قريبٌ من أربعين ما بين رجال ونساء ، ومع رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - عمه حمزةُ بن عبد المطلب ، وأبو بكر بن أبي قحافة
الصدّيق ، وعلي بن أبي طالب ، في رجال من المسلمين رضي الله عنهم ، ممن كان

.....

أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض
الخبشة ، فلقية نعيم بن عبد الله ، فقال له : أين تريد يا عمر ؟ فقال : أريد محمدا
هذا الصابي ، الذي فرّق أمر قريش ، وسفّه أحلامها ، وعاب دينها ، وسب
آلها ، فأقتله ، فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر ، أترى
بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدا ! أفلا ترجع إلى أهل
بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : وأى أهل بيتي ؟ قال : ختنك وابن عمك سعيد
ابن زيد بن عمرو ، وأختك : فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلمنا ، وتابعا
محمدا على دينه ، فعليك بهما ، قال : فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه ، وعندهما
خباب بن الأرت معه صحيفة ، فيها : « طه » يقرئها إياها ، فلما سمعوا حس
عمر تغيب خباب في مخدع لهم - أوفى بمض البيت - وأخذت فاطمة بنت
الخطاب الصحيفة ، فجعلتها تحت نغذاها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت
قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الصحيفة التي سمعت ؟ قال له : ما
سمعت شيئاً ، قال : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ، وبطش
بختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها ،
فضربها فشجّها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلمنا ، وأمننا
بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك : فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما
صنع ، فارتعوى ، وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتمكم تقرأون أنفاً
أنظر ما هذا الذي جاء به محمد ، وكان عمر كاتباً ، فلما قال ذلك ، قالت له أخته :
إننا نخشاك عليها ، قال : لا تخافي ، وحلف لها بألته ليردنها إذا قرأها إليها ،
فلما قال ذلك ، طمعت في إسلامه ، فقالت له : يا أخي ، إنك نجس ، على

.....

شركك ، وإنه لا يمسه إلا الطاهر ، فقام عمر ، فاغتسل ، فأعطته الصحبة
سوفها : « طه » فقرأها ، فلما قرأ منها صدراً ، قال : ما أحسن هذا الكلام
وأكرمته ! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه ، فقال له : يا عمر ، والله إنى لأرجو
أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فإني سمعته أمس ، وهو يقول : اللهم أيد
الإسلام بأبي الحکم بن هشام ، أو بعمر بن الخطاب ، فالله الله يا عمر : فقال
الله عند ذلك عمر : فدلتني يا خباب على محمد حتى آتته ، فأسلم ، فقال له خباب :
هو في بيت عند الصفا ، معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ،
ثم عمد إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، فضرب عليهم الباب ،
فلما سمعوا صوته ، قام رجل من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
فخظر من خال الباب ، فرآه متوشحاً بالسيف ، فرجع إلى رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - وهو قزاع ، فقال : يا رسول الله ، هذا عمر بن الخطاب
مُتَوَشِّحاً بالسيف ، فقال حمزة بن عبد المطلب : فأذن له ، فإن كان جاء يريد
خيراً بذلناه له ، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه ، فقال رسول الله -
صلى الله عليه وسلم : ائذن له ، فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - حتى لقيه في الحجر ، فأخذ حُجْرته ، أو بجمع ردايه ، ثم جَبَذَهُ به
جَبْدَةً شديدةً ، وقال : ما جاء بك يا بن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى
ينزل الله بك قارعةً ، فقال عمر : يا رسول الله ، جئتك لأومن بالله وبرسوله ،
وبما جاء من عند الله ، قال : فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرةً
عرَفَ أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر
قد أسلم .

• • • • •

فتفرق أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من مكانهم ، وقد
عزَّووا في أنفسهم حين أسلم عُمر مع إسلام حمزة ، وعرفوا أنهما سيمنعان
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويُنْتَصِفون بهما من عدوهم . فهذا حديث
الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطَّاب حين أسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدُ الله بن أبي نجيح المكي ، عن أصحابه :
عطاء ، ومجاهد ، أو عمَّن روى ذلك : أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه ، أنه
كان يقول : كنت للإسلام مُباعداً ، وكنت صاحبَ خمر في الجاهليَّة ، أحبُّها
وأسرُّها ، وكان لنا مجلسٌ يجتمع فيه رجال من قُرَيْشٍ بالخزِوَرَة ، عند دُور
آل عمر بن عبد بن عمران الخزومي ، قال : فخرجت ليلةً أريدُ جُلسائي أولئك
في مجلسهم ذلك ، قال : فحُتُّم فلم أجدُ فيه منهم أحداً . قال : فقلت : لو أني
جئتُ فلانا الخمار ، وكان بمكة يبيع الخمر ، لعلِّي أجدُ عنده خمرأ فأشرب منها .
قال : فخرجتُ فحُتُّته فلم أجدُه . قال : فقلت : فلو أني جئتُ الكعبةَ ، فطُفْتُ
بها سبعةً أو سبعةً . قال : فحُتُّ المسجدُ أريدُ أن أطوفَ بالكعبة ، فإذا
رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - قائمٌ يصلي ، وكان إذا صلى استقبل الشامَ ،
وجعل الكعبةَ بينه وبين الشام ، وكان مُصلاها بين الرُّكنَيْن : الركنَ الأسودَ ،
والركنَ اليماني . قال : فقات حين رأيتُه : والله لو أني استمعتُ لمحمدٍ الليلةَ حتى
أسمعَ ما يقول ! قال : فقلت : لئن دنوتُ منه أستمع منه لأروِّعنه ، فحُتُّتُ
من قِبَلِ الحِجْرِ ، فدخلتُ تحت ثيابها ، فعملتُ أمشي رويداً ، ورسولُ الله -
صلى الله عليه وسلم قائمٌ يصلي يقرأ القرآن ، حتى قمت في قِبَلته مستقبلة ، ما بيني .

• • • • •

هو بينه إلا ثياب الكعبة . قال : فلما سمعتُ القرآنُ رقي له قافي ، فبكيتُ
ودخلني الإسلامُ ، فلم أزل قائماً في مكاني ذلك ، حتى قضى رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - صلاته ، ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن
أبي حسين ، وكانت طريقه ، حتى يجزَع المسمى ، ثم يسلك بين دار عباس
ابن المطلب ، وبين دار ابن أزهر بن عبد عوف الزهري ، ثم على دار الأحنس
ابن شريق ، حتى يدخل بيته ، وكان مسكنه - صلى الله عليه وسلم - في الدار
الرفقاء ، التي كانت بيدي معاوية بن أبي سفيان . قال عمر رضي الله عنه :
فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ، ودار ابن أزهر ، أدركته ، فلما سمع
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حسي عرفني ، فظن رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - أني إنما تبعته لأؤذيه ، فنهمني ، ثم قال : ما جاء بك يابن
الخطاب هذه الساعة ؟ قال : قلت : جئت لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من
عند الله ، قال : فحمد الله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال : قد هدأك
الله يا عمر ، ثم مسح صدرى ، ودعاني بالثبات ، ثم انصرفتُ عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته .

قال ابن إسحاق : والله أعلم أي ذلك كان .

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر ،
قال : لما أسلم أبي عمر ، قال : أي قريش أنقل للحديث؟ فقيل له : جميل بن معمر
الجمحي . قال : ففدا عليه ، قال عبد الله بن عمر : فعدوت أتبع أئرد ، وأنظر
ما يفعل ، وأنا غلامٌ أعقل كل ما رأيتُ ، حتى جاءه ، فقال له : أعلمت يا جميلُ

.....

أنى قد أسلمت : ودخات في دين محمد ؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه .
واتبعه عمر ، واتبعته أبي ، حتى إذا قام على باب المسجد صرّخ بأعلى صوته :
يا معشر قريش ، وهم في أنديتهم حول باب الكعبة . ألا إن عمر بن الخطاب
قد صبأ ، قال : يقول عمر من خلفه : كذّاب ، والكفى قد أسلمت ، وشهدت أن
لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله . وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويُقاتلونه
حتى قامت الشمس على رؤوسهم . قال : وطّأح ، فتمعد وقاموا على رأسه ، وهو
يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنتا ثلثمائة رجل لتركناها
لكم ، أو لتركتموها لنا ، قال : فبينما هم على ذلك ، إذ أقبل شيخ من قريش ،
عليه حلة حبرة ، وقميص مؤشّي ، حتى وقف عليهم ، فقال : ما شأنكم ؟
قالوا : صبأ عمر ، فقال : فمه ، رجل اختار لنفسه أمراً ، فماذا تريدون ؟ أترون
بني عدى بن كعب يُسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ خلوا عن الرجل . قال : فوالله
لكأنما كانوا ثوبا كُشِط عنه . قال : فقات لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة :
يا أبت ، من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت ، وهم يُقاتلونك ؟
فقال : ذلك ، أي بُني ، العاصُ بن وائل السهمي .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم ، أنه قال : يا أبت ، من الرجل
الذي زجر القوم عنك يوم أسلمت ، وهم يقاتلونك ، جزاه الله خيراً ؟ قال :
يابني ذاك العاصُ بن وائل ، لاجزاه الله خيراً .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن الحارث عن بعض آل عمر ،
أو بعض أهله ، قال : قال عمر : لما أسلمت تلك الليلة ، تذكّرت أمة أهل مكة

أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوةً حتى أتته ، فأخبره أني قد أسلمت ، .
قال : قلت : أبو جهل - وكان عمر تلخمة بنت هشام بن المغيرة - قال : فأقبلت
حين أصبحت ، حتى ضربت عليه بابي . قال : نخرج إلى أبو جهل ، فقال :
مرحباً وأهلاً بابن أختي ، ما جاء بك ؟ قال : جئت لأخبرك أني قد آمنت
بالله وبرسوله محمد ، وصدقت بما جاء به ، قال : ف ضرب الباب في وجهي ، وقال :
قبحك الله ، وقبح ما جئت به .

إسلام عمر وعمر بن الخطاب :

فصل : في حديث إسلام عمر . ذكره إلى آخره ، وليس فيه إشكال ، .
وكان إسلام عمر والمسلمون إذ ذاك بضعة وأربعون رجلاً ، وإحدى عشرة (١) .
امرأة .

(١) في رواية ابن أبي خيثمة عن عمر نفسه : « لقد رأيتني ، وما أسلم
مع رسول الله إلا تسعة وثلاثون رجلاً ، فأكملهم أربعين ، فأظهر الله دينه ، وأعز
الإسلام . وروى البزار نحواً من حديث ابن عباس ، ولقد قيل : إنه أسلم في ذي
الحجة سنة ست من المبعث ، وحكى ابن الجوزي في بعض كتبه الاتفاق عليه ،
ولكنه في التلخيص قال : سنة ست وأخمس ، وروى أبو نعيم في الدلائل أن إسلامه
كان بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام ، وحديث ابن مسعود عن أثر إسلامه في البخاري :
فقد روى بسنده إلى عبد الله بن مسعود أنه قال : « ما زلنا أعزة منذ أسلم
عمر ، ، والحديث الآخر من رواية البكاء عن ابن مسعود رواه ابن أبي شيبة ،
والطبراني من طريق القاسم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسعود ، وفيه : « والله
ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر ، وروى ابن سعد من حديث
صهيب ، قال : لما أسلم عمر قال المشركون : انصف القوم منا . وروى البزار

وفيه : أن خَبَابًا وهو ابن الأَرْتِّ كان يقرئُ فاطمة بنت الخطاب القرآن ،
بالتسب ، وهو خُزاعي بالولاء لأم أنمار بنت سباع الخزاعي ،
وكان قد وقع عليه سبَاء ، فاشترته وأعتقته ، فولأوه لها ، وكان أبوه

والطبراني من حديث ابن عباس نحوه ، وفي حديث إسلام عمر أن أخته هي
فاطمة ، وهذا على الأكثر ، وقيل — كما حكى الدارقطني — اسمها : أميمة . وقال
الحافظ في الإصابة كان اسمها : فاطمة ولقبها : أميمة ، وكنيتها : أم جميل ، وفي
نسب قريش لا توجد أخت لعمر اسمها فاطمة ، وإنما صفيية وأميمة فقط ص ٣٤٧ .

وفي بعض روايات حديث إسلامه أن عمر قال بعد أن أخبر بإسلام أخته
« وقد كان — صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند الرجل به
قوة ، فيكونان معه ويصبيان من طعامه وقد ضم إلى زوج أختي رجلين » .

وحديث : اللهم أيد الإسلام بأبي الحكيم بن هشام أو بعمر بن الخطاب ،
روايته عند الترمذي : « اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين ، بأبي جهل أو بعمر ،
فكان أحبهما إليه عمر » . قال الترمذي : حسن صحيح ، وصححه ابن حبان . وفي إسناد
خارجه بن عبد الله صدوق فيه مقال ، ولكن له شاهد من حديث ابن عباس أخرجه
الترمذي أيضاً ، ومن حديث أنس ، وروى أحمد نحوه ، ورواه الحاكم بلفظ : أيد ،
بدل : أعز . وأخرجه الحاكم ، وصححه عن نافع عن ابن عمر عن ابن عباس رفعه :
اللهم أيد الإسلام بعمر بن الخطاب خاتمة ، وأخرجه ابن ماجه وابن حبان ، وقال
الحاكم : صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي من حديث عائشة . والرواية
الجارية على الألسنة ، بأحب العمرين : لأصل لها في شيء من طرق الحديث
وهناك رواية طيبة المعنى عن عائشة : قالت : إنما قال صلى الله عليه وسلم : اللهم أعز
بالإسلام ، لأن الإسلام يعز ولا يعز . وقد قال أبو بكر التاريخي أن عمر سئل عن قوله
اللهم أيد الإسلام ، فقال : معاذ الله . هذا وقد ولد عمر بعد الفجار بثلاث
عشرة سنة .

لعوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة^(١)، فهو زُهْرِي بالحلف، وهو ابن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمية بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، كان قينًا يعمل السبيوف في الجاهلية، وقد قيل: إن أمه كانت أم سباج الخزاعية، ولم يلحقه سبب، ولكنه انتمى إلى حلفاء أمه بنى زهرة، يكنى: أبا عبد الله، وقيل: أبا يحيى، وقيل أبا محمد مات بالكوفة سنة تسع وثلاثين بعد ما شهد مع عليّ صفيين والنهروان، وقيل: بل مات سنة سبع وثلاثين. ذكر أن عمر بن الخطاب سأله عما لقي في ذات الله، فكشف ظهره، فقال عمر: مارأيت كالיום، فقال: يا أمير المؤمنين، لقد أوقدت لي نار، فما أطفأها إلا شحبي.

تطهير عمر ليمس القرآن:

فصل: وفيه ذكر تطهير عمر ليمس القرآن، وقول أخته: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ والمطهرون في هذه الآية هم الملائكة، وهو قول مالك في الموطأ، واحتج بالآية الأخرى التي في سورة عبس، ولكنهم وإن كانوا الملائكة، ففي وصفهم بالطهارة مقرونا بذكر المس ما يقتضى ألا يمسسه إلا طاهر اقتداء بالملائكة المطهرين، فقد تعلق الحكم بصفة التطهير، ولكنه حكم مندوب إليه؛ وليس محمولا على الفرض، وكذلك ما كتب به رسول

(١) النسب هكذا في كتاب نسب قريش ص ٢٦٥ أما في جمهرة ابن حزم ص ١٢١ وما بعدها: فعوف بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة، وفي الإصابة كما في نسب قريش، لكن سقطت كلمة ابن بين عبد وبين الحارث.

(م - ١٨ - الروض الأنف ج ٣)

الله — صلى الله عليه وسلم — لعمر بن حزم^(١) : « وَالْأَيْمَسَ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ » ليس على الفرض ، وإن كان الفرض فيه أبين منه في الآية ؛ لأنه جاء بلفظ النهي عن مسه على غير طهارة ، ولـسكن في كتابه إلى هرقل بهذه الآية : ﴿ يَا هَلَلِ الْكِتَابَ تَمَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ ﴾ آل عمران : ٦٤ دليل على ما قلناه ، وقد ذهب داود وأبو ثور وطائفة من سلف ، منهم الحكم بن عتيبة وحماد بن أبي سليمان إلى إباحة مس المصحف على غير طهارة ، واحتجوا بما ذكرنا من كتابه إلى هرقل ، وقالوا : حديث عمرو بن حزم مُرْسَلٌ ، فلم يروه حجة ، والدارقطني قد أسنده من طرق حسان ، أقواها : رواية أبي داود الطيالسي عن الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه عن جده ، ومما يقوى أن المُطَهَّرِينَ في الآية هم الملائكة ، أنه لم يقل : المتطهرون ، وإنما قال المُطَهَّرُونَ ، وفرق ما بين المتطهر والمطهر : أن المتطهر من فعل الظهور^(٢) ، وأدخل نفسه فيه كالمُتَّفِقِ من يدخل نفسه في الفقه ، وكذلك المُتَّفَعِّلُ في أكثر الكلام ، وأنشد سيبويه :

(١) هو في الموطأ ، وعند أبي داود في المراسيل من حديث الزهري ، قال : قرأت في صحيفة عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « وَلَا يَمَسُ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ ، وَيَعْلَقُ ابْنُ كَثِيرٍ عَلَى هَذَا بِقَوْلِهِ : وَمِثْلُ هَذَا لَا يَنْبَغِي الْأَخْذُ بِهِ . وَقَالَ عَنِ سِنْدِ الدَّارِ قُطْنِي لِلْحَدِيثِ : وَفِي لِإِسْنَادِ كُلِّ مِنْهُمَا نَظَرٌ . أَقُولُ : وَالضَّمِيرُ فِي الْآيَةِ يَرْجِعُ إِلَى الْكِتَابِ الْمُسَكَّنِ إِلَى الْقُرْآنِ .

(٢) الظهور — بضم الطاء — التطهر ، وبفتحها الماء ، وإن كان سيبويه يرى أن الظهور — بفتح الطاء يقع على الماء والمصدر معا .

وَقَيْسُ عَيْلَانَ وَمَنْ تَقَيَّسًا (١)

فَالْأَدَمِيُونَ مُتَطَهَّرُونَ إِذَا تَطَهَّرُوا ، وَالْمَلَأْسُكَةُ مُتَطَهَّرُونَ خِلْقَةً ، وَالْأَدَمِيَاتُ إِذَا تَطَهَّرْنَ : مُتَطَهَّرَاتٌ ، وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ البقرة : ٢٢٢ وَالْحُورُ الْعَيْنُ مُتَطَهَّرَاتٌ ، وَفِي التَّنْزِيلِ : ﴿ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ النساء : ٥٧ وَهَذَا فَرْقٌ بَيْنَ وَقُوتِهِ لِتَأْوِيلِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَالْقَوْلُ عِنْدِي

(١) فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ : وَقَيْسُ عَيْلَانَ تَرْكِيْبٌ لِإِضَافِي ، لِأَنَّ عَيْلَانَ اسْمُ فَرَسٍ قَيْسٍ لَا أَبِيهِ كَمَا ظَنَّهُ بَعْضُ النَّاسِ — كَذَا فِي الْقَامُوسِ وَغَيْرِهِ — وَلَيْسَ عَيْلَانَ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ غَيْرِهِ . وَمَا عَدَاهُ عَيْلَانَ . وَفِي شَرْحِ أَدَبِ السَّكَاةِبِ لِلْجَوَالِيْقِيِّ : قَيْسُ عَيْلَانَ بِنُ مَضْرٍ ، وَيُقَالُ : قَيْسُ بِنِ عَيْلَانَ ، وَكَانَ النَّاسُ مِثْلَانَا ، وَكَانَ إِذَا نَفَدَ مَالَهُ أَتَى أَخَاهُ الْيَاسَ ، فَيُنَاصِفُهُ مَالَهُ أَحْيَانًا ، وَيُوَاسِيهِ أَحْيَانًا ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَأَتَاهُ قَالَ لَهُ الْيَاسُ : غَلَبْتَ عَلَيْكَ الْعَيْلَةَ : فَأَنْتَ عَيْلَانَ ، فَسُمِّيَ لِذَلِكَ عَيْلَانَ ، وَمَنْ قَالَ قَيْسُ بِنِ عَيْلَانَ ، فَإِنَّ عَيْلَانَ : كَانَ عَبْدًا لِمَضْرٍ حَضَنَ ابْنَهُ النَّاسَ ، فَغَلَبَ عَلَى نَسَبِهِ وَمِثْلُهُ فِي الْأَنْسَابِ لِلْكَلْبِيِّ . قَالَ : كَانَ عَيْلَانَ عَبْدًا لِمَضْرٍ ، حَضَنَ ابْنَهُ النَّاسَ ص ٩٦ ج ١ خَزَانَةُ الْأَدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ ط دَارُ الْعَصُورِ ، وَانظُرْ ص ٥٧ ؛ أَدَبُ السَّكَاةِبِ لِابْنِ قَتَيْبَةَ ، وَص ٢٢٢ شَرْحُ أَدَبِ السَّكَاةِبِ لِلْجَوَالِيْقِيِّ ، وَفِي اللِّسَانِ فِي مَادَةِ قَيْسٍ : أَبُو قَيْلَةَ مِنْ مَضْرٍ وَهُوَ قَيْسُ عَيْلَانَ ، وَاسْمُهُ : النَّاسُ بِنِ مَضْرٍ بِنِ نَزَارٍ ، وَقَيْسُ لِقَبِهِ ، يُقَالُ : تَقَيَّسَ فُلَانٌ إِذَا تَشَبَّهَ بِهِمْ ، أَوْ تَمَسَّكَ مِنْهُمْ بِسَبَبٍ إِمَّا بِمُجْلَفٍ أَوْ جَوَارٍ أَوْ وِلَاءٍ . وَقَدْ نَسَبَ سَبِيُوْبُهُ الْبَيْتَ إِلَى رُوْبَةِ مَعَ رُفْعِ السَّيْنِ مِنْ قَيْسٍ . وَلَسَكَنَ ابْنُ بَرِي يَقُولُ : الرَّجَزُ لِلْعِجَاجِ وَلَيْسَ لِرُوْبَةِ ، وَصَوَابٌ لِإِنْشَادِهِ :

وقيس بنصب السين لأن قبله :

وإن دعوت من تميم أروسا

وجواب إن في البيت الثالث :

تقاعس العزك بنا فاقعنمسا

في الرسول عليه السلام أنه مُتَطَهَّرٌ وَمُطَهَّرٌ ، أما متطَهَّرٌ ؛ فلأنه بشر آدمي يغتسل من الجنابة ، ويتوضأ من الحَدَثِ ، وأمامطَهَّرٌ ؛ فلأنه قد غُسل باطنه ، وشُقَّ عن قلبه ، ومُلِيَ حِكْمَةً وإيماناً فهو مُطَهَّرٌ ومُتَطَهَّرٌ ، واطم هذا الفصل إلى ما تقدم في ذكر مولده من هذا المعنى ، فإنه تكلمة والحمد لله .

وفي تطهر عمر قبل أن يُظْهر الإسلام قوة لقول ابن القاسم : إن الكافر إذا تطهر قبل أن يظهر إسلامه ، ويشهد الشهادتين أنه مُجْرِيٌّ لَهُ ، وقد عاب قول ابن القاسم هذا كثيرٌ من الفقهاء ، وكذلك في خبر إسلام سعد بن مُعَاذٍ على يدي مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ، وقد سأله : كيف يصنع من يريد الدخول في هذا الدين ، فقال : يتطهر ، ثم يشهد بشهادة الحق ، ففعل ذلك هو وأَسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ^(١) ، وحديث إسلام عمر ، وإن كان من أحاديث السَّيْرِ ، فقد خرَّجه الدارقطني في سننه ، غير أنه خرَّج أيضاً من طريق أنس أن أخت عمر قالت له : إنك رَجَسٌ ، ولا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ، فقم فاغتسل أو توضأ ، فقام فتوضأ ، ثم أخذ الصحيفة وفيها سورة طه ، ففي هذه الرواية أنه كان وضوءاً ، ولم يكن اغتسالا ، وفي رواية يونس : أن عمر حين قرأ في الصحيفة سورة طه انتهى منها إلى قوله :

(١) في الاصل : حصين وهو خطأ صوابه ما أثبتته . وفي القاموس عن أسيد : « وكامير سبعة صحابيون ، وخمسة تابعيون ، وكزبير : ابن حضير وابن ثعلبة وابن يربوع وابن ساعدة وابن ظهير وابن أبي الجداء وابن أخي رافع بن خديج وابن سعية ، أو هو كامير صحابيون ، أما ابن حبيب في كتابه متشابه القبايل ، فيقول : « كل شيء في العرب أسيد — كامير — فهو على فعيل سوى أسيد بن عمرو في بني تميم فإنه على مثال التصغير ، انظر القاموس وص ٥١ المزهج ٢

﴿لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ : ١٥ فقال : ما أطيّب هذا الكلام وأحسنه ،
وذكر هذا الحديث بطوله ، وفيه أن الصحيفة كان فيها مع سورة طه : ﴿إِذَا
الشمسُ كُوِّرَتْ﴾ وأن عمر انتهى في قراءتها إلى قوله : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ
ما أَخْضَرَتْ﴾ .

زيادة في إسلام عمر :

فصل : وذكر ابن سُنَجْرُزِيَّة في إسلام عمر ، قال : حدثنا أبو المغيرة قال : ناصفوان
ابن عمرو ، قال : حدثني شَرِيحُ بن عبيد ، قال : قال عمر بن الخطاب : خرجت
أتعرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن أسلم ، فوجدته قد سبقني إلى
المسجد ، فقامت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقّة ، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن
قال : قلت : هذا والله شاعر ، كما قالت قريش ، فقرأ : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ
كَرِيمٍ ، وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تُؤْمِنُونَ﴾ قال : قلتُ : كاهنٌ علم
ما في نفسه ، فقال : ﴿ولا يَقُولُ كاهنٌ قليلا ما تَدَّكَّرُونَ﴾ إلى آخر السورة (٢)
قال : فوق الإسلام في قلبي كل موقع ، وقال عمر حين أسلم :

الحمْدُ لله ذِي المَنِّ الَّذِي وَجَبَتْ له علينا أَيْدٍ ما لها غير
وقد بدأنا فكذبنا ، فقال لنا صدقَ الحديثِ نبيٌّ عنده الخبير
وقد ظلمتُ ابنةَ الخطابِ ثم هدى ربِّي عَشِيَّةً قالوا : قد صَبَأَ عُمرُ
وقد نَدِمْتُ على ما كان من زَلَلٍ بظلمها حين تُتسلى عندها السُّور

(١) رواه أحمد ، ولعل الرواية التي ذكر فيها أنه سمع القرآن والرسول يصلي
جوار الكعبة هي أقرب الروايات اتساقا مع حال عمر .

لما دعت ربها ذا العرش جاہدة والدمع من عينها عَجَلَانِ يَبْتَدِرُ
أيقنت أن الذي تدعوه خالقها فكاد تسبقني من عِبْرَةِ دِرْرُ
فقلت : أشهد أن الله خالقنا وأن أحد فينا اليوم مشهر
نبيُّ صِدْقٍ أتى بالحق من ثقةٍ وافي الأمانة ما في عوده خَوْرُ

رواه يونس عن ابن إسحاق . وذكر البرزأ في إسلام عمر أنه قال :
فلما أخذت الصحيفة ، فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، فجعلت أفكر : من
أى شيء اشتق^(١) ، ثم قرأت فيها : ﴿ سَبِّحِ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
[وهو العزيز الحكيم] ﴾ أول الحديد . وجعلت أقرأ وأفكر حتى باغت :
﴿ آمنوا بالله ورسوله^(٢) ﴾ الحديد : ٧ . فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن
محمدًا رسول الله .

من تفسير حديث إسلام عمر :

فصل : وفي حديث إسلام عمر : قال : ما هذه الهميمة ، والهميمة : كلام
لا يفهم ، واسم الفاعل منه مَهْمِيْمٌ ، كأنه تصغير ، وليس بتصغير ، ومثله المَبْطِرُ ،
والمُهْمِيْمِيْنَ ، والمُبْتَقِرُ بالقاف ، وهو المهاجر من بلد إلى بلد ، والمُسَيْطِرُ ، ولو
صغرت واحدا من هذه الأسماء لحذفت الياء الزائدة ، كما تحذف الألف من
مفاعل ، وتالحق ياء التصغير في موضعها ، فيعود اللفظ إلى ما كان ، فيقال في تصغير
مُهْمِيْمٌ ومُبْطِرٌ : مُهْمِيْمٌ ومُبْطِرٌ ، فإن قيل : فَهَلَّا قُلْتُمْ : إنه لا يبصغر ؛ إذ لا يعقل

(١) في الأصل : في أي شيء . والتصويب من شرح المواهب ص ٢٧٤ ج ١
(٢) ولكن سورة الحديد مدنية . وقصة عمر مكية .

تصغيراً على لفظ التكبير ، وإلا فما الفرق ؟ فالجواب أنه قد يظهر الفرق بينهما في مواضع ، منها : الجمع ، فإنك تجمع مُبَيَّطراً : مَبَاطِرٌ بحذف الياء ، وإذا كان مُصَغَّرًا لا يجمع إلا بالواو والنون ، فتقول : مُبَيَّطِرُونَ ، وذلك أن التصغير لا يكسر ؛ لأن تكسيه يؤدي إلى حذف الياء في الخماسي ؛ لأنها زائدة كالألِف ، فيذهب معنى التصغير^(١) ، وأما الثلاثي المصغر فيؤدي تكسيه إلى تحريك ياء التصغير أو همزها ، وذلك أن يقال في فُلَيْسٍ فُلَأْسٌ ، فيذهب أيضاً معنى التصغير لتصغير لفظ الياء التي هي دالة عليه ، ولو بَنَيْتَ اسمَ فاعلٍ من : بِيَأْسٍ لقلت فيه مُبَيَّئِسٌ ، ولو سهلت الهمزة حركت الياء فقلت فيه : مُبَيَّيسٌ ، وتقول في تصغيره إذا صغرتَه مُبَيَّيسٌ بالإدغام ، كما تقول [في] أبوس : أَيْسٌ ، ولا تنقل حركة الهمزة إلى الياء إذا سهلت ، كما تنقلها في اسم الفاعل من بِيَأْسٍ ونحوه ، إذا سهلت الهمزة ، وهذه مسألة من التصغير بدیعة يقوم على تصحيحها البرهان .

حول التهميم وهكذا :

فصل : وفي حديث إسلام عمر : فَتَمَّهَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) نقل الصبان في حاشيته على شرح الأشموني هذه الفقرة عن السهيلي هكذا : « لو كسر حذفت ياؤه ؛ لأنه خماسي ثالثة زائد فيزول علم التصغير ، هذا وقد أنكر الأشموني تصغير هذه الأسماء التي ذكرها السهيلي وفي شرح الشافية للرضي « جرت عادتهم ألا يجمعوا المصغر إلا بجمع السلامة إما بالواو والنون أو بالألف والتاء ، قيل : وذلك لمضارعة التصغير للجمع الأقصى بزيادة حرف لين ثالثة ، ولا يجمع الجمع الأقصى إلا بجمع السلامة كالصرادين والصواحيبات ، ص ٢٨١ ثم بقول : « وإذا صغرت مبيطراً ومسيطراً كان التصغير بانمط المسكير ، لأنك تحذف الياء كما تحذف النون في منطلق ، وتجيء بياء التصغير ، في مكانه ، ولو صغرتما تصغير الترخيم لقات : بطير ، وسطير ، ص ٢٨٣ ج ١

أى: زجره، والنهيمُ: زجر الأسد، والنهائمُ: الحداد والنهائمُ: طائر^(١)، وفيه قول العاصي بن وائل قال: هكذا [خلوا] عن الرجل^(٢)، وهى كلمة معناها: الأمر بالتنحي، فليس يعمل فيها ما قبلها، كما يعمل إذا قلت: اجلس هكذا، أى: على هذه الحال، وإن كان لا بد من عامل فيها إذا جعلتها للأمر، لأنها كاف التشبيه دخلت على ذا، وها: تنبيه، فيقدر العامل إذاً مضمراً، كأنك قلت: ارجعوا هكذا، وتأخروا هكذا، واستغنى بقولك: هكذا عن الفعل، كما استغنى برؤيداً عن ارفق .

جميل بن معمر :

فصل : وذكر قول عمر لجميل بن معمر الجمحي : إني قد أسلمت ، وبايعت محمداً ، فصرخ جميل بأعلى صوته : ألا إن عمر قد صبا . جميل هذا هو الذى كان يقال له : ذو القلبين^(٣) ، وفيه نزلت فى أحد الأقوال : ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ﴾ الأحزاب . ٤٠ ، وفيه قيل .

(١) نهامى : بضم النون أو كسرهما وكسر الميم وتشديد الياء : صاحب الدير والطريق السهل ، وبفتح النون وكسرهما حداد ونجار ، وبفتحها وكسرهما من غير ياء فى الآخر : حداد ونجار ، ونهام بضم النون : طائر ، بوم ، راهب فى دير ، نهام بفتح النون وتشديد الهاء : أسد .

(٢) فى السيرة : هكذا خلوا عن الرجل وقد أضفتها عنها إلى الروض . ويجوز أن نجعل هكذا مع ما قبلها ، فيكون الكلام : يسألون لكم صاحبكم هكذا ، ثم يبدأ الكلام الآخر : خلوا عن الرجل .

(٣) فى الاشتقاق لابن دريد أنه وهب بن عمير وكان من أحفظ الناس ، وكانوا

وكيف ثَوَاتِي بِالْمَدِينَةِ بَعْدَمَا قَضَى وَطَرًا مِنْهَا جَمِيلٌ بِنِ مَعْمَرٍ

وهو البيت الذي تغنى به عبد الرحمن بن عوف في منزله ، واستأذن عمر فسمعه ، وهو يتغنى ، وينشد بالركبانية ، وهو غناء يُجدى به الرُّكَّابُ ، فلما دخل عمرُ قال له عبد الرحمن : إنا إذا خلونا ، قلنا ما يقول الناس في بيوتهم ، وقلب المبرد هذا الحديث ، وجعل المنشدُ عُمَرَ ، والمستأذنَ عبدَ الرحمن ، ورواه الزبير^(١) كما تقدم ، وهو أعلم بهذا الشأن .

== يقولون له قلبان من حفظه ، فأنزل الله عز وجل : (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) . أما جميل فقال عنه في الاشتقاق : كان من أمم قريش لا يكتُم شيئاً ، ص ١٣٠ ، وفي نسب قريش ورد كما قال السهيلي ، وأنه قيل له ذو القلبين لعقله ، وأنه شهد مع النبي حنيناً ، فقتل زهير بن الأغر الهذلي ص ٣٩٥ ، ولا نسب بينه وبين جميل صاحب بشينة . وفي ابن كثير أنها نزلت في رجل من قريش ، يقال له : ذو القلبين ، وأنه كان يزعم أن له قلبين كل منهما بعقل وافر . فأنزل الله هذه الآية رداً عليه . هكذا روى العوفي عن ابن عباس ، وقاله مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة واختاره ابن جرير ، بينما يروى أحمد في مسنده بسنده ، عن ابن أبي ظبيان أن أباه حدثه قال : قلت لابن عباس : أرأيت قول الله تعالى : (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) ما عني بذلك ؟ قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً يصلي فخطر خطرة ، فقال المنافقون الذين يصلون معه : ألا ترون له قلبين . قلباً معكم ، وقلباً معهم ، فأنزلهما الله ، وهكذا رواه الترمذي ، ثم قال : وهذا حديث حسن ، وكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم . وروى عبد الرزاق بسنده عن الزهري أنه بلغه أن ذلك كان في زيد بن حارثة ضرب له مثل . يقول : ليس ابن رجل آخر ابنك ، وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد . . . أقول . وهذا أليق وأنسب ، فسياق الكلام في التنبؤ وزيد بن حارثة .

(١) الذي في نسب قريش لمصعب الزبيري أن عمر مر بابن عوف ورباح بن عمرو يغنيهم غناء الركبان : فقال عمر : ما هذا ؟ فقال عبد الرحمن : لا بأس نلهو ونقصر السفر عنا ، فقال لهم عمر رضئ الله عنه : فعليكم إذا بشعر ضرار بن الخطاب ابن مرداس ص ٤٤٨

خبر الصحيفة

قال ابن إسحاق : فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً ، وأن النجاشي قد منع من الجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم ، فكان هو وخنزة بن عبد المطلب مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، وجعل الإسلام يفتش في القبائل ، اجتمعوا واثمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم ، وبني المطلب ، على أن لا يُنكحوا إليهم ولا يُنكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواقفوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي - قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث - فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشلت بعض أصابعه .

قال ابن إسحاق : فلما فملت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب ، فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه ، وخرج من بني هاشم : أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب ، إلى قريش ، فظاهرهم .

موقف أبي لهب من رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله : أن أبا لهب لقي هند بنت عتبة بن ربيعة ، حين فارق قومه ، وظاهر عليهم قريشا ، فقال : يا بنت عتبة ؛

هل نصرت اللات والعزى ، وفارقت من فارقيهما وظاهر عليهما ؟ قالت :
نعم ، فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة .

قال ابن إسحاق : وحدثت أنه كان يقول في بعض ما يقول : يعدني محمد
أشياء لأراها ، يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فإذا وضع في يدي بعد ذلك ،
ثم ينفخ في يدي ويقول : تَبَّالِكُمَا ، ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد ، فأُنزل
الله تعالى فيه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ .

قال ابن هشام : تبت : خسرت . والتباب : الخسران . قال حميد بن
خدره الخارجي : أحدُ بني هلال بن عامر بن صعصعة :
يا طيب إنَّا في مَعْشَرٍ ذَهَبَتْ مَسْعَاتُهُمْ فِي التَّبَارِ وَالتَّبَبِ
وهذا البيت في قصيدة له .

شعر أبي طالب

قال ابن إسحاق : فلما اجتمعت على ذلك قریش ، وصنعوا فيه الذى
صنعوا ، قال أبو طالب :

ألا أبلغنا عنى على ذاتِ بَيْنِنَا لُوَيْبًا وَخُصًّا مِنْ لُوَيْبِ بَنِي كَعْبِ
ألم تغلّموا أنا وجدنا محمدًا نبياً كموسى خطّ في أوّل الكتبِ
وأنّ عليه في العبادِ محبّةً ولا خيرَ ممّن خصّه الله بالحُبِّ
وأن الذى أُلصقتُم من كتابكم لكم كائن نحسا كراغية السقبِ
أفريقوا أفريقوا ، قبل أن يُحفرَ الترى ويصبح من لم يجن ذنبا كذى الذنبِ
ولا تتبعوا أمرَ الوشاة ، وتقطعوا أو اصرنا بعمد المودّة والقربِ

• • • • •

وتستجلبوا حرباً عواناً ، وربما
فلسنا- ورب البيت - نسلمُ أحمداً
ولمَّا تَبَيَّنْ مِنَّا ، ومنكم سِوَالفِ
بمَعْتَرِكِ ضَيْقِ تَرَى كِسْرَ الْقِنَا
كَأَنَّ مَجَالَ الْخَيْلِ فِي حَجَرَاتِهِ
أليس أبونا هاشمٌ شَدَّ أَرْزَهُ
ولسنا نَعْلُ الْحَرْبِ ، حَتَّى تَمَلَّنَا
ولكننا أَهْلُ الْخِفَائِظِ وَالنَّهْيِ
أمرٌ على من ذاقه جَلْبُ الْحَرْبِ
لِعِزَاءِ مَنْ عَضَّ الزَّمَانَ وَلَا كَرْبِ
وأيدٍ أترتْ بِالقَسَاسِيَةِ الشُّهْبِ
به والنسور الطُّخْمِ ، يَفْكَفَنُ كَالشَّرْبِ
وممَّعة الأبطال مَعْرَكَةُ الْحَرْبِ
وأوصى بَنِيهِ بِالْبَأْعَانِ وَبِالنَّضْرِبِ
ولا نَشْتَكِي مَا قَدْ يَنْوِبُ مِنَ النَّكْبِ
إذا طَارَ أرواحُ السُّكْمَةِ مِنَ الرَّعْبِ

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً، حتى جُهدوا لا يصل إليهم شيء ، إلا سرّاً
مستخفياً به من أراد صلّتهم من قريش .

من جهالة أبي جهل

وقد كان أبو جهل بن هشام - فيما يذكرون - لقي حَكِيمَ بنِ حِرَامِ بنِ
خُوَيْلِدِ بنِ أَسَدٍ ، معه غلامٌ يَحْمِلُ قَمِيحاً يُرِيدُ بِهِ عَمَتَهُ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدِ ، وهى
عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه فى الشعب ، فتعلق به ، وقال :
أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم ؟ والله لا تبرح أنت وطعامك ، حتى أفضحك
بمكة . فجاءه أبو البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد [بن عبد العزى] ،
فقال : مالك وله ؟ فقال : يحمل الطعام إلى بنى هاشم ، فقال أبو البختري : طعام
كان لعمة عنده بعثت إليه [فيه] ، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟! خل سبيل الرجل ،
فأبى أبو جهل ، حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البختري الحىَ بغير ،
فضر به به فشيجه ، ووطئه وطأً شديداً ، وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى

ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، فيشتموا بهم ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ذلك يدعو قومه ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، منادياً بأمر الله لا يتقى فيه أحداً من الناس .

مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه

فجعلت قريش حين منعه الله منها ، وقام عمه وقومه من بني هاشم وبني المطلب دونه ، وحالوا بينهم ، وبين ما أرادوا من البطش به ، يهمزونه ، ويستهمزثون به ، ويخاصمونه ، وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداهم ، وفيمن نصب لعداوته منهم ، ومنهم من سمي لنا .

أبو لهب وامرأته

ومنهم من نزل فيه القرآن في عامّة من ذكر الله من الكفار ، فكان ممن سُمي لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن : عمه أبو لهب بن عبد المطلب وامرأته أمّ جميل بنت حرب بن أمية ، حمالة الحطب ، وإبنا سماها الله تعالى حمالة الحطب ؛ لأنها كانت - فيما بلغني - تحمّل الشوك ، فتطرّحه على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم - حيث يمر ، فأنزل الله تعالى فيهما : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ، سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ » .

قال ابن هشام : الجيد : العنق . قال أعشى بني قيس بن ثعلبة :

.....

يَوْمَ تُبْدَى لَنَا قُتَيْلَةٌ عَنْ جِيدِ أَسْمِيلٍ تَزِينُهُ الْأَطْوَاقُ
وهذا البيت في قصيدة له . وجمعه : أجياد . والمسد : شجر يدق كما يدق
الكتان ، فتقتل منه حبال . قال النابغة الذبياني - واسمه : زياد بن عمرو
ابن معاوية :

مقدوفة بدخيس النخض بازليها له صريف صريف أفعو بالمسد
وهذا البيت في قصيدة له ، وواحدته : مسدة .

قال ابن إسحاق : فذكري : أن أم جميل : حمالة الحطب ، حين سمعت
ما نزل فيها ، وفي زوجها من القرآن ، أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وهو جالس في المسجد عند الكعبة ، ومعه أبو بكر الصديق ، وفي يدها فهر
من حجارة ، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر ، أين صاحبك ، فقد بلغني
أنه يهجوني ؟ والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ، أما والله إنى لشاعرة ،
ثم قالت :

مُذَمَّمَا عَصَيْنَا وَأَمْرَهُ أَبَيْنَا
وَدِينَهُ قَلَيْنَا

ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يا رسول الله أما تراها رأيتك ؟ فقال :
مارأتني ، لقد أخذ الله ببصرها عني .

قال ابن هشام : قولها : « ودينه قلينا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وكانت قريش إنما تسمى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
مُدَمَّما ، ثم يسبُّونه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
ألا تمجبون لما يصرف الله عنى من أذى قريش ، يسبُّون ويهجون مُدَمَّما ،
وأنا محمد !

إيذاء أمية بن خلف للرسول صلى الله عليه وسلم

وأمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَح ، كان إذا رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم همزه و لمزه ، فأنزل الله تعالى فيه : « وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ
لُحْمَةً ، الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ، يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ، كَلَّا كَيْتَبَدَنَّ
فِي الْحُطْمَةِ . وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ، نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفِنْدَةِ
لِإِنِّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ » .

قال ابن هشام : الهمزة : الذى يشتم الرجل علانية ، ويكسر عينيه
عليه ، ويقمزه به . قال حسان بن ثابت :

هَمَزْتُكَ فَاخْتَضَعْتُ لِنَفْسٍ بِقَافِيَةٍ تَأْجِجُ كَالشَّوَاظِ

وهذا البيت فى قصيدة له . وجمعه : همزات . والهمزة : الذى يعيب الناس
سراً ويؤذيهم . قال رؤبة بن العجاج :

فِي ظِلِّ عَصْرِي بَاطِلِي وَلَمْزِي

وهذا البيت فى أرجوزة له ، وجمعه : لمزات .

• • • • •

إيذاء العاص للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : والعاص بن وائل السهمي ، كان خبّاب بن الأرت ، صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قتيلاً بمكة يعمل السيوف ، وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفا عملها له ، حتى كان له عليه مال ، فجاءه يتقاضاه ، فقال له : يا خبّاب أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما يتغى أهلها من ذهب ، أو فضة ، أو ثياب ، أو خدم ؟! قال خبّاب : بلى . قال : فأنظرنى إلى يوم القيامة يا خبّاب ، حتى أرجع إلى تلك الدار ، فأقضيك هنالك حَقَّكَ ، فوالله لا تكون أنت وصاحبك يا خبّاب آثرَ عند الله منى ، ولا أعظم حظاً في ذلك ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا ، أَطَّلَعَ الْغَيْبَ ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ وَنَرِيهِ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ « هي وما قبلها من سورة مريم ٧٧ - ٨٠ » .

إيذاء أبي جهل لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ولقى أبو جهل بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - فقال له : والله يا محمد ، لتتركن سب آلهتنا ، أو لنسبن إلهك الذي تعبد . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ الأنعام : ١٠٨ . فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كف عن سب آلهتهم ، وجعل يدعوهم إلى الله .

إيذاء النضر لرسول الله صلى الله عليه وسلم

والنضر بن الحارث بن علقمة بن كَلْدَةَ بن عَبِيدِ مَنْفِ بن عَبْدِ الدَّارِ بن قُصَيٍّ ، كان إذا جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلساً ، فدعا فيه إلى الله تعالى ، وتلا فيه القرآن ، وحذّر قُرَيْشاً ما أصاب الأمم الخالية ، خلفه في مجلسه إذا قام ، فحدثهم عن رُسُومِ الشَّدِيدِ ، وعن اسفنديار ، وملوك فارس ، ثم يقول : والله ما محمد بأحسن حديثاً مني ، وما حديثه إلا أساطير الأولين ، اكتبها كما اكتبتها . فأنزل الله فيه : ﴿ وَقَالُوا : أساطيرُ الأولينَ اكتبَها فبهى مُنمَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ، قُلْ : أنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، إنه كان غفوراً رَحِيماً ﴾ الفرقان : ٥ ، ٦ . ونزل فيه : ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ : أساطيرُ الأولينَ ﴾ . ونزل فيه : ﴿ وَبَلِّغْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ، فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الجاثية : ٨ ، ٧ .

قال ابن هشام : الأفاك : الكذاب . وفي كتاب الله تعالى : « ألا إنهم من إفاكهم ليقولون : ولد الله وإفاهم ككاذبون ﴾ الصفات : ١٥١ ، ١٥٢ .
هو قال رؤبة :

لا مريء أفك قولاً إفاكاً

وهذا البيت في أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : وجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوماً - فيما بلغني -

مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النضر بن الحارث ، حتى جلس معهم في المجلس ، وفي المجلس غير واحد من قريش ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض له النضر بن الحارث ، فكلمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أخمه ، ثم تلا عليه وعاليهم : ﴿ إِنَّا نَكُفِّرُ بَدَنَكُمْ وَأَتَّعِدُنَا مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ، لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلَ اللَّهِ مَا وَرَدُّوهَا ، وَكُلَّ فِيهَا خَالِدُونَ . لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ، وَهُمْ فِيهَا لَا يُسْمَعُونَ ﴾ الأنبياء ٩٨ - ١٠٠ .

قال ابن هشام : حصب جهنم : كل ما أوقدت به . قال أبو ذؤيب الهذلي واسمه : خوبلد بن خالد .

فَأُظْفِي ، وَلَا تُوقِد ، وَلَا تَكُ مُحْصِبًا

لِنَارِ الْمُدَاةِ أَنْ تَطِيرَ شَكَاةً

وهذا البيت في أبيات له . ويروى : « وَلَا تَكُ مُحْصِبًا » . قال الشاعر :

حَصَاتُ لَهُ نَارِي فَأَبْصَرَ ضَوْءَهَا وَمَا كَانَ لَوْلَا حَصَاةُ النَّارِ يَهْتَدِي

ابن الزبيري والأخنس وما قيل فيهما

قال ابن إسحاق : ثم قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأقبل عبد الله ابن الزبيري السهمي حتى جالس ، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبيري : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ، فقال عبد الله بن الزبيري : أما والله .

لو وجدته لخصمته ، فسلاوا محمدا : أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهودُ تعبد عزيراً والقصارى تعبد عيسى ابن مريم عليهما السلام ، فعجب الوليد ، ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبير ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم . فذكر ذلك لرسول الله صلى عليه وسلم من قول ابن الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ، ومن أمرتهم بعبادته ، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ، لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ، وَهُمْ فِي مَا اشْتَمَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ الأنبياء : ١٠١ ، ١٠٢ : أى عيسى بن مريم ، وعزيراً ، ومن عبدوا من الأخبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله ، فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله .

ونزل فيما يذكر ، أنهم يعبدون الملائكة ، وأنها بنات الله : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ، بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ . لَا يُسْمِعُونَهُ بِالْقَوْلِ ، وَهُمْ بِأَمْرِهِ يُعْمَلُونَ ﴾ الأنبياء : ٢٦ : ٢٧ . إلى قوله : ﴿ وَنَاقِلٌ مِنْهُمُ إِلَىٰ آلِهِ مِنْ دُونِهِ ، فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ الأنبياء : ٢٩ .

ونزل فيما ذكر من أمر عيسى بن مريم أنه يعبد من دون الله ، وعجيب الوليد ، ومن حضره من حجته وخصومته : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ الزخرف : ٥٧ . أى : يصدون عن أمرك بذلك من قولهم .

.....

ثم ذكر عيسى بن مريم فقال : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ، وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ، وَإِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ الأنبياء : ٥٩ : ٦١ أي : ما وضعتُ على يديه من الآيات من إحياء الموتى ، وإبراء الأستقام ، فكفى به دليلا على علم الساعة ، يقول : ﴿ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ .

والأخنسُ بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثقفي ، حليف بني زهرة ، وكان من أشرف القوم ، ومن يُستمع منه ، فكان يُصيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويردّ عليه ، فأُنزل الله تعالى فيه : « وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَبِينٍ ، هَمَّازٍ مَشَاءُ بِنَمِيمٍ ﴾ القلم : ١٠ ، ١١ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ زَنِيمٌ ﴾ ، ولم يقل : زَنِيمٌ لعيب في نسبه ؛ لأن الله لا يعيب أحدا بنسب ، ولكنه حَقَّقَ بذلك نعمته ليُعرف . والزنيم : العديد للقوم ، وقد قال الخَطِيمُ التيميّ في الجاهلية : زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرَّجَالُ زِيَادَةً كَأَزِيدِي عَرَضِ الْأَدِيمِ الْأَكَارِعُ

ما قيل في الوليد بن المغيرة وأبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط

والوليد بن المغيرة ، قال : أُيُنزَلُ على محمد ، وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيّد ثقيف ، ونحن عظيم القريتين ؟ ! فأُنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغني : ﴿ وَقَالُوا : لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ الزخرف : ٣٠ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ .

وأبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُحح ، وعُقبه بن أبي مُعيط ،
وكانا مُتصافيين ، حَسَنًا ما بينهما . فكان عُقبه قد جلس إلى رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - وسمع منه ، فبلغ ذلك أبيًا ، فأتى عُقبه ، فقال : ألم يبلغني
أنك جالست محمدًا ، وسمعت منه ! ثم قال : وجَّهني من وجهك حرام أن
أُكلمك - واستغلف من العين - إن أنت جلست إليه ، أو سمعت منه ، أو لم
تأته ، ففتتفل في وجهه . ففعل من ذلك عدو الله عُقبه بن أبي مُعيط لعنه الله .
فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ : يَا لَيْتَنِي
اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ لِلإِنسَانِ حَذُولًا ﴾
الفرقان : ٢٧ - ٢٩ .

ومشى أبي بن خلف إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعظمٍ بال
قد ارتفت ، فقال : يا محمد ، أنت تزعم أن يبعث هذا بعد ما أرم ، ثم فتته
بيده ، ثم نفخه في الريح نحو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله -
صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعد ما تسكونان
هكذا ، ثم يدخلك الله النار . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا
وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ : مَنْ يُحْيِي العِظَامَ ، وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ : يُحْيِيهَا
الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا ، فَإِذَا أُنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴾ يس ٧٩ ، ٨٠ .



ما قيل في حق الذين اعترضوا الرسول في الطواف

واعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يطوف بالكعبة -
فيما بلغنى - الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، والوليد بن المغيرة ،
وأمية بن خاف ، والعاص بن وائل السهمي ، وكانوا ذوى أسنان في قومهم ،
فقالوا : يا محمد ، هلم فنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشرك نحن وأنت
في الأمر ، فإن كان الذى تعبد خيرا مما نعبد ، كفا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن
كان ما نعبد خيرا مما تعبد ، كنت قد أخذت بحظك منه ، فأنزل الله تعالى
فيهم : ﴿ قُلْ : يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنْتُمْ
هَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . أَلَمْ دِينَكُمْ وَلِي دِين ﴾ الكافرون . أى : إن كنتم
لا تعبدون إلا الله ، إلا أن أعبد ما تعبدون ، فلا حاجة لى بذلك منكم ، لكم
دينكم جميعا ، ولى دينى .

ما قيل في حق أبى جهل

وأبو جهل بن هشام - لما ذكر الله عز وجل شجرة الزقوم تخويفا بها
لهم ، قال : يامعشر قريش ، هل تدرون ما شجرة الزقوم التى يخوفكم بها
محمد ؟ قولوا : لا ، قال : عجوة يثرب بالزبد ، والله لئن استمكننا منها لفتزقننا
تزيقا . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ إِنْ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ، طَعَامُ الْأَثِيمِ ،
كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴾ الجنائية : ٤٤ - ٤٦ . أى : ليس
كما يقول .

• • • • •

قال ابن هشام : المهمل : كل شيء أذيقته ، من نعامي أو رصاص ، أو مطأ شبه ذلك فيما أخبرني أبو عبيدة .

وبلغنا عن الحسن بن أبي الحسن أنه قال : كان عبد الله بن مسعود والياً للمعر بن الخطاب على بيت مال الكوفة ، وأنه أمر يوماً بغضه ، فأذيت ، فجعلت تلون ألوانا ، فقال : هل بالباب من أحد ؟ قالوا : نعم ، قال : فأدخلوهم ، فأدخلوا فقال : إن أدنى ما أنتم راهون شبها بالمهمل لهذا ، وقال الشاعر :

يَسْقِيهِ رَبِّي حَمِيمَ الْمُهْمَلِ يَجْرَعُهُ يَشْوِي الْوَجُوهَ فَهُوَ فِي بَطْنِهِ صَهْرُ
وقال عبد الله بن الزبير الأسدي :

فمن عاش منهم عاش عبداً وإن يمّت ففي النار يُسَمَّى مُهْمَلًا وصديدها
وهذا البيت في قصيدة له .

ويقال : إن المهمل : صديد الجسد .

بلغنا أن أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - لما حضر ، أمر بثوبين كلبسين يُغسلان ، فيكفن فيهما ، فقالت له عائشة : قد أغفك الله يا أبت عنهما ، فاشتر كفنا ، فقال : إنما هي ساعة حتى يصير إلى المنزل . قال الشاعر :

شاب بالماء منه مهلاً كريها ثم علّ المنون بعد النّهل

قال ابن إسحاق : فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ، وَنُحُوتِهِمْ ، فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ الإسراء : ٦٠

قصة ابن أم مكتوم

ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه ، وقد طمع في إسلامه ، فبينما هو في ذلك ، إذ مر به

.....

ابن أم مكتوم الأعمى ، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يستقرئ القرآن ، فشق ذلك منه على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أضجره ، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد ، وما طمع فيه من إسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا ، وتركه ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ، مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ أي : إنما بعثتك بشيراً ونذيراً ، لم أخص بك أحداً دون أحد ، فلا تمنعه ممن ابتغاه ، ولا تصدّين به لمن لا يريد .

قال ابن هشام : ابن أم مكتوم ، أحد بني عامر بن لؤي ، واسمه : عبد الله ، ويقال : عمرو .

حديث الصحيفة التي كتبتها قریش

ذكر فيه قول أبي لهب ليديه : تَبَّالِكَا ، لا أرى فيك شيئاً مما يقول محمد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ، هذا الذي ذكره ابن إسحاق . يشبهه أن يكون سبباً لذكر الله سبحانه يديه ، حيث يقول : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ وأما قوله : وَتَبَّ ، فتفسيره ما جاء في الصحيح من رواية مجاهد وسعيد ابن جبير عن ابن عباس ، قال : لما أنزل الله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء : ٢١٤ خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أتى الصفا ، فصعد

عليه ، فهتف : يَا صَبَّاحَاهُ ، فلما اجتمعوا إليه ، قال : أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قالوا : مَا جَرَّ بِنَاعِلِيكَ كَذِبًا ، قال : فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ . فقال أبو لهب : تَبًّا لَكَ أَلْهَذَا جَمَعْتَنَا؟! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ (١) ، وقد تبَّ . هكذا قرأ مجاهد والأعمش ، وهي - والله أعلم - قراءة مأخوذة عن ابن مسعود ، لأن في قراءة ابن مسعود ألفاظًا كثيرة تعين على التفسير (٢) قال مجاهد : لو كنت

(١) رواه الشيخان والترمذي .

(٢) يجب أن نؤمن بأن هذا المصحف الذي نحن معه نتدبره ، فيه كل كلام الله الذي نزله على محمد صلى الله عليه وسلم دون نقص أو زيادة . وما يروى من مثل هذا . فإما أن تكون رواية ساقطة ، وإما أن يكون من كلام ابن مسعود تعليقا منه على بعض آيات الكتاب المبين . كيف نحكم أن مثل « وقد تب » كانت في المصحف ثم رفعت منه ؟ أو كيف نحكم أن آية كذا كانت فيه ، ثم حذفت ؟ وأين نحن بهذا من قول الله : (إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون) الحجر : ٩ . كيف نضرب المتواتر المحفوظ بحفظ الله بروايات ساقطة واهية مهما كان شأن روايتها ، وشأن الكتب التي وردت فيها ؟ وما الفرق بيننا وبين من يزعمون أن مصحفنا هذا ناقص مبتور حذف منه أبو بكر وعمر ما حذفوا ؟ أقذفوا بكل قول يزعم هذا في جحيم .

بعض ما قيل عن الصحيفة :

قيل : لأنها كانت في هلال المحرم سنة سبع من النبوة ، ورد هذا في ابن سعد وابن عبد البر : وجزم به الحافظ في الفتح ، وقيل : سنة ثمان وكان اجتماعهم بخيف بنى كسفانة وهو المحصب واختلف في اسم كاتب الصحيفة . وفي رواية أنهم تواتروا على هذا حتى يسلبوا رسول الله « ص » للقبل ، وكانت مدة الشعب سنتين كما ذكر ابن سعد أو ثلاثا كما ذكر موسى بن عقبة وفي نسب قریش ص ٢٥٤ أن الذي كتب الصحيفة عامر الشاعر لا منصور ابنه .

قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسئل ابن عباس ، ما احتجت أن أسئله عن كثير مما سألته ، وكذلك زيادة قد في هذه الآية ، فتمرت أنه خير من الله تعالى ، وأن الكلام ليس على جهة الدعاء ، كما قال تعالى : ﴿ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنْيُّ يَوْمَ فَكُونَ ﴾ التوبة : ٣٠ ، أى : إنهم أهل أن يقال لهم هذا ، فثبت يداً أبى لطلب ، ليس من باب : قاتلهم الله ، ولكنه خبر محض بأن قد خسر أهله وأهله ، واليدين : آلة الكسب ، وأهله وماله مما كسب فقوله : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ ، تفسيره : قوله : ﴿ مَا غْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ وولد الرجل من كسبه ، كما جاء في الحديث ، أى : خسرت يداه هذا الذى كسبت ، وقوله : ﴿ وَتَبَّ ﴾ ، تفسيره . ﴿ سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ أى : قد خسر نفسه بدخوله النار ، وقول أبى لطلب : ﴿ تَبَّ لَكَ ، مَا أَرَى فِيكَ شَيْئاً ، ﴾ ، يعنى : يديه : سبب لنزول تبَّتْ يداً كما تقدم .

وقوله في الحديث الآخر : ﴿ تَبَّ لَكَ يَا مُحَمَّد ، ﴾ سبب لنزول قوله سبحانه : ﴿ وَتَبَّ ﴾ (١) فالكلمتان في التنزيل مبنيتان على السببين ، والآيتان بعدهما تفسير للتبيين . ﴿ تَبَّابٍ يَدِيهِ ، وَتَبَابِهِ هُوَ فِي نَفْسِهِ ، وَالتَّبُّبُ عَلَى وَزْنِ التَّلْفِ

(١) وحدث عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبىه قال . أخبر رجل يقال له : ربيعة بن عباد من بنى الديل ، وكان جاهلياً ، فأسلم ، قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم — فى الجاهلية فى سوق ذى الحجاز ، وهو يقول : (يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تغلحوا) والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضىء لوجه أحول ذو غديرتين يقول : إنه صانع كاذب يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه ، فقالوا : هذا عمه أبو لهب . تفرد به أحمد .

لأنه في معناه ، والتَّبَابُ كالهلاكِ والخَسَارِ وَزْنَا وَمَعْنَى ، وَلِذَلِكَ قِيلَ فِيهِ :
تَبَّبُ وَتَبَابٌ .

من تفسير شعر أبي طالب :

فصل : ذكر شعر أبي طالب :

ألا أبلغا عنى على ذاتِ بيننا

قال قاسم بن ثابت : ذات بيننا ، وذات يده ، وما كان نحوه : صفةٌ
لخذوفٍ مؤنث ، كأنه يريد الحال التي هي ذات بينهم كما قال الله سبحانه :
﴿ وَأَصْحَابُهَا ذَاتَ بَيْنٍكُمْ ﴾ الأنفال : ١ فكذلك إذا قلت : ذات يده .
سريد أمواله ، أو مكتسباته ، كما قال عايه السلام : « أرعاه على زوج في ذات
يده ^(١) » ، وكذلك إذا قلت : لقيته ذات يوم ، أى : لقاءً أو مرّةً ذات يوم ،
فلما حذف الموصوف ، وبقيت الصفة صارت كالحال لا تتمكن ، ولا ترفع
في باب مالم يُسَمَّ فاعله ، كما ترفع الظروف المتمكنة ، وإنما هو كقولك : سير
عليه شديداً وطويلاً ، وقول الخثعمي - واسمه : أنس بن مالك [مدرك] : عزمت
على إقامة ذات صباح ، ليس هو عندي من هذا الباب ، وإن كان سيبويه قد
جعلها لغة الخثعم ، ولكنه على معنى إقامة يوم ، وكل يوم هو ذو صباح ، كما
تقول : ما كلني ذو شفة ، أى : متكلم ، وما مررت بذي نَس ، فلا يكون من

(١) هو جزء من حديث رواه الشيخان : « خير نساء ركين الإبل صالحو
خفساء قریش أحناه على واند في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده . »

باب : ذَاتَ مَرَّةٍ الَّذِي لَا يَتِمُّكَانَ فِي الْكَلَامِ ، وَقَدْ وَجَدْتُ فِي حَدِيثِ قَبِيلَةٍ
بِنْتِ مَخْرَمَةَ ، وَهُوَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ وَقَعَ فِي مَسْنَدِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ : أَنَّ أُخْتَهَا قَالَتْ
لِبَعْلِهَا : إِنْ أُخْتِي تَرِيدُ الْمَسِيرَ مَعَ زَوْجِهَا حُرَيْثِ بْنِ حَسَّانَ ذَا صَبَاحٍ بَيْنَ سَمْعِ
الْأَرْضِ وَبَصْرَهَا ، فَهَذَا يَكُونُ مِنْ بَابِ : ذَاتِ مَرَّةٍ ، وَذَاتُ يَوْمٍ ، غَيْرُ أَنَّهُ وَرَدَ
مَذْكَرًا ؛ لِأَنَّهُ تَشْتَقِلُ تَاءُ التَّأْنِيثِ مَعَ الصَّادِ ، وَتَوَالِي الْحَرَكَاتِ ، فَحَذَفُوهَا ، فَقَالُوا :
لَقِيْتَهُ ذَا صَبَاحٍ ، وَهَذَا لَا يَتِمُّكَانَ كَمَا لَا يَتِمُّكَانَ : ذَاتُ يَوْمٍ وَذَاتُ حِينٍ ، وَلَا
يُضَافُ إِلَيْهِ مَصْدَرٌ ، وَلَا غَيْرُهُ . وَقَوْلُ الْخَثْعَمِيِّ : عَزَمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ
قَدْ أُضِيفَ إِلَيْهِ ، فَكَيْفَ يُضِيفُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ يَنْصِبُهُ ، أَوْ كَيْفَ يَضَارِعُ الْحَالَ مَعَ
إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَيْهِ ؟ فَكَذَلِكَ خَفَضَهُ ، وَأَخْرَجَهُ عَنْ نِظَائِرِهِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ سَبَبِيَّةً .
سَمِعْتُ خَثْعَمًا يَقُولُونَ : سَرْتُ فِي ذَاتِ يَوْمٍ ، أَوْ سِيرَ عَلَيْهِ ذَاتُ يَوْمٍ بَرَفِ النَّوَاءِ ،
فَحِينَئِذٍ يَسُوغُ لَهُ أَنْ يَقُولَ : لُغَةُ خَثْعَمٍ ، وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي تَقْدُمُ فَالشَّاهِدُ لَهُ فِيهِ ،
وَمَا أَظُنُّ خَثْعَمًا ، وَلَا أَحَدًا مِنَ الْعَرَبِ يَجِيزُ التَّمَكُّنَ فِي نَحْوِ هَذَا ، وَإِخْرَاجَهُ عَنِ
النَّصْبِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

لَا الَّتِي لِلتَّبْرَةِ :

فصل : وفيه : وَلَا خَيْرَ مِمَّنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْحُبِّ .

وهو مشكل جداً لأن لا في باب التبرئة لا تنصب مثل هذا إلا
مُنَوَّنًا تقول : لَا خَيْرًا مِنْ زَيْدٍ فِي الدَّارِ ، وَلَا شَرًّا مِنْ فُلَانٍ ، وَإِنَّمَا
تَنْصَبُ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ إِذَا كَانَ الْاسْمُ غَيْرَ مَوْصُولٍ بِمَا بَعْدَهُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ يوسف : ٩٢ . لِأَنَّ عَلَيْكُمْ لَيْسَ مِنْ صِلَةِ

التثريب ، لأنه في موضع الخبر ، وأشبهه ما يقال في بيت أبي طالب أن خيرا
مخفف ، من خَيْرٍ كَهَيْنٍ وَمَيِّتٍ [من هَيِّنٍ وَمَيِّتٍ] وفي التنزيل : ﴿ خَيْرَاتُ
حِسَانٍ ﴾ الرحمن : ٧٠ هو مخفف من خَيْرَاتٍ .

عود إلى سرح شعر أبي طالب :

وقوله : مَيِّن . من ، متعلقة بمحذوف ، كأنه قال : لا خَيْرَ أَخْيَرِ مِمَّنْ خَصَّه
الله ، وخَيْرٌ وَأَخْيَرٌ : لفظان من جنس واحد ، فحَسُنَ الحذفُ استئقالا لتكرار
اللفظ ، كما حَسُنَ : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ البقرة : ١٧٧ . و﴿ الْحَيُّ
أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ ﴾ البقرة : ١٩٧ لما في تكرار الكلمة مرتين من الثقل على
اللسان ، وأغرب من هذا قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ
اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ ﴾ يونس : ١١ أي : لو عجله لهم إذا استعجلوا به استعجالاً
مثل استعجالهم بالخير ، فحسن هذا الكلام لما في الكلام من ثقل التكرار ، وإذا
حذفوا حرفاً واحداً لهذه العلة كقولهم : بَدَّحَرْتُ (١) بنو فلان ، وظللت وأحشت
فأحرى أن يحذفوا كلمة من حروف ، فهذا أصل مُطَرِدٌ ، ويجوز فيه وجه آخر ،
وهو أن يكون حذف التنوين مراعاة لأصل الكلمة ؛ لأن خَيْرًا من زيد إنما معناه :
أخير من زيد ، وكذلك : شَرٌّ من فلان ، إنما أصله : أشرُّ على وزن أفعل ،

(١) في الأصل بياض بعد كلمة بلحرت ، ولكن في اللسان : د وقولهم :
بلحرت لبني الحرث بن كعب من شواذ الإدغام ، لأن النون واللام قريباً
المخرج ، فلما لم يمكنهم الإدغام بسكون اللام حذفوا النون . كما قالوا : مست ،
وظلت ، بفتح الميم والطاء وسكون السين واللام ، كذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها
لام المعرفة ، مثل بلعنبر ، وبلهجم ، فأما إذا لم تظهر اللام ، فلا يكون ذلك ،
مادة حرث .

وحذفت الهمزة تخفيفاً ، وأفعل لا ينصرف ، فإذا انحذفت الهمزة انصرف ونون ،
فإذا توهمتها غير ساقطة التفاتاً إلى أصل الكلمة ، لم يبعد حذف التنوين على
هذا الوجه مع ما يقويه من ضرورة الشعر .

وقوله : بالقُساسِيَّةِ الشُّهْبِ ، يعني : السيوف ، نسبها إلى قُساس ، وهو
معدن حديد لبني أسد ، وقيل اسم للجبل الذي فيه المعدن : قال الراجز
يصف فأساً :

أحضر من معدنِ ذِي قُساسِ كأنه في الحُجَيْدِ ذِي الأضراسِ

يُرْمَى به في البلدِ الدَّهَّاسِ (١)

وقال أبو عبيد في القُساسِيَّةِ : لا أدري إلى أي شيء نُسِبَ ، والذي
ذكرناه قاله المُبَرِّدُ ، وقوله : ذِي قُساسِ كما حكى ، ذو زيد ، أي : صاحب هذا
الاسم ، وفي أقيالِ حَمِيرِ : ذو كَلَّاعِ ، وذو عَمْرُو ، أضيف المسمّى إلى اسمه ،
كما قالوا : زيد بَطَّةٌ ، أضافوه إلى لقبه (٢)

(١) في معجم ابن فارس « قساس » بلد تنسب إليه السيوف القساسية ،
وفي المراصد : جبل لبني نمير ، وقيل لبني أسد ، وبالاصد جبل لهم أيضاً فيه معدن
حديد تنسب السيوف القساسية إليه ، ويقال : إن قساس معدن الحديد بأرمينية ،
والدهاس : المكان السهل .

(٢) الأسماء المفردة تضاف إلى لقبها ، وحينئذ تكون الالتفات معارف ،
وتتعرف بها الأسماء ، كما قيل : قيس قفة . وزيد بطحوسعيد كرز ويجوز بفتح تاء قفة
وبطحة وزاي كرز مادة قطن في اللسان ، وانظر أيضاً مادة بطح وكرز ، وذو الكلاع
الأكبر : يزيد بن النعمان . والاصفر : سميفع بن ناكور من نسل الأكبر .

وذكر فيه النسور الطخمة ، قيل : هي السود الرءوس بمقالة صاحب العين .
وقال أيضاً : الطُّخْمَةُ سواد في مقدم الأنف .

وقوله : كراغية السَّقْبِ يريد ولد الناقة التي عقرها قدار^(١) ، فرغا ولدُها .
فصاح بُرْغائه كُلُّ شَيْءٍ له صوت ، فملككت ثمود عند ذلك ، فضربت العرب .
ذلك مثلاً في كل هَلَسَكَة . كما قال علقمة [بن عَبْدَةَ] :

رغا فوقهم سَقْبُ السماء فداحصُّ بِشِكَّتِهِ لم يُسْتَلَبْ وسليبُ

وقال آخر :

(١) اسمه في القاموس : قدار بن سائف ، ويقال هو الذي عقر ناقة صالح ،
وهو أحيمر ثمود . وروى أحمد بسنده في مسنده عن عبد الله بن زمعة قال : خطب
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر الناقة ، وذكر الذي عقرها ، فقال :
إذ انبعث أشقاها ، انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في ردهطه مثل أبي زمعة .
ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير .

وبشؤم قدار ضرب المثل يقول الشاعر :

وكان أضرفيم من سبيلى إذا وافى وأشام من قدار
ويقال : قدار بن قديرة باسم أمه ، انظر الأمثال للميداني ، مثل رقم ٤٠٢١ .
وسمط اللآلى ص ٨٤٥ ، وفي معلقة زهير عن الحرب :

فتنتج لكم غلمان أشام كلهم كأحر عاد ، ثم ترضع فتفظم
وأجر عاد هو قدار . والسقب : ولد الناقة عامة ، أو ساعة يولد ،
أو خاص بالذكر ، وفي ابن هشام ورد نسب أبي اليخترى : ابن هشام بن الحارث
بن أسد ، فصوبته من نسب قريش . ابن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى .

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاقَتْ سُلَيْمٌ وَعَامِرٌ عَلَى جَانِبِ الثَّرَثَارِ رَاغِيَةَ الْبِكْرِ (١)
ذَكَرَ أُمُّ جَمِيلٍ وَالْمَسَدُ وَعَنْدَابِهَا:

فصل : وذكر أم جميل بنت حرب عمة معاوية ، وذكر أنها كانت تحمل الشوك ، وتطرحه في طريق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله فيها : ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْخَطْبِ ﴾ قال المؤلف : فلما كتبت عن ذلك الشوك بالخطب ، والخطبُ لا يكون إلا في حبل ، من ثم جعل الحبل في عنقها ، ليقابل الجزاء الفعل .

وقوله : من مسد ، هو من مسدت الحبل إذا أحكمت قتله ، إلا أنه قال : من مسد ، ولم يقل : حبلٌ مسدٌ ولا تمسود لمعنى لطيف ، ذكره بعض أهل التفسير ، قال : المسد يعبر به في العرف عن حبل الدلو ، وقد روى أنه يُصنع بها في النار ما يُصنع بالدلو ، تُرفع بالمسد في عنقها إلى شفير جهنم ، ثم يرمى بها إلى قعرها هكذا أبدأ ، وقولهم : إن المسد هو حبل الدلو في العرف صحيحٌ فإنما لم نجد في كلام العرب إلا كذلك ، كقول [النابغة] الذبياني .

له صَرِيْفٌ صَرِيْفٌ الْقَعْوُ بِالْمَسَدِ (٢)

(١) الثرثار : هو في برية نجد ، واد عظيم بالجزيرة .
(٢) البيت من شواهد سيبويه في الكتاب ، والشاهد فيه نصب وصريف ، الأخرى على المصدر المشبه به ، والعامل فيه فعل مضمر دل عليه قوله : « له صريف » ، فكأنه قال : باز لها يصرف صريفاً مثل صريف القعو ، ورفع على البدل جاز .
يوصف للناقة بالقوة والنشاط ، فيقول : كأنما قذفت باللحم قذفاً تراكمه عليها .

وقال الآخر وهو يستقي على إبله :

يَا مَسَدَ اَلْخُلُوصِ تَعَوَّذْ مِنِّي اِنْ تَكْ لَدُنَا كَيْفًا فَاِنِّي
مَا شئتُ مِنْ اَشْمَطَ مُقْسِنٍ (١)

== والنحوض: اللحم ، ودخيسه: ما تداخل منه وتراكب، والبازل: سن تخرج عند بزولها، وذلك العام اتسع من سنها ، وعند ذلك تكمل قوتها . ويقال لها: بازل: والصريف: صوت أنيابها إذا حكّت بعضها ببعض نشاطا أو إعباء، والقعو: ما تدور فيه البكرة إذا كان من خشب، وجمعها قعي، فإذا كان من حديد، فهو خطاف ص ١٧٨ > ١ الكتاب لسبيريه ويبت علاقة ص ١٧٣ أمال.

(١) أنشده اللسان في مادتي مسد ، وقسن . وفي الاصل الحوض ، مكسين والتصويب من اللسان ، ومعجم ابن فارس الذي أنشد الاخيرتين في مادة قسن والمقسن: الصلب من الرجال . ويكون كبير السن ، والاشمط من خالط سواد شعره بياض . وبعد هذه :

تقمص كفاه بجبل الشن مثل قاص الاحرد المسن

يقول : تعوذ مني ، فإني أستقي بك كثيرأ ، فتنقطع إن تك لدنا ، أي: ناعما مثنيا ، فإني مقسن . وهو الكهل الشديد الذي لم تنقص السنون منه شيئا . ويروي : إن تك شبا ، أي : شابا . وتقمص : ترتفع كفاه بالجبيل إذا جذبته . والاحرد : البعير الذي يرفع يديه في سيره ، ثم يخطبهما الأرض ، والمستن الذي يمشي على وجهه ، وأراد بالشن : الدلو ص ٨٩ تهذيب لإصلاح المنطق لأبي زكريا يحيى بن علي بن الخطاب التبريزي المتوفى سنة ٥٦٢ هـ . ط أولى وفي اللسان أيضا :

المقسين : الشيخ القديم وكذلك البعير ، فاذا اشتقوا منها فعلا على مثل افعال بتشديد اللام همزوا فقالوا : اقسأن . وقيل المقسن الذي قد انتهى في سنه ، فليس به ضعف كبير . ولا قوة شباب وقيل : هو الذي في آخر شبابه وأول كبره ، واقسأن الشيء اشتد

(م — ٢٠ الروض الأنف ج ٣)

وقال آخر :

يَا رَبَّ عَبَسَ لَا تُبَارِكْ فِي أَحَدٍ فِي قَائِمٍ مِنْهُمْ ، وَلَا فِيمَنْ قَعَدَ
غَيْرِ الْأُولَى سَدُّوا بِأَطْرَافِ الْمَسَدِ

أى : استقوا ، وقال آخر ، وهو يستقى :

وَمَسَدٍ أَمْرٌ مِنْ أَيْانِي لَيْسَ بِأَنْيَابٍ وَلَا حَقَائِقٍ (١)

يريد : جمع أَيْنُقُ ، وأَيْنُقُ : جمع ناقة مقلوب ، وأصله : أنوق ، قلب ، وأبدلت
الواو ياء ؛ لأنها قد أبدلت ياء للكسرة ، إذا قالوا : نياق ، وقلبوه فرارا من
اجتماع همزتين لو قالوا : أنوق على الأصل ، يريد أن المسد من جلودها . وفي
الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في المدينة : قد حرمتها إلا
لِعَصْفُورٍ قَتَبٍ (٢) ، أو مَسَدٍ مَحَالَةٍ ، وَالْمَحَالَةُ : الْبَكْرَةُ . وفي حديث آخر :

(١) قبلهما .

إن سرك الإرواء غير سابق فاعمل بغرب مثل غرب طارق
أو فاعجل ، ويروى : غير سائق . وأمر : قتل . والرجز لعمارة
ابن طارق - أو عمار ، أو لعقبة الهجيمي ، والانياب : جمع ناب ، وهى
الناقة الهرمة ، والحقائيق جمع : حقة وهى التى دخلت فى السنة الرابعة ، يريد : هو
جلد ثنية أو رباعية ، أو سديس أو بازل .

(٢) القتب : جميع أداة السانية أو الساقية ، القتب : بفتح القاف وثناء
أو بكسر القاف وسكون التاء ، والعصفور : الحشيب الذى يشد به
ردوس الأفتاب .

أنه حرّمها بريداً في بريد إلا المَنجَدَةَ أو مسد ، والمَنجَدَةُ : عصا الراعى .
وقال أبو حنيفة في النبات : كلُّ مَسَدٍ رِشَاءٌ ، وأنشد :

وَبِكْرَةٌ وَمِحْوَرًا صَرَّارًا وَمَسَدًا مِنْ أَبَقٍ مُعَارًا
وَالْأَبَقُ : الْقَنْبُ ، وَالزُّبْرُ : السَّكَّتَانُ ، وأنشد أيضاً :
أَنْزَعُهَا تَمْطِيًا وَمَثًا بِالْمَسَدِ الْمَمْلُوثِ أَوْ يَرِمْنَا

فقد بان لك بهذا أن المَسَدَ جبل البئر ، وقد جاء في صفة جهنم - أعادنا الله منها - أنها كَطَيِّ البئر لها قَرْنَان ، والقَرْنَانِ من البئر : كالدَّعَامَتَيْنِ لِلْبِكْرَةِ ، فقد بان لك بهذا كله ، ما ذكره أهل التفسير من صفة عذابها أعادنا الله من عذابه وأليم عقابه ، وبهذا تناسب الكلام ، وكثرت معانيه ، وتنزه عن أن يكون فيه حَسُوٌّ أو لغو - تعالى الله منزله ؛ فإنه كتاب عزيز .

وقول مجاهد : إنها السِّلْسِلَةُ التي ذَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا لا يَنفِي ما تقدم ، إذ يجوز أن يَرَبِقُ^(١) في تلك السِّلْسِلَةِ أمَّ جميلٍ وغيرها ، فقد قال أبو الدرداء لأمراءته : يا أم الدرداء إن لله سِلْسِلَةً تَعْلَى بِهَا مَرَاجِلُ جَهَنَّمَ مِنْذُ خَلَقَ اللهُ النَّارَ إلى يوم القيامة ، وقد نَجَّكَ اللهُ مِنْ نَصْفِهَا بِالْإِيمَانِ بالله ، فاجتهدى في النجاة من النصف الآخر بالحض على طعام المساكين ، وكذلك قول مجاهد : إنها

(١) يربقه : يجهل رأسه في الربقة ، وهي العروة في حبل يشد به البهم ،
وفي الأصل : يربق ولم أهتد إلى ضبط البيت السابق

كانت تمشى بالتمائم لا ينفى حملها للشوك^(١) ، وهو في كلام العرب سائغ أيضا ،
فقد قال ابن الأست أقرش حين اختلفوا :

وَنَبَّئْتُكُمْ شَرَّ جَيْنٍ^(٢) كُلِّ قَبِيلَةٍ لَهَا زُمْلٌ مِنْ بَيْنِ مُذْكَ وَحَاطِبِ

فالمذكى الذى يذكى ناز العداوة ، والحاطب الذى ينم ويغرى كالمحطاب
للنار ، ومن هذا المعنى ، وكأنه مُنتزَع منه قول النبي - صلى الله عليه وسلم :
« لا يدخل الجنة قَتَاتٌ^(٣) » والقَتَات هو الذى يجمع القَتَّ ، وهو ما يوقد به النار
من حشيش وحب صفار .

عن الحيد والعنق :

وقوله : فى جِيه - دها ، ولم يقل : فى عنقها ، والمعروف أن يُذكر العنق
إذا ذُكر العُل ، أو الصَّفْع ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ﴾
يس : ٨ ويذكر الجيد إذا ذُكر الخُلِيُّ أو الحسن ، فإنما حَسُنْ ههنا ذكر الجيد
فى حُكْمِ البلاغة ؛ لأنها امرأة ، والنساء تحلى أجيادهن ، وأم جميل لاختلي لها
فى الآخرة إلا الحبل الجمول فى عنقها ، فلما أقيم لها ذلك مقام الخلى ذكر
الجيد معه ، فتأمله ؛ فإنه معنى لطيف ، ألا ترى إلى قول الأعشى :

يَوْمَ تَبْدَى لَنَا قَتَيْلَةٌ عَنْ جِيدِ

(١) فى الأصل : الشرك

(٢) الشرح : الضرب ، يقال : هما شرج واحد أى : ضرب واحد

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى ، والقَتَات هو النام ، وقيل

هو الذى يتسمع على القوم ، وهم لا يعلمون ، ثم يتم .

ولم يقل : عن عنق ، وقول الآخر :
وأحسنُ من عقد المليحة جيدها

ولم يقل : عنقها ، ولو قاله لكان غثًا من الكلام ، فإنما يحسن ذكر
الجيد حيث قلنا ، وينظر إلى هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾
آل عمران : ٢١ أى لا بشرى لهم إلا ذلك ، وقول الشاعر [عمرو بن معدى كَرِب] :
[وَحَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِحَيْلٍ] تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ
أى : لا تحية لهم . كذلك قوله : فى جيدها حبل من مسد ، أى : ليس
ثمَّ جيدٌ يُحَلَّى ، إنما هو حبل المسد ، وانظر كيف قال : وامرأته ، ولم يقل :
وزوجه ؛ لأنها ليست بزوجه فى الآخرة ، ولأن التزويج حلية شرعية ، وهو
من أمر الدين يجردها من هذه الصفة ، كما جرد منها امرأة نوح وامرأة لوط ، فلم يقل :
زوج نوح ، وقد قال لآدم : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْبَيْتَ ۖ قُلُوبُهُمْ عَنِ الذُّلَّةِ عَلَيْهِمْ ۚ وَقَالَتِ ابْنَةُ
لُوطَ لَأَنكِحَنَّ أَبِيكَمْ أُنَّى شَاءَ ۚ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّكِ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾
عليه السلام : (قل لأزواجك) ، وقال : (وأزواجه أمهاتهم) ، إلا أن يكون
مساق الكلام فى ذكر الولادة والحمل ، ونحو ذلك ، فىكون حينئذ لفظ المرأة
لائقًا بذلك الموطن ، كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ مريم : ٨٥ ،
﴿ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتَهُ فِي صَرَّةٍ ﴾ الذاريات : ٢٩ لأن الصفة التى هى الأنوثة هى
المقتضية للحمل والوضع لا من حيث كانت زوجا .

غايه فى الوصف بالحنين

فصل : وأنشد شاهدا على الجيد قول الأعشى :

يَوْمَ تَبْدَى لَنَا مُقْتِيلَةٌ عَنْ جِيدِ أُسَيْلٍ تَزِينُهُ الْأَطْوَاقُ

وقوله : تزينه أى : تزیده حسنا ، وهذا من القصد فى الكلام ، وقد أبى

المَوْلُودُونَ إِلَّا الغُلُو فِي هَذَا المَعْنَى ، وَأَنْ يَغْلِبُوهُ فَقَالَ فِي الحِمَاسَةِ حَسِينِ بِنِ
مُطَيْرٍ [الأَسَدِيِّ] :

مُبَلَّلَةُ الأَطْرَافِ زَانَتْ عَقُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيْنَتَهَا عَقُودُهَا
وَقَالَ خَالِدُ القَاسِرِيِّ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ : مِنْ تَسَكَّنَ الخِلَافَةَ زَيْنَتَهُ ،
فَأَنْتَ زَيْنَتُهَا ، وَمَنْ تَسَكَّنَ شَرَفَتَهُ ، فَأَنْتَ شَرَفَتُهَا ، وَأَنْتَ كَمَا قَالَ [مَالِكُ
ابنِ أَسْمَاءَ] :

وَتَزِيدِينَ أَطِيبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا إِنْ تَمَسَّيْتَهُ ، أَيْنَ مِثْلَكَ أَيْنَا
وَإِذَا الدَّرُزَانَ حُسْنَ وَجُوهٍ كَانَ لِلدَّرِّ حُسْنُ وَجْهِكَ زَيْنَانَا
فَقَالَ عَمْرٌ : إِنْ صَاحِبِكُمْ أَعْطَى مَقُولًا ، وَلَمْ يُعْطِ مَعْقُولًا ، قَالَ المَوْئِلُ : وَإِنَّمَا
لَمْ يَحْسُنْ هَذَا مِنْ خَالِدٍ لِمَا قَصَدَ بِهِ التَّمَلُّقَ ، وَإِلَّا فَقَدْ صَدَرَ مِثْلُ هَذَا المَعْنَى عَنِ
الصَّدِيقِ ، فَحُسْنُ لِمَا عَصَدَهُ مِنَ التَّحْقِيقِ وَالتَّحْرِي لِحَقِّ ، وَالبَعْدُ عَنِ المَلَقِ
وَالخِلَابَةِ ، وَذَلِكَ حِينَ عَهْدَ إِلَى عُمَرَ بالخِلَافَةِ ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ عَهْدَهُ مَخْتُومًا ، وَهُوَ
لَا يَعْرِفُ مَا فِيهِ ، فَلَمَّا عَرَفَ مَا فِيهِ رَجَعَ إِلَيْهِ حَزِينًا كَهَيْئَةِ الشَّكْلِ : يَقُولُ : حَمَلْتَنِي
عَبِيئًا إِلَّا أَضْطَلَعُ بِهِ ، وَأُورِدْتَنِي مُورِدًا لَا أُدْرِي : كَيْفَ الصَّدْرَ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ
الصَّدِيقُ : مَا آثَرْتِكَ بِهَا ، وَلَكِنِّي آثَرْتَهَا بِكَ ، وَمَا قَصَدْتَ مَسَاءَتِكَ ،
وَلَكِن رَجَوْتُ إِدْخَالَ السَّرُورِ عَلَى المُؤْمِنِينَ بِكَ ، وَمِنْ هُنَا أَخَذَ الحَطِيبَةُ قَوْلَهُ :
مَا آثَرُوكَ بِهَا إِذْ قَدَّمَوكَ لَهَا لَكِن لَأَنْفُسَهُمْ كَانَتْ بِهَا الإِثْرُ^(١)

(١) أَنشَدَهُ اللِّسَانُ وَقَالَ : وَكَيْفَ الإِثْرُ : جَمْعُ الإِثْرَةِ ، وَهِيَ الإِثْرَةُ .
وَفِي الأَغَانِي فِي أَخْبَارِ الحَطِيبَةِ : أَنَّ الحَطِيبَةَ أَنشَدَتْ هَذِهِ القَصِيدَةَ الَّتِي مِنْهَا هَذَا البَيْتُ
حِينَ شَفَعَ فِيهِ عَمْرُو بْنُ العَاصِ ، فَأَخْرَجَهُ عَمْرٌ مِنْ مَحَبَسِهِ وَمِنْهَا :
مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحِ بَنِي مَرْخٍ زَعْبِ الحَوَاصِلِ لِأَمَاءِ وَلَا شَجَرِ

وقد سَبَّكَ هذا المعنى في النسب عبدُ الله بن عباس الرومى ، فقال :
وأحسنُ من عهدِ المليحةِ جيدُها وأحسنُ من سرِّ بالها المَتَجَرِّدُ
ومما هو دون الغلو ، وفوق التَّقْصِيرِ قول الرَضِيِّ :

حَلْيِهِ جِيْدُهُ ، لا ما يُقَلِّدُهُ وكُلُّهُ ما بعينيه من الكَحَلِ
ونحو منه ما أنشده الثعالبي :

وما الحَلِيُّ إلا حِيْلَةٌ من تَقْيِيصَةٍ يُتَمَّمُ من حُسْنٍ إذا الحسَنُ قَصُرَا
فأما إذا كان الجمال موفرا فحسبُك لم يحتج إلى أن يُزَوَّرَا

وسمعت القاضي أبا بكر محمد بن العربي يقول: حج أبو الفضل الجوهري
الزاهد ذات مرة ، فلما أشرف على الكعبة ، ورأى ما عليها من الديباج
تمثل ، وقال :

ما عُلِّقَ الحَلِيُّ على صدرها إلا لما يُخَشَى من العَيْنِ
تقول والذُّرُّ على نَحْرِها : مَنْ عَاقَ الشَّيْنِ على الزَّيْنِ
وبيت الأعشى المتقدم بعده :

== وقبل البيت الذى رواه السهيلي :

أنت الإمام الذى من بعد صاحبه ألقى إليك مقاليد النهى البشر
وروايته فى الإغاني ، كانت بك الإثر ، وهى أدق . وللبيت رواية أخرى
ما آثروك بها إذ قدموك لها لكن بها استأثروا إذ كانت الإثر

وَشْتَيْتِ كَالْأُقْحُوَانِ جَلَاهُ الظَّلُّ فِيهِ عُدْوَابَةٌ وَاتَّسَقُ
وَأُمَيْثُ جَنْثِلِ النَّبَاتِ تُرْوِي ٤ كَعُوبٌ غَرِيرَةٌ مِفْتَاقُ
رُؤْيَةٍ طَفَلَةٌ الْأَنْمَالِ كَالدَّمِ يَمِينَةٌ لِأَعَانِسٍ وَلَا مِهْرَاقُ

الفهر:

وذكر قول أم جميل لأبي بكر: لو وجدت صاحبك لشدخت رأسه بهذا
الفهر. المعروف في الفهر: التأنيث، وتصغيره فُهَيْرَةٌ، ووقع هنا مذكرا (١).

(١) في المعجم الوسيط أنه يذكر ويؤنث، وهو - كما في القاموس -
الحجر قدر ما يدق به الجوز، أو ما يملأ الكف، ويرى الخشنى في شرح السيرة أنه
يذكر ويؤنث، واسم امرأة أبي لُحَب: أروى. ويقول المصعب في نسب قرش أن
أبا لُحَب كان يكنى بأسماء بنيه كلهم وهم عتبة ومعتب وعنتيبة، وكنى بأبي لُحَب
لإشراق وجهه، وكل أولاده من أم جميل التي يقول فيها الأحوص الشاعر
الأنصاري:

كل الحبال حبال الناس من شعر وحبلها وسط أهل النار من مسد
وقال ابن كثير: وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده: فلماذا
تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم. وعن مجاهد وعكرمة والحسن
وقنادة والثوري والسدي - واختاره ابن جرير - أنها كانت تمشي بالانميمة، وقال
سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة فاخرة. فقالت: لأنفقته في عداوة محمد -
يعنى، فأعقبا الله منها حبلا في جيدها من مسد النار، وقيل: لأنها كانت عوراء
وقد روى حديث مجيئها إلى رسول الله وأبي بكر وعدم رؤيتها للنبي - ص -
البيزار بسنده عن ابن عباس، وروى قريبا منه ابن أبي حاتم بسنده عن أسماء.
وقد تحقق ما أخبر به الله. فلم يؤمن أبو لُحَب وامرأته. وأبيات شعرها: مذما
الخ، مروية في كتب أخرى مختلفة الترتيب عما هنا وأخرج ابن أبي حاتم عن عثمان
وابن عمر قالوا: مازلتنا نسمع أن ويل لسكل همزة نزلت في أبي بن خلف،
وأخرج عن السدي أنها نزلت في الأخنس بن شريق، وأخرج ابن جرير عن =

مول قولهم : مزمم وحديث خباب :

وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا ترون إلى ما يدفع الله عني من أذى قريش ، يشتمون ويهجونَ مَدَمًا وأنا محمد؟! ، وأدخل النَّسَوِيُّ هذا الحديثَ في كتاب الطلاق في باب : « من طلق بكلام لا يشبه الطلاق ، فإنه غير لازم » وهو فقه حسن لقول النبي - صلى الله عليه وسلم : ألا ترون إلى ما يدفع الله عني ، فجعل أذاهم مصروفًا عنه ، لما سَبُّوا مَدَمًا ، ومَدَمًا لا يشبه أن يكون اسمًا له ، فكذلك إذا قال لها : كلِّي واشربني ، وأراد به الطلاق لم يلزمه وكان مصروفًا عنه ؛ لأن مثل هذا الكلام لا يشبه أن يكون عبارة عن الطلاق .

فصل : وذكر حديث خَبَّاب^(١) مع العاصي بن وائل ، وما أنزلَ اللهُ فيه من قوله : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا ﴾ وقد تقدم الكلامُ على : أَرَأَيْتَ ، وأنه لا يجوز أن يليها الاستفهام ، كما يلي : علمت ونحوها ، وهي هُنا : عاملة في الذي كفر ، وقد قدمنا من القول فيها ما يعني عن إعادته هُنا ، فلينظر في سورة : اقرأ ، وحديث نزولها

سر الذرائع :

فصل : وذكر قول أبي جهل لتكفَّن عن سب آلهتنا أو لنسُبِن إلهك ، فأنزل اللهُ تعالى^(٢) ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ

= رجل من أهل الرقة أنها نزلت في جميل بن عامر الجمحي ، وقد روى ابن المنذر عن ابن إسحاق أنها في حق أمية كما في السيرة .

(١) حديث خباب أخرجه الشيخان والترمذي وأحمد .

(٢) نسب إلى علي بن أبي طالب أنه روى عن ابن عباس أن الذي اقترف =

عَدُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿١٠٨﴾ « الأنعام : ١٠٨ » الآية . وهذا الآية أصل عند المالكية في إثبات الذرائع ومراعاتها في البيوع وكثير من الأحكام ، وذلك أن سب آلهتهم كان من الدين ، فلما كان سبها إلى سبهم الباري - سبحانه - نهى عن سب آلهتهم ، فكذلك ، يخاف منه الذريعة إلى الربا ، ينبغى الزجر عنه ، ومن الذرائع ما يقرب من الحرام ، ومنها ما يبعد فتقع الرخصة والتشديد على حسب ذلك ، ولم يجعل الشافعي الذريعة إلى الحرام أصلاً ، ولا كره شيئاً من البيوع انتفى فيها الذريعة إلى الربا ، وقال : تهمة المسلم وسوء الظن به حرام ، ومن حجبتهم : قول عمر بن الخطاب : إنما الربا على من قصد الربا ، وقول النبي عليه السلام : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ^(١) » فيه أيضاً متعلق لهم ، وقالوا : ونهيه تعالى عن سب آلهتهم ، لئلا يسب الله تعالى ليس من هذا الباب ؛ لأنه لا تهمة فيه مؤمن ولا تضيق عليه ، وكما نُتقى الذريعة

== هذا إنما هم جماعة من المشركين لا أبو جهل وحده . وذكر عبد الرزاق أن المسلمين هم الذين كانوا يسبون أصنام الكفار . فيسب الكفار الله عدواً . والآية تميد ذلك

(١) زعم البعض أن هذا الحديث متواتر . وهذا خطأ إذ لم يروه عن النبي ص ، إلا عمر . ولم يروه عن عمر إلا علقمة ، ولم يروه عن علقمة إلا محمد ابن إبراهيم ولم يروه عنه إلا يحيى بن سعيد الأنصاري ، وعنه انتشر . فقيل رواه عنه أكثر من مائتي راو . وقيل : سبعةائة . من أعيانهم : مالك والثوري والأوزاعي والليث بن سعد وغيرهم . وقد روى هذا الحديث البخاري وسلمه الزهري والنسائي وابن ماجه وأحمد والدارقطني وابن حبان والبيهقي ، ولم يخرجها مالك في الموطأ . ولكن ابن منده يزعم أن أكثر من صحابي رواه غير أنه اتفق على أنه لا يصح مسنداً إلا من رواية عمر .

إلى تحليل ما حرم الله ، فكذلك ينبغي أن يُتقى تحريمُ ما أحل الله ، فسكن
الطرفين ذميم ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، والربا معلوم ، فما ليس من الربا فهو
من البيع ، والكلام في هذه المسألة للطائفتين ، والاحتجاج للفريقين يتسم بحاله
ويصدنا عن مقصودنا من الكتاب (١) .

(١) فصل الإمام ابن تيمية القول تفصيلا في هذه المسألة في كتابه القيم
« إقامة الدليل على إبطال التحليل » المطبوع مع مجموعة فتاويه فقال : « إن الله
سبحانه ورسوله سد الذرائع المفضية إلى المحارم بأن حرمها ، ونهى عنها .

والذريعة : ما كان وسيلة وطريقا إلى الشيء ، لكن صارت في عرف
الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل محرم ، ولو تجردت عن ذلك الإفضاء لم يكن
فيها مفسدة ، ولهذا قيل : الذريعة : الفعل الذي ظاهره أنه مباح ، وهو وسيلة
إلى فعل المحرم ، أما إذا أفضت إلى فساد ليس هو فعلا كإفضاء شرب الخمر إلى
السكر ، وإفضاء الزنا إلى اختلاط المياه ، أو كان الشيء نفسه فسادا كالقتل والظلم
فهذا ليس من هذا الباب ، فإننا نعلم أنما حرمت الأشياء لكونها في نفسها فسادا
بحيث تكون ضرا لا منفعة فيه ، أو لكونها مفضية إلى فساد بحيث تكون
هي في نفسها فيها منفعة ، وهي مفضية إلى ضرر أكثر منه ، فتحرم فإن كان ذلك
الفساد فعل محظور سميت : ذريعة ، وإلا سميت سببا ومقتضيا ، ونحو ذلك من
الاسماء المشهورة .

ثم هذه الذرائع إذا كانت تفضي إلى المحرم غالبا ، فإنه يحرمها مطلقا ،
وكذلك إن كانت قد تفضي ، وقد لا تفضي ، لكن الطبع متفاض لإفضائها ،
وأما إن كانت إنما تفضي أحيانا ، فإن لم يكن فيها مصلحة راجحة على هذا
الإفضاء القليل ، وإلا حرمها أيضاً ، ثم هذه الذرائع منها ما يفضي إلى المسكروه
بدون قصد فاعلها ، ومنها ما تكون إباحتها مفضية للتوسل بها إلى المحارم ، فهذا
القسم الثاني يجامع الحيل بحيث قد يقترن به الاحتيال تارة ، وقد لا يقترن ، كأن =

عن النضر بن الحارث ورسم :

فصل : حديث النضر بن الحارث ، وقال في نسبه : ككلة بن علقمة وغيره من النسب يقول : علقمة بن ككلة^(١) ، وكذلك ألقينته في حاشية كتاب الشيخ الحليل قد تكون بالذرائع ، وقد تكون بأسباب مباحة في الأصل ليست ذرائع ، فعاترت الأقسام ثلاثة :

الأول : ماهو ذريعة وهو بما يحتال به كالجمع بين البيع والسلف ، وكاشترى البائع السلعة من مشتريها بأقل من الثمن تارة . وبأكثر أخرى .

الثاني : ماهو ذريعة لا يحتال بها كسب الأوثان . فإنه ذريعة إلى سب الله تعالى ، وكذلك سب الرجل والد غيره فإنه ذريعة إلى أن يسب والده ، وإن كان هذان لا يقصهما مؤمن .

الثالث : ما يحال به من المباحات في الأصل كبيع النصاب في أثناء الحول فرارا من الزكاة ، وكإغلاء الثمن لإسقاط الشفعة .

والغرض هنا أن الذرائع حرّمها الشارع ، وإن لم يقصد بها المحرم خشية لإفضائها إلى المحرم ، فإذا قصد بالشئ نفس المحرم كان أولى بالتحريم من الذرائع . وللشريعة أسرار في سد الفساد ، وحسم مادة الشر لعلم الشارع بما جبلت عليه النفوس ، وبما يخفى على الناس من خفى هداها الذي لا يزال يسرى فيها حتى يقودها إلى الهلكة . فن تحذلق على الشارع ، وانتهقد في بعض المحرمات أنه إنما حرم لعله كذا ، وتلك العلة مقصودة . فاستباحه بهذا التأويل ، فهو ظلم لنفسه ، جهول بأمر ربه . وهو إن نجا من الكفر ، لم ينج غالبا من بدعة أو فسق أو قلة فتمه في الدين ، وعدم بصيرة . أما شواهد هذه القاعدة فأكثر من أن تحصر ، فنذكر منها ما حضره ، ثم أتى الإمام بثلاثين شاهدا أو دليلا على هذا استغرقت ست صفحات . فانظرها في كتابه ص ٢٥٦ وما بعدها ٢ الفتاوى الكبرى لآبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن تيمية الحراني نشر دار الكتب الحديثة .

(١) ورد نسبه هكذا في نسبة ريش في ص ٢٥٥ .

أبي بحر عن أبي الوليد ، وحديث النضر : أنه تعلم أخبار رستم واسبندياذ ، وكان يقول : اكتبتها كما اكتبتها محمد ، ووقع في الأصل : اكتبها كما اكتبها محمد ، وفي الرواية الأخرى عن أبي الوليد : اكتبتها^(١) كما اكتبها ، ورستم الشيد^(٢) بالفارسية معناه : ذو الضياء ، والياء في الشيد والألف سواء ، ومنه « أرئشاذ » وقد تقدم شرحه ، ومنه « جم شاذ » ، وهو من أول ملوك « الأرض » ، وهو الذي قتله الضحاك « بيوراسب » ، ثم عاش إلى مدة « أفريدون وأبيه جم » ، وبين « أفريدون » وبين « جم » تسعة آباء ، وقال له حين قتله : ما قتلتك بجم ، وما أنت له بكفاء ، ولكن قتلتك بثور كان في داره ، وقد تقدم طرف من أخبار رستم واسبندياذ في الجزء قبل هذا .

حديث ابن الزبيري وعزير :

وذكر حديث ابن الزبيري ، وقوله : إنا نعيد الملائكة ، وأن النصارى تعبد المسيح إلى آخر كلامه ، وما أنزل الله في ذلك من قوله تعالى : ﴿ إِنْ الَّذِينَ سَبَّوْا لَكُمْ مِنْهُمْ فَعَبَّ أَسْفَىٰ مِنْهُم مِّمَّا خَسَبُوا ﴾ الآية قال المؤلف : ولو تأمل ابن الزبيري وغيره من كفار قریش الآية لرأى اعتراضه غير لازم من وجهين :

(١) في السيرة التي معى : رواية أبي الوليد .

(٢) في السيرة : الشديد . هذا ويذكر ابن جرير أن النبي « ص » قتل عقبة بن أبي معيط ، وطعمة بن عدى والنضر بن الحارث يوم بدر صبرا ، وأن المقداد هو الذي أسر النضر ، فلما أمر الرسول بقتله ، قال المقداد : يا رسول الله أسيرى ، فقال رسول الله « ص » إنه كان يقول في كتاب الله ما يقول . هذا والمحض : ماتحرك به النار ، واحتضاً النار : ألهمها وسعرها .

أحدهما : أنه خطاب متوجه على الخصوص لقريش وعبدة الأصنام ، وقوله
إنا نعبد الملائكة حَيِّدَةً ، وإنما وقع الكلام والمُحَاجَّة في اللات والعزَّى
وهبل ، وغير ذلك من أصنامهم .

والثاني : أن لفظ التلاوة : ﴿إنكم وماتعبدون﴾ ولم يقل : ومن تعبدون ،
فكيف يلزم اعتراضه بالمسيح وعزير والملائكة وهم يعقلون ، والأصنام
لا تعقل ، ومن ثمَّ جاءت الآية بلفظ : ما الواقعة على ما لا يعقل ، وإنما تقع ما
على ما يعقل ، وتعلم بقرينة من التعظيم والإبهام ، ولعلنا نشرحها ونبينها فيما بعد إن
قُدر لنا ذلك ، وسبب عبادة النصارى للمسيح معروف ، وأما عبادة اليهود
عزيرًا ، وقولهم فيه : إنه ابن الله سبحانه وتعالى عن قولهم ، وسببه فيما ذكر
عبد بن حميد الكشي ، أن التوراة لما احترقت أيام بُحْت نَصْر^(١) ، وذهب
بذهابها دين اليهود ، فلما تاب إليهم أمرهم وجدوا لفقدها أعظم الكرب ،
فبينما عزير يبكي لفقد التوراة ، إذ مر بامرأة جائمة على قبر قد نشرت شعرها ،
فقال لها عزير : من أنت ؟ قالت : أنا إيليا أم القرى أبكى على ولدي ، وأنت
تبكى على كتابك ، وقالت له : إذا كان غدًا . فأت هذا المكان ، فلما أن جاء
من الغد للساعة التي وعدته ، إذا هو بإنسان خارج من الأرض في يده كهيئة

(١) ضبط كتاب أدب السكاتب لابن قتيبة بخت نصر فتح الباء وضم التاء .
والمعروف المشهور ما ضبطه به ، يقول شهاب الدين أحمد الخفاجي في شفاء الغليل
عن بختنصر إنه بضم الباء ، واسمه معرب مركب كحضر موت أو بعليك نص
عليه سيويه . وهو عند ابن السيد معرب بوخت بمعنى : ابن ، ونصر : اسم صنم
وجد عنده ، وسمى به إذ لم يعرف له أب .

القارورة ، فيها نور ، فقال له : افتح فاك ، فألقاها في جوفه ، فكتب عزيزُ
التوراة - كما أنزلها الله ، ثم قدر على التوراة بعد ما كانت دفنت أن ظهرت ،
فعرضت التوراة ، وما كان عزيزُ كَتَب ، فوجدوه سواء ، فنها قالوا : إنه
ولدُ الله تعالى عن ذلك^(١).

مصعب جهنم :

وقوله حَصَبُ جَهَنَّمَ ، هو من باب الْقَبْضِ وَالنَّفْضِ^(٢) وَالْحَصْبُ يُسْكُونُ
الصاد كالقَبْضِ وَالنَّفْضِ ، ومنه الحاصب في قوله سبحانه : ﴿ أَنْ يَرْسِلَ عَلَيْكُمْ
حَاصِبًا ﴾ ويروى : حَصَبُ جَهَنَّمَ بضاد معجمة في شواذ القراءات ، وهو من
حَضَبَتِ النَّارَ^(٣) بمنزلة حَضَأْتَهَا ، يقال : أَرْتَيْتَهَا وَأَثْمَيْتَهَا وَحَشَشْتَهَا وَأَذْكَيْتَهَا
وفسر ابن إسحاق قوله : يَصْدُونَ ، ومن قرأ : يَصْدُونَ فمعناه : يعجبون^(٤).

(١) لا شك في أنها فرية يهودية . فعزرا السكاهن اليهودي الأكبر هو الذى
عبث بالتوراة أيام الأسر ، ودس فيها ماس بعد أن أحرقت ، وراح هو يملئها
من حنظله وهواه . وذلك بشهادة كبار مؤرخى الغرب مثل د . ول . ديورانت ،
(٢) يعنى أنه فعل د . بفتح الفاء والعين ، بمعنى مفعول ، فالنفض بمعنى منفض
وحصب وقبض كذلك . يقول الأزهري : الحصب : الحطب الذى يلقى في نور
أر في وقرد . أما مادام غير مستعمل للسجور ، فلا يسمى حصباً

(٣) في اللسان : الحضب : الحطب في لغة اليمن ، وقيل : هو كل ما ألقى
في النار من حطب وغيره ، يهيجها به ، وحضب النار يحضبها : رفعها . وقال الكسائي
حضببت النار إذا خبت ، فألقيت عليها الحطب ، لتقد . والحضب : المسعر ، وهو
عود تحرك به النار .

(٤) قراءة المصحف بكسر الصاد أى يصيحون فرحاً . وقرأ نافع وابن عامر
والكسائي بضم الصاد وهو من الصدود أى عن الحق ، وقيل : هما لغتان مثل
يعكف ويعكف بكسر عين الفعل وضبها ، وقد أخرج حديث ابن الزبيرى =

ما نزل في الأخنس :

فصل : وذكر ما أنزل الله تعالى في الأخنس بن شريق - واسمه : أبي من قوله تعالى : ﴿ عُنْتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴾ وقد قيل : نزلت في الوليد بن المغيرة ، وقد قيل : في الأسود بن عبد يغوث الزهرى ، وقال ابن عباس : نزلت في رجل من قریش له زَمَمَانٌ كَزَمَمَتِي الشاة . رواه البخارى بإسناده عنه (٦) . وفي رواية أخرى أنه قال : الزنيم الذى زَمَمْتَانٌ من الشر يعرف بها ، كما تعرف الشاة بزمنمتها ، وروى عن ابن عباس أيضا مثل ما قال ابن إسحق أن الزنيم الملقب بالقوم ، وليس منهم ، قال ذلك بن الأزرق الحرورى ، وقال : أما سمعت قول

ابن مردويه . وعند ابن أبي حاتم أنها نزلت لما قال المشركون : فاملائكة وعزير وعيسى يعبدون ، وروى الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس فى سبب نزول : « ولما ضرب ابن مريم مثلاً ، أنه قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر قریش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير ، وقد علمت قریش أن النصرارى تعبد عيسى بن مريم : عليهما الصلاة والسلام . وما تقول فى محمد - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : يا محمد . ألسنت تزعم أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان نبيا وعبدا من عباد الله صالحا ، فإن كنت صادقاً كان آلهتهم كما يقولون قال : فأنزل الله عز وجل : « ولما ضرب ابن مريم مثلاً ، الآية . ورواه ابن أبي حاتم مع اختلاف يسير . » (٦) رواه البخارى فى باب التفسير : « له زمنة مثل الشاة ، وأخرجه الحاكم بطريق أخرى نحوه

(٧) نسبة إلى حروراء موضع على ميلين من الكوفة . وكان أول اجتماع الحوارج به ، فنسبوا إليه ، منهم : عمران بن حطان وخلق كثير . وهذا النسب شاذ فان الاسم الذى آخره همزة بعد ألف للتأنيث ، تقلب الهمزة فيه واوا ، وشذ عن القاهدة عدة أسماء منها : صنعاني وپهراني وروحاني ، ورجولوى وحرورى نسبة إلى صنعاء ، وپهراء قبيلة من قضاة ، وروحاء موضع قرب المدينة ورجولاء وحروراء وهما موضعان بالعراق ، وسيأتى

حَسَّانُ: زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ^(١) الْبَيْتُ ، وَقَدْ أَنْشَدَ ابْنُ هِشَامٍ هَذَا الْبَيْتَ مُسْتَشْهِدًا بِهِ وَنَسَبَهُ لِلْخَطِيمِ التَّمِيمِيِّ ، وَالْأَعْرَفُ أَنَّهُ لِحَسَّانِ ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٢) ، وَأَمَّا الْعُتْلُ فَهُوَ الْفَلَيْظُ الْجَانِي مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ ﴾ [إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ] الدُّخَانُ : ٤٧ . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَنَا نَبِيَّتُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ : كُلُّ عُتْلٍ جَوْازٍ مُسْتَكْبِرٌ جَمَاعٌ مَنَاعٌ »^(٣) .

(١) قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : الزَّيْمُ الْمَمْلُوقُ فِي الْقَوْمِ لَيْسَ مِنْهُمْ ، قَالَ الشَّاعِرُ : زَنِيمٌ لَيْسَ يَعْرِفُ مِنْ أَبِيهِ . وَقَالَ حَسَّانُ : وَأَنْتَ زَنِيمٌ لِيَطُ فِي آلِ هَاشِمٍ . قَالَ وَيُقَالُ لِلتَّنِيسِ : زَنِيمٌ لَهُ زَنْتَانُ ص ٥٣٨ > ٨ فَتَحَ الْبَارِي . وَمَعْنَى حَدِيثِ الْبَخَّارِيِّ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ مَشْهُورًا بِالسُّوءِ كَشَهْرَةِ الشَّاةِ ذَاتِ الزَّنَمَةِ مِنْ بَيْنِ أَخْوَانِهَا . وَبَقِيَّةُ بَيْتِ حَسَّانَ : « كَمَا نَيْطُ خَلْفِ الرَّائِبِ الْقَدْحِ الْفَرْدِ ، وَبَقِيَّةُ بَيْتِ زَنِيمٍ لَيْسَ يَعْرِفُ ، بِغَيْرِ الْإِمَامِ ذُو حَسْبٍ لَتِيمٍ .

(٢) رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِسَنَدِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ زَنِيمٌ : قَالَ : الدَّعَى الْفَاحِشُ اللَّثِيمُ ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ ، الْبَيْتُ . وَيَقُولُ ابْنُ كَثِيرٍ قَوْلًا جَامِعًا ، « وَالْأَقْوَالُ فِي هَذَا — أَيْ فِي مَعْنَى زَنِيمٍ — كَثِيرَةٌ وَتَرْجِعُ إِلَى مَا قُلْنَا ، وَهُوَ أَنَّ الزَّيْمَ هُوَ الْمَشْهُورُ بِالشَّرِّ الَّذِي يَعْرِفُ بِهِ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ ، وَغَالِبًا يَكُونُ دَعِيًّا وَلَدَنًّا ، فَإِنَّهُ فِي الْغَالِبِ يَتَسَلَطُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ ، مَا لَا يَتَسَلَطُ عَلَى غَيْرِهِ ، وَالزَّنَمَةُ شَيْءٌ يَكُونُ لِلبَعْرِ فِي آذَانِهَا كَالْقَرَطِ ، وَهِيَ أَيْضًا شَيْءٌ يَقْطَعُ مِنْ أذنِ الْخَيْرِ وَيَبْرُكُ مَعْلَقًا .

(٣) فِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ عَنْ وَكَيْعٍ : « أَلَا أَنْبَشُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ ؟ كُلُّ عُتْلٍ جَوْازٍ مُسْتَكْبِرٍ ، وَقَالَ وَكَيْعٌ : « كُلُّ جَوْازٍ جَعْظَرِي مُسْتَكْبِرٌ ، أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَبَقِيَّةُ الْجَمَاعَةِ إِلَّا أَبَا دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ سَفِيَانَ الثَّوْرِيِّ وَشُعْبَةَ ، كِلَاهِمَا عَنْ سَعِيدِ ابْنِ خَالِدٍ بِهِ ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ تَفَرَّدَ بِهِ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ النَّبِيَّ « ص » قَالَ عِنْدَ ذِكْرِ أَهْلِ النَّارِ : « كُلُّ جَعْظَرِي جَوْازٍ مُسْتَكْبِرٌ جَمَاعٌ مَنَاعٌ . وَرَوَاهُ بِسَنَدٍ (٢ - ٢١ الرُّوضِ الْأَنْفِ ج ٣)

قل يأبيرا الظفرون:

فصل : و ذكر قولهم الذي أنزل الله فيه : ﴿ قل : يا أيها الكافرون ﴾ إلى آخرها فقال : ﴿ لا أعبد ما تعبدون ﴾ أي : في الحال : ﴿ ولا أنا عابد ما عبدتم ﴾ أي : في المستقبل ، وكذلك : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ فإن قيل : كيف يقول لهم : ولا أنتم عابدون ما أعبد ، وهم قد قالوا : هلم فلنعبد ربك ، وتعبد ربنا ، كيف نفى عنهم ما أرادوا وعزموا عليه ؟ فالجواب من وجهين :

آخر عن عبد الرحمن بن غنم : أن الرسول ص ، قال عن العتل الزنيم : « الشديد الخلق المصحح الأكل الشروب الواجد للطعام والشراب ، الظلوم للناس رحيب الجوف ، الجمعظري بفتح الجيم وسكون العين وفتح الظاء وكسر الراء وتشديد الياء : لفظ الغليظ والجواظ بفتح الجيم وتشديد الواو : الضخم المختال والكثير الكلام والجلبة في الشر .

ويقول ابن كثير عما ذكر من سبب نزول : « ويوم يعض الظالم على يديه ، وسواء أكان سبب نزولها في عقبة أو غيره فإنها عامة في كل ظالم ، فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم ، ويعض على يديه ، وهو قول جميل ، وقيل : إن العظيمين فيما جاء في السيرة من سبب نزول : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القرينين عظيم ، لهما الوليد بن المغيرة ، وكنانة بن عبد عمرو بن عمير الثقفي . وعن ابن عباس أنهم يعنون جبارا من جبابرة قريش . والقرينتان هما : مكة والطائف . وجميل قول ابن كثير : « والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أي البلديتين كان ، وجميل منه أيضا أن يقول عن سبب نزول : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ، « هي عامة في كل من أنكر البعث واللام والالاف في الإنسان للجنس يعم كل منكر للبعث ، فقد اختلف في شأن سبب نزولها فابن أبي حاتم ينسب القصة إلى العاصم بن وائل ، وذكر ابن جرير من بين ما ذكر أنه عبد الله ابن أبي ، غير أن هذا منكر ؛ لأن ابن أبي مدني والآية مكية

أحدهما : أنه علم أنهم لا يفعلون ، فأخبر بما علم . الثاني : أنهم لو عبدوه على الوجه الذى قالوه ما كانت عبادة ، ولا يسمى عبداً لله من عبده سنة ، وعبد غيره . أخرى ، فإن قيل : كيف قال : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ ولم يقل : من أعبد ، وقد قال أهل العربية : إن ما تقع على ما لا يعقل ، فكيف عبّر به عن البارئ تعالى ؟ فالجواب : أنا قد ذكرنا فيما قبل أن ما قد تقع على من يعقل بقرينة ، فهذا أو ان ذكرها ، وتلك القرينة : الإبهام والمبالغة فى التعظيم والتفخيم ، وهى فى معنى الإبهام (١) لأن من جلت عظمته ، حتى خرجت عن الحصر ، وعجزت الأفهام عن كنهه ذاته ، وجب أن يقال فيه : هو ما هو كقول العرب : سُبْحَانَ مَا سَبَّحَ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ، ومنه قوله : ﴿ والسماء وما بناها ﴾ (٢) فليس كونه عالماً مما يوجب له من التعظيم ما يوجب له أنه بنى السموات ، ودحا الأرض ، فكان المعنى : إنه

(١) ما : اسم مبهم غاية الإبهام حتى لأنها تقع على كل شيء ، وتقع على ما ليس بشيء . فيجوز أن تقول : إن الله يعلم ما كان ، وما لم يكن

(٢) ويقول ابن القيم عن هذا : لأن القسم تعظيم للمقسم به ، واستحقاقه للتعظيم من حيث ما أظهر هذا الخلق العظيم الذى هو السماء . ومن حيث سواها وزينتها بحكمتها ، فاستحقق التعظيم . وثبت قدرته ، فلو قال : ومن بناها لم يكن فى اللفظ دليل على استحقاقه القسم من حيث اقتدر على بنائها ، ولما كان المعنى مقصوراً على ذاته ونفسه ، دون الإيماء إلى أفعاله الدالة على عظمته المبهمة عن حكيمته ، المفصحة باستحقاقه للتعظيم من خليقته ، وكذلك قولهم : سبحان ما يسبح الرعد بحمده . لأن الرعد صوت عظيم من جرم عظيم ، والمسبح به لاحتماله أعظم ، فاستحقاقه للتسبيح من حيث يستحقه العظيومات من خلقه ، لا من حيث كان ، يعلم ، ولا نقل يعقل فى هذا الموضوع .

شيثًا بناها أعظم ، أو ما أعظمه من شيء ، فلفظ ما في هذا الموضع يؤذن بالتعجب من عظمتها كائنًا ما كان هذا الفاعل لهذا ، فما أعظمه ، وكذلك قوله تعالى في قصة آدم : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي ﴾ ^(١) ولم يقل : لمن خلقت ، وهو يعقل ، لأن السجود لم يجب له من حيث كان يعقل ، ولا من حيث كان لا يعقل ، ولكن من حيث أمروا بالسجود له ، فكائنًا ما كان ذلك المخلوق ، فقد وجب عليهم ما أمروا به ، فمن هاهنا حسنت ما في هذا الموضع ، لا من جهة التعظيم له ، ولكن من جهة ما يقتضيه الأمر من السجود له ، فكائنًا من كان ، وأما قوله تعالى : ﴿ لَا أُعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ فواقعة على ما لا يعقل ؛ لأنهم كانوا

(١) ويقول ابن القيم عن استعمال ما في الآية : وهذا كلام ورد في معرض التوبيخ والتبكيك للعين على امتناعه عن السجود ، ولم يستحق هذا التبكيك والتوبيخ حيث كان السجود لمن يعقل ، ولكن للمعصية والتكبر على ما لم يخلقه ؛ إذ لا ينبغي التكبر لمخلوق على مثله ، إنما التكبر للخالق وحده ، فكأنه يقول سبحانه : لم عصيتني وتكبرت على ما لم تخلقه ، وخلقتنا أنا . وشرفته ، وأمرتكم بالسجود له ؟ فهذا موضع ما ؛ لأن معناها أبلغ ولفظها أعم ، وهو في الحجة أوقع ، وللعذر والشبهة أقطع ، فلو قال : ما منعك أن تسجد لمن خلقت ، لكان أسفه . إذ مجردا من توبيخ وتبكيك ، ولتوهم أنه وجب السجود لله من حيث كان يعقل . ولعله موجودة في ذاته وعينه ، وليس المراد كذلك ، وإنما المراد توبيخه وتبكيته على ترك سجوده لما خلق الله وأمره بالسجود له ؛ ولهذا عدل عن اسم آدم العلم مع كونه أخص ، وأتى بالاسم الموصول الدال على جهة التشريف المقتضية لإسجاده له وهو كونه خلقه بيديه ، وأنت لو وضعت مكان ما لفظة من لما رأيت هذا المعنى المذكور في الصلة ، وأن ما جرى بها وصلة إلى ذكر الصلة . فلا حجة إذ التعمين بالذكر ؛ إذ لم أر يد التعمين لكان بالاسم العلم أولى وأحرى .

يعبدون الأصنام، وقوله: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ اقتضاها الإبهام، وتعظيم المعبود مع أن الحس منهم مانع لهم أن يعبدوا معبوده كأننا ما كان، فحسنت ما في هذا الموضوع لهذه الوجوه، فهذه القرأتين يحسن وقوع ما على أولى العلم^(١) وبقية نكتة بديعة يتعين التنبية عايبها، وهو قوله تعالى: ﴿ولا أنا عابدٌ ما عبدتم﴾ بلفظ الماضي، ثم قال: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ بلفظ المضارع في الآيتين جميعاً، إذا أخبر عن نفسه قال: ما أعبد، ولم يقل: ما عبدت، والنكتة في ذلك أن ما فيها من الإبهام - وإن كانت خبرية - تعطى معنى الشرط، فكانه

(١) يعبر ابن القيم عن «ما» في قوله: «لا أعبد ما تعبدون، ما على بابها، لأنها رافعة على معبوده»، ص، على الإطلاق؛ لأن امتناعهم من عبادة الله ليس لذاته، بل كانوا يظنون أنهم يعبدون الله، ولكنهم كانوا جاهلين به، فقوله: «ولا أنتم عابدون ما أعبد، أي: لا أنتم تعبدون معبودي، ومعبوده هو «ص» كان عارفاً به دونهم، وهم جاهلون به... وقال بعضهم: إن ما هنا مصدرية لاموصولة. أي: لا تعبدون عبادتي، ويلزم من تنزيهم «لعلها تبرئته» بدليل ما سيأتي، عن عبادته. تنزيهم «لعلها كالسابقة»، عن المعبود، لأن العبادة متعلقة به، وليس هذا بشيء؛ إذ المقصود براءته من معبودهم وإعلامه أنهم بريئون من معبوده تعالى، فالمقصود: المعبود لا العبادة، ثم قال «وعندي وجه: وهو أن المقصود هنا ذكر المعبود الموصوف بكونه أهلاً للعبادة مستحقاً لها، فأقرب الدالة على هذا المعنى، كأنه قيل: «ولا أنتم عابدون معبودي الموصوف بأنه المعبود الحق، ولو أتى بلفظة من لسكانت إنما تدل على الذات فقط، ويكون ذكر الصلة تعريفاً، لا أنه هو جهة العبادة، ففرق بين أن يكون كونه تعالى أهلاً لأن يعبد تعريف محض، أو وصف مقتض لعبادته... وهذا معنى قول محقق النحاة أن ما أتت لصفات من يعلم ص ١٣٣ - ١ بدائع الفوائد لابن القيم وما بعدها. وقد ذكر وجوهاً أخرى عظيمة أيضاً

قال : مهما عبدتم شيئاً ، فإنى لا أعبده ، والشرط يحول المستقبل إلى لفظ
الماضى ، تقول : إذا قام زيد غداً فعلت كذا ، وإن خرج زيد غداً خرجت ، فإنا فيها
رأحة الشرط من أجل إبهامها ؛ فلذلك جاء الفعل بعدها بلفظ الماضى ، ولا يدخل
الشرط على فعل الحال ، ولذلك قال فى أول السورة : ماتعبدون ؛ لأنه حال
لأن راحة الشرط معدومة فيها مع الحال ، وكذلك راحة الشرط معدومة
فى قوله : عابدون ما أعبد ؛ لأنه - عليه السلام - يستحيل أن يتحول عن عبادة
ربه ؛ لأنه معصوم ، فلم يستقم تقديره بمهما ، كما استقام ذلك فى حقهم ؛ لأنهم
فى قبضة الشيطان بقودهم بأهوائهم ؛ فجاز أن يعبدوا اليوم شيئاً ، ويعبدوا غداً
غيره ، وإمكن مهما عبدوا شيئاً ، فالرسول عليه السلام لا يعبده ؛ فلذلك قال :
ولا أنتم عابدون ما أعبد فى الحال وفى المآل ، لما علم من عصمة الله له ، ولما علم
الله من ثباته على توحيدِهِ ، فلا مدخل لمعنى الشرط فى حقه عليه السلام ، وإذا
لم يدخل الشرط فى الكلام بقى الفعل المستقبل على لفظه ، كما تراه ، ونظير هذه
المسألة قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ نُنَكِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ اضطربوا فى إعرابها
وتقديرها لما كانت من بمعنى الذى ، وجاء بكان على لفظ الماضى ، وفهمها
الزجاج ، فأشار إلى أن مَنْ فيها طرفٌ من معنى الشرط ؛ ولذلك جاءت كان
بلفظ الماضى بعده ، فصار معنى الكلام : من يكن صبياً ، فكيف يكلم !! لما
أشارت إلى الصبي : أن كلموه ، ولو قالوا : كيف نكلم من هو فى المهد الآن
لكان الإنكار والتعجب مخصوصاً به ، فلما قالوا : كيف نكلم من كان ،
صار الكلام أبلغ فى الاحتجاج للعدم الداخلى فيه . إلى هذا الفرض أشار
أبو إسحاق ، وهو الذى أراد ، وإن لم يكن هذا لفظه ، فليس المقصود العباوات ،

وإنما المقصود تصحيح المعاني المتلقاة من الألفاظ والإشارات (١).

الزقوم :

فصل : وذكر حديث أبي جهل حين ذكر شجرة الزقوم (٢) يقال : إن هذه الكلمة لم تكن من لغة قریش، وأن رجلا أخبره أن أهل يثرب يقولون تزقمت : إذا أكلت التمر بالزبد ، فجعل بجعله اسم الزقوم من ذلك استهزاء ، وقيل : إن لهذا الاسم أصلا في لغة اليمن ، وأن الزقوم عندهم كل ما يتقيا منه . وذاكر أبو حنيفة في النبات : أن شجرة باليمن يقال لها : الزقوم ، لا ورق لها وفروعها أشبه شيء برعوس الحيات ، فهي كريهة المنظر ، وفي تفسير ابن سلام

(١) أخذ ابن القيم ما قاله السهيلي وفصله بأسلوب أوضح في بدائع الفوائد . ثم قال : . . . قيل : وكيف يكون في الشرط ، وقد عمل فيها الفعل ، ولا جواب لها ، وهي موصولة ، فما أبعد الشرط منها ، قلنا : لم نقل : لأنها شرط لنفسها ، ولكن فيها راحة منه ، وطرف من معناه لوقوعها على غير معين ، وإيهامها بغير المعبودات وعمومها ، وأنت إذا ذقت معنى هذا الكلام وجدت معنى الشرط باديا على صفحاته ، فإذا قلت لرجل ما تخالفه في كل ما يفعل : أنا لا أفعل ما تفعل . ألسنت ترى معنى الشرط قائما في كلامك وقصدك ، وأن روح هذا الكلام : مهما فعلت من شيء فإني لا أفعله . ثم قال : . . . إذا ثبت هذا فقد صححت الحكمة التي من أجلها جاء الفعل بلفظ الماضي من قوله : ولا أنا عابد ما عبدتم ، بخلاف قوله : (ولا أتم عابدون ما أعبد) لبعدها فيها عن معنى الشرط تزيها من الله على عصمة نبيه أن يكون له معبود سواه . وأن ينتقل بغير المعبودات تنقل الكافرين ، ص ١٣٦ ج ١ بدائع الفوائد . وقد استوفى القول في بدائع السورة العظيمة بأسلوب بدیع رحمة الله

(٢) يقول ابن كثير : لا شك في دخوله — أي دخول أبي جهل — في هذه الآية ، ولكن ليست خاصة به .

والمساوردي أن شجرة الزقوم في الباب السادس من جهنم أعادنا الله منها ، وأن أهل النار ينحدرون إليها . قال ابن سلام : وهي تحيا باللهب كما تحيا شجرة الدنيا بالمطر .

وقوله : الملعون في القرآن ، أي : الملعون كلها^(١) ، وقيل : بل هو وصف لها كما يقال : يوم ملعون أي مشئوم .

حديث ابن أم مكتوم :

فصل : وذكر حديث ابن أم مكتوم ، وذكر اسمه ونسبه وأم مكتوم : اسمها : عاتكة بنت عبد الله بن عذكئة بن عامر بن مخزوم^(٢) .

وذكر الرجل الذي كان شغل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه الوليد ابن المغيرة ، وقد قيل : كان أمية بن خلف ، وفي حديث الموطأ : عظيم من

(١) ذكر البخاري وأحمد أنها شجرة الزقوم ، وقد زعم أعداء بني أمية أن المقصود بالشجرة هم بنو أمية ، وأتوا بحديث قال عنه ابن كثير : وهو غريب ضعيف . وقد ذكر عنها في القرآن ما هو قرن اللعنة : ولأنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ، طلما كأنه رموس الشياطين ، الصفات ٦٤ ، ٦٥ (إن شجرة الزقوم طعام الإثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم) الدخان : ٤٣ - ٤٦ . حسبنا أنها وصفت بأنها ملعونة لتؤمن بأنها ملعونة ، هي ومن ستكون هي طعامه .

(٢) في نسب قريش عن أم مكتوم ، وتزوجها قيس بن زائدة بن الأصم ابن هدم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي فولدت له عمرا ، وهو الأعمى الذي ذكر الله تبارك وتعالى ، فقال : وعبس وتولى أن جاءه الأعمى ، . . . في الإصابة وجمهرة ابن حزم أنه كان ابن خال خديجة . انظر ص ٣٤٣ نسب قريش . وفي الجمهرة في نسب أمه : عنكشة بن عاتكة بن مخزوم وفي النسب : و عنكشة بن عامر ، انظر ص ١٦٣ . جمهرة ابن حزم

عظاء المشركين^(١)، ولم يسمه، وفي قوله سبحانه: ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ من النقص
أن لا غيبية في ذكر الإنسان بما ظهر في خلقته من عمى أو عرج، إلا أن يقصد
به الازدراء، فيلحق المائم به؛ لأنه من أفعال الجاهلين، قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا
هُزُؤًا قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ البقرة: ٦٧. وفي ذكره
إياه بالعمى من الحكمة والإشارة اللطيفة التنبيه على موضع العتب؛ لأنه قال: ﴿
أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ فذكر الحىء مع العمى، وذلك ينبىء عن تجشّم كلفة
ومن تجشّم القصد إليك على ضعفه، فخفك الإقبال عليه، لا الإعراض عنه،
فإذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - معتوبا على توليه عن الأعمى، فغيره أحق
بالعتب، مع أنه لم يكن آمن بعد، ألا تراه يقول: ﴿وما يدريك لعله يزكى﴾
الآية ولو كان قد صحّ إيمانه، وعلم ذلك منه لم يعرض عنه رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - ولو أعرض لكان العتب أشد، والله أعلم، وكذلك لم يكن
ليخبر عنه، ويسميه بالاسم المشتق من العمى، دون الاسم المشتق من الإيمان
والإسلام، لو كان دخل فى الإيمان قبل ذلك والله أعلم، وإنما دخل فيه بعد
نزول الآية، ويدل على ذلك قوله للنبي - صلى الله عليه وسلم: استدنىني يا محمد
ولم يقل: استدنىني^(٢) يارسول الله، مع أن ظاهر الكلام يدل على أن الهاء فى لعله
يزكى عائدة على الأعمى، لا على الكافر؛ لأنه لم يتقدم له ذكر بعد، ولعل

(١) وعند أبي يعلى أن الرجل هو أبى بن خلف، وعنده فى رواية أخرى هو
وابن جرير: رجل من عظاماء المشركين، وكذا رواه الترمذى ومالك، وذكر
ابن جرير وابن أبى حاتم أنهم: عتبة بن ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب
(٢) فى ابن جرير والترمذى ومالك: أرشدنى كما ذكر ابن كثير، ولم يذكر =

العائدون من أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة ، إسلام أهل مكة ، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك ، حتى إذا ذنوا من مكة ، بلغهم أن ما كانوا يتحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحدٌ إلا بجوارٍ أو مستخفياً

فكان ممن قدم عليه مكة منهم ، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة ، فشهد معه بدرًا ، ومن حبس عنه ، حتى فاته بدرٌ وغيره ، ومن مات بمكة . منهم من بنى عبد شمس بن عبد مناف بن قصي : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، مع امرأته : رقية بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم .
وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، امرأته سہلة بنت سہيل .

ومن حلفائهم : عبد الله بن جحش بن رثاب .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان ، حليف لهم ، من

قبيلة عيلان .

تتعلق الترجي والانتظار ، ولو كان إيمانه قد تقدم قبل هذا لخرج عن حد الترحي والانتظار للتركي ، والله أعلم .

== بعدها شيئاً . وفي رواية لابن جرير وابن أبي حاتم ، أن عبد الله جاء يستقرئ الرسول ص ، آية من القرآن ، ويقول : رسول الله علمني مما علمك الله . وقول السهيلي : أظهر ، فالقرآن يفيد أنه جاء في خشية يريد أن يركي

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الزبير بن العوام بن خويلد
ابن أسد .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف
وسويبط بن سعد بن حرملة .

ومن بنى عبد بن قصى : طليب بن عمير بن وهب بن أبي كبير بن عبد .
ومن بنى زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن
عبد بن الحارث بن زهرة ، والمقداد بن عمرو ، حليف لهم ، وعبد الله بن مسعود ،
حليف لهم .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله
ابن عمرو بن مخزوم ، معه امرأته : أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وشماس
ابن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرمي بن عامر بن مخزوم . وسلمة ابن
هشام بن المغيرة ، حبسه عنه بمكة ، فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد والخندق ، وعياش ،
ابن أبي ربيعة بن المغيرة هاجر معه إلى المدينة ، ولحق به أخواه لأمه : أبو جهل
ابن هشام ، والحارث بن هشام ، فرجما به إلى مكة ، فحبساه بها حتى مضى بدر
وأحد والخندق .

ومن حلفائهم : عمارة بن ياسر ، يشك فيه ، أكان خرج إلى الحبشة
أم لا ؟ ومعتب بن عوف بن عامر من خزاعة .

ومن بنى جحج بن عمرو بن هصيص بن كعب : عثمان بن مظعون بن
حبيب بن وهب بن حذافة بن جحج ، وابنه : السائب بن عثمان ، وقدامة بن
مظعون ، وعبد الله بن مظعون .

• • • • •

ومن بنى سَنَم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب : خُنَيْس بن حُدَافَة بن قَيْس بن عَدِيٍّ ، وهِشَام بن العاص بن وائل ، حُبَس بِمَكَّة بعد هجرة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، حتى قدم بعدَ بَدْرٍ وأُحُدٍ والخندق .

ومن بنى عَدِيٍّ بن كَعْب : عامر بن رَبِيعَة ، حليف لهم ، معه امرأته : لَيْلى بنت أبي حَثَمَة بن حُدَافَة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لؤيٍّ : عبدُ الله بن نَخْرَة بن عبد العزّى بن أبي قَيْسٍ - وعبد الله بن سُهَيْل بن عمرو ، وكان حبس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة ، حتى كان يوم بَدْرٍ ، فأنحاز من المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهد معه بدرًا ، وأبو سَبْرَة بن أبي رُهم بن عبد العزّى ، معه امرأته : أم كلثوم بنت سُهَيْل بن عمرو ، والسكران بن عمرو بن عبد شمس ، معه امرأته : سَوْدَة بنت زَمْعَة بن قَيْس ، مات بِمَكَّة قبل هجرة رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، خلف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على امرأته سَوْدَة بنت زَمْعَة :

ومن حلفائهم سعد بن خَوْلَة .

ومن بنى الحارث بن فِهْرٍ : أبو عُبَيْدَة بن الجراح ، وهو عامر بن عبد الله ابن الجراح ، وعمرو بن الحارث بن زُهَيْر بن أبي شَدَاد ، وسُهَيْل بن بَيْضَاء ، وهو سهيل بن وهب بن ربِيعَة بن هلال ، وعمرو بن أبي سَرْح بن ربِيعَة ابن هلال « كنيته : أبو سعد كما في الإصابة » .

فجميع من قَدِمَ عليه مَكَّة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون

رجالاً، فكان مَنْ دخل منهم بجوارٍ ، فيمن سُمِّي لنا : عثمانُ بن مَظعون بن حبيب الجُمحى ، دخل بجوارٍ من الوليد بن المُغيرة ، وأبو سلمةَ بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، دخل بجوارٍ من أبي طالب بن عبد المطلب ، وكان خاله . وأمُّ أبي سلمة : برة بنت عبد المطلب .

قصة ابن مظعون مع الوليد

قال ابن إسحاق : فأما عثمان بن مظعون ، فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف حدثني عن حدثه عن عثمان ، قال : لما رأى عثمان بن مظعون حافيه أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من البلاء ، وهو يفدو ويروح في أمان من الوليد بن المُغيرة ، قال : والله إن غدوى ورواحي آمننا بجوار رجلٍ من أهل الشرك - وأصحابي ، وأهل ديني يَلتقون من البلاء والأذى في الله مالا يُصيبني - لنقص كبير في نفسي ، فمشى إلى الوليد بن المُغيرة ، فقال له : يا أبا عبد شمس ، وقت ذممتك ، قد رددت إليك جوارك ، فقال له : لم يابن أخى ؟ لعله آذاك أحدٌ من قومي ، قال : لا ، ولكنى أرضى بجوار الله ، ولا أريد أن أستجيرَ بغيره ؟ قال : فانطلق إلى المسجد ، فارددْ على جوارى علانيةً ، كما أجزتُك الانيةً . قال : فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يردّ على جوارى ، قال : صدق ، قد وجدته رفياً كريم الجوار ، ولكنى قد أحببتُ أن لا أستجير بغير الله ، فقد رددتُ عليه جواره ،

ثم انصرف عثمان ، ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في مجلس من قريش يُنشدهم ، فجلس معهم عثمان ، فقال لبيد :

ألا كلَّ شيء ما خلا الله باطل

قال عثمان : صدقت ، قال :

وكلَّ نعيم لا محالة زائل

قال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول . قال لبيد بن ربيعة : يامعشر قريش ، والله ما كان يؤذني جليصكم ، فمتى حدث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سفيه في سفهاء معه ، قد فارقوا ديننا ، فلا تجدن في نفسك من قوله ، فرد عليه عثمان حتى شري أمرهما ، فقام إليه ذلك الرجل ، فلطم عينه ، فحصرها ، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان ، فقال : أما والله يابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغمية ، لقد كنت في ذمة منيعة . قال : يقول عثمان : بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله ، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبدشمس ، فقال له الوليد : هلم يابن أخي ، إن شئت فمد إلى جوارك ، فقال : لا .

أبو سلمة في جوار أبي طالب

قال ابن إسحاق : وأما أبو سلمة بن عبد الأسد ، فحدثني أبي إسحاق ابن يسار عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة أنه حدثه : أن أبا سلمة

لما استجار بأبي طالب ، مشى إليه رجالٌ من بني مخزوم ، فقالوا : يا أبا طالب ، لقد منعت مناً ابن أخيك محمداً ، فمالك ولصاحبنا تمنعه مناً؟ قال : إنه استجار بي ، وهو ابنُ أختي ، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي ، فقام أبو لهب ، فقال : يامعشر قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتنتهين عنه ، أو لنقومنَّ معه في كلِّ ما قام فيه ، حتى يبلغ ما أراد . قال : فقالوا : بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة ، وكان لهم ولياً وناصرأ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأبقوا على ذلك ، فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ، ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال أبو طالب يجرؤد أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وإن امرءاً أبو عُمَيْبَةَ عُمُه لفي رَوْضَةٍ ما إن يُسَامُ الْمَظَالِمَا
أقول له - وأين منه نصيحتي أبا مُعْتَبِ تَبَّتْ سِوَادُكَ قَائِلُهُ
فلا تقبلن الدهرَ ما عشتَ خُطَّةً تُسَبُّ بها ، إماماً هبَّتِ العواصمِ
وولَّ سبيلَ العَجْزِ غيرَكَ منهمُ فَإِنَّكَ لم تُخَلِّقْ على العَجْزِ لَازِمًا
وحارب ، فإن الحربَ نُصْفُ وما ترى

أخا الحرب يُعْطَى الخسْفَ حتى يُسَالِمَا
وكيف ولم يجنُّوا عليك عَظِيمَةً ولم يخذلوك غانمًا ، أو مُغارِمًا
جَزَى اللهُ عَنَّا عبدَ شمسٍ ونوفلاً وتَيْمًا ومخزوماً عتوقاً ومائماً
بتفريقهم من بَدْوَدٍ وألْفَةٍ جماعتنا ، كما ينالوا المحارمِ
كذبتم وبيتَ اللهُ نُبْزَى محمداً ولسا تروا يوماً لدى الشعب قائماً

قال ابن هشام : نبزى : نساب . قال ابن هشام : وبقى منها بيت تركناه .

أبو بكر يرد جوار ابن الدغنة

قال ابن إسحاق : وقد كان أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - كما حدثني : محمد بن مسلم الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة رضى الله عنهما ، حين ضاقت عليه مكة ، وأصابه فيها الأذى ، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ما رأى ، استأذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى الهجرة ، فأذن له ، فخرج أبو بكر مهاجراً ، حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين ، لقيه ابن الدغنة ، أخو بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وهو يومئذ سيد الأحابيش .

قال ابن إسحاق : والأحابيش : بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، والهُون ابن خزيمة بن مُدركة ، وبنو المُصطلق من خزاعة .

قال ابن هشام : تحالفوا جميعاً ، فسموا الأحابيش للحباف .
ويقال : ابن الدغينة .

قال ابن إسحاق : حدثني الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة قالت : فقال ابن الدغنة : أين يا أبا بكر ؟ قال : أخرجني قومي وآذوني ، وضيقوا على ، قال : ولم ؟ فوالله إنك لتزير المشيرة ، وتعين على النوائب ، وتفعل المعروف . وتكسب المَعْدوم ، ارجع ، وأنت فى جوارى ، فرجع معه ، حتى إذا دخل مكة ، قام ابن الدغنة فقل : يا معشر قريش ، إني قد أجرت ابن أبى قحافة ،

مقلا يعرضنَّ له أحدٌ إلا يجير . قالت : فكفوا عنه .

قالت : وكان لأبي بكر مسجِدٌ عند باب داره في بني جُمَح ، فكان يصلي فيه ، وكان رجلاً رقيقاً ، إذا قرأ القرآن استبكي . قالت : فيقف عليه الصبيان حوالَيْه والبنات والنساء ، يعجبون لما يرون من هيئته . قالت : ففشي رجالٌ من قريش إلى ابن الدُّعْنَةَ ، فقالوا له : يا ابن الدُّعْنَةَ ، إنك لم تُجر هذا الرجل ، لئوْذينا ! إنه رجل إذا صلى ، وقرأ ماجاء به محمدٌ يرق ويبيكي ، وكانت له هيئة ونحو ، فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضَمَمَتِنا أن يفتنهم ، فأته فمره أن يدخل بيته ، فليصنع فيه ما شاء . قالت : ففشي ابن الدُّعْنَةَ إليه ، فقال له : يا أبا بكر ، إنني لم أجرك لئوْذى قومك ، إنهم قد كرهوا مكانك الذي أنت فيه ، وتأذوا بذلك منك ، فادخل بيتك ، فاصنع فيه ما أحببت ، قال : أو أردت عليك جوارك وأرضى بجوار الله ؟ قال : فاردد على جوارى ، قال : قدردته عليك . قالت : فقام ابن الدُّعْنَةَ ، فقال : يا معشر قريش ، إن ابن أبي لحافة قدرد على جوارى ، فشانكم بصاحبكم .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم ابن محمد قال : كَفِيهِ سَفِيهِ من سَفِيهِاء قريش ، وهو عامد إلى الكعبة ، فحشا على رأسه تراباً . قال : ففرَّ بأبي بكر الوليد بن المغيرة ، أو العاص بن وائل . قال : فقال أبو بكر : ألا ترى إلى ما يصنع هذا السفِيهُ ؟ قال : أنت فعلت ذلك بنفسك . قال : وهو يقول : أي رب ، ما أجلمك ! أي رب ، ما أحلمك ! أي رب ، ما أحلمك !

حديث نقض الصحيفة

قال ابن إسحاق : وبنو هاشم ، وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها ، ثم إنه قام في نقض تلك الصحيفة التي كتبت فيها قريش على بني هاشم وبني المطلب نفرًا من قريش ، ولم يُبَلِّ فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حُبَيْب بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي ، وذلك أنه كان ابن أخي نَضْلَةَ ابن هاشم بن عَبْد مناف لأمه ، فكان هشام لبني هاشم واصلًا ، وكان ذا شرف في قومه فكان - فيما بانني - يأتي بالبعير ، وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلا ، قد أوقره طعاما ، حتى إذا أقبل به فَمَ الشعب ، خلع خِطامه من رأسه ، ثم ضرب على جنبه ، فيدخل الشعب عليهم ، ثم يأتي به قد أوقره بزًا ، فيفعل به مثل ذلك .

قال ابن إسحاق : ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وكانت أمه : عائكة بنت عبد المطلب - فقال : يا زهير ، أقد رَضيتَ أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب ، وتنكح النساء ، وأخوالك حيثُ قد علمتَ ، لا يُباعون ، ولا يُبتاع منهم ، ولا يُنكحون ، ولا يُنكح إليهم ؟ أما إنني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ، ثم دعوته إلى ما دعاك إليه منهم ، ما أجابك إليه أبدًا ، قال : ويحك يا هشام ! فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معي رجل آخر ،

لَقُمْتُ فِي نَقْضِهَا حَتَّى أَنْقَضَهَا ، قَالَ : قَدْ وَجَدْتُ رَجُلًا قَالَ : فَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ :
أَنَا ، قَالَ لَهُ زَهِيرٌ : أَبْنَانَا رَجُلَانِ ثَالِثًا .

فَذَهَبَ إِلَى الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيِّ ، فَقَالَ لَهُ : يَا مُطْعِمُ أَقْدَرَضَيْتَ أَنْ يَهْلِكَ
بَطْنَانُ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَاةَ ، وَأَنْتَ شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ ، مُوَافِقٌ لِقَرِيشٍ فِيهِ ؟
أَلَمْ يَأْتِ اللَّهُ لِنِئَانِكُمْ مَوْتًا مِنْ هَذِهِ لَتَجِدُنَّهُمْ إِلَيْهَا مِنْكُمْ سَرِيعًا ، قَالَ : وَيْحَكَ ؟
فَإِذَا أَصْنَعُ ؟ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، قَالَ : قَدْ وَجَدْتُ ثَانِيًا ، قَالَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ :
أَنَا ، قَالَ : أَبْنَانَا ثَالِثًا ، قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، قَالَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : زَهِيرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ،
قَالَ : أَبْنَانَا رَابِعًا .

فَذَهَبَ إِلَى أَبِي الْبَخْتَرِيِّ بْنِ هِشَامٍ ، فَقَالَ لَهُ نَحْوًا مِمَّا قَالَ لِمُطْعِمِ بْنِ عَدِيِّ ،
فَقَالَ : وَهَلْ مِنْ أَحَدٍ يَمِينُ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : زَهِيرُ
ابْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ، وَالْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيِّ ، وَأَنَا مَعَكَ ، قَالَ : أَبْنَانَا خَامِسًا .

فَذَهَبَ إِلَى زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدٍ ، فَكَلَّمَهُ ، وَذَكَرَ لَهُ
قِرَابَتَهُمْ وَحَقَّهُمْ ، فَقَالَ لَهُ : وَهَلْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي تَدْعُونِي إِلَيْهِ مِنْ أَحَدٍ ؟
قَالَ : نَعَمْ ، ثُمَّ سَمِيَ لَهُ الْقَوْمُ .

فَاتَّعَدُوا خَطْمَ الْحِجْرُونَ لَيْلًا بِأَعْلَى مَكَّةَ ، فَاجْتَمَعُوا هُنَالِكَ ، فَاجْمَعُوا أَسْرَهُمْ
وَتَعَاوَدُوا عَلَى الْقِيَامِ فِي الصَّحِيفَةِ ، حَتَّى يَنْقَضُوا ، وَقَالَ زَهِيرٌ : أَنَا أَبَدُوكُمْ
فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَتَكَلَّمُ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا إِلَى أَنْدِيَّتِهِمْ ، وَغَدَا زَهِيرُ بْنُ
أَبِي أُمَيَّةَ عَلَيْهِ حُلَّةٌ ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : يَا هَلَّ

• • • • •

مكة ، أنا كلُّ الطعام ، و نلبس الثياب ، و بنو هاشم هلكتي لا يباع ولا يبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تُشقَّ هذه الصحيفةُ القاطعةُ الظَّالمةُ .

قال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد : كذبتَ والله لا تُشقَّ ، قال زَمْعَةُ بن الأسود : أنت والله أكذبُ ، مارَضِينَا كتابها حيثُ كُتِبَتْ ، قال أبو البَخْتَرِي : صدَقَ زَمْعَةُ ، لا نرضى ما كُتِبَ فيها ، ولا نُقرُّ به ، قال المطعم بن عدى : صدقتمَا ، وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ، ومما كُتِبَ فيها ، قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك . فقال أبو جهل : هذا أمر قُضِيَ بليلى ، تُشوور فيه بغير هذا المكان ، وأبو طالب جالس في ناحية المسجد ، فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها ، فوجد الأَرْضَةَ قد أكلتها ، إلَّا : « باسمك اللهم » .

وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة . فشئت يدهُ فيما يزعمون .

قال ابن هشام : وذكر بعضُ أهل العلم : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لأبي طالب : يا عم ، إن ربِّي الله قد سلط الأَرْضَةَ على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسماً هو الله إلَّا أثبتته فيها ، ونفت منه الظلم والقطيعة والبُهتان فقال : أربك أخبرك به - ماذا ؟ قال : نعم ، قال : فوالله ما يدخل عليك أحدٌ ، ثم خرج إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا ، فهكم صحيفتكم ، فإن كان كما قال ابن أخي ، فانتهموا عن قطيعتنا ، وانزلوا عمًا فيها ، وإن يكن كاذباً دفعت إليكم ابن أخي ، فقال القوم : رضينا ، فتماقدوا على ذلك ، ثم نظروا ، فإذا هي كما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فزادهم

ذلك شراً . فعند ذلك صنع الرَّهْطُ من فُرَيْشٍ في نَقْضِ الصَّحِيفَةِ ما صنعوا .

قال ابن إسحاق : فلما مزقت الصحيفة وبطل ما فيها . قال أبو طالب ،
فيا كان من أمر أولئك النَّفَرِ الَّذِينَ قاموا في نَقْضِها يمدحهم :

ألا هَلْ أتى بَحْرِيْنَا صُنْعُ رَبَّنَا على تَأْيِيمِ اللهِ بِالنَّاسِ أَرْوُدُ
فِيخْبِرُهُمْ أَنَّ الصَّحِيفَةَ مُزَّقَتْ وأن كُلَّ ما لم يَرْضَهُ اللهُ مُفْسَدُ
تَراوَحَها إِنْكَ ، وَسِجَرٌ مُجْمَعٌ ولم يُلَفَّ سِجَرِ آخِرِ الدَّهْرِ بِصَعْدِ
تَداعى لها مَنْ لَيْسَ فِيها بِقَرَقِرٍ فَطائِرُها في رَأْسِها يَتَرَدَّدُ
وَكانَتْ كِفاءً رَفْعَةً بِأَيْمَةٍ لِيَقْطَعَ مِنْها ساعِدٌ ومُقَلَّدُ
ويَطْعَنُ أَهلُ المَسْكِنِ ، فَيَهْرُبُوا فرائِضُهُم من خَشِيَةِ الشَّرِّ تُرْعَدُ
ويُتْرَكُ حَرَاثٌ يَقلُّ أَمْرُهُ أَيَقْتُمُ فِيهِم عِنْدَ ذاكِ وَيُنْجِدُ
وتَصْعَدُ بَيْنَ الأَخْشَبِينَ كَتَيْبَةٌ لها حُدُجٌ سَهْمٌ وقوسٌ ومِرْهَدُ
فَمَنْ يَنْشَ من حُضارِ مَكَّةَ عِزُّهُ فَعِزَّتْنا في بَطْنِ مَكَّةَ أَتَلَدُ
نَشاُنُها ، والنَّاسُ فِيها قلائِلُ فلم نَنفَكِكَ نَزادُ خيراً وَنَحْمَدُ
وَنُطْعَمُ حَتى يَتَرَكَ النَّاسُ فَضْلَهُم إِذا جَمَلتْ أَيْدِي المُفِيضينَ تُرْعَدُ
جَزى اللهُ رَهْطاً بِالْحُجُونِ تَباعوا هلى مَلا يَهْدِي لِحِزْمٍ وَيُرْشِدُ
قُعوداً لَدى حَظْمِ الحُجُونِ كَأَنَّهُم مَقاوِلَةٌ ، بل هُم أَعزُّ وَأَجْمَدُ
أَعانَ عَلَيْها كُلُّ صَفَرٍ كَأَنَّهُ إِذا ما مَشى في رَفْرِفِ الدَّرْعِ أَحْرَدُ
جَرى عَلَى جُلَى الخُطوبِ ، كَأَنَّهُ شِهابٌ بَگَفَى قابِسي يَتوقَّدُ

من الأكرمين من لؤي بن غالب إذا سيم خسفا وجهه يتردد
طويل النجاد خارج نصف ساقه على وجهه يسقى الغمام ويسعد
عظيم الرماد ، سيد وابن سيد يحض على مقرى الضيوف ، ويحشد
وبنى لأبناء العشيرة صالحا إذا نحن طغنا في البلاد ، ويمهد
ألط بهذا الصلح كل مبرأ عظيم اللواء أمره ثم يحمد
قضوا ما قضوا في ليالهم ، ثم أصبحوا على مهل ، وسائر الناس رقد
هم رجعوا سهل بن بيضاء راضيا وسر أبو بكر بها ومحمد
متى شرك الأفوام في جل أمرنا وكنا قديما لا نقر ظلامه
فيا لقصي هل لستم في نفوسكم ونذكر ماشنا ، ولا نتشدد
فاني وإياكم كما قال قائل وهل لكم فيما يحيى به غد
لديك البيان لو تكلمت أسود

وقال حسان بن ثابت يبكي المطعم بن عدي حين مات ، ويذكر قيامه

في نقض الصحيفة :

أبا عين فابكي سيد القوم واسفحي بدمع ، وإن أنزفته فاسكبي الدما
وبكى عظيم المشعرين كليهما على الناس معروفا له مات كلما
فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا من الناس أبقى مجده اليوم مطعا
أجرت رسول الله منهم ، فأصبحوا عبيدك ، مآلي مهل وأحرما
فلو سئلت عنه معد بأمرها وقحطان ، أو باقى بقية جرهما

القالوا : هو الموفى بخفرة جاره وذمته يوما إذا ماتدما
فما تطلع الشمس المنيرة فوقهم على مثله فيهم أعز وأغنيا
سواي إذا يابى والين شيمه وأنوم عن جار إذا الليل أظلما

قال ابن هشام : قوله « كليهما » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : وأما قوله : « أجرت رسول الله منهم » ، فإن رسول الله
صلى الله عليه وسلم - لما انصرف عن أهل الطائف ، ولم يُجيبوه إلى مادعاهم
إليه ، من تصديقه ونصرته ، صار إلى حراء ، ثم بعث إلى الأخنس بن شريق ،
ليجيره ، فقال : أنا حليف ، والحليف لا يُجبر ، فبعث إلى سهيل بن عمرو ،
فقال : إن بني عامر لا يُجبر على بني كعب . فبعث إلى المطعم بن عدي ، فأجابه
إلى ذلك ، ثم تسلم المطعم وأهل بيته ، وخرجوا حتى أتوا المسجد ، ثم بعث إلى
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن ادخل ، فدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
مخفاف بالبيت ، وصلى عنده ، ثم انصرف إلى منزله ، فذلك الذي يعنى حسان
ابن ثابت .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا : يمدح هشام بن عمرو لقيامه

في الصحيفة :

هل يوفين بنو أمية ذمة عتدا كما أوفى جوار هشام
من معشر لا يقدرون بجارهم للحارث بن حبيب بن سخام
وإذا بنو حسن أجاروا ذمة أوفوا وأدوا جارهم بسلام

وكان هشام أخا سخام : قال ابن هشام : ويقال : سخام .

قصة الغرائب وإسلام مكة :

وذكر ما بلغ أهل الحبشة من إسلام أهل مكة ، وكان باطلا ، وسببه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ سورة النجم ، فألقى الشيطان فد أمنيته ، أي : في تلاوته عند ذكر اللات والعزى ، وإلهم لهم أقرانة العلى ، وإن شفاعتهم أترتجى ، فطار ذلك بمكة ، ففسر المشركون ، وقلوا : قد ذكر آلهمنة بخير فسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في آخرها ، وسجد المشركون ، والمسلمون ، ثم أنزل الله تعالى : ﴿ فينسخ الله ما يلقى الشيطان ﴾ الآية ، فمن هاهنا اتصل بهم في أرض الحبشة أن قريشا قد أسلموا ، ذكره موسى بن عقبة . وابن إسحاق من غير رواية البكائي ، وأهل الأصول يدفعون هذا الحديث بلحجة ، ومن صححه قال فيه أقوالا ، منها : أن الشيطان قال ذلك وأشاعه . والرسول - عليه السلام - لم ينطق به ، وهذا جيد لولا أن في حديثهم أن جبريل قال لمحمد ما أتيتك بهذا ، ومنها : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قالها من قبل نفسه . وعنى بها الملائكة : إن شفاعتهم أترتجى ^(١) . ومنها : أن النبي - عليه السلام - قاله حاكيا عن الكفرة ، وأنهم يقولون ذلك ، فقالها متعجبا من كفرهم .

(١) وهي أيضا كلمة لا يقولها خاتم النبيين وأعظم المؤمنين ، فإن الشفاعة لا ترتجى إلا من الله سبحانه ، فهو الذى له وحده الشفاعة : (قل : لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض) الزمر : ٤٤ (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن) طه : ١٠٩ . والسبيل على إطالته وإطنابه في مواضع تستحق الإيجاز لا أدري كيف خطف القول هنا ، وترك القرية تحاول مخادعة القلوب فكأن المؤلف الكبير لم يرد لها أن تموت

والحديث على ما خيلت غير مقطوع بصحته ، والله أعلم^(١) .

(١) روى الطبري وابن أبي حاتم وابن المنذر والبخاري وابن مردويه وغيرهم هذه الفرية التي نفثها أحقاد الزنادقة في صورة حديث منسوب إلى ابن عباس وسعيد بن جبير ، يقول إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى بمكة : والنجم ، فلما بلغ : أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان على لسانه : تلك الفرائق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى ، فقال المشركون : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم ، فسجد وسجدوا ، فنزلت الآية . وذكر القاضي عياض ما يلي : ويروى : ترتضى ، وفي رواية : إن شفاعتها لترتجى ، وإنما لمع الفرائق العلى . وفي أخرى : والفرائق العلى تلك الشفاعة ترتجى ، ووقع في بعض الروايات أن الشيطان ألقاها على لسانه ، وأن النبي « ص » كان تمنى أن لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه ، وفي رواية أخرى : ألا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه ، وذكر هذه القصة . وأن جبريل - عليه السلام - جاءه ، فعرض عليه السورة ، فلما بلغ السكبتين قال له : ما جئتك بها تين . فخرن لذلك النبي « ص » ، فأنزل الله تعالى تسليته له : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ، الآية . وقوله : (وإن كادوا ليفتنونك) وباطل القصة المفتراة أسود قاتم . ولكنني عنيت بنقل الرد عليها ؛ لأن هذه الاسماء الآتية ذكرت مع هذه القصة ، ولا شك في أن كثرة آرائهم لا يمكن أن نصدق أنه يروها ، أو يصدق بها مثل ابن عباس رضي الله عنه ، وتدبر هذه الاسماء التي جعلتني أعنى بدحض هذه الفرية الملعونة : د سعيد بن جبير ، شعبة ، أمية بن خالد الذي يقال عنه : إنه ثقة مشهور ، وأبو بشر ، ومحمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس وابن شهاب الزهري ، والسدي ، وموسى بن عقبة ، وابن إسحاق وعكرمة وسليمان التيمي ، والعمري والبخاري ، من هؤلاء من له ذكر بايمان عظيم ومن له ذكر بما ينال شيئا من صدق إيمانه ، وعفا الله عن رواه دون تعقيب يهدمها من هؤلاء الذين نسبت لإيهم رواية ما لهذه الأكذوبة ، وإليك ما رده بالقاضي عياض في الشفاء على تلك الفرية النجسة : وهذا حديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند متصل سليم ، وإنما أورد به وبمثل

وسمى الذين قدموا منهم من أجل ذلك الخبر ، وذكر فيهم طَلَيْبًا ، وقال

المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلففون من الصحف كل صحيح وسقيم ، وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال : لقد بلى الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير ، وتعلق بذلك الملاحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته ، وانقطع إسناده واختلاف كلماته ، فقائل يقول : إنه في الصلاة وآخر يقول : قالها في نادى قومه حين نزلت عليه السورة ، وآخر يقول : إن الشيطان قالها على لسانه ، وأن النبي « ص » لما عرضها على جبريل ، قال : ما هكذا أقرأتكم وأآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبي « ص » قرأها ، فلما بلغ النبي « ص » ذلك قال : والله ما هكذا نزلت - إلى غير ذلك من اختلاف الرواة ، ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين ، لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب ، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيها حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : فيما أحسب أن النبي « ص » كان بمكة وذكر القصة . قال أبو بكر البزار : هذا الحديث لا تعلمه يروى عن النبي « ص » بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد ، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير ، وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، فقد بين لك أبو بكر - رحمه الله - أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا ، وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه - كما ذكرنا - الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه ، وأما حديث الكلبي فغما لا يجوز الرواية عنه ، ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه ، كما أشار إليه البزار ، والذي منه في الصحيح أن النبي « ص » قرأ : والنجم وهو بمكة ، فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس ، أقول : قوله الذي في الصحيح يعني ما روى عن البخاري ومسلم عن ابن مسعود ، وليس فيه حديث الفرائيق ، بل روى هذا الحديث عن طرق كثيرة ، وليس فيها حديث الفرائيق ، وبعد أن فرغ القاضي عياض من

في نسبه: ابن أبي كبير بن عبد بن قصى، وزيادة أبي كبير في هذا اللوضع لا يوافق عليه

توهين القرية من طريق النقل ، مضى يكر عليها بالحجة العقلية الدامغة ، فيقول :
« أجمعت الأمة على عصمته - ص - ونزاهته عن مثل هذه النقيصة إمامن تمنيه
أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله ، وهو كفر ، أو أن يتسور عليه
الشیطان ، ويشبه عليه القرآن ، حتى يجعل فيه ما ليس منه ، ويعتقد النبي - ص -
أن من القرآن ما ليس منه حتى ينسبه جبريل - عليه السلام - وذلك كله
ممتنع في حقه - صلى الله عليه وسلم - أو يقول ذلك النبي - ص - من قبل نفسه
عمدا ، وذلك كفر ، أو سهوا ، وهو معصوم من هذا كله ، وقد قررنا بالبراهين
والإجماع عصمته - ص - من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا ولا سهوا ،
أو أن يشبه عليه ما يلقيه الملك بما يلقى الشيطان ، أو يكون للشيطان عليه سبيل ،
أو أن يتقول على الله لا عمدا ، ولا سهوا ما لم ينزل عليه ، وقد قال تعالى : (ولو
سألنا علينا بعض الإفاويل لاخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم
من أحد عنه حاجزين) الحاقه : ٤٤ - ٤٧ وقال تعالى : (ولو لا أن ثبتناك لقد
كدت تركن إليهم شيئا قليلا ، إذا لأذقناك ضعف الحياة و ضعف الممات ، ثم
لا تجد لك علينا نصيرا) الإسراء : ٧٥ . ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة
مظنرا وعرفا ، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتئام ،
مختلفا في الأقسام ، ممتزجا المدح بالذم . متخاذا للتأليف والنظم . ولما كان
النبي - ص - ، ولا من بمحضته من المسلمين . وصناديد المشركين عن يخفى عليه
ذلك . وهذا لا يخفى على أدنى متأمل . فكيف عن رجح حلمه . واتسع في باب
التبيين . ومعرفة فصيح الكلام علمه ، ثم أكد أن القصة لو حدثت لو وجدت بها
مقرئش على المسلمين الصولة . ولا قامت اليهود بها عليهم الحجة . لأنهم كانوا
يتربصون بالنبي وبالمسلمين لأقل فتنة ، ولكنا نجد هذه القصة مروية عن طريق
مضميفة . وأنه لم يرو عن معاند فيها كلمة ، ولا عن مسلم بسببها بنت شفة ،
ولا شك في إدخال بعض شياطين الجن والإنس هذا الحديث على بعض مغفل

المحدثين ، ليلبس به على ضعفاء المسلمين ص ١١٦ وما بعدها > ٢ الشفاء طبعة سنة ١٢٩٠ هـ مطبعة خليل أفندي

وتدبر مع هذا قول الله سبحانه : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر : ٩ وقوله : (بأيتها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك . وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) المائدة : ٩٧ فإن زاد أو نقص فما بلغ رسالته . إنما بلغ حقا بمتزجا باطل . وتدبر قوله العظيم : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) النجم : ٣ : ٤ وقوله سبحانه : (ستقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى) الأعلى

والفخر الرازي — على ما فيه — يقول : هذه القصة باطلة وموضوعة ولا يجوز القول بها . وقال البيهقي : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل .

والمراد بالفرانتيق : الأصنام . وهي في الأصل : الذكور من طير الماء . وقيل : الطويل العنق الأبيض ، وقيل : هو السكركي ، واحدها : غرنوق بضم النون والغين . وبكسر الغين وإسكان الراء وفتح النون . وبضم الغين وفتح النون . وغرنيق بكسر الغين والنون ، وغرناق بفتح الغين والراء والنون ، وغرناق بكسر الغين وإسكان الراء . وغرائق : الشاب الأبيض الجميل ، وجمعها : الغرائق والغرائيق . وقد شبهوا أصنامهم بالفرانتيق وهي الطيور التي تعلو في السماء وترتفع .. والمعجب أن الحافظ بن حجر يحاول في الفتح الدفاع عن قواعد المحدثين ، ويعقل عن الطعنة الغادرة التي اقترفت ضد الرسالة والرسول . فيقول عن النقد العظيم الذي وجهه القاضي عياض لطرق الحديث . وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد . فان الطرق إذا كثرت وتباينت فخرجها ذلك على أن لها أصلا . وقد ذكرت أن ثلاثة أساسيد منها على شرط الصحيح . وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمراسيل ، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض ، وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر ، ص ٣٥٥ . ج ٨ لست أدري أيمن أن نجعل لقواعد بشرية متهافنة مكانة فوق الحق المبين . من هدى الله ؟ إنا هنا يجب أن نعتصم بقواعد الحق المبين ، لا بقواعد المحدثين . التي يؤدي الدفاع عنها هنا إلى النيل من قداسة القرآن وعصمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا سيما إذا وجدنا أن التأويلات التافهة التي سنسند بها هذه

وكذلك وجدت في حاشية كتاب الشيخ التنبيه على هذا^(١) وذكره أبو عمر ونسبه كما نسبه ابن إسحاق بزيادة: أبي كبير ، وكان بدر يافى لإحدى الروائتين عن ابن إسحاق ، وكذلك قال الواقدي وابن عقبة ، ومات بأجنادين شهيدا لا عقب له .

تأويل : كل سىء ما فعله الله باطل :

فصل : وذكر قول كبيد :

== القواعد تأويلات لا يشهد لها نقل ، ولا يحترمها عقل ، القضية المعروضة :
أي سجد محمد لصنم ، ويثنى على صنم ، ويفترى على الله الكذب ؟ أي يخفى على محمد — وقد هداه القرآن — حقيقة الكفر وألفاظ الكفر ويعبث الشيطان به ؟ كل مسلم يلعن من ينسب إلى الرسول هذا الفرية الخبيثة الجاحدة .

وأقول هنا تعليقا على قوله سبحانه : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) لأنها وردت في سورة الحج عقب التذكير بالقوم الذين كذبوا رسلهم ، وبعض مواقف المشركين منه صلى الله عليه وسلم ، وإملاء الله للقرى وهي ظالمة ، وكذلك التذكير بمصير الصالحين والمعاندين . إن ورودها كذلك يؤكد أن التمنى المقصود هو تمنيه صلى الله عليه وسلم لإسلام قومه . كما تمنى الرسل والنبيون قبله . وأن إلقاء الشيطان في أمنية الرسول (ص) هو وسوسته التي يبشها في نفوس أوليائه ؛ ليحملهم على البقاء على الكفر ، فلا تتحقق أمنية الرسول (ص) ، وأما نسخ الله لما يلقى الشيطان ، فهو نصره لرسوله وتأيدته له حتى يؤمن الكثير من قومه ، كما فعل بيونس وغيره . والله أعلم .

(١) ورد نسبه في نسب قريش دون ذكر أبي كبير ص ٢٥٦ أما أبو كبير فهو منهب بن عبد بن قصى في نسب قريش . شهد بدر مع النبي (ص) وقتل يوم اليرموك شهيدا . ص ٢٥٧ .

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ

وقصة ابن مضعون إلى آخرها ، وليس فيها ما يشكل غير سؤال واحد ، وهو قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ قَوْلُ لَبِيدٍ :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ (١)

فصدقه في هذا القول وهو - عليه السلام - يقول في مناجاته : «أنت الحق ، وقولك الحق ، ووعدك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، ولقاؤك حق» (٢) . فكيف يجتمع هذا مع قوله :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ

فالجواب من وجهين أحدهما : أن يريد بقوله : ما خلا الله : ما عداه ، وعدا رحمة التي وعد بها من رحمه ، والنار وما توعد به من عقابه ، وما سوى هذا فباطل . أى : مضمحل والجواب الثانى : أن الجنة والنار وإن كانتا حقا ، فإن الزوال عليهما جائز لذاتهما ، وإنما يبقيان بإبقاء الله لهما ، وأنه يخاق الدوام لأهلهما على

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة . وفي رواية لمسلم : أصدق بيت . وفي رواية لأحمد والترمذى عن أبي هريرة : أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد ، وهذه الرواية ترفع إشكال السهيلي ، وقد عد البخارى وابن أبى خيثمة وغيرهما لبيدا ، فى الصحابة . وقيل : عاش قرنا ونصفا أو أكثر ، ومات فى خلافة عثمان . وهو القائل .

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس : كيف لبيد (٢) رواه البخارى

قول من جعل الدوام والبقاء معنى زائداً على الذات ، وهو قول الأشعري ،
وإنما الحق على الحقيقة من لا يجوز عليه الزوال ، وهو القديم (١) الذي انعدامه
محال ؛ ولذلك قال عليه السلام : أنت الحق بالألف واللام ، أي المستحق لهذا الاسم
على الحقيقة ، وقولك الحق ؛ لأن قوله قديم ، وليس بمخلوق فيبيد ، ووعدك
الحق ، كذلك ، لأن وعده كلامه ، هذا مقتضى الألف واللام ، ثم قال : والجنة
حق ، والنار حق بغير ألف ولام ، ولقاؤك حق كذلك بلأن هذه أمور مُحَدَّثَات
والحدَث لا يجب له البقاء من جهة ذاته ، وإنما علمنا بقاءها من جهة الخبر
الصديق الذي لا يجوز عليه الخلف ، لا من جهة استحالة البقاء عليها ، كما يستحيل
على القديم - سبحانه - الذي هو الحق ، وما خلاه باطل ، فإمّا جوهر وإمّا
عرض ، وليس في الأعراض إلا ما يجب له الفناء ، ولا في الجواهر إلا ما يجوز
عليه الفناء والبطول ، وإن بقي ولم يبطل فحائز أن يبطل . وأما الحق - سبحانه -

(١) لم يرد في قرآن ولا سنة وصف الله بالقدم ، وإنما ورد في القرآن وصفه
بأنه الأول . أما القدم فمكانت صفة للضلال : (قالوا : تالله إنك لفي ضلالك
القديم) يوسف : ٩٥ وللمرجون : (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون
القديم) يس : ٣٩ والإفك : (وإذ لم يهتدوا به ، فسيقولون : هذا إفك قديم)
الاحقاف : ١١ والآباء الضالين السابقين : (قال : أفأرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم
وآبائكم الأقدمون . فإنهم عدولى لإلرب العالمين) الشعراء : ٧٦ ولا يجوز
وصف الله بصفة هذا استعملها . وهذه موارد في القرآن الكريم ، كما لا يجوز
أن يسمى الله أو يوصف إلا بما سمي ووصف به نفسه . ولو وضعت صفة أنه
« الأول » بدلا من قديم لاستراح الفكر البشرى من هذا الجدل المحموم الذي
استمر حتى الآن حول صفة القدم ومدلولها ونسبتها إلى الله والعالم . فلا ينكر حتى
زنادقة الفلسفة وملحدو الإشراقية أنه سبحانه هو : الأول .

فليس من الجواهر والأعراض ، فاستحال عليه ما يجب لما ، أو يجوز عليهما .
ذكر هريث أبي بكر مع ابن الدغنة :

وذكر حديث أبي بكر حين لقي ابن الدغنة ، واسمه : مالك ، وهو سيد
الأحاييش ، وقد سماهم ابن إسحاق ، وهم : بنو الحارث وبنو الكون من كنانة ،
و بنو المصطليق من خزاعة تحبشوا ، أى : تجموا ، فسموا الأحاييش . قيل :
لأنهم تحالفوا عند جُبيل ، يقال له حُبشَى^(١) ، فاشتق لهم منه هذا الاسم .
وقوله لأبي بكر : إنك لتكسب المعدوم^(٢) ، يقال : كسبت الرجل مالا ،

(١) قال عنه ابن دريد فى الاشتقاق : جيل يقال له حبشى . ص ١٩٣ .

(٢) فى رواية للبخارى أنه قال له : « إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم
وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، ونحن نلاحظ أنه
عين ما قالته أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم حين
عاد إلى البيت ليلة الوحي

والحديث فى البخارى بسنده عن عروة بن الزبير عن عائشة ، وفيه أن
أبا بكر خرج مهاجرا إلى أرض الحبشة حتى بلغ برك - الكسر أشهر - الغناد ، والدغنة
بفتح الدال وكسر الغين وتخفيف النون ، أو فتحها وفتح النون مع تشديدها ، أو بضم الدال
والغين وتشديد النون ، وسمى بهذا لاسترخاء فى لسانه . أو لأن الدغنة أمه ، أو أم
أبيه ، وقيل : دابته . وفى رواية البخارى : « وارتحل معه ابن الدغنة فظاف
إلى الدغنة عشية فى أشراف قریش ، فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله .
ولا يخرج ، وفيه أيضاً : « فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره ، ولا يستعلن
بصلاته ، ولا يقرأ فى غير داره ، ثم بدا لأبي بكر ، فابتنى مسجدا بفناء داره ،
وكان يصل فيه ، ويقرأ القرآن ، فيتقذف عليه نساء المشركين وأبنائهم ، .
رواه البخارى فى باب الهجرة إلى المدينة مطولا ، وفى مواضع أخرى مختصرا .

فتعديه إلى مفاويز . هذا قول الأَصْمَعِيِّ ، وحكى غيره : أكَسِبْتَهُ مَالاً ، فعنى تَكَسَّبُ المَعْدُومَ ، أى : تَكَسَّبَ غَيْرَكَ ما هو معدوم عنده ، والدَّغِغَةُ : اسم للمرأة عُرِفَ بها الرجل ، والدَّغْنُ : الغنمُ يبقى بعد المطر .

عن الشعب ونقض الصحيفة :

فصل : وذكر نقض الصحيفة ، وقيام هشام فيها ونسبه ، فقال : هشام بن الحارث ، بن حُبَيْبٍ ، وفي الحاشية عن أبي الوليد : إنما هو هشام بن عمرو ابن ربيعة بن الحارث ^(١) ، وهكذا وقع نسبه في رواية يونس عن ابن إسحاق ، وكان أبوه عمرو وأخا نضلة بن هاشم لأمه .

وذكر أنه كان يأتي بالبغير قد أوقره بزاً بالزاي المعجمة ، وفي غير نسخة «الشيخ أبي بحر: بزاً» ، وفي رواية يونس : بزاً أو بزاً على الشك من الراوى .

وذكر أن منصور بن عكرمة كان كاتب الصحيفة ، فشلت يده ، وللنسب

(١) لعل المؤلف كانت بيده نسخة من السيرة غير التي معنا ، فالتى معنا فيها : هاشم بن عمرو بن ربيعة ، ونسبه مختلف عما في كتاب نسب قريش ، فهو فيه هكذا : هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤى ، فهو فى النسب كما ترى من نسل جذيمة بن مالك ، أما فى السيرة فهو من نسل نصر بن مالك شقيق جذيمة ، وقد قال مصعب عن هاشم هذا : وهو الذى قام فى نقض الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم فى نفر قاموا معه ، منهم : مطعم بن عدى بن نوفل وزمعة بن الأسود بن المطلب ، وأبو البختري بن هشام بن الحارث فى رجال من قريش ، ص ٣١ ، وانظر أيضاً ص ٤١٢ عن سلالة عامر بن لؤى

(م - ٢٣ - الروض الأثف ج ٣)

من قريش في كتاب الصحيفة قولان، أحدهما: أن كاتب الصحيفة هو: بَغِيضُ ابن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، والقول الثاني: أنه مَنْصُور ابن عَبْد شَرِّ حَبِيل بن هاشم من بني عبد الدار أيضا، وهو خلاف قول ابن إسحاق، ولم يذكر الزَّيْبُرُ في كتاب الصحيفة غير هذين القولين، والزَّيْبُرِيُّونَ أعلمُ بِأَنساب قومهم (١).

وذكر ما أصاب المؤمنين مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الشَّعْبِ من ضيق الحصار لا يبايعون ولا يناكحون، وفي الصحيح: أنهم جُهِدُوا حتى كانوا يأكلون الخَبْطَ وَوَرَقَ السَّمْرِ، حتى إن أحدهم لَيَضَعُ كما تَضَعُ الشاةُ (٢) ، وكان فيهم سعدُ بن أبي وقاصٍ . روى أنه قال: لقد جُعتُ، حتى إني وطئت ذات ليلة على شيء رطب، فوضعتُه في فمي وبلعته، وما أدري ما هو إلى الآن، وفي رواية يونس: أن سعداً قال: خَرَجْتُ ذات ليلة لأبول، فسمعت قَفَقَةً تحت البول، فإذا قطعة من جِلْدٍ بعير يابسة، فأخذتها وغسلتها، ثم أحرقتها ثم رَضَضْتُها، وَسَفَفْتُها بالماء، فَقَوِيْتُ بها ثلاثاً، وكانوا إذا قدمت العيرُ مكة يأتي أحدهم السوقَ ليشتري شيئاً من الطعام لعياله، فيقوم أبولهب عدوَّ الله، فيقول:

(١) ذكرهما المصعب الزبيري ص ٢٢٢ نسب قريش، وذكر أن كنيته

منصور هي: أبو الروم

(٢) في اللسان: ورواها الذي في حديث سعد: إن كان أحدهم ليضع كما تضع

الشاة. أراد: أن نجوم - النجو: ما يخرج من البطن من غائط - كان يخرج يوماً ليهب من أكلهم ورق السم، وعدم الغذاء المألوف، مادة وضع.

يامعشر التجار : غالوا على أصحاب محمد ، حتى لا يدركوا معكم شيئا ، فقد علمتم مالي ووفاء ذممتي ، فأنا ضامن أن لا أخسارَ عليكم ، فيزيدون عليهم في السلعة ، قيمتها أضعافا حتى يرجع إلى أطفاله ، وهم يتضاعفون من الجوع ، وليس في يديه شيء يُطعمهم به ، ويفدو التجار على أبي لهب ، فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس ، حتى جهد المؤمنون ، ومن معهم جوعا وعُريا ، وهذه إحدى الشدائد الثلاث التي دل عليها تأويل الفطّات الثلاث التي غطّه جبريل حين قال له : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء ، وإن كان ذلك كان في اليقظة ، ولكن مع ذلك له في مقتضى الحكمة تأويل وإيماء ، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا قبل ، وإلى آخر حديث الصحيفة ليس فيها ما يشكل (١) .

(١) كان ابتداء حصرهم في المحرم سنة سبع من المبعث . فأقاموا سنتين أو ثلاثا كما روى ابن إسحاق ، وجزم موسى بن عقبة بأنها كانت ثلاث سنين . وذكر الواقدي أن خروجهم من الشعب كان في سنة عشر من المبعث ، ومات أبو طالب بعد أن خرجوا بقليل . ويقول الحافظ في فتح الباري : « ولما لم يثبت عند البخاري شيء من هذه القصة اكتفى بإيراد حديث أبي هريرة : نصه : « قال رسول الله (ص) حين أراد حنيننا : منزلنا غدا إن شاء الله بخيف بنى كنانة ، حيث تقاسموا على الكفر ، لأن فيه دلالة على أصل القصة ، لأن الذي أورده أهل المغازي من ذلك كالشرح لقوله في الحديث : على الكفر ، ص ١٥٢ وما بعدها ج ٧ فتح الباري .

ويقول الحافظ في نفس المكان أيضا عمّا أكلته الأرضة من الصحيفة : « أما ابن إسحاق وموسى بن عقبة وعروة فذكروا عكس ذلك أن الأرضة لم تدع اسمها لله إلا أكلته ، وبقي ما فيها من الظلم والقطيعة ، قال البرهان ما حاصله : وهذا أثبت من الأول ص ٢٩٠ ج ١ شرح المواهب اللدنية .

شرح داليت أبي طالب :

وقول أبي طالب : ألا^(١) قد أتى بجرينا ، يعنى الذين بأرض الحبشة ، نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه ، وهكذا وجه النسب إليه ، وقد قال عايه السلام : إذا نشأت بحرية ، وزعم ابن سيدة فى كتاب المحكم له أن العرب تنسب إلى البحر : بحراني على غير قياس ، وأنه من شواذ النسب ، ونسب هذا القول إلى سيبويه والخليل ، ولم يقله سيبويه قط ، وإنما قال فى شواذ النسب : تقول فى بهراء : بهرائي ، وفى صنعاء : صنعائي ، كما تقول : بحراني فى النسب إلى البحرين التى هى مدينة ، وعلى هذا تلقاه جميع النحاة ، وتأولوه من كلام سيبويه ، وإنما شبه على ابن سيدة لقول الخليل فى هذه المسألة ، أعنى مسألة النسب إلى البحرين ، كأنهم بنوا البحر على بحران ، وإنما أراد لفظ البحرين^(٢) ألا تراه يقول

(١) فى السيرة : الأهل .

(٢) قياسها : بحريني . ولكنهم قالوا : بحراني ، فقياس المثنى المجمعول نونه معتقب الإعراب أن يكون فى الأحوال بالالف ، فى لزوم البحرين الياء شاذ إذن وإذا جعل نون المثنى معتقب الإعراب لم يحذف فى النسب لاهو ولا الألف فقيل : بحراني على أنه منسوب إلى البحران المجمعول نونه معتقب الإعراب ص ٨٢ شرح الشافية ، وللتوضيح أقول : من العلماء من يلزم المثنى إذا سمى به الألف والنون ويعر به إعراب ما لا ينصرف ، ومنهم من يلزمه الألف والنون وبصرفه فتظهر علامات الإعراب على النون رفعا وجرأ ونصبا ، ولا تكون الألف علامة إعراب ، ولهذا ينسب إلى المثنى حينئذ دون حذف شئ منه مثل بحراني . وقياس صنعاء وبهراء فى النسب : بهراوى وصنعاوى مثل حراوى ، ولكنهم أبدلوا النون من الواو شذوذا للنسبة التى بينهما . وقيل فى النون التى فى صنعاني لأنها بدل من الهمزة فى صنعاء ، أو بدل من الواو فى نسبها القياسى ، وهو صنعاوى كأنهم قالوا : صنعاوى كصحراوى ، ثم أبدلوا من الواو نونا ، وهو المختار عند

في كتاب العين : تقول بَحْرَانِي في النسب إلى البَحْرَيْن ، ولم يذكر النسب إلى البحر أصلاً للعالم به ، وأنه على القياس جار ، وفي الغريب المصنف عن يزيد أنه قال : إنما ^(١) قالوا : بَحْرَانِي في النسب إلى البَحْرَيْن ، ولم يقولوا : بَحْرِي ليفرقوا بينه وبين النسب إلى البَحْرِ ، وما زال ابن سيدة يعثر في هذا الكتاب وغيره [عثرات] يَدْمِي منها الأَظْلُ ، وَيَدْحَضُ دَحَضَاتٌ تُخْرَجُهُ إِلَى سَبِيلٍ مَنْ ضَلَّ ^(٢) ألا تراه قال في هذا الباب : وذكر بحيرة طَبْرِيَّة ، فقال : هي من أعلام خروج الدجال ، وأن ماءها يَدْبَسُ عند خروجه ، والحديث : إنما جاء في ^(٣) عين زُغَر ، وإنما ذكرت بحيرة طَبْرِيَّة في حديث يأجوج ومأجوج ،

== الزمخشري ، لأن النون من الفم ، والهمزة من أقصى الحلق ، فلا مناسبة بينهما ، أما النون فتقارب الواو . وقد سبق ذكر شيء من هذا . وهذا وقد ورد في اللسان منسوباً إلى ابن سيدة : والنسب إلى البحر : بَحْرَانِي على غير قياس . قال سيديويه قال الخليل : كأنهم بنوا الاسم على فعلان ، ثم نقل ابن منظور بعد هذا عين ما ذكره السهيلي رداً على ابن سيدة ، وقد نسبه إلى السهيلي . وفيه : « اشبهه على ابن سيدة ، بدلاً من شبه . والزيدى بدلاً من اليزيدي .

(١) في الأصل : إذا ، والتصويب من اللسان ص ٢٣٣ الذي وردت فيه نفس هذه الفقرة .

(٢) الأظل باطن الإصبع ، ودحض كقطع : زلقت رجله .

(٣) في اللسان : غور . وفي معجم البكري : عين زغر اختلف فيها ، فقيل هي بالشام . قال الكلبي : زغر : امرأة نسبت إليها هذه العين . وفي حديث علي أن عين زغر بالبصرة . وعين زغر هي التي سألت عنها الدجال في حديث تميم الداري . وقال ابن سهل الأحول : سميت بزغر بنت لوط . وفي المراصد : قرية بمشارف الشام في طرف البحيرة المنتنة ، وتسمى البحيرة بها ، وهي قرب الكرك .

وأهم يشربون ماءها ، وقال في الجار في غير هذا الكتاب : [إنما] هي التي ترى
بعرفة ، وهذه هفوة لا تُقال ، وعثرة^(١) وكم له من هذا إذا تكلم
في النسب وغيره^(٢) ، ومن النسب إلى البحر قوله عليه السلام لأسماء بنت
عميس حين قدمت من أرض الحبشة : البَجْرِيَّة الحَبَشِيَّة ، فهذا مثل قول
أبي طالب : ألا هل أتى بحرّينا .

وقوله : والله بالناس أروؤد : أى : أرفق ، ومنه : رُوَيْدك ، أى : رِفقا جاء
بلفظ التصغير ؛ لأنهم يريدون به تقايلا أى : أرفق قليلا ، وليس له مكبر من
لفظه ؛ لأن المصدر : إروادا ، إلا أن يكون من باب تصغير الترخيم ، وهو أن
تصغر الاسم الذى فيه الزوائد ، فتحذفها في التصغير ، فتقول فى أسود : سُوَيْد ،
وفى مثل إرواد : رُوَيْد^(٣) .

وقوله : من ليس فيها بقرقر : أى : ليس بذليل ، لأن القرقر : الأرض

(١) لعا : صوت معناه : الدعاء للعائر بأن يرتفع من عثرته . يقال : لعا فلان
وفى الدعاء عليه بالنعس : يقولون : لا لعاله . والسياق يقتضى وجود كلمة : لا .
وقد وضعها لهذا ، ومع ذلك فهى فى اللسان الذى نقل هذا النص كله عن السهيلي .
(٢) إلى هنا انتهى ما نقله اللسان عن الروض ، وقد نقل من أول : زعم ابن
سيدة فى كتاب المحكم .

(٣) تصغير الترخيم شاذ قليل ، ويرى انفراد أن العلم وحده هو الذى
يصغر تصغير الترخيم ، لأن ما يبق منه بعد الترخيم دليل على ما حذف لشبهة
العلم ، وأجازه البصريون فى غير العلم واستشهدوا بالمثل : عرف حميت جملة
فصغر أحق تصغير ترخيم .

المَوْطُوءَةُ التي لا تمنع سائلكها، ويجوز أن يريد به: ليس بذي هزل، لأن
القرقرة: الضحك.

وقوله: وطائرها في رأسها يتردد. أي: حظها من الشؤم والشر،
وفي التنزيل: ﴿الزمناء طائره في عنقه﴾ الإسراء: ١٣، وقوله: لها حُدُجٌ سَهْمٌ
وقوسٌ ومِرْهَدٌ، وجدت في حاشية كتاب الشيخ مما كتبه عن أبي الوليد الكِنَافِي
على هذا البيت: لعله حُدُجٌ بضم الحاء والدال جمع حِدْجٍ على ما حكى الفارسي،
وأُشْدَ شاهداً عليه عن ثعلب:

قَدْ أَفَانَسْنَا الْحُؤُلَ وَالْحُدُجَ

ونظيره: سِتْرٌ وَسُتْرٌ، ذكر ذلك عنه ابنُ سيدة في محكمه، فيكون المعنى:
إِنَّ الذي يقوم لها مقام الحُدُجِ سَهْمٌ وَقَوْسٌ وَمِرْهَدٌ. إلى هنا انتهى ما في
حاشية كتاب الشيخ. قال المؤلف: وفي الدين: الحُدُجُ: حَسَكُ الْقُطْبِ [مادام
رطباً] فيكون^(١) الحُدُجُ في البيت مُسْتَعَارًا من هذا، أي: لها حَسَكُ،
ثم فسره فقال: سهمٌ وقوسٌ ومِرْهَدٌ^(٢)، هكذا في الأصل بالراء وكسر الميم

(١) القُطْبُ: ضرب من النبات يذهب جبالاً على الأرض طولاً، وله زهرة
صفراء، وشوكه إذا حصد ويسق يشق على الناس أن يطبوه، وفي الأصل:
الحُدُجُ حَسَكُ الْعَبْطِ، وَالْعَبْطُ: القطن، وهذا لا يتفق مع ما قبله من قوله: والحُدُجُ
حَسَكُ، وما أثبتته من اللسان، وما بين القوسين زيادة من اللسان، وقول الفارسي
عن ثعلب موجود في اللسان، وقد فسرها أبو ذر الخثمي بما يأتي: حُدُجٌ
كثيرة، وأصل الحُدُجُ: صفار الحنظل والخضخاش، فشبّه كثرتهم به.
(٢) عند الخثمي: مرهد بفتح الميم: رمح لين، ومن رواه فرهد، فتمناه

فيحتمل أن يكون مقلوباً من مَرَهْدٍ : مَفْعَلٌ من رَهَدَ الثوبَ إذا مزقه ، ويعنى به رُمْحًا أو سيفاً ، ويحتمل أن يكون غير مقلوب ، ويكون من الرَهِيدِ ، وهو الناعم أى : ينعم صاحبه بالظفر ، أو ينعم هو بالرَّيِّ من الدَّمِ ، وفي بعض النسخ مَزَهْدٌ بفتح الميم والزاي ، فإن صححت الرواية به ، فمعناه : مَزَهْدٌ في الحياة ، وحرص على الممات ، والله أعلم . وقوله فيها : إذا جمعت أيدي المقيضين تُرْعَدُ . يعنى : أيدي المقيضين بالقداح في الميسر ، وكان لا يفيض معهم في الميسر إلا سخيهم ويسمون من لا يدخل معهم في ذلك : الأبرم . وقالت امرأة لبعلمها - وكان برماً بخيلاً ، ورأته بقرن بضعتين في الأكل : أBRمَا قَرُونًا^(١) ويسمونه أيضاً الخُصُورِ . يريد أبو طالب : إنهم يطعمون إذا بخل الناس . والميسر : هى الخِزُورُ التى تُقَسَّمُ ، يقال : يَسِرْتُ إذا قسمت ، هكذا فسرهُ القَتِيبِيُّ وأنشد :

أقول لهم بالشعبِ إذ يَسِرُونِني ألم يياسوا أنى ابن فارسٍ زَهْدِم^(٢)

قال : يَسِرُونِني أى : يَفْتَسِمُونَ مالى ، ويُرَوِّى : يَأْسِرُونِني من الأشرار .

== الرمح الذى إذا طعن به ، وسع الخرق ، ومن رواه مزهد ، فهو ضعيف لا معنى له إلا أن يراد به الشدة على معنى الاشتقاق .

(١) فى اللسان: وفى المثل: أبرما قروننا. أى: هو برم وبأكل مع ذلك تمرتين تمرتين.

(٢) البيت فى اللسان، وقد نسبه فى مادة يسر إلى سحيم بن وثيل البربوعى . وفيه: ألم تعلموا بدلا من: ألم يياسوا. كان وقع عليه سباء فضربه عليه بالسهم . وفى مادة زهدم يقول: قال ابن برى: زهدم: اسم لفرس لسحيم بن وثيل، وفيه يقول ابن جابر: أقول لهم بالشعب الخ . والزهدم: الصقر، وزهدم: اسم فرس، وفارس يقال له: فارس زهدم .

وقوله: رَفَرَفِ الدَّرْعِ أَحْرَدُ . رَفَرَفُ الدَّرْعِ : فُضُولُهَا ، وَقِيلَ فِي مَعْنَى :
رَفَرَفِ خُضْرٍ : فَضُولُ القُرْشِ والبُسْطِ ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ عَلِيِّ أَنهَاءِ :
المَرَّافِقِ ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ : الرِّفَارِفُ : رِيَاضُ الجَنَّةِ ، والأَحْرَدُ الَّذِي فِي مَشِيهِ
تَفَاقَلٌ ، وَهُوَ مِنَ الحَرَدِ ، وَهُوَ : عَيْبٌ فِي الرَّجْلِ . وَفِيهِ : هَمَزٌ وَسَهْلٌ بِنِ بَيْضَاءَ
رَاضِيًا . سَهْلٌ هَذَا هُوَ : ابْنُ وَهْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ هِلَالِ بْنِ ضَبَّةَ بْنِ الحَارِثِ بْنِ
فِهْرِ ، يَعْرِفُ : بِابْنِ البَيْضَاءِ (١) ، وَهِيَ أُمُّهُ ، وَأَسْمَاهَا : دَعْدَةُ بنتُ جَعْدَمَ بْنِ أُمَيَّةَ
ابْنِ ضَرِبِ بْنِ الحَارِثِ بْنِ فِهْرِ ، وَهِيَ ثَلَاثَةُ إِخْوَةٍ : سَهْلٌ وَسُهَيْلٌ وَصَفْوَانُ
بَنُو البَيْضَاءِ . وَقَوْلُهُ :

وإني وإياهم كما قال قائل لديك البيان لو تكلمت أسود^(٢)

أسود : اسْمُ جَبَلٍ كَانَ قَدْ قُتِلَ فِيهِ قَتِيلٌ ، فَلَمْ يَعْرِفْ قَاتِلَهُ ، فَنَالَ أَوْلِيَاءَهُ
المَقْتُولِ هَذِهِ المَقَالَةَ ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا .

(١) وَرَدَ نَسَبُ وَهْبِ فِي نَسَبِ قَرِيشٍ هَكَذَا : وَهْبٌ ، بِنُ رَبِيعَةَ بْنِ هِلَالِ بْنِ
مَالِكِ بْنِ ضَبَّةَ بْنِ الحَارِثِ ، ص ٤٤٦ ، وَلَمْ يَذْكُرْ غَيْرَ سُهَيْلٍ وَصَفْوَانَ ابْنَيْ
وَهْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ هِلَالِ ، لَسَكَنَ فِي جَمْهَرَةِ ابْنِ حَزْمٍ : سَهْلٌ بْنُ وَهْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ
عَامِرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ ضَبَّةَ بْنِ الحَارِثِ بْنِ فِهْرِ ، ص ١٦٧ جَمْهَرَةُ ابْنِ حَزْمٍ ، وَلَمْ يَذْكُرْ
سُهَيْلًا . وَالأَمُّ فِي النِّسْبِ هِيَ : دَعْدَةُ بنتُ جَعْدَمَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَائِشَ ، وَفِي جَمْهَرَةِ
ابْنِ حَزْمٍ جَاءَ بَعْدَ عَائِشَ : ابْنُ المَطْرِفِ بْنِ حَارِثِ بْنِ فِهْرِ .

(٢) فِي النِّسْخَةِ الَّتِي مَعْنَاهَا : وَفَإِنِّي وَإِيَاكُمْ ، وَفِي القَامُوسِ : أَسْوَدُ العَيْنِ ، وَأَسْوَدُ
النِّسَاءِ ، وَأَسْوَدُ العِمَارِيَّاتِ ، وَأَسْوَدُ الدَّمِ ، وَأَسْوَدُ الحِمَى : جِبَالٌ ، وَفِي الحَشْمِ
أَسْوَدٌ : اسْمُ رَجُلٍ ، وَأَرَادَ : يَا أَسْوَدَ ، وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ لِلقَادِرِ عَلَى الشَّيْءِ
وَلَا يَفْعَلُهُ ص ١٠٩ .

قول مساره في مطعم وهشام بن عمرو:

فصل : وذكر قول حسان في مطعم بن عدى ، ويذكر جواره للنبي -
عليه السلام - وذلك حين رجع من الطائف ، وقيامه في أمر الصحيفة :
فلو كان مجداً يُخلد الدهرَ واحداً من الناس أبقى مجده اليوم مُطعماً^(١)
وهذا عند النحويين من أقبح الضرورة ، لأنه قدم الفاعل ، وهو مضاف
إلى ضمير المفعول ، فصار في الضرورة ؛ مثل قوله :

جزى ربُّه عنى عدى بن حاتم^(٢)

(١) استشهد به ابن عقيل في شرح الألفية ، وهو يشرح قول ابن مالك .

وشاع نحو خاف ربه عمر وشذ نحو زان نوره الشجر

أى : شاع تقديم المفعول المشتمل على ضمير يرجع إلى الفاعل المتأخر ، وشذ
عود الضمير من الفاعل المتقدم على المفعول المتأخر ، وإنما شذ ذلك لأن فيه
عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة ؛ لأن الشجر مفعول به ، وهو متأخر لفظاً ،
سواء الأصل فيه أن ينفصل عن الفعل ، فهو متأخر رتبة . وقد أجاز هذا الأخصش
جوابن جنى وأبو عبد الله الطوال وابن مالك في التسهيل ، ونصر الجرجاني مذهب
الأخصش ، وفي بيتنا هذا آخر المفعول وهو مطعم عن الفاعل ، وهو مجده مع أن الفاعل
مضاف إلى ضمير يعود على المفعول . فيقتضى رجوع الضمير إلى متأخر لفظاً
سواء رتبة . والبيت في الاشتقاق : ولو أن مجداً خلد الخ ص ٨٨ .

(٢) البيت لابن الأسود الدؤلي يهجو عدى بن حاتم الطائي ، وبقية : وجزاء
الكلاب العاويات وقد فعل . وقد نسبته ابن جنى إلى النابغة الذبياني . والشاهد
فيه تأخير المفعول وهو عدى ، وقدم الفاعل وهو ربه مع اتصال الفاعل بضمير
يعود على المفعول . انظر خزنة الأدب للبغدادي ص ١٩٠ وما بعدها
وشرح ابن عقيل للألفية ص ١٠٠ . بتحقيق الشيخ محي الدين عبد الحميد .

غير أنه في هذا البيت أشبه قليلا لتقدم ذكر مُطعم ، فكأنه قال : أبقى
مجدُّ هذا المذكور المتقدم ذِكْرُهُ مُطْعَمًا . ووضع الظاهر موضع المضمرة ، كما لو قلت :
إن زيدا ضَرَبَتْ جاريته زيدا ، أى : ضربت جاريته إياه ، ولا بأس بمثل
هذا ، ولا سِيًّا إذا قصدت قصدَ التعظيم وتفخيم ذكر المدوح ، كما قال الشاعر :

ومالَى أَن أكونَ أعيبُ يحيى وَيُحْيِي طَاهِرِ الأَثوابِ بَرِّ

ويجوز نصبه عندي على البدل من قوله : وَبَكَى عَظِيمَ المُشعرين ، ويكون
المفعول من قوله : أبقى مجدُّه محذوفا ، فكأنه قال : أبقاه مجدُّه أبدا ، والمفعول
لأقبح في حذفه ، إذ ادل عليه الكلام كما في هذا البيت .

وذكر قول حسان في هشام بن عمرو ، وقال فيه : للحارث بن حُبَيْبِ
ابن سُخَّام ، وقد تقدم نسبه ، وهو حُبَيْب بالتخفيف تصغير حِبِّ ، وجعله
حسانُ تصغير حُبَيْب ، فشدَّده ، وليس هذا من باب الضرورة ؛ إذ لا يسوغ
أن يقال في فُلَيْس : فُلَيْس ، ولا في كُذِّيب : كُذِّيب في شعر ولا غيره ، ولكن
لما كان الحِبُّ والحُبَيْب بمعنى واحد جعل أحدهما مكان الآخر ، وهو حَسَنٌ
في الشعر ، وسائغ في الكلام ، وهشام بن عمرو هذا أسلم ، وهو معدود في المؤالفة
قلوبهم ، وكانوا أربعين رجلا فيما ذكروا .

وقوله : ابن سُخَّام ، هو : اسم أمه ، وأكثر أهل النسب يقولون فيه : سُخَّامُ
بشِين معجمة ، وألقيت في حاشية كتاب الشيخ أن أبا عبيدة الدَّسَابَةِ وعَوَانَةَ
يقولون فيه : سُخَّامُ بَسِين وحاء مهملتين ، والذي في الأصل من قول ابن هشام :

إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ما يرى من قومه ، يبذل لهم النصيحة ، ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه . وجعلت قريش ، حين منعه الله منهم ، يحذرونه الناس ، ومن قدم عليهم من العرب . وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث : أنه قدم مكة - ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها - فمشى إليه رجال من قريش - وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيبا - فقالوا له : يا طفيل ، إنك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا ، وقد فرقت جماعتنا ، وشدت أمرنا ، وإمامنا قوله كالسهم يفرق بين الرجل وبين أميه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمنا ولا تسمعنا منه شيئاً .

سخام بسين مهملة ، وخاء معجمة ^(١) ولفظ سُخَام من شَحِمَ الطعام ، وخَشِمَ إذا تغيرت رائحته ، قاله أبو حنيفة .

(١) في نسب قريش ص ٣٢ أن شحاما بالشين والحاء هو: جذيمة بن مالك بن حسل ، وأنه جد هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بضم الحاء - ابن جذيمة ابن مالك بن حسل . وفيه أيضا أن حبيبا بن جذيمة يقال له : شحام ، وأن أمه هي مارية بنت عبد معيص . وفي النسب بيت آخر غير ثلاثة الآيات التي في السيرة :
أخني بنو خلف وأخني قنفذ وأبو الربيع ، وطار ثوب هشام
ونسب هشام في الجمهرة كما هو في النسب ص ١٦٠ ، وفي الإصابة : حنيف بدلا من حبيب . وأن هشاما أعطاه النبي (ص) دون المائة من غنائم حنين .

قال : فوالله مازالوا بي حتى أجمعتُ أن لا أسمع منه شيئاً ، ولا أكلّمه ، حتى حشوتُ في أذني حين غدوتُ إلى المسجد كُرسُفاً فرَقا من أن يبلغني شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمع . قال : فغدوتُ إلى المسجد ، فإذا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - قائمٌ يصلي عند الكعبة . قال : فقممتُ منه قريباً ، فأبى الله إلا أن يُسمعني بمضّ قوله . قال : فسمعتُ كلاماً حسناً . قال : فقلت في نفسي : وائسكلُ أمي !! والله إني لرجلٌ لبيبٌ شاعرٌ ما يخفى عليّ الحسنُ من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ! فإن كان الذي يأتي به حسناً قبيلته ، وإن كان قبيحاً تركته .

قال : فسكنتُ حتى انصرف رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بيته فأتبعته ، حتى إذا دخل بيته دخلتُ عليه ، فقلت : يا محمد ، إن قومك قالوا لي كذا وكذا - للذي قالوا - فوالله ما برحوا يُخَوِّفونني أمرَكَ حتى سددت أذني بكرسُفٍ لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يُسمعني قولك ، فسمعتُهُ قولاً حسناً ، فأعرض على مرك . قال : فعرض عليّ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - الإسلام ، وتلا عليّ القرآن ، فلا والله ما سمعتُ قولاً قطُّ أحسنَ منه ، ولا أمراً أعدلَ منه ، قال : فأسألت ، وشهدتُ شهادة الحق ، وقلت : يا نبيَّ الله إني امرؤٌ مُطاعٌ في قومي ، وأنا راجعٌ إليهم ، وداعيتهم إلى الإسلام ، فادعُ الله أن يجعل لي آيةً تكون لي عوناً عليهم فيما أدعومُ إليه فقال : اللهم اجعل له آية .

قال : فخرجتُ إلى قومي ، حتى إذا كنتُ بِشَنبَةَ تَطْلُعُني على الحاضر وقع

نورٌ بين عينيّ مثلُ المصباح ، فقلت : اللهم في غير وجهي ، إني أخشى ،
أن يظنّوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم . قال : فتحوّل فوق في رأس
سوطي . قال : فجعل الحاضرُ يترأّون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق ،
وأنا أهبط إليهم من الثنينة ، قال : حتى جنبتهم فأصبحتُ فيهم .

إسلام والد الطفيل وزوجته

قال : فلما نزلت أتانى أبى ، وكان شيخا كبيرا ، قال : فقلت : إليك عنى
يأبت ، فاستُمنك ، ولست منى ، قال : ولم يا بنى ؟ قال : قلت : أسلمتُ ،
وتابعت دين محمد - صلى الله عليه وسلم - قال : أى بنى ، فدينى دينك ، قال :
فقلت : فاذهب ، فاغتسل ، وطهّر ثيابك ، ثم تعال حتى أعلمك ما علمتُ .
قال : فذهب فاغتسل ، وطهّر ثيابه . قال : ثم جاء فعرضتُ عليه الإسلام ،
فأسلم .

قال : ثم أتنتى صاحبتى ، فقلت : إليك عنى ، فاستُمنك ولست منى ،
قالت : لم ؟ بأبى أنت وأمى ، قال : قلت : قد فترق بينى وبينك الإسلام ،
وتابعتُ دين محمد - صلى الله عليه وسلم - قالت : فدينى دينك ، قال : قلت :
فاذهبي إلى حنّا ذى الشرى - قال ابن هشام : ويقال : حمى ذى الشرى -
فتطهّرى منه .

ذو الشرى صنما لدؤس ، وكان الحمى حمى حموه له ، به وشلّ من
ماء يهبط من جبل .

قال : قالت : بأبي أنت وأمي ، أُنخشي على الصبيّة من ذى الشرى شيئا .
قال : قلت : لا ، أنا ضامنٌ لذلك ، فذهبت فاغتسلت ، ثم جاءت فعرضتُ
عابها الإسلام ، فأسلمت .

ثم دعوت دَوْسًا إلى الإسلام ، فأبطنوا عليّ ، ثم جئتُ رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - بمكّة ، فقلت له : يا نبيّ الله ، إنه قد غلبني على دَوْس
الزنا ، فادعُ الله عليهم ، فقال : اللهم اهدِ دَوْسًا ، ارجع إلى قومك فادعهم
وارفُق بهم ، قال : فلم أزل بأرض دَوْس أدعوهم إلى الإسلام ، حتى هاجر
رسول الله - صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بدرٌ وأحدٌ والخندقُ ،
ثم قدمتُ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمن أسلمَ معي من قومي ،
ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بخيبر ، حتى نزلتُ المدينةَ بسبعين أو ثمانين
بيتًا من دَوْس ، ثم لحقنا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - بخيبر ، فأسلمهم لفساد
مع المسلمين .

ثم لم أزل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى إذا فتح اللهُ عليه مكة ،
قال : قلت : يا رسول الله ، ابعثني إلى ذى الكفّين ، ضم عمرو بن مُحمّة
حتى أحرّقه .

قال ابن إسحاق : فخرج إليه ، فجعل طفيل بو قد عليه النار ، ويقول :
يا ذا الكفّين لستُ من عبّادِكَ . ميلادنا أقدمُ من ميلادِكَ

إني حشوتُ النارَ في فؤادِكَ

قال : ثم رجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان معه بالمدينة ، حتى قبض اللهُ رسولهُ - صلى الله عليه وسلم - فلما ارتدت العرب ، خرج مع المسلمين ، فسار معهم ، حتى فرغوا من طليحة ، ومن أرض نجد كلها . ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة - ومعه ابنةُ عمرو بن الطفيل - فرأى رؤيا وهو متوجهٌ إلى اليمامة ، فقال لأصحابه : إني قد رأيت رؤيا ، فاعبروها لي ، رأيتُ أن رأسي حُلِقَ ، وأنه خرج من فمي طائرٌ ، وأنه لقيتني امرأةٌ ، فأدخلتني في فرجها ، وأرى ابني يطلبني طلبًا حثيثًا ، ثم رأيتُه حُبَسَ عني ، قالوا : خيرا . قال : أمّا أنا والله ، فقد أولتُها ، قالوا : ماذا ؟ قال : أمّا حلق رأسي فَوَضَعُه ، وأمّا الطائر الذي خرج من فمي فَرَوِحِي ، وأمّا المرأة التي أدخلتني فرجها ، فالأرض تُحْفَرُ لي ، فأغيب فيها ، أما طلب ابني إياي ثم حبسه عني ، فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني ، فقتل رحمه الله شهيدا باليمامة ، وجرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استبَلَّ منها ، ثم قتل عام اليرموك في زمن عمر رضي الله عنه شهيدا .

من قصة أعشى بن قيس بن ثعلبة

قال ابن هشام : حدثني خلاد بن قُرّة بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم : أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عسكابة ابن صعّب بن عليّ بن بكر بن وائل ، [بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعْمي ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار] خرج إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريد الإسلام . فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لَمْ تَقْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا
وَمَا ذَاكَ مِنْ عَشْقِ النِّسَاءِ ، وَإِنَّمَا
وَلَكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِي هُوَ خَائِنٌ
كَهَوْلًا وَشُبَّانًا فَقَدْتُ وَثْرَتَهُ
وَمَا زِلْتُ أَبْغِي المَالَ مُذْ أَنَا يَافِعٌ
وَأَبْتَدِلُ العَيْسَ العَرَاقِيلَ تَعْتَلِي
أَلَا أَيُّهَا السَّائِلِي أَيْنَ يَمَّتْ
مِغَانُ تَسْأَلِي عَنِّي ، فَيَارُبَّ سَائِلِي
أَجِدْتِ بَرَجَلَيْهَا النَّجَاءَ ، وَرَاجَعْتِ
وَفِيهَا - إِذَا مَا هَجَّرْتِ - عَجْرَفِيَّةٌ
وَأَلَيْتِ لَأَوْيَ لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ
مَتَى مَا تُفَاخِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ
نَبِيًّا يَرَى مَا لَا تَرُونَ وَذَكَرُهُ
لَهُ صَدَقَاتٌ مَا تُعِيبُ وَنَائِلٌ
أَجِدْكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ
إِذَا أَنْتِ لَمْ تَرَحَلِي بَرَادٍ مِنَ التَّقِي
نَدِمْتَ عَلَيَّ أَنْ لَا تَكُونُ كَمَثَلِهِ
فِيَابِكَ وَالعَيْتَاتِ لَا تَقْرَبْنَهَا
وَذَا القُصْبِ المَنْصُوبِ لَا تَنْدُسْكَ سَنَّهُ

وَبِتَّ كَلِمَاتِ السَّلَامِ مُسْتَهْدَا
تَنَاسَيْتِ قَبْلَ اليَوْمِ حُطَّةَ مَهْدَا
إِذَا أَصْلَحْتَ كَفَايَ عَادَ ، فَأَفْسَدَا
فَلِلَّهِ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا !!
وَلِيَدًا وَكِهْلًا حِينَ شَبْتِ وَأَمْرَدَا
مَسَافَةَ مَا بَيْنَ النُّجَيْرِ فَصْرَخَدَا
فَوَيْلٌ لَهَا فِي أَهْلِ يَثْرِبَ مَوْعَدَا
حَفِيَّ عَنِ الأَعْمَشِيِّ بِهِ حَيْثُ أَضْعَدَا
يَدَاهَا خِنَافًا لَيْنًا غَيْرَ أَحْرَدَا
إِذَا خَلَّتْ حِرْبَاءَ الظَّهْرَةِ أَضِيدَا
وَلَا مِنْ حَفِيٍّ حَتَّى تَلَاقِي مُحَمَّدَا
تُرَاحِي ، وَتَلْقِي مِنْ قَوَاضِلِهِ نَدَى
أَغَارَ لَعْمَرِي فِي البِلَادِ وَأَنْجَدَا
وَلَيْسَ عَطَاءُ اليَوْمِ مَا نَعَهُ غَدَا
نَبِيُّ الإِلَهِ حَيْثُ أَوْصَى ، وَأَشْهَدَا
وَلَا قِيَّتِ بَعْدَ المَوْتِ مَنْ قَد تَزَوَّدَا
فَقَرِّصِدِ لِلأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَرْصَدَا
وَلَا تَأْخُذْنِي سَهْمَا حديدًا ، لَتَقْصِدَا
وَلَا تَعْبُدِ الأوثَانَ ، وَاللَّهِ فَاعْبُدَا

ولا تقربن حرّةً كان سرّها عليك حراماً فانكحرن أو تأبدا
وذا الرّحم القربى فلا تقطعنّه لعاقبة ولا الأسير المقيدا
وسبّح على حين العشيّات والضحى ولا تحمد الشيطان والله فاحدا
ولا تسخرنّ من بئس ذى ضرارة ولا تحسبنّ المال للمرء مخلدا

مصير الأعشى

فلما كان بمكة أو قريبا منها ، اعترضه بعضُ المشركين من قريش ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله - صلى الله عليه وسلم ؛ ليسلم ، فقال له : يا أبا بصير ، إنه مُحَرَّمُ الرِّثَا ، فقال الأعشى : والله إن ذلك لأمرٌ مالى فيه من أرب ، فقال له : يا أبا بصير ، فإنه يحرم الخمر ، فقال الأعشى : أمّا هدم فوالله إنّ فى النفس منها أملاّلات ، ولكنى منصرفٌ فأترؤى منها عاى هذا ، ثم آتية فأسلم . فانصرف فمات فى عامه ذلك ، ولم يمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذلة أبي جهل

قال ابن إسحاق : وقد كان عدوّ الله أبو جهل بن هشام مع عداوته لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبفضه إياه ، وشدته عليه ، يُذله الله له إذآراه .

أبو جهل والإراشي

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي ، وكان واعية ، قال : قدم رجلٌ من إراش - قال ابن هشام : ويقال : إراشة - بإبل له مكة ، فابتاعها منه أبو جهل ، فمطّله بأثمانها . فأقبل الإراشي حتى وقف على نادٍ من قريش ، ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - في ناحية المسجد جالسٌ ، فقال : يامعشر قريش ، مَنْ رجلٌ يؤدّيني على أبي الحكم بن هشام ، فأبى رجلٌ غريب ، ابنُ سبيل ، وقد غلبني على حقي ؟ : فقال له أهلُ ذلك المجلس : أترى ذلك الرجلَ الجالس - لرسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وهم يهزءون به ؛ لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة - اذهبْ إليه ، فإنه يُؤدّيك عليه .

فأقبل الإراشي حتى وقف على رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا عبد الله إنَّ أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حقي لي قبلة ، وأنا غريب ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القومَ عن رجلٍ يؤدّيني عليه ، يأخذني حقيّ منه ، فأشاروا لي إليك ، فخذني حقيّ منه ، يرحمك الله ، قال : انطلقْ إليه ، وقام معه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فلما رأوه قام معه ، قالوا لرجلٍ من معهم : اتبعه ، فانظر ماذا يصنع .

قال : وخرج رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - حتى جاءه ، فضرب عليه بابَه ، فقال : من هذا ؟ قال : محمد ، فاخرج إليّ ، ففرجْ إليهِ ، ومافى وجهه من رائحة ، قد انتقمِج لونه ، فقال : أعطِ هذا الرجلَ حقه ، قال : نعم ،

لا تبرح حتى أعطيه الذى له ، قال : فدخل ، فخرج إليه بحقه ، فدفعه إليه . قال : ثم انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال للإراشى : الحق بشأنك ، فأقبل الإراشى حتى وقف على ذلك المجلس ، فقال : جزاه الله خيراً ، فقد والله أخذ لى حتى .

قال : وجاء الرجل الذى بعثوا معه ، فقالوا : ويحك ! ماذا رأيت ؟ قال : عجباً من العجب ، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابيه ، فخرج إليه وماممه رُوْحُه ، فقال له : أعط هذا حقه ، فقال : نعم ، لا تبرح حتى أخرج إليه حقه فدخل فخرج إليه بحقه ، فأعطاه إياه . قال : ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء ، فقالوا له : ويلك ! مالك ؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قط ! قال : ويحكم ، والله ما هو إلا أن ضرب على بابي ، وسمعت صوته ، فلبثت ربعاً ، ثم خرجت إليه ، وإن فوق رأسه لَمَحْلاً من الإبل ، مارأيت مثل هامته ، ولا قصرته ، ولا أنيابها لَمَحْلاً قط ، والله لو أبيت لأكنى .

رِكَانَةٌ وَمِصَارِعَةٌ

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، قال : كان رِكَانَةً ابن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطالب بن عبد مناف أشدَّ قُرَيْشٍ ، فخلا يوماً برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى بعض شِمْابِ مَكَّةَ ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارِكَانَةَ ، ألا تتقى الله ، وتقبل ما أدعوك إليه ؟ قال : إني لو أعلم أن الذى تقول حق لا تبعثك ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

• • • • •

أفرايتَ إن صرَعْتُكَ ، أتعلمُ أنَّ ما أقولُ حقٌّ؟ قال : نعم ، قال : فقم حتى أصارعك . قال : فقام إليه رُكَّانةً يصارعه ، فلما بطش به رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أضجعه ، وهو لا يملك من نفسه شيئاً ، ثم قال : عُدَّ يا محمد ، فعاد فصرعه ، فقال يا محمد : والله إن هذا لَلْمَجَّب ، أتصرعني ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وأعجبُ من ذلك إن شئتُ أن أريكه ، إن اتَّقيتَ الله واتبعتَ أمرى ، قال : ماهو ؟ قال : أدعوكَ هذه الشجرةَ التي ترى فتأتيني ، قال : ادعُها ، فدعاها ، فأقبلت حتى وقفتُ بين يدي رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - قال : فقال لها : ارجعي إلى مكانك . قال : فرجعت إلى مكانها ! عليه وسلم - قال : فذهب رُكَّانةً إلى قومه ، فقال : يا بني عبد مناف ، ساحرُوا بصاحبكم أهلَ الأرض ، فوالله ما رأيتُ أسحرَ منه قطُّ ، ثم أخبرهم بالذي رأى ، والذي صنع .

قدوم وفد النصارى من الحبشة

قال ابن إسحاق : ثم قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بمكة - عشرون رجلاً ، أو قريبٌ من ذلك من النصارى ، حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه في المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ، ورجالٌ من قريش في أنديةهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مسألة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عما أرادوا ، دعاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الله - عزَّ وجلَّ - وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا

الله ، وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يُوصف لهم في كتابهم من أمره . فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش ، فقالوا لهم : خيبتكم الله من ركب ! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترنادون لهم ؛ فقاتوهم بخير الرجل ، فلم تطمنن مجائسكم عنده ، حتى فارقتم دينكم ، وصدقتموه ببال ، ما نعلم ركبا أحق منكم ، أو كما قالوا ، فقالوا لهم : سلام عليكم ، لا نجأه لكم ، انا مانحن عليه ، ولكم ما أنتم عليه ، لم نأل أنفسنا خيرا .

ويقال : إن النفر من النصارى من أهل نجران ، فإله أعلم أى ذلك كان . فيقال - والله أعلم - فيهم نزلت هؤلاء الآيات : « الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ ، إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ » .. إلى قوله : « لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالِكُمْ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ » القصص : ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ .

قال ابن إسحاق : وقد سألت ابن شهاب الزهري عن هؤلاء الآيات فيمن أنزلن ، فقال لي : ما سمع من علمائنا أنهن أنزلن في النجاشي وأصحابه ، والآية من سورة المائدة من قوله : « ذَلِكَ بِأَنَّهُ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا ، وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ » .. إلى قوله : « فَاصْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ » المائدة : ٨٢ ، ٨٣ .

قال ابن إسحاق وكان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إذا جلس

.....

في المسجد ، فجلس إليه المستضعفون من أصحابه : خبابٌ ، وعمارٌ ، وأبو فكيهة يسار مولى صفوان بن أمية بن محرز ، وصهيب ، وأشباههم من المسلمين ، هزئت بهم قريش ، وقال بعضهم لبعض : هؤلاء أصحابه كما ترون ، هؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى والحق ! لو كان ما جاء به محمدٌ خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه ، وما خصهم الله به دوننا . فأنزل الله تعالى فيهم : « وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا : أَهَؤُلَاءِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ، أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ . وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا ، فَقُلْ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ، ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ » الأنعام : ٥٢ - ٥٤

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - كثيراً ما يجلس عند العروة إلى مبيعة غلام نصراني ، يقال له : جبرٌ ، عبدٌ لبنى الحضرمي ، وكانوا يقولون : والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جبرٌ النصراني ، غلامٌ بنى الحضرمي ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : « وَاقْتَدِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَفْهَمُونَ : إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ » النحل : ١٠٣

قال ابن هشام : يُلْحِدُونَ إليه : يميلون ، والإلحاد : الميل عن الحق

قال روبة بن العجاج :

إِذَا تَبِعَ الضَّحَّاكَ كُلُّ مُلْحِدٍ [وَنَحْنُ ضَرَّابُونَ هَامَ الْمُغْدِ]

ابن هشام : يعني الضحَّاك الخارجي ، وهذا البيت في أرجوزة له

مول مريت طفيل الدوسي وزى الكفين :

فصل : وذكر حديث طفيل بن عمرو الدوسي ، وهو طفيل بن عمرو ابن طريف بن العاصي بن ثعلبة بن سليم بن جهم بن دوس إلى آخره ^(١) وليس فيه إشكال إلا قوله : حنا ذى الشرى ، وقد قال ابن هشام : هو حى ، وهو موضع حموة لصنمهم ذى الشرى ، فإن صحت رواية ابن إسحاق ، فالنون قد تبدل من الميم ، كما قالوا : حلان وحلام للجدي ، ويجوز أن يكون من حنوت العود ، ومن حنيفة الوادى ، وهو ما انحنى منه .

وقوله : يا ذا الكفين لست من عبادك . أراد : الكفين بالتشديد ، وخفف للضرورة ، غير أن في نسخة الشيخ أن الصنم كان يسمى : ذا الكفين ، وخفف .

(١) في الإصابة : ابن فهم بدلا من : جهم . وله فيها نسب آخر هو : ابن عبد عمرو بن عبدالله بن مالك ، بن عمرو بن فهم ، لقبه : ذو النور ، وحكى المرزبانى فى معجمه أنه الطفيل بن عمرو بن حمدة ويقول ابن حجر فى الإصابة عن قصة الطفيل فى السيرة : ذكرها ابن إسحاق فى سائر النسخ بلا إسناد ، وأخرجه ابن سعد أيضا من وجه آخر وكذلك الاموى عن ابن الكلبي بإسناد آخر . هذا وقد ذكر ابن حبان أنه مات باليرموك ، وقيل : بأجنادين كما ذكر موسى بن عقبة . وأبو الاسود عن عروة .

(٢) فى الاصنام لابن الكلبي ص ٣٧ ط ١ : وكان لدوس ثم لبني منهيد ابن دوس صنم يقال له : ذو الكفين ، فلما أسلموا بعث النبي ﷺ ص ، الطفيل ابن عمر الدوسى حرقه . وروى الرجز ، وفى جمهرة ابن حزم : كان لخزاعة ودوس ، كسره عمرو بن حمدة الدوسى ، ص ٤٦٠ ، وفى المراصد : أن فاهه تخففه وتضعف . و- ذكره القاموس فى مادة كف .

الفاء بخطه بعد أن كانت مشددة ، فدل أنه عنده مخفف في غير الشعر ، فإن صح هذا فهو محذوف اللام ، كأنه تننية كفاء ، من كفأت الإناء ، أو إذا كفء بمعنى كفاء ؟! ثم سئمت الهزمة ، وألقيت حركتها على الفاء ، كما يقال : الخبء والخب^(١) ، وفي الحديث : أن أهل الحاضر من دؤس كانوا يتراءونه في الثنية ، وفي سوطه كالقنديل المعلق^(٢) ، وذكره المبرد فقال في لفظ الحديث : جعلوا ينظرون إلى الجبل ، وهو يهتف من شدة الضياء والنور ، وروى ، أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : لما قال طفيل للنبي - صلى الله عليه وسلم - إن

(١) يقول ابن الحاجب في باب تخفيف الهزمة المتحركة الساكن ما قبلها : والمتحركة إن كان قبلها ساكن ، وهو واو أو ياء زائدتان لغير الإلحاق قلبت إليها ، وأدغمت فيها كخطية ، ومقروة ، وأفيس . . . وإن كان حرفا صحيحا أو معتلا غير ذلك نقلت حركتها إليه ، وحذفت نحو : مسلة وخب وشى وسو ، ص ٣٢ - ٣ شرح الشافية ، ويقول الرضى : اعلم أنه إذا وقف على المتحركة المتطرفة ، فإما أن يوقف على مذهب أهل التحقيق ، أو على مذهب أهل التخفيف ، فالأول مذهبى حكمه مستوفى في باب الوقف ، وأما على مذهب أهل التخفيف فإنه تخفف الهزمة أولا ؛ لأن حالة الوصل متقدمة على حالة الوقف ، ونقل الهزمة حاصل حالة الوصل ، فتخفف على ما هو حق التخفيف من النقل والحذف في نحو الخبء والقلب والإدغام في نحو : بروء ومقروء ، فيبقى الخب بتحرك الباء كالدم ، ثم يوقف عليه بالسكون المحض ، والروم أو الإشمام أو التضعيف ، ص ٤٣ - ٣ شرح الشافية .

(٢) هذا كلام رواه الطبرى وأبو الفرج الأصبهاني عن طريق ابن السكبي ، فتأمل الطريق . وحادث مثل هذا كان يدعو إلى أن تتواتر عن الناس أخباره ، لا أن بروى هكذا كوسوسة الشيطان تحصره الملائكة .

دوسا غلب عليها الزنى والربا، فادع الله عليهم، قلنا: هلكت دوس، حتى
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اللهم اهد دوسا^(١).

الأعشى ودالينه ومحمزة والسرف:

فصل: وذكر ابن هشام حديث الأعشى^(٢) وقصيدهته إلى آخرها، فلما كان
قريباً من مكة لقيه بعض المشركين، فقال: إلى أين يا أبا بصير؟ الحديث، وذكر
تحريمه الخمر، وتحريمه الزنى، وقول الأعشى: أما الخمر ففي الناس منها علالات
وقال غير ابن هشام: كان القائل للأعشى هذه المقالة أبو جهل. قالها في دار عتبة
ابن ربيعة، وكان نازلاً عنده، قال المؤلف: وهذه غفلة من ابن هشام، ومن
قال بقوله، فإن الناس يجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة بعد أن
مضت بدر وأحد^(٣)، وحرمت في سورة المائدة، وهي من آخر ما نزل، وفي

(١) رواه الشيخان

(٢) كان أبوه قيس يدعى: قتيل الجوع؛ لأنه دخل غارا، ف وقعت صخرة،
فسدت الغار، فمات جوعاً ص ٨٣ سطر اللآلى، وفي طبقات الشعراء لابن قتيبة
أن رحلته كانت في صالح الحديبية، وهذا يوافق ما ذهب إليه السهيلي، وما ذكر عن
تحريم الخمر، وما ورد في القصيدة

ونسبه في الأغاني: ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف،
ابن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن الخ وما بين قوسين في السيرة زده
عن الأغاني. كان الأعشى يلقب بصناجة العرب، لأنه - كما يقول صاحب
الأغاني - كان يغنى في شعره.

(٣) تظاهرت عدة أحاديث تؤيد هذا الرأي، وفي البخارى بسنده عن
ساجر قال: وصبح أناس غداة أحد الخمر، فقتلوا من يومهم شهداء، وذلك قبل
تحريمها،

الصحيحين من ذلك قصة حمزة حين شربها ، وغنمته القينتان : ألا يا حمز ،
للشرف^(١) النواء ، فبقر خواصر الشارفين ، واجتنب أسنمتهم .

(١) الحديث كما قال . وخلاصته أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان قد أعطى عليا شارفا - والشارف من الإبل الناقة التي قد أسنت - من غناتم بدر غير شارف آخر كان لعل نصيبا من غناتم بدر ، وذهب على لبعض شأنه ، والشارفان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار ، فلما عاد علي وجدتهما ، وقد قطعت أسنمتهما ، وبقرت خواصرهما ، وأخذ من أكبادهما ، فبكي علي ، وعرف أن فاعل ذلك هو عمه حمزة الذي كان مع جماعة من الأنصار يشربون الخمر ، فسكر ، وغنمته جاريتان شعرا - سيأتى بعد - فقام وفعل بالشارفين ما تقدم ذكره ، فذهب على يشكو لأبي بكر ، فذهب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى البيت الذي فيه حمزة ، فوطئ يلمه ، فراح يصعد النظر في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عدة مرات ، ثم قال حمزة : هل أنتم إلا عبيد لأبي ، فعرف الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه قد ثمل - أي غشاه بالسكر - فنكص على عقبيه القهقري ، وقد غنت الجاريتان حمزة بما يأتي :

ألا يا حمز للشرف النواء وهن معقلات بالفناء
ضع السكين في اللبات منها وضر جن حمزة بالدماء
وعجل من أطايبها لشرب قديدا من طيبخ أو شواء

وقد أراد الذي أمر القينتين أن تغنيا هذا بمث حمزة - لما عرف من كرمه - لنحر الناقتين . والنواء بكسر النون جمع نايقة ، وهي الناقة السمينة . والشرب بكسر الشين وسكون الراء جمع شارب ، والفناء بكسر الفاء : جانب الدار التي كانوا فيها ، وضرج : لطح ، القديد : اللحم المطبوخ . وفي معجم الشعراء للمرزباني أن هذا الشعر لعبد الله بن السائب بن أبي السائب المخزومي ، ولكنه غير أنصاري . والقهقري : المشى إلى خلف ، وهذه حكمة عظيمة من الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، إذ خشى ازدياد عبث حمزة في حال سكره ، فينتقل من القول إلى الفعل . وعند ابن أبي شيبة أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أغرم حمزة ثمن الناقتين . وقد روى البخاري في الحديث في باب الخس ، وغناتم بدر

وقوله للنبي عليه السلام: هل أنتم إلاَّ عبيدٌ لآبائي ، وهو ثَمِيل . الحديث بطوله . فإن صح خبر الأعشى ، وما ذكر له في الخمر ، فلم يكن هذا بمكة ، وإنما كان بالمدينة ، ويكون القائل له : أما علمت أنه يحرم الخمر ، من المنافقين ، أو من اليهود ، فالله أعلم . وفي التصيدة ما يدل على هذا قوله : فإن لها في أهل يثرب موعدا ، وقد ألفت لقالى رواية عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال : لقي الأعشى عامر بن الطَّمِيل في بلاد قيس ، وهو مقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فذكر له أنه يحرم الخمر ، فرجع ، فهذا أولى بالصواب ، وقول الأعشى : أتروى منها هذا العام ، ثم أعود فأسلم لا يخرجني عن الكفر بإجماع ، قال الإسفرايني في عقيدته : إذا قال المؤمن سأ كفر : غدا أو بعد غد ، فهو كافر لحينه بإجماع ، وإذا قال الكافر : سأومن غدا ، أو بعد فهو على كفره ، لا يخرجني عن حكم الكفر إلاَّ إيمانه إذا آمن ، ولا خـلاف في هذا والله المستعان .

وقوله : ألم تفتمض عينك ليلة أرمدًا ، لم ينصب ليلة على الظرف ؛ لأن ذلك يفسد معنى البيت ، ولكن أراد المصدر فحذفه ، والمعنى : اغتماض ليلة أرمد . فحذف المضاف إلى الليلة ، وأقامها مقامه ، فصار إعرابها كإعرابه (١) ، وقد روى هذا البيت : ليلك بالكاف ، ومعناه : غمض أرمد ، وقيل : بل أرمد على هذه .

(١) قال الفارسي : أراد : اغتماض ليلة أرمد ، وليس بظرف ، ونسب الاغتماض إلى الليل ، كما قال عز وجل : بل مكر الليل والنهار ، ص ٤٠٥ مطب اللالى للبكرى

الرواية من صفة الليل ، أى حال منه على الجواز ، كما تقول : ليلىك ساهر .
وقوله : تناسيت قبل اليوم خلة مَهْدَدَا . مَهْدَدٌ : فَعْمَلٌ مِنَ الْمَهْدِ ، وَلَوْلَا
تخييم الدليل على أن الميم أصلية لحسبنا بأنه مَفْعَلٌ ؛ لِأَنَّ الْكَلِمَةَ الرَّبَاعِيَّةَ إِذَا كَانَتْ
أولها ميماً أو همزة ، فحملها على الزيادة ، إلا أن يقوم دليل على أنها أصلية ،
والدليل على هذه الكلمة ظهور التضعيف فى الدال ؛ إذ لو كانت الميم زائدة
لما ظهر التضعيف ، ولقد فى مَهْدَدٌ كَمَا تَقُولُ : مَرْدٌ وَمَكْرٌ وَمَفْرَقٌ كُلٌّ مَآوِزُهُ
مَفْعَلٌ مِنَ الْمُضَاعَفِ ، وَإِنَّمَا الدال فى مَهْدَدٌ ضَوْعَتْ لِيَلْحَقَ بِبِنَاءِ جَعْفَرٍ (١)

(١) يقول أبو عثمان المازنى فى التصريف فى باب الإلحاق المطرد فى الأسماء
والأفعال : « أما المطرد الذى لا ينكسر ، فإن يكون موضع اللام من الثلاثة
مكرراً للإلحاق . مثل مهدد وقردد وعندد ، ص ٤٧ »

ويقول ابن جنى فى المنصف شرح التصريف : « اعلم أنك إذا استوفيت
ثلاثة أحرف من الأصوات ثم تكررت اللام قضيت بزيادتها ، وذلك نحو قردد
وجلبب فالدال والباء الأخيرتان زائدتان ؛ لأنهما قد تكررتا ، ولو كان موضع
الدال الأخيرة حرف غير الدال لكانت الكلمة رباعية . ص ٤٧ »

وفى ص ١٤١ يقول أبو عثمان المازنى : « ومهدد الميم فيه أصل ؛ لأنها لو كانت
زائدة لكانت مهدا : « بفتح الميم والهاء وتضعيف الدال ، لأن مفعلاً : « بفتح الميم
وسكون الفاء وفتح العين ، من المضاعف يحىء مدغماً نحو مرد ومسد . » ويشرح
ابن جنى هذا بقوله : « فظهور الدالين يدل على أنه فعلل بمنزلة قردد فإن قال
قائل فقد قالوا : محبب فبينوا وهو مفعل — فما تنكر أن يكون مهدد أيضاً
مفعلاً من الهد ؛ قيل محبب شاذ لا يقاس عليه ، وقياسه محب كمرد ومسد ثم بين
أن محبب علم ، والاعلام تغير كثيراً عما عليه أكثر الأسماء ، ولهذا جاز
فى محبب إظهار التضعيف ، ثم قال : فإن قال قائل فإن مهدد اسم علم ، وهو اسم
امرأة ، فما تنكر أن يكون مهدد مثل محبب ، إذ هو علم مثله ؟ ثم أجاب هو عن =

وقوله : إذا خِلت حِرْبُ بَاءِ الظَّهْرَةِ أَصِيدَا . والأصيد : المائل العنق .
ولما كانت الحِرْبُ بَاءِ تدور بوجهها مع الشمس كيفما دارت ، كانت في وسط
السماء في أول الزوال ، كالأصيد ، وذلك أحر ما تكون الرَّمْضَاءُ . يصف ناقته
بالنشاط ، وقوة المشي في ذلك الوقت .

وقوله : خِنْفًا لِمَا لَيْنًا . في العين : خَنَفَتِ الناقَةُ تَخْنِفُ بيديها في السير .
إذا مالت بهما نشاطا ، وناقَةُ خَنُوفٌ قال الراجز .

إن الشَّوَاءَ والنَّسِيلَ والرُّغْفُ والقَيْمَةَ الحسَنَاءَ ، والكَّاسَ الأنْفَ .
للظاعنين الخيلَ ، والخيلُ خُنْفٌ^(١)

== هذا بقوله : إن محبب مفعول من الحب ، أما مهدد فليس فيها دليل يدل على أنها
من الهد ، دون المهد ، فيقضى بأنه مفعول ، انظر ص ٤١ ، ٤٧ ، ١٤١ من كتاب
المنصف لابن جنى بشرحه التصريف للمازني ، انظر أيضاً ص ٥٨ > ٢
الخصائص وص ١٤ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٤ من شرح شافية ابن الحاجب ج ١

(١) الرجز لقيط بن زرارة ، وفي اللسان : النشيل ، وقطف بدلا من النسيل
وخنف ، وللضاربين الهام بدلا من : الظاعنين الخيل . والشواء : لحم مشوى .
والنشيل على رواية اللسان : ما طبخ من اللحم بغير توابل يخرج من المرق ،
وينشل . ويقال أيضاً ، نشل اللحم : أخذ بيده عضوا ، فتناول ما عليه من اللحم
بفية وهو النشيل ، واللحم الذي يؤخذ قبل النضج ، والقينة : الجارية المغنية ،
الكأس الأنف : هي التي لم يشرب بها قبل ، والقطف : جمخ قطوف ، وهي التي
تسمى السير

وقوله : أَيْتًا غَيْرَ أَحْرَدًا^(١) أَى : تفعل ذلك من غير حَرَدٍ في يديها ، أَى
اعوجاج ، والنَجْبِيُّ وَصَرَخْدُ بِلْدَان ، وأهل النَجِيرِ أول من ارتد في خلافة
أبى بكر بعد أهل^(٢) دَبَا وكان أهل دبا قد حاصروهم حُدَيْفَةَ بنِ أُسَيْد ، وحاصر
أهل النَجِيرِ زياد بن لبيد بأمر أبى بكر ، حتى نزلوا على حكمه . وأما صَرَخْدُ
فبلد طيب الأعناب ، وإليه تنسب الخمرُ الصَرَخْدِيَّة . وفي الأملى : ولذَّ كَطْعَمِ
الصَرَخْدِي تَرَكَتْهُ

(١) البيت في اللسان في مادة : خنف .

(٢) بفتح الدال على وزن فعل مع القصر : سوق من أسواق العرب بعمان ،
ومدينة عظيمة مشهورة بعمان كانت قصبها ، وبضم مع تشديد الباء من نواحي
البصرة فيها أنهار وقرى ، والدبا بالتعريف : موضع بظهر الحيرة معروف ،
وفي هامش نسخة من معجم ما استمعجم : ودبا : إحدى فرضتى العرب يجتمع فيها
تجار أهل الهند والسند . والصين وأهل المشرق والمغرب ،
(٣) تمام البيت : « بأرض العد امن خشية الحدثان ، وبعده :

ومبدي الشحناء يبني وبينه دعوت وقد طال السرى ، فدعاني

لذ : يعنى النوم ، والصرخدى : العسل كذا قال أبو الميلاس ، والعدا :
الاعداء ، الحدثان : ما يحدث من الامور . وقال أبو بكر : اللذ : اللذيذ
يعنى النوم والصرخدى : الخمر ، وقوله : ومبدي الشحناء ، يعنى : كلبا
وذلك أن الرجل إذا تحير في الليل ، فلم يدر أين البيوت نبح ، فتسمعه الكلاب ،
فتنبج ، فيقصد أصواتها . ص ٢١٠ ج ١ أملى القالى ط ٢ ولم ينسبهما إلى أحد .
وهما في حيوان الجاحظ ص ١٢١ > ١ . تحت عنوان : وقال آخر يصف كلبا ،
والبيت الأول في اللسان رواه في مادة : لذ، وصرخد، وقال . قال ابن برى : البيت ،
للمراعى ، وعجزه : دفعته . عشية خمس القوم والعين عاشقة ، أراد أنه لما دخل ديار
أعدائه لم يتم حذارا لهم . وهذه الرواية الأخيرة رواه اللسان في مادة صرخد

وقوله: وآليت لا آوى لها من كلاله، ولا من وجى^(١)، أى: لأرق لها،
يقال: آويت للضعيف إية ومأوية^(٢) إذا رقت له كبكك .

وقوله: أغار لعمري في البلاد وأنجد، المعروف في اللغة: غار وأنجد، وقد
أشدوا هذا البيت: لعمري غار في البلاد وأنجد . والغور: ما انخفض من
الأرض، والنجد: ما ارتفع منها، وإنما تركوا القياس في الغور، ولم يأت على
أفعل إلا قايلا، وكان قياسه أن يكون مثل أنجد، وأنهم؛ لأنه من أم الغور،
فقد هبط ونزل، فصار من باب غار الماء، ونحو ذلك، فإن أردت: أشرف على
الغور، قلت: أغار، ولا يكون خارجا عن القياس^(٣)

وقال: صرحد: موضع نسب إليه الشراب في قول الراعي، ثم روى البيت بالرواية
الآخيرة .

ولذ كطعم الصرحدى طارحته عشية خمس القوم والقوم عاشقة
وفي المراصد: صرحد: قلعة ملاصقة لبلد حوران حصينة وولاية واسعة
حسنة، وينسب إلى صرحد الخبز الجيد . وقد وصفها أبو الفداء في التقويم
وصفا دقيقا، ومن قاله أن من شرقها يسلك الإنسان طريقا إلى العراق يتطلب
من السائر عشرة أيام ليصل إلى بغداد .

(١) في الأغانى: فأليت لا أرثي، والأغانى حنى كما في السيرة، وفي تجريد
الأغانى: وجى كما في الروض . وهناك في الأغانى مغايرة أخرى هيئة لما هنا .
(٢) في القاموس: أوى له كروى أوية، وإية ومأوية، ومأواة: رق .
(٣) وفي الأغانى عن مصيره: «فبلغ خبره قريشا، فرصدها على طريقه،
وقالوا: هذا صناجة العرب ما مدح أحدا قط إلا رفع من قدره، فلما ورد
عليهم، قالوا له: أين أردت يا أبا بصير قال: أردت صاحبكم هذا لاسلم، قالوا:
لأنه ينهك عن خلال ويحرمها عليك وكلها بك رافق ولك موافق، قال: وما هن؟

وقوله : وليس عطاء اليوم مانته غدا . معناه على رفع العطاء ونصب مانع ،
أى : ليس العطاء الذى يعطيه اليوم مانع له غدا من أن يعطيه ، فالهاء عائدة على
المدح ، فلو كانت عائدة على العطاء لقال : وليس عطاء اليوم مانعه هو ، بإبراز
الضمير الفاعل ، لأن الصفة إذا جرت على غير من هي له برز الضمير المستتر
بخلاف الفعل ، وذلك لسر بيناه فى غير هذا الموضع لم يذكره الناس ،
ولو نصب العطاء لجاز على إضمار الفعل المتروك إظهاره ، لأنه من باب اشتغال
الفعل عن المفعول بضميره ، ويكون اسم ليس على هذا مضمرأ فيها عائدا على النبي
صلى الله عليه وسلم .

فقال أبو سفيان بن حرب : الزنا ، قال : لقد تركنى الزنا ، وما تركته ، ثم
ماذا ؟ قال : القمار ، قال : لعلى إن لقيته أن أصيب منه عوضا عن القمار ، ثم
ماذا ؟ قالوا : الربا . قال : ما دنت ولا أدنت ، ثم ماذا ؟ قالوا : الخمر ، قال :
أوه ، أرجع إلى صباية قد بقيت لى فى المهراس ، فأشربها فقال له أبو سفيان : هل
لك فى خير بما صممت به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن ، وهو الآن فى هدنة ،
فتأخذ مائة من الإبل ، وترجع إلى بلدك سنتك هذه ، وننظر ما يصير إليه
أمرنا ، فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفنا ، وإن ظهر علينا أتيتهم ، ورجع بعد أن
أخذ مائة بعير . ورواية الأغانى تتفق وما قيل عن تحريم الخمر ، وماروى فى بعض
الأحاديث عن زمن تحريمها . وعن مصير الأعشى يقول الأغانى : فلما كان بقاع
منفوخة رمى به بعيره فقتله ، ورواية الأغانى قريبة جداً من رواية ابن قتيبة فى
طبقات الشعراء .

غور كل شيء : قمره وعمقه وبعده ، وقال الفراء : أغار بمعنى : غار .
ويقول ابن منظور . وقد روى بيت أعشى مخروم النصف : غار لعمرى
فى البلاد وأنجدا . وقال الجوهرى : غار يغور غورا ، أى : أتى الغور ،
ولا يقال : أغار . وقال الأصمى عن معنى أغار فى بيت الأعشى : أسرع ، وأنجد :
أى ارتفع ، ولم يرد فى البيت : أتى الغور ، ولا أنجدا ، قال : وليس عند
الأصمى فى إتيان الغور لإغار . وانظر مادة غور ، فيها تفصيل أكثر .
(م — ٢٥ الروض الأنف ج ٣)

وقوله : فانكحَن أو تَأبدا . يريد : أو ترهَّب ؛ لأن الراهب أبداً عَزَبٌ
فقيل له : متأبداً اشتق من لفظ الأبد .

وقوله : فالله فاعبدا ، وقف على النون الخفيفة بالألف ، وكذلك
فانكحَن أو تأبدا ، ولذلك كتبت في الخط بألف ، لأن الوقف عليها بالألف ،
وقد قيل في مثل هذا : إنه لم يُرِدِ النون الخفيفة ، و إنما خاطب الواحد
بخطاب الاثنين ، وزعموا أنه معروف في كلام العرب ، وأنشدوا في ذلك :

فإن تزجراني يا ابن عفان أزدجرٍ وإن تدعاني أحم عرضاً مُنمعا^(١)
وأنشدوا أيضا في هذا المعنى :

وقلت لصاحبي : لا تحبسنا بنزع أصولها واجتث شيئا^(٢)

(١) البيت لسويد بن كراع العكلى ، وكان سويد قد هجا به عبد الله
ابن دارم ، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان ، فأراد ضربه ، فقال سويد
قصيدة أولها :

تقول ابنة العوفى ليلي الأترى إلى ابن كراع لا يزال مفزعا
مخافة هذين الأميرين سهدت رقادى وغشتى بياضا مفزعا
وهذا يدل على أنه خاطب اثنين لا واحدا . بدليل قوله أيضاً .

فإن أنما أحكمتانى فازجرا أراهط تؤذيني من الناس رضعا
(٢) في رواية : واجدز أى : اجتز ، والبيت من أبيات للمضرس بن ربيع
القمصى الأسدى ، وهى :

وضيف جاءنا والليل داج وريح القر تحفز منه روحا

ونسبه الجوهري ليزيد بن الطثرية نقلها عن الكسائى ، ولكن ابن بروى
في أماليه على الصحاح يؤكد أنه لمضرس ، وفي رواية : فقلت لصاحبي لا تحبسنى

ولا يمكن إرادة النون الخفيفة في هذين البيتين ، لأنها لا تكون ألفا ،
إلا في الوقف ، وهذا الفعل قد اتصل به الضمير ، فلا يصح اعتقاد الوقف
عاليه دون الضمير ، وحكى أن الحجاج قال : يا حرسى اضرى با عنقه ، وقد يمكن
فيه حمل الوصل على الوقف ، ويحتمل أن يريد : اضرى أنت وصاحبك ،
وقد قيل في قوله سبحانه : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ إن الخطاب للملك وحده حملا على
هذا الباب ، وقيل : بل هو راجع إلى قوله تعالى : (سائق وشهيد) وفي القصيدة
زيادة لم تقع في رواية ابن هشام وهي قوله في وصف الناقة :

فأما إذا ما أذْجَلَتْ ، فترى لها رقيبين نجماً لا يغيب وفراً قدما

وقع هذا البيت بعد قوله : ليغا غير أحردا

وقوله في صفة النبي صلى الله عليه وسلم : أغار لعمري في اللباد
وأنجدا . وبعده :

به أُنقذ الله الأنامَ من العمى . وما كان فيهم من يرْبِعُ إلى هدى

حديث الإِراشِي :

فصل : وذكر حديث الإِراشِي الذي قدم مكة ، واستعدى على أبي جهل .
قال ابن إسحاق : هو من إراش ، وهو ابن العوث أو ابن عمرو^(١) ،
ابن العوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وهو والد أنمار الذي
ولد بحيلة وختم . وإراشة الذي ذكر ابن هشام : بطن من خثعم ، وإراشة

(١) في جمهرة ابن حزم : إراش بن عمرو بن العوث الخ

مذكوزة في المالميق في نسب فرعون صاحب مصر ، وفي بيلي أيضا بنو
إراشة^(١) ، وقوله : مَنْ [رجل] يؤدبني على أبي الحكم أي : يعينني على أخذ
حتى منه ، وهو من الأداة التي توصل الإنسان إلى ما يريد ، كأداة الحرب ،
وأداة الصانع ، فالخاكم يؤدى الخضم ، أى يوصله إلى مطلبه ، وقد قيل : إن الهمة
بدل من عين ، ويؤدّي ويمدى بمعنى واحد ، أى : يزيل العُدوان ، والعداء
وهو : الظلم ، كما تقول : هو يُشكيك أى : يزيل شكواك ، وفي حديث
خَبَاب : شكونا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حرّ الرّمضاء ، فلم يُسكنا
معناه على أحد القولين : لم يرفع شكوانا ولم يُزلها .

وقوله : نخرج إليه ، وما في وجهه راحة ، أى : بقية روح ، فكان معناه : روح
باقية ، فلذلك جاء به على وزن فاعله ، والدليل على أنه أراد معنى الرّوح وإن
جاء به على بناء فاعلة قول الإراشي في آخر الحديث : خرج إلى ؛ وما عنده رُوْحُه .
مصارعة رُكّانة :

فصل : وذكر حديث رُكّانة ومصارعته للنبي - صلى الله عليه وسلم -^(٢)

(١) وفي الاشتقاق : ومن بنى عنز إراشة .

(٢) قصة المصارعة مشهورة لركانة لكن جاء من وجه آخر أنه يزيد
ابن ركانة . وفي حديث المصارعة اضطراب . ولقد قال الترمذي عن حديث
المصارعة الذي أخرجه هو وأبو داود من رواية أبي الحسن المسقلاني عن
أبي جعفر بن محمد بن ركانة عن أبيه : غريب ، وليس إسناده بقائم . وحديث
للشجرة التي طلب الرسول دم ، مشهيا لإسناده هدى القرآن .

وقد تقدم مثل هذا الحديث عن أبي الأشدين الجُمَحِيِّ ، ولعلهما أن يكونا جميعاً صارعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد تقدم التعريف بأبي الأشدين، وباسمه ونسبه ؛ ورُكَّانَة هذا هو: ابن عبد يزيد بن هاشم بن عبدالمطلب من مَسَلَمَةَ الفتح، وتوفى في خلافة معاوية ، وهو الذي طلق امرأته ألبتة، فسأله رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عن نيته ، فقال : إنما أردت واحدة ، فردها عليه ^(١) ، ومن حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : إن لكل

(١) روى أبو داود في سننه عن نافع بن عجير بن عبد يزيد بن ركانة أن ركانة بن عبد يزيد طلق امرأته سهيمة ألبتة ، فأخبر النبي ﷺ ، بذلك ، وقال : والله ما أردت إلا واحدة ، فقال النبي ﷺ ، والله ما أردت إلا واحدة ؟ فقال ركانة : والله ما أردت إلا واحدة ، فردها إليه رسول الله ﷺ ، فطلقها الثانية في زمن عمر ، والثالثة في زمن عثمان ، وفي جامع الترمذى عن عبد الله ابن يزيد بن ركانة عن أبيه عن جده أنه طلق امرأته ألبتة ، فأتى رسول الله ﷺ ، فقال له : ما أردت ؟ قال واحدة ، قال : آله ، قال : آله . قال : هو على ما أردت ، قال الترمذى : لانهرفه إلا من هذا الوجه ، وسألت محمداً - يعنى البخارى - عن هذا الحديث ؟ فقال : فيه اضطراب . فتارة يقول : طلقها ثلاثا وتارة يقول : واحدة ، وتارة يقول : ألبتة ، وقال أحمد : وطرقه كلها ضعيفة . أقول : إن القرآن يفرض أن يكون الطلاق بشروطه المذكورة في الكتاب ، مرة بعد مرة حتى يبلغ ثلاثا ، وبعدها لا تحل حتى تنكح زوجا آخر . ولا يصح إيقاع الطلاق مطلقا إلا بعد القيام بما فرض الله من وعظ وهجر في المضاجع وضرب يقصد به التأديب ، ثم تحكيم مؤمنين خبيرين بالحكومة ، فإن لم يصل معها إلى غاية تقيم البيت على مودة ورحمة ، وتمكنهما من إقامة حدود الله ، تربص بها حتى تظهر بما يأتيها كل شهر ، ثم بعد هذا يوقع الطلاق مرة واحدة قبل أن يمساها وكذلك في المرة الثانية =

دين خلقا، وخلق هذا الدين الحياء^(١)، ولا ينفك يزيد بن رُكَّانة صحبةً أيضاً، ويروى عن يزيد بن رُكَّانة ابنه علي، وكان علي قد أعطى من الأيد والقوة ما لم يُعْطَ أحد، نَزَعَ في ذلك إلى جدِّ رُكَّانة، وله في ذلك أخبار ذكرها الفاكهي، منها: خبره مع يزيد بن معاوية، وكان يزيد بن معاوية من أشد العرب، فصارع يوماً، فصرعه على سرعة لم يسمع بمثليها، ثم حمله بعد ذلك على فرس جُوح لا يطلق، فعلم على ما يراد به، فلما تجمَّع به الفرس ضمَّ عليه نخذه صمَّةً نفقَ منها الفرس، وذكر عنه أيضاً أنه تأبَّط رجلين أيدين، ثم جرى بهما، وهما تحت إبطيه حتى سماحا: الموت الموت، فأطاعهما.

وفد نصارى الحبشة:

فصل: وذكر قدوم وفد النصارى من الحبشة وإيمانهم، وما أنزل الله فيهم من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ ولم يقل: من النصارى، ولا سَمَّاهم هو سبحانه بهذا الاسم، وإنما حكى قولهم الذي قالوه حين عرفوا بأنفسهم، ثم شهد لهم بالإيمان، وذكر أنه أثابهم الجنة، وإذا كانوا هكذا

== ثم الاخيرة أمام عدلين في كل مرة. ولتندبر سورة الطلاق، وآيات الطلاق في سورة البقرة نحمد القرآن يهدينا إلى أن الله لم يشرع لإيقاع الثلاث جملة واحدة البتة. وحسبنا قوله سبحانه: (لطلاق مرتان) فإن العرب في لغتها لا تعقل وقوع المرتين إلا متعاقبتين، وثبت أدلة أخرى، وحسبنا ما ذكرناه.

(١) رواه ابن ماجه عن أنس وابن عباس كما ذكر السيوطي في الجامع الصغير

وقال عنه: ضعيف.

فليسوا بنصاري ، هم من أمة محمد - عليه السلام - وإنما عُرفَ النصاري بهذا الاسم ، لأن مبدأ دينهم كان من ناصِرة قرية بالشام ، فاشتقَّ اسمهم منهم ، كما اشتقَّ اسم اليهود من يهود بن يعقوب ، ثم لا يقال لمن أسلم منهم : يهودي اسم الإسلام أولى بهم جميعاً من . ذلك النسب ^(١) .

عن غلام الميعر ومصرّب وأبي فكيهة :

فصل : ذكر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يجلس إلى مبيعة

(١) هدى القرآن يؤكد أن كل رسول دعا إلى الإسلام ، لأنه هو دين الله الذي به أرسلوا جميعاً ، ويقول الدكتور بوست في قاموسه عن يهود : وأطلقت هذه الكلمة أولاً على بني يهوذا تمييزاً لهم عن الأسباط العشرة الذين سموا : إسرائيل إلى أن تشلت الأسباط أولاً ، وأسر يهوذا ثانياً ، فن ثم دعى جميع نسل يعقوب يهوداً ، وفي أيام المسيح والرسول انقسم كل العالم إلى يهود وأمم ، وقد روى البيهقي حديث هؤلاء في دلائل النبوة وأعلام الرسالة . هذا وقد ذكر النسائي أن آيات سورة المائدة (ذلك بأن منهم قسيسين) قد نزلت في حق النجاشي ، بينما يروى الطبراني أنها في حق كرايين أي : فلاحين ، جاءوا مع جعفر بن أبي طالب ص ٨٦ ج ٢ تفسير ابن كثير . وهذا الاختلاف يحتم علينا ألا نعتد كثيراً على ما روى من أسباب النزول . وذكر الإمام أحمد وابن جرير ، وابن أبي حاتم فيما نزل في حق المستضعفين أن الذي مر على الرسول . د ص ، هو الأقرع ابن حابس التيمي وعيينة بن حصن ، فطلبوا منه أن يبعد المستضعفين عنه ، وأن يقعد معهم متى شاء حين يفرغون منه ، فأجابهم إلى طلبهم ، ولكن قال ابن كثير عنه : إنه حديث غريب ، لأن الآية مكية . والأقرع وعيينة ، إنما أسلبا بعد الهجرة يزمن طويل ، وروى الحاكم غير هذا .

غُلام^(١) . المبيعة : مَفْعَلَةٌ مثل المبيسة ، وقد يجوز أن يكون مَفْعَلَةٌ بضم العين - وهو قول الأخفش ، وأما قولهم : سَلَمَةٌ مَبِيعةٌ فمفعولة ، حُذفت الواوُ منها في قول سيبويه حين سكنوا الياء استئقالا للضمة ، وفي قول أبي الحسن الأخفش إن الياء بدل من الواو الزائدة في مَبِيوَعَةٌ ، ووزنها عنده : مَفْعُولَةٌ بحذف العين ، وللإكلام على هذين المذهبين موضع غير هذا .

وذكر صُهَيْبًا وأبا فَكَيْهَةَ ، وسند ذكر اسم أبي فَكَيْهَةَ ، والتعريف به فيما بعد لأنه بَدْرِيٌّ ، وكذلك صُهَيْبُ بن سِنَانٍ ، ونقتصر في هذا الموضع على ذكر اسمه وهو : يسار مولى عبد الدار^(١) .

(١) هناك خلاف حول اسم هذا الغلام وحول الذين افتروا قائله السوء ، فمن قتادة ، أن اسمه يعيش ، وعن ابن عباس أن اسمه بلعام ، وكان المشركون يرون رسول الله حين يدخل عليه ، ويخرج من عنده ، فقالوا هذه القرية ، وقال الضحاک : هو سلمان الفارسي ولكن الآية مكية ، وسلمان إنما أسلم بالمدينة ، وروى عن عبد الله بن مسلم أنه كان له غلامان روميان يقرآن كتاباً لهما بلسانها ، فكان النبي (ص) يمر بهما ، فيسمع منهما ، فقال المشركون ما قالوا . وروى الزهري عن ابن المسيب أن الذي هتت الرسول دص ، بهذه القالة الكاذبة رجل كان يكتب الوحى للرسول دص ، ثم ارتد بعد ذلك . وهى أقوال يضرب بعضها بعضها . ولقد رد الله على القرية رداً هو الحق الذى يزهد الباطل ، فلنتدبره .

(٢) قيل لأنه : مولى صفوان بن أمية . ويقال إن أصله من الأزدي ، وقيل إن اسمه أفلح بن يسار ، وإن كان ينسب إلى الأشعريين .

سبب نزول سورة الكوثر

قال ابن إسحاق : وكان العاص بنُ وائل السهمي - فيما بلغني - إذا
ذُكر رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - قال : دعوه ، فإنما هو رجلٌ أبتَرُ ،
لأعقبَ له ، لومات لا تقطع ذِكْرُه ، واسترحمَ أَمْنُه ، فأنزل الله في ذلك :
(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا . وَالْكَوْثِرُ :
العظيم .

الكوثر في الشعر

قال ابن إسحاق : قال لبيد بن ربيعة الكلابي :

وصاحبٌ مَلْجُوبٌ فُجِعْنَا بِيَوْمِهِ وعند الرِّدَاعِ بَيْتُ آخِرِ كَوْثِرِ
يقول : عظيم .

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له . وصاحب مَلْجُوبٌ : عَوْفُ
ابن الأَحْوَصِ بن جَعْفَرِ بن كِلَابٍ ، مات بِمَلْجُوبٍ . وقوله : عند الرِّدَاعِ
بيت آخر كَوْثِرٍ : يعنى شُرَيْحِ بن الأَحْوَصِ بن جَعْفَرِ بن كِلَابٍ ، مات بالرِّدَاعِ .
وكَوْثِرٌ : أراد الكثير ، ولفظه مشتقٌّ من لفظ الكثير . قال السُّكَيْمِيُّ بن زَيْدِ مَدْحِ
هِشَامِ بن عبد الملك بن مروان :

وأنت كَثِيرٌ يَا بنَ مَرْوَانَ طَيِّبٌ وكان أبوك ابنُ العَقَائِلِ كَوْثِرٌ
وهذا البيت في قصيدة له . وقال أُمَيَّةُ بن أبي عَائِدِ الهُدَلِيِّ يَصِفُ
حَارَ وحش :

يُحَامَى الْحَقِيقُ إِذَا مَا احْتَدَمْنَ وَحَمَحَمْنَ فِي كَوْثَرٍ كَالْجِلَالِ
يعنى بالكوثر: الغبار الكثير، شبهه لكثرة عليه بالجلال. وهذا
البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق: حدثني جعفر بن عمرو - قال ابن هشام: هو جعفر
ابن عمرو بن أمية الضمري - عن عبد الله بن مسلم أخى محمد بن مسلم بن شهاب
الزهرى، عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم،
وقيل له: يا رسول الله، ما الكوثر الذى أعطاك الله؟ قال: نهر كما بين صنعاء
إلى أيلة، آيته كعدد نجوم السماء، ترده طيور لها كأعناق الإبل. قال: يقول
عمر بن الخطاب: إنها يا رسول الله لنا عمة، قال: آكلها أنعم منها.

قال ابن إسحاق: وقد سمعت فى هذا الحديث أو غيره أنه قال - صلى الله
عليه وسلم: «مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَا يَظْمَأُ أَبَدًا» .

نزول: (وقالوا لولا نزل عليه ملك)

قال ابن إسحاق: ودعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قومه إلى الإسلام،
وكلمهم، فأبلغ إليهم، فقال له زمعة بن الأسود، والنضر بن الحارث،
والأسود بن عبد يغوث، وأبي بن خلف، والعاص بن وائل: لو جعل معك
يا محمد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك أفانزل الله تعالى فى ذلك من
قولهم: (وقالوا لولا أنزل عليه ملك، ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر
مهم لا ينظرون، ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا، وللبسنا عليهم
ما يلبسون) الأنعام: ٨، ٩ .

نزول: (ولقد استهزى برسول من قبلك)

قال ابن إسحاق: ومرو رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - بالوليد بن المغيرة، وأممية بن خلف، وبأبي جهل بن هشام، فغمزوه وهمزوه، واستهزوا به، فغاظه ذلك: فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من أمرهم: (وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرَسُولٍ مِنْ قَبْلِكَ، فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) الأنبياء: ٤١.

ذكر الإسراء والمعراج

قال ابن هشام: حدثنا يزيد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبلي قال: ثم أسرى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس من إيلياء، وقد فشا الإسلام بمكة في قريش، وفي القبائل كلها.

قال ابن إسحاق: كان من الحديث فيما بلغني عن مسراة - صلى الله عليه وسلم - عن عبد الله بن مسعود، وأبي سعيد الخدري، وعائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - ومعاوية بن أبي سفيان، والحسن بن أبي الحسن البصري، وابن شهاب الزهري، وقتادة وغيرهم من أهل العلم، وأم هاني بنت أبي طالب، ما اجتمع في هذا الحديث، كل ما يحدث عنه بعض ما ذكر من أمره حين أسرى به - صلى الله عليه وسلم - وكان في مسراة، وما ذكر عنه بلاء وتمحيص، وأمر من أمر الله في قدرته وسلطانه، فيه عبرة لأولى الألباب،

.....

وهُدَى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق ، وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين ، فأسزى به كيف شاء ، ليريه من آياته ما أراد ، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانة العظيم ، وقُدْرته التي يصنع بها ما يريد .

رأوية ابن مسعود

فكان عبدُ الله بن مسعود - فيما بلغنى - عنه - يقول :

أتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالبُرّاق - وهي الدابة التي كانت تُحْمَل عليها الأنبياء قبله ، تضع حافرَها في منتهى طرفها - فحُمِل عليها ، ثم خرج به صاحبُه ، يرى الآيات فيما بين السماء والأرض ، حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيمَ الخليلَ وموسى وعيسى في نَقَر من الأنبياء قد جُمعوا له ، فصلّى بهم . ثم أتى بثلاثة آنية ، إناء فيه لبن ، وإناء فيه خمر ، وإناء فيه ماء قال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فسمعتُ قائلاً يقول حين عُرِضت علىّ : إن أخذ الماء ، غرق وغرقت أمتُه ، وإن أخذ الخمرَ غوى ، وغوت أمتُه ، وإن أخذ اللبن هُدَى ، وهُديت أمتُه . قال : فأخذتُ إناء اللبن ، فشربتُ منه ، فقال لي جبريل عليه السلام : هُديتَ وهُديت أمتك يا محمد .

حديث الحسن

قال ابن إسحاق : وحُدثت عن الحسن أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا أنا نائم في الحِجْر ، إذ جاءني جبريلُ ، فمَهزني بقدمه ، فجلست فلم أَر شيئاً ، فعُدت إلى مَضْجعي ، فجاءني الثانية فمَهزني بقدمه ،

فجلستُ فلم أرَ شيئاً ، فعدتُ إلى مَضْجعي ، فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه ، فجلستُ ، فأخذ بعضدي ، فقامت معه نخرج إلى باب المسجد ، فإذا دابةٌ أبيضُ ، بين البغل - والحمار - في فَخْدَيْهِ جَمَاحانِ يُحْمَزُ بهما رجلَيْهِ ، يضع يده في مُنتهَي طرفه ، فحملني عليه ، ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته .

حديث قتادة

قال ابن إسحاق ، وحدثت عن قتادة أنه قال : حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لسا دنوتُ منه ؛ لأركبه شمس ، فوضع جبريلُ يده على معرفته ، ثم قال : ألا تستحي يا بُرّاقُ مما تصنع ، فوالله ما ركبتُ عبدَ الله قبل محمدٍ أكرمُ على الله منه . قال : فاستحيا حتى ارتفضَّ عرقاً ، ثم قرأ حتى ركبته .

من حديث الحسن

قال الحسنُ في حديثه : فضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ومضى جبريلُ عليه السلام معه ، حتى انتهى به إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيمَ وموسى وعيسى في نفرٍ من الأنبياء فأمرهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فصلّى بهم ، ثم أتى بإناءين ، في أحدهما : خمر ، وفي الآخر : لبن . قال : فأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إناءَ اللبن ، فشرب منه ، وترك إناءَ الخمر . قال : فقال : له جبريلُ : هُديتُ للفِطْرَةِ ، وهُديتُ أمتك يا محمد ، وحرمتُ عليكم الخمر ، ثم انصرف رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى مكة ، فلما

.....

أصبح غداً على قريش ، فأخبرهم الخبر . فقال أكثر الناس : هذا والله الإمرُّ
الْبَيْنُ ، والله إن العير لتُطرد شهراً من مكة إلى الشام مُدبرة ، وشهراً مقبلة .
أفيذهب ذلك محمدٌ في ليلة واحدة ، ويرجع إلى مكة ! قال : فارتد كثيرٌ ممن
كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبي بكر ، فقالوا له : هل لك يا أبا بكر في
صاحبك ، يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ، ورجع إلى
مكة . قال : فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ، فقالوا : بلى ، هاهو ذلك
في المسجد يحدث به الناس ، فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق ،
فما يُعجبكم من ذلك ؟ ! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض
في ساعةٍ من ليلٍ أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعدُ مما تعجبون منه ، ثم أقبل حتى
انتهى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا نبي الله . أحدثت
هؤلاء القوم أنك أتيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم ، قال : يا نبي الله ،
فصفه لي ، فإني قد جئتته - قال الحسن : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
فرُفع لي حتى نظرتُ إليه - فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصفه لأبي
بكر : ويقول أبو بكر : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، كما وصف له منه شيئاً ،
قال : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، حتى انتهى ، قال رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - لأبي بكر : وأنت يا أبا بكر الصديق ، فيومئذ سماه الصديق .

قال الحسن : وأنزل الله تعالى فيمن ارتد عن إسلامه لذلك : (وَمَا جَعَلْنَا
الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ، وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ، وَنُحْوِهُمْ فِيمَنْ
فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) الإسراء : ٦٠ .

فهذا حديث الحسن عن مَسْرِي رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . وما دخل فيه من حديث قتادة .

الإسراء رؤيا

قال ابن إسحاق : وحدثني بعضُ آل أبي بكر : أن عائشة زوجَ النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقول : ما فُقدَ جَسَدُ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن الله أسرى بروحه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عُتْمَةَ بن المُغِيرَةَ بن الأَخْنَس : أن معاوية بن أبي سفيان ، كان إذا سُئِلَ عن مَسْرِي رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - قال : كانت رؤيا من الله تعالى صادقة .

فلم يُنْكَرْ ذلك من قولها ، لقول الحسن : إن هذه الآية نزلت في ذلك ، قول الله تبارك وتعالى : (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) الإسراء : ٦٠ . ولقول الله تعالى في الخبر عن إبراهيم عليه السلام إذ قال لابنه : (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) الصافات : ١٠٢ . ثم مضى على ذلك . فعرفت أن الوحي من الله يأتي الأنبياء أيقاظا ونياما .

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - يقول : تنام عيناى ، وقلبي يقظان . والله أعلم أى ذلك كان قد جاءه ، وعابن فيه ما عابن ، من أمر الله ، على أى حاله كان : نائما ، أو يقظان ، كل ذلك حقٌ وصدق .

الصفات التي وصف بها النبي بعض الرسل

قال ابن إسحاق: وزعم الزهري عن سعيد بن المسيب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصف لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى حين رآهم في تلك الليلة، فقال: أما إبراهيم، فلم أر رجلاً أشبه بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه به منه، وأما موسى فرجل آدم طويل ضرب جعد أفتى كأنه من رجال شنوءة، وأما عيسى بن مريم، فرجل أحمر، بين القصير والطويل، سبط الشعر، كثير خيلان الوجه، كأنه خرج من ديماس، تحال رأسه يقطر ماء، وليس به ماء، أشبه رجالكم به عروة بن مسعود الثقفي

قال ابن هشام وكانت صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر عمر مولى غفرة عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب، قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام، إذا نعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: لم يكن بالطويل الممّط، ولا القصير المتردد، وكان ربة من القوم، ولم يكن بالجعد القَطَطِ ولا السَّبَطِ، كان جعداً رجلاً، ولم يكن بالمطهم ولا المكلّم وكان أبيض مشرباً، أذعج العينين، أهدب الأشفار، جليل المشاش الكتد، دقيق المشربة أجرد، شثن الكفّين والقدمين، إذا مشى تقلّع، كأنما يمشي في صَبَب، وإذا التفت التفت معاً، بين كتفيه خاتم النبوة، وهو صلى الله وسلم خاتم النبیین، أجودُ الناس كفاً، وأجراً الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذمّة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة،

.....

من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه أحبه ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده
مثله ، صلى الله عليه وسلم

حديث أم هانئ عن الإسراء

قال محمد بن إسحاق : وكان - فيما باغني - عن أم هانئ بنت أبي طالب
رضي الله عنها + واسمها : هند - في مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
أنها كانت تقول : ما أمرى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا وهو في بيتي ،
نائم عندي تلك الليلة في بيتي ، فصلّى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان
قبيل الفجر أهيننا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما صلى الصبح ، وصلينا
معه ، قال : يا أم هانئ ، لقد صلّيتُ معكم العشاء الآخرة كما رأيت - بهذا الوادي ،
ثم جئتُ بيت المقدس فصليتُ فيه ، ثم قد صلّيتُ صلاة الغداة معكم الآن كاترين ،
ثم قام ليخرج ، فأخذتُ بطرف رداءه ، فتكشّف عن بطنه كأنه قُبْطِيَّة
مَطْوِيَّة ، فقلتُ له : يا نبي الله ، لا تحدّث بهذا الناس ، فيكذبوك ويؤذوك ،
قال : والله لأحدثنهموه . قالت : فقلتُ لجارية لي حبشيّة : ويحك اتبعي
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى تسمعي ما يقول للناس ، وما يقولون له .
فلما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الناس أخبرهم ، فعجبوا وقالوا :
ما آية ذلك يا محمد ؟ فإننا لم نسمع بمثل هذا قط ، قال : آية ذلك أني مررتُ
بعير بني فلان بوادي كذا وكذا ، فأنقرهم حسّ الدابة ، فندّ لهمم بعير ،
قد لثتم عليه ، وأنا موجه إلى الشام . ثم أقبلتُ حتى إذا كنتُ بضجّجان
مررتُ بعير بني فلان ، فوجدتُ القوم نياما ، ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه

بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ، ثم غطيت عليه كما كان ، وآية ذلك أن غيرهم الآن تصوب من البيضاء ، فنيية التخمير يقدمها جمل أورق ، عليه غرارتان ، إحداهما سوداء ، والأخرى برقاء . قالت : فابتدر القوم الثنية ، فلم يلقهم أول من الجمل كما وصف لهم ، وسألوه عن الإناء ، فأخبروهم أنهم وصّوه مملوءاً ماء ثم غطّوه ، وأنهم هبوا فوجدوه منغطى كما غطّوه ، ولم يجدوا فيه ماء . وسألوا الآخرين وهم بمكة ، فقالوا : صدق والله ، لقد أنقرنا في الوادي الذي ذكره ، وندلنا بعير ، فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه ، حتى أخذناه .

الأبتر والكوتر :

فصل : وذكر قول العاصي بن وائل : إن محمداً أبترٌ إذ مات انقطع ذكره ، وأنزل الله تعالى فيه قوله من سورة الكوتر على قول ابن إسحاق ، وأكثر المفسرين . وقيل : إن أبا جهل هو الذي قال ذلك . وقد قيل : كعب ابن الأشرف ، ويلزم على هذا القول الأخير أن تكون سورة الكوتر مدنية ، وقد روى يونس عن أبي عبد الله الجعفي عن جابر الجعفي عن محمد بن علي ، قال : كان القاسم ابن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد بلغ أن يركب الدابة ، ويسير على النجيبية ، فلما قبضه الله ، قال العاصي : أصبح محمد أبتر من ابنه ، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم : « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْتَرَ » . عَوْضاً يَا مُحَمَّدٌ مِنْ مَصِيبَتِكَ بِالْقَاسِمِ : « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنْ شِئْنَا نَكُنَّ هُوَ الْأَبْتَرُ » ولم يقل : إن شئتُك أبتر^(١) يتضمن اختصاصه بهذا الوصف ، لأن هو في مثل هذا

(١) في الكلام نقص لعله : فقوله : هو الأبتر .

الموضع تعطى الاختصاص ، مثل أن يقول قائل : إن زيدا فاسق ، فلا يكون مخصوصا بهذا الوصف دون غيره ، فإذا قلت : إن زيدا هو الفاسق ، فمعناه : هو الفاسق الذى زعمت ^(١) ، فدل على أن بالخضرة من يزعم غير ذلك ، وهكذا قال الجرجاني وغيره فى تفسير هذه الآية أن هو تعطى الاختصاص ، وكذلك قولوا فى قوله سبحانه : (وأنه هو أغنى وأقنى) ، لما كان العبارة ^(٢) يتوهمون أن غير الله قد يعنى ، قال : هو أغنى وأقنى ، أى : لاغيره ، وكذلك قوله تعالى : « وأنه هو أمات وأحيا » إذ كانوا قد يتوهمون فى الإحياء والإماتة ماتوهم النمرود حين قال : أنا أخى وأميت ، أى : أنا أقتل من شئت ، وأستحيى من شئت ، فقال عز وجل : وأنه هو أمات وأحيا أى : لاغيره ، وكذلك قوله تعالى : (وأنه هو ربُّ الشعرى) ^(٣) أى : هو الربُّ لاغيره ، إذ كانوا قد اتخذوا أربابا من دونه ، منها : الشعرى ، فلما قال : وأنه خلق الزوجين ، وأنه أهلك عاداً استغنى الكلام عن هو التى تعطى معنى الاختصاص ، لأنه فعلٌ لم يدعه أحدٌ ، وإذا ثبت هذا ، فكذلك قوله : إن شاتك هو الأبتى أى : لا أنت . والأبتى : الذى لا عقب له يتبمه ، فعدمه كالأبتى الذى هو عديم

(١) فى الأصل : التى .

(٢) التعبير الدقيق : بعض العبارة .

(٣) هذه الآيات من سورة النجم وترتيبها : (وأنه هو أمات وأحيا . وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة إذا تمنى ، وأن عليه النشأة الأخرى . وأنه هو أغنى وأقنى ، وأنه هو رب الشعرى) النجم ٤٤ - ٤٩ . وأقنى : أعطى المال المتخذ قنية . والشعرى : كوكب خلف الجوزاء أشد ضياء من الغميصاء وفى القاموس : الشعرى : العبور ، والشعرى : الغميصاء اختا سهيل .

الذنب، فإذا ما قلت هذا، ونظرت إلى العاصي، وكان ذا ولد وعقب، وولده عمر و
وهشام ابنا العاصي بن وائل، فكيف يثبت له البتر، واقطاع الولد، وهو ذو ولد
ونسئل، ونفقيه عن نبيه، وهو يقول: «ما كان مُحَمَّدُ أباً أحدي من رجالكم»
الأحزاب الآية: ٤٠. فالجواب: أن العاصي - وإن كان ذا ولد - فقد انقطعت العصمة
بينه وبينهم، فليسوا بأتباع له، لأن الإسلام قد حجزهم عنه، فلا يرثهم ولا يرثونه،
وهم من أتباع محمد عليه السلام، وأزواجه أمهاتهم، وهو أب لهم، كما قرأ: أبي
ابن كعب: «وأزواجه أمهاتهم، وهو أب لهم^(١)»، والنبي أولى بهم» كما قال الله
سبحانه، فهم وجميع المؤمنين أتباع النبي في الدنيا، وأتباعه في الآخرة إلى
حوضه، وهذا معنى الكوثر، وهو موجود في الدنيا لكثرة أتباعه فيها، ليغذى

(١) لا يتصور مسلم أن قوله: وهو أب لهم، آية من القرآن، لأنها ليست
في المصحف. وما ليس في المصحف فلا يعده مسلم قرآناً أبداً كان راويه. والحديث
الذي رواه البخاري حول الآية: ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا
والآخرة. اقرءوا إن شئتم: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فأبما مؤمن ترك
حالاً فليرثه عصبته من كانوا، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتي، فأنا مولاه، ولم
ترد تلك القراءة عن طريق صحيح، والعجيب أن تسند هذه القراءة إلى أبي بن كعب
وابن عباس، وأنها تروى عن معاوية ومجاهد وعكرمة والحسن! تدبر هذه
الاسماء المشوذة وراءه وهو أب لهم، والله يقول: (ما كان محمد أباً أحدي من
رجالكم) ففي القراءة مخالفة صريحة للآية المحسنة، ثم هي توحى كغيرها من
القراءات المفتراة بأن المصحف الذي بأيدينا ينقص بعض آيات أنزلها الله على محمد
صلى الله عليه وسلم. ومحاولة التأويل، أو الدفاع عن هذه القراءات محاولة يكيد
بها الشيطان، ويمكر ضد القرآن، ومساندة لرواة مجهولين دسوا، وكتب
يحاول بعض الناس أن يرفعوها فوق القرآن.

أرواحهم بما فيه حياتهم من العلم ، وكثرة أتباعه في الآخرة ليستقيمهم من حَوْضِهِ
مافيه الحياة الباقية ، وعدوُّ الله العاصي على هذا هو الأَبتر على الحقيقة ،
إذ قد انقطع ذَنبُهُ وأتباعه ، وصاروا تبعاً لمحمد - صلى الله عليه وسلم - ولذلك
قوبل تَعْيِيرُهُ للنبي - صلى الله عليه وسلم - بِالْبَتْرِ بما هو ضده من الكَوَثْرِ ؛
فإن الكثرة تضاد معنى القِلَّةِ ، ولو قال في جواب اللعين : إنا أعطيناك الحَوْضَ
الذي من صِفته كذا وكذا لم يكن رداً عليه ، ولا مُشاكلاً لجوابه ، ولكن
جاء باسم يتضمن الخير الكثير ؛ والعدد الجَمُّ الغفير المٌضادُّ للمعنى البَتْرُ ، وأن
ذلك في الدنيا والآخرة بسبب الحوض المورود الذي أعطاه ، فلا يختص لفظ
الكوثر بالحوض ، بل يجمع هذا المعنى كله ، ويشتمل عليه ، ولذلك كانت
أَنبِيَّتُهُ كعدد النُّجُوم^(١) ، ويقال : هذه الصفة في الدنيا : علماء الأمة من أصحابه
ومن بعدهم ، فقد قال : أصحابي كالنُّجُوم^(٢) ، وهم يَرَوُّون العلم عنه ، ويؤدونه

(١) في حديث متفق عليه : « حوضي مسيرة شهر ، وزواياها سواء ، ماؤه
أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منها
فلا يظمأ أبداً . » كما وردت مسألة الكيزان هذه في روايتين عند مسلم ، لإحداهما
عن أبي هريرة ، والآخرى عن أنس . ولكن لتذكر مع هذا حديثاً آخر : « قال
رسول الله « ص » : « إني فرطكم على الحوض ، من مر على شرب ، ومن شرب
لم يظمأ أبداً ، ليردن على أقوام أعرفهم ، ويعرفوني ، ثم يحال بيني وبينهم ، فأقول
لأنهم مني ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقاً سحقاً لمن غير
بعدي ، متفق عليه . »

(٢) في حديث رواه رزين : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، وقد قال عنه
المحدث الفاضل الشيخ محمد ناصر الالباني : « حديث باطل ، وإسناده واه جداً ،
ص ٢١٩ ج ٣ مشكاة المصابيح . »

إلى مَنْ بعدهم ، كما تَرَوِي الآنيَّةُ في الحوض ، وتسقى الواردةَ عليه : تقول :
رَوَيْتُ الماءَ، أى : استَقَيْتَهُ كما تقول : رَوَيْتُ العلمَ ، وكلاهما فيه حياة ، ومنه قيل
لمن روى علماً أو شعراً : راوية تشبيهاً بالمزادة أو الذَّابَّة التي يُحْمَل عليها الماء
وليس من باب علامة ونسابة ، وفي حديث أبي بَرزَةَ في صفة الحوض أنها
تَنزُو في أَكْفِ الْمُؤْمِنِينَ ، يعنى الآنيَّة ، وحَصْبَاءُ الحوض : اللؤلؤُ والياقوت^(١) ،
ويقال لهما في الدنيا الحُكْمُ المأثورةُ عنه ، ألا ترى أن اللؤلؤَ في علم التعبير حِكْمٌ
وفوائدٌ علم ، وفي صفة الحوض له المسك ، أى : حَمَاتُهُ^(٢) ويقابله في الدنيا : طيبُ
الثناء على العلماء ، وأتباع النبي الأتقياء ، كما أن المسك ، في : علم التعبير ثناءً حَسَنٌ ،
وعلم التعبير من علم النَّبُوَّةِ مُقْتَبَسٌ . وذكر في صفة الحوض الطيرُ التي ترده
كأعناق البُخْتِ^(٣) ، ويقابله من صفة العلم في الدنيا ورودُ الطالبين من كل
صُقْعٍ^(٤) وقَطْرٍ على حضرة العلم وانتياهم إياها في زمن النبي - صلى الله عليه
وسلم - وبعده ، فتأمل صفة الكوثر معقولة في الدنيا ، مَحْسُوسَةٌ في الآخرة مُدْرَكَةٌ

(١) في حديث رواه الفسافي : حصابؤه اللؤلؤ والياقوت

(٢) كذبا بالأصل ، والحمة : الطين الأسود ، وفي حديث رواه البخاري عن
الكوثر : « فإذا طينه مسك أذفر » .

وفي حديث رواه أحمد : « وضربت بيدي في ترابه ، فإذا مسك أذفر » ، وفي
حديث آخر : « وضرب بيده إلى أرضه ، فأخرج من طينه المسك » .

(٣) البخت : نوع من الإبل طويلة الأعناق ، وقد ذكرت في حديث رواه
الترمذي ، وصححه الحاكم ، وفيه : « أو أعناق الجزر ، جمع جزور : البعير .

(٤) ناحية .

بِأَعْيَانٍ - هُنَالِكَ بَيْنَ لَكَ إِعْجَازُ التَّنْزِيلِ وَمِطَابَقَةُ السُّورَةِ - لِسَبَبٍ - نَزُولِهَا ،
 وَلِذَلِكَ قَالَ فَضَيْلٌ : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر) أَيْ : تَوَاضَعْ لِمَنْ أَعْطَاكَ الْكَوْثَرَ
 بِالصَّلَاةِ لَهُ ، فَإِنَّ السُّكْرَةَ فِي الدُّنْيَا تَقْتَضِي فِي أَكْثَرِ الْخَلْقِ الْكِبَرَ : وَتَحْدُو
 إِلَى الْفَخْرِ وَالْخَيْرِيَّةِ ، فَلِذَلِكَ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَائِطاً رَأْسَهُ عَامَ الْفَتْحِ حِينَ رَأَى
 كَثْرَةَ أَتْبَاعِهِ ، وَهُوَ عَلَى الرَّاحِلَةِ حَتَّى أَلْصَقَ عُثْمُونَهُ (١) بِالرَّحْلِ امْتِثَالاً لِأَمْرِ
 رَبِّهِ ، وَكَذَلِكَ أَمَرَهُ بِالنَّحْرِ شُكْرًا لَهُ ، وَرَفَعَ الْيَدَيْنِ إِلَى النَّحْرِ (٢) فِي الصَّلَاةِ عِنْدَ
 اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ الَّتِي عِنْدَهَا يَنْحَرُ ، وَإِلَيْهَا يَهْدِي مَعْنَاهُ : الْجَمْعُ بَيْنَ الْفِعْلَيْنِ . النَّحْرِ
 الْمَأْمُورُ بِهِ يَوْمَ الْأَضْحَى ، وَالْإِشَارَةُ إِلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ بِرَفْعِ الْيَدَيْنِ إِلَى النَّحْرِ ، كَمَا أَنَّ
 الْقِبْلَةَ نَحْجُوجَةٌ مُصَلَّى إِلَيْهَا ، فَكَذَلِكَ يَنْحَرُ عِنْدَهَا ، وَيُشَارُ إِلَى النَّحْرِ عِنْدَ
 اسْتِقْبَالِهَا ، وَإِلَى هَذَا التَّفَتَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالَ : مَنْ صَلَّى صَلَاتِنَا ، وَاسْتَقْبَلَ
 قِبْلَتِنَا ، وَنَسَكَ نُسُكَنَا فَهُوَ مُسْلِمٌ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : « قُلْ : إِنْ صَلَّاتِي وَنُسُكِي
 وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِأَشْرِكُ بِهِ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ]
 الْأَنْعَامُ ١٦٢ ، ١٦٣ فَتَقَرَّنَ بَيْنَ الصَّلَاةِ إِلَى السُّكْرَةِ ، وَالذُّسُكِ إِلَيْهَا ، كَمَا تَقَرَّنَ بَيْنَهُمَا
 حِينَ قَالَ : « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر » وَذَكَرَ فِي صِفَةِ الْحَوْضِ : كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ
 وَأَيْلَةَ (٣) وَقَدْ جَاءَ فِيهِ أَيْضًا فِي الصَّحِيحِ « كَمَا بَيْنَ جَرَبَاءَ وَأَذْرُحَ (٤) » وَبَيْنَهُمَا

(١) العثنون : ما نبت على الذقة وتحتة سفلا .

(٢) النحر : أعلى الصدر .

(٣) من حديث رواه الطبراني وابن حبان . وأيلة : مدينه على ساحل بحر

القلزم ما يلي الشام . وأيلة : موضع برضوى .

(٤) جرباء - وفي الأصل : حرباء موضع من أعمال عمان بالبلقاء من

أرض الشام . وهما واردتان في حديث متفق عليه . وجرباء تقصر وتمد ، والقصر

أولى .

مسافة بعيدة ، وفي الصحيح أيضاً في صفته : كما بين عدن أبين إلى عمان ، وقد تقدم ذكر أبين ، وأنه ابن زهير بن أيعن بن خير ، وأن عدن سميت برجل من خير عدن بها ، أمي : أقام ، وتقدم أيضاً ما قاله الطبري أن عدن وأبين هما ابنا عدنان أخوا معد ، وأما عمان بتشديد الميم وفتح العين ، فهي بالشام قرب دمشق ، سميت بعمان بن لوط بن هاران ، كان سكنها - فيما ذكروا - وأما عمان بضم العين وتخفيف الميم ، فهو باليمن سميت بعمان بن سنان ، وهو من ولد إبراهيم - فيما ذكروا - وفيه نظر ؛ إذ لا يعرف في ولد إبراهيم لصلبه من اسمه سنان . وفي صفة الحوض أيضاً كما بين الكوفة ومكة ، وكما بين بيت المقدس والكعبة ، وهذه كلها روايات متقاربة المعاني ، وإن كانت المسافات بعضها أبعد من بعض ، فكذلك الحوض أيضاً له طول وعرض وزوايا وأركان ، فيكون اختلاف هذه المسافات التي في الحديث على حسب ذلك جعلنا الله من الواردين عليه ، ولا أظننا أ كبادنا في الآخرة إليه . ومما جاء في معنى الكوثر مارواه ابن أبي نعيم عن عائشة - قالت : الكوثر نهر في الجنة ، لا يدخل أحد إصبعيه في أذنيه إلا سمع خريز ذلك النهر ، وقع هذا الحديث في السيرة من رواية يونس ، وراوه الدارقطني من طريق مالك بن مغول عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « إن الله أعطاني نهرًا يقال له الكوثر لا يشاء أحد من أمتي أن يسمع خريز ذلك الكوثر إلا سمعه ، قلت : يارسول الله وكيف ذلك ؟ قال : أدخلني أصبعيك في أذنيك وشدي ، فالذي تسمعين فيهما من خريز الكوثر ^(١) » وروى

(١) حديث ابن أبي نعيم منقطع ، وحديث الدارقطني مرفوع .

الدارُ قُطْنِيٌّ من طريق جابر بن عبد الله أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لعلي : « والذي نفسى بيده إنك لذائدٌ عن حَوْضِي يومَ القيامة تزدود عنه كغفَارِ الأُممِ ، كما تزداد الإبلُ الضالَّةُ عن الماءِ بعصامنِ عَوْسَجٍ ^(١) ، إلا أن هذا الحديثُ يرويه حَرَامٌ بنُ عُثْمَانَ عن ابْنِي جَابِرٍ ، وقد سُئِلَ مالكُ عنه ، فقال : ليس بثقة ، وأغلظَ فيه الشافعيُّ القولَ ، وأما قوله - عليه السلام - : وَمِنْ بَرِيٍّ عَلَى حَوْضِي ، فقد قيل في معناه أقوالٌ ، ويفسره عندي الحديثُ الآخرُ ، وهو قوله عليه السلام ، وهو عَلَى المنبرِ : « إني لأُنظرُ إلى حَوْضِي الآن ^(٢) من مقامِي هذا » فتأملهُ .

استشهاد ابن هشام على معنى الكوثر :

وذكر ابن هشام في الاستشهاد على معنى الكوثر قول لبيد بن ربيعة :
وصاحبٌ مَلْحُوبٌ فُجِعْنَا بيومِهِ وعند الرِّدَاعِ بيتُ آخرِ كَوَثِرِ
وبالقورة الحُرَابِ ذُو الفَضْلِ عَامِرٌ فنعم ضياءَ الطارقِ المُمْتَنُورِ ^(٣)
يعنى عامر بن مالك مُلَاعِبَ الأَسِنَّةِ ، وهو عم لبيدٍ ، وسنذكر : لِمَ سُمِّيَ
مُلَاعِبَ الأَسِنَّةِ إذا جاء ذكرُهُ إن شاء الله تعالى . وصاحبٌ مَلْحُوبٌ : عوفُ

-
- (١) شجر من شجر الشوك له ثمر مدور ، كأنه خرز العقيق « المعجم الوسيط ،
(٢) عَجِيبٌ من السهيلي أن يعتد بمثل هذه الداهيات التي أنف أصحاب
الصحيح من ذكرها ١١
(٣) بيت الكميته الذي في السيرة في الاشتقاق واللسان ، وفيه : الخلائف
مكان : العقائل .

ابن الأَحْوَص ، وقد ذكره ابن هشام. والذي عند الرِّدَّاع : شَرِيحُ بن الأَحْوَص
في قوله ، وقال غيره : هو حَبَّان بن عُتْبَةَ بن مالك بن جَعْفَر بن كلاب .
والرِّادَع : من أرض اليمامة . ومَلْحُوب : مَفْعُولٌ من لَحَبْتُ العود ، إذا
قشرتة ، فكان هذا الموضع سُمِّي مَلْحُوبًا ، لأنه لا أكرم فيه ولا شَجَرَ .

ذكر حديث المستهزئين :

وذكر حديث المُسْتَهْزِئِينَ برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما أنزل
الله فيهم من قوله تعالى : « ولقد استهزئوا برسُلِّ من قبلك » الآية الأنبياء : ٤١ .
فقال فيها : استهزئوا برسُلِّ ثم قال : فخاف بالذين سخروا منهم ، ولم يقل :
استهزئوا ، ثم قال : ما كانوا به يستهزئون ولم يقل : يسخرون . ولا بد في حكمة
في هذا من جهة البلاغة وتنزيل الكلام منازلها ، فقوله : استهزئوا برسُلِّ ، أي :
أُسِّمُوا من الكلام الذي يُسَمَّى استهزاءً ما ساءهم تأنيسها ، ليتأسَّى بمن قبله
من الرسل ، وإنما سُمِّي استهزاءً إذا كان مسموعاً ، وهو من فعل الجاهلين :
قال الله تعالى : « أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءاً قال : أعوذ بالله أن أكونَ من الجاهلين »
البقرة : ٦٧ . وأما السُّخْرُ والسُّخْرَى ، فقد يكون في النفس غير مسموع ،
ولذلك تقول : سَخِرْتُ منه ، كما تقول : عَجِبْتُ منه إلا أن العجب لا يختص
بالمعنى المذموم ، كما يختص السُّخْرُ ، وفي التنزيل خبراً عن نوح : « إِنْ تَسَخَّرُوا
مِنَّا ، فَإِنَّا نَسَخَّرُ مِنْكُمْ » ، كما تسخرون « هود : ٢٨ ولم يقل : نَسْتَهْزِئُ بِكُمْ
كما تستهزئون ؛ لأن الاستهزاء ليس من فعل الأنبياء ، إنما هو من فعل الجاهلين
كما قدمنا من قول موسى عليه السلام ، فالنبي يسخر : أي ، يعجب من كفر من

يَسْخَرُ بِهِ ، وَمَنْ سَخَّرَ عَقُولَهُمْ . فَإِنْ قُلْتَ : فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) ، قَالْنَا : الْعَرَبُ تُسَمَّى الْجَزَاءَ عَلَى الْفِعْلِ بِاسْمِ الْفِعْلِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) وَهُوَ مَجَازٌ حَسَنٌ ^(١) وَأَمَّا الْاسْتَهْزَاءُ الَّذِي كُنَّا بَصَدَدِهِ ، فَهُوَ الْمَسْمِيُّ اسْتَهْزَاءً حَقِيقَةً ، وَلَا يَرْضَى بِهِ إِلَّا جَهُولٌ . ثُمَّ قَالَ سَبْحَانَهُ : (فَحَاقَ بِالذِّينِ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أَيْ حَاقَ بِهِمْ مِنَ الْوَعِيدِ الْمُبْتَلَعِ لَهُمْ عَلَى أَلْسِنَةِ لِرَسُولٍ مَا كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ ، فَانزَلَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْهَا ، وَلَمْ يَحْسُنْ فِي حُكْمِ الْبَلَاغَةِ وَضَعُ وَاحِدَةٍ مَكَانَ الْأُخْرَى . وَذَكَرَ أَيْضًا قَوْلَهُ سَبْحَانَهُ : (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا) أَيْ : لَوْ جَعَلْنَا الرَّسُولَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ ، وَلَدَخَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّبْسِ فِيهِ مَا دَخَلَ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ وَقَوْلُهُ : لَكَبَسْنَا يَدِلُّ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ مِنْهُ سَبْحَانَهُ ، فَهُوَ يُعْمَى مِنْ شَاءَ عَنِ الْحَقِّ ، وَيَفْتَحُ بَصِيرَةً مِنْ شَاءَ ، وَقَوْلُهُ : مَا يَلْبَسُونَ ، مَعْنَاهُ : يَلْبَسُونَ عَلَى غَيْرِهِمْ ، لِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقُّ ، وَلَكِنْ جَعَدُوا بِهَا ، وَاسْتَدَيْقَتْنَاهَا أَنْفُسُهُمْ ، فَجَعَلُوا ، يَلْبَسُونَ أَيْ يَلْبَسُ ، بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيَلْبَسُونَ عَلَى أَهْلِيهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ ، أَيْ : يَخْلَطُونَ عَلَيْهِمْ بِالْبَاطِلِ ، تَقُولُ الْعَرَبُ : لَكَبَسْتُ هَلِيهِمْ

(١) سبق التعليق على مثل هذا . والنسيان هنا حقيقة لا مجاز ، لأن أصل النسيان — كما يقول ابن الأثير : الترك . ويقول ابن فارس في معجمه عن أصل المادة إنها أصلان : أحدهما يدل على إغفال الشيء ، والثاني : على ترك الشيء ، فيكون المعنى : تركوا الله فتركهم ، هذا لأن دعوى المجاز فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وأفعاله دعوى تجمع بين الحمافة والجرأة والقول على الله بغير علم . ولا سيما وأنه لم يرد عن خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم شيء من هذا .

الأمرَ أَلْبِسُهُ ، أى: سترته وخلطته ، ومن لبس الثيابِ : لبست ألبسُ ، لأنه في معنى كَسَيْتُ ، وفي مُقَابَلَةِ عَرَيْتُ ، فجاء على وزنه ، والآخرفى معنى : خَلَطْتُ أو سَتَرْتُ ، فجاء على وزنه .

شرح ما فى حديث الإسراء من المشكل

اتفقت الرواة على تسميته إسراءً ، ولم يُسمَّه أحدٌ منهم : سُرِّى ، وإن كان أهل اللغة قد قالوا : سَرِّى وأُسْرِى بمعنى واحد ، فدل على أن أهل اللغة لم يُحَقِّقُوا العبارة ، وذلك أن القراء لم يختلفوا فى التلاوة من قوله : (سُبْحَانَ الذى أُسْرِى بِعَبْدِهِ) ولم يقل : سَرِّى ، وقال : والليل إذا يسر ، ولم يقل : يُسْرِى ، فدل على أن السَّرِّى من سَرَيْت إذا سرت ليلا ، وهى مؤنثة^(١) تقول: طالت سُرَّكَ الليلة ، والإسراء مُتَعَدِّ فى المعنى ، ولكن حذف مفعوله كثيراً حتى ظن أهل اللغة أنهما بمعنى واحد ، لساوأوهما غير متعديين إلى مفعول فى اللفظ ، وإنما أُسْرِى بعبده ، أى : جعل البراق يسرِّى ، كما تقول : أمضيتُه ، أى : جعلته يَمْضِى ، لكن كثر حذف المفعول لقوة الدلالة عليه ، أو للاستغناء عن ذكره ، إذ المقصود بالخبر ذكر محمد ، لا ذكر الدابة التى سارت به ، وجاز فى قصة لوط عليه السلام . أن يقال له : فأسرِّ بأهلك : أى فاسر بهم ، وإن يقرأ فأسرِّ بأهلك بالقطع ، أى : فأسرِّ بهم ما يتحتمون عليه من دابة أو نحوها ، ولم يتصور ذلك فى السَّرِّى بالنبي صلى الله عليه وسلم ، إذ لا يجوز أن يقال سَرِّى بعبده بوجه

(١) فى اللسان أنها تذكر وتؤنث .

من الوجوه ؛ فلذلك لم تأت التلاوة إلا بوجه واحد في هذه القصة فتدبره .
وكذلك تسامح النحويون أيضا في الباء والهمزة ، وجملوهما بمعنى واحد
في حكم التعدية ، ولو كان ما قالوه أصلا لجاز في : أمرضته أن تقول : مرّضت به ،
وفي أسقمته : أن تقول : سقمتُ به ، وفي أعميته أن تقول : عميتُ به قياسا
على : أذهبته وأذهبتُ به ، وبأبي الله ذلك والعالمون ؛ فإنما الباء تعطى مع التعدية
طرّفا من المشاركة في الفعل ، ولا تعطيه الهمزة ، فإذا قلت : أقعدته ، فمعناه :
جعلته يقعد ، ولاكنك شاركته في القعود ، فجذبته بيدك إلى الأرض ، أو نحو
ذلك ، فلا بد من طرّفٍ من المشاركة إذا قعدت به ، ودخلت به ، وزهبت به
بخلاف أدخلته وأذهبتَه .

فإن قلت : فقد قال الله سبحانه ذهب الله بنورهم ، وذهب بسمعهم وأبصارهم
ويتعالى - سبحانه - عن أن يوصف بالذهاب ، و يضاف إليه طرف منه ،
وإنما معناه : أذهب نورهم وسمعهم . قلنا : في الجواب عن هذا : أن النور
والسمع والبصر كان بيده سبحانه ، وقد قال : بيده الخير ، وهذا من الخير
الذي بيده ، وإذا كان بيده ، فجاز أن يقال ذهبَ به على المعنى الذي يقتضيه
قوله سبحانه بيده الخيرُ كأننا ما كان ذلك المعنى ، فعليه ينبنى ذلك المعنى
الآخر الذي في قوله : ذهب الله بنورهم مجازاً كان أو حقيقةً ، ألا ترى أنه
لما ذكر الرّجسَ كيف قال : « لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرّجسَ » الأحزاب : ٣٣ .
ولم يقل يذْهِبُ به ، وكذلك قال : « وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرّجسَ الشَّيْطَانُ »
الأنفال : ١١ تعليما لعباده حسن الأدب معه ، حتى لا يضاف إلى القدوس
سبحانه - لفظاً ومعنى شيء من الأرجاس ، وإن كانت خاتماً له ومثلاً كما

فلا يقال : هي بيده على الخصوص ، تحسينا للمباراة وتنزيها له ، وفي مثل النور والسمع والبصر يحسن أن يقال : هي بيده ، فحسن على هذا أن يقال : ذهبَ به ، وأما أسرى بعبده ، فإن دخول الباء فيه ليس من هذا القبيل ، فإنه فعل يتعدى إلى منعول ، وذلك المفعول المشرى هو الذى سرى بالعبد فشادكه بالأسرى ، كما قدمنا فى قعدتُ به أنه يُعطى المشاركة فى الفعل ، أو فى طرفٍ منه ، فتأمله ^(١) .

(١) علق ابن القيم على قوله سبحانه : وأسرى بعبده ، فقال : د فى قوله تعالى : (أسرى بعبده) دون بعث بعبده ، وأرسل به ما يفيد مصاحبة له فى مسراه فبن الباء هنا للمصاحبة كفى فى قوله : هاجر بأهله ، وسافر بفلامه ، وليست للتعدية فإن أسرى بتعدى بنفسه ، يقال : سرى به ، وأسراه ، وهذا لأن ذلك السرى كان أعظم أسفاره - صلى الله عليه وسلم - والسفر يعتمد الصاحب ، ولهذا كان - صلى الله عليه وسلم - إذا سافر يقول : ا مهم أنت الصاحب فى السفر . فإن قيل : فهذا المعنى يفهم من الفعل الثلاثى لو قيل : سرى بعبده ، فإفادة الجمع بين الهمزة والياء ، ففيه أجوبة ، ثم رفض ما أجاب به غيره ثم قال : والجواب الصحيح أن الثلاثى المتعدى بالباء يفهم منه شيان أحدهما : صدور الفعل من فاعله : الثانى : مصاحبته لما دخلت عليه الباء . فإذا قلت : سرت بزيد ، وسافرت به كنت قد وجد منك السرى والسفر مصاحبا لزيد فيه . وأما المتعدى بالهمزة ، فيقتضى إيقاع الفعل بالمفعول فقط ، كقوله تعالى : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم ، . ونظائره إذا قرن هذا المتعدى بالهمزة بالياء أفاد إيقاع الفعل على المفعول مع المصاحبة المفهومة من الباء ، ولو أتى فيه بالثلاثى فهم منه معنى المشاركة فى مصدره ، وهو : تنوع فتأمله ، ص ٢٠٣ - ٣ بدائع الفوائد .

أكله الإسراء يقظة أم مناما :

فصل : وتقدم بين يدي الكلام في هذا الباب : هل كان الإسراء في يقظة
بجسده ، أو كان في نومه بروحه ، كما قال سبحانه : « اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ
مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي نَوْمِهَا » الزمر : ٤٣ وقد ذكر ابن إسحاق عن
عائشة ومعاوية أنها كانت رؤيا حق ، وأن عائشة قالت : لم تفقد بدنه ، وإنما
عرج بروحه تلك الليلة ، ويحتج قائل هذا القول بقوله سبحانه : « وما جَعَلْنَا
الرُّؤْيَا الَّتِي أُرِيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ » الإسراء ٦٠ . ولم يقل : الرؤيا ، وإنما
يُسَمَّى رؤيا ما كان في النوم في عرف اللغة ، ويحتجون أيضاً بحديث البخاري
عن أنس بن مالك قال : ليلة أُسْرِي برسول الله - صلى الله عليه وسلم - من
مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه ، وهو نائم في المسجد
الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسطهم : هو هذا ، وهو خيرهم ،
فقال آخرهم : خذوا خيرهم فكان تلك الليلة ، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى ،
فما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء عليهم السلام تنام
أعينهم ، ولا تنام قلوبهم ، فلم يكلموه ، حتى احتلموه فوضعه عند بئر زمزم ،
فتولاه منهم جبريل . الحديث بطوله ، وقال في آخره : واستيقظ . وهو في المسجد
الحرام ، وهذا نص لا إشكال فيه أنها كانت رؤيا صادقة ، وقال أصحاب القول
الثاني : قد تكون الرؤيا بمعنى الرؤية في اليقظة ، وأنشدوا للراعي يصف
صائدا :

وكَبَّرَ للرُّؤْيَا ، وَهَشَّ فؤَادُهُ ، وَبَشَّرَ قَلْبًا كَانَ جَمًّا بِلَابِلُهُ (١)

قالوا : وفي الآية بيان أنها كانت في اليقظة ، لأنه قال : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » ولو كانت رؤيا نوم ما افتتن بها الناس حتى ارتد كثير من أسلم ، وقال الكفار : يزعم محمد أنه أتى بيت المقدس ، ورجع إلى مكة ليلته ، والعبير تطرد إليها شهراً مُقْبِلَةً وشهراً مُدْبِرَةً ، ولو كانت رؤيا نوم ، لم يستبعد أحدٌ منهم هذا ، فمعلوم أن النائم قد يرى نفسه في السماء ، وفي المشرق والمغرب ، فلا يستبعد منه ذلك واحتج هؤلاء أيضاً بشربه الماء من الإناء الذي كان مغطى عند القوم ، ووجدوه حين أصبح لا ماء فيه ، وبإرشاده للذين ندبوا بعبيرهم حين أنقرهم حس الدابة ، وهو البراق حتى دهم عليه ، فأخبر أهل مكة بأمره ذلك ، حتى ذكر الفرار بين السوداء والبرقاء (٢) كافي هذا الكتاب ، وفي رواية يونس : أنه وعد قريشا بقدم العير التي أرشدهم إلى البعير ، وشرب إناءهم ، وأنهم سيقدمون ويخبرون بذلك ،

(١) البلابل : شدة الهم والوسواس في الصدر . والراعي هو : عبيد بن حصين ابن معاوية من بني نعيم ، يكنى أبا جندل أو أبانوح شاعر إسلامي ، وهم أهل بيت سوسودد . وسمى الراعي لقوله :

ضعيف العصابادي العروق تخاله عليها إذا ما أحمل الناس لإصبا
حذا لابل إن تتبسع الريح مرة يدعها ويخف الصوت حتى تربعا
لها أمرها حتى إذا ما تبسوات لاخفاها مرعى تبوأ مضجعا

(٢) اجتمع فيها سواد وبياض . وفي الرواية أنها بيضاء

مقالوا : يا محمد متى يقدمون ؟ فقال : يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم ، ولم يقدموا ، حتى كَرَبَتِ الشمسُ أن تَغْرُبَ ، فدعا الله فحبس الشمس حتى قَدِمُوا كما وصف ، قلل : ولم يحبس الشمس إلا له ذلك اليوم ، ولْيُوشَعَ بن نُونٍ ^(١) ولهذا كله لا يكون إلا يَقْظَةً ، وذهبت طائفة ثالثة ، منهم : شيخنا القاضي أبو بكر [ابن العربي] رحمة الله إلى تصديق المقاتلين ، وتصحيح الحديثين ، وأن الإسراء كان مرتين ، إحداهما : كان في نومه وتوطئة له وتيسيراً عليه ، كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ، ليسهل عليه أمر النبوة فإنه عظيم تضعف عنه القوى البشرية ، وكذلك الإسراء سهله عليه بالرؤيا ؛ لأن هو له عظيم ، نجاءه في اليقظة على تَوَاطُؤَةٍ وَتَقْدِيمَةٍ ، رفقاً من الله بعبده وتسهيلاً عليه ، ورأيت المهلب في شرح البخاري قد حكى هذا القول عن طائفة من العلماء ، وأنها قالوا : كان الإسراء مرتين : مرة في نومه ، ومرة في يقظته بيدنه صلى الله عليه وسلم .

(١) هو فتى موسى - كما يقال - وبنو بني إسرائيل بعده ، واسمه عند الكتابيين : يشوع ، وسقره يقع بعد سفر التثنية من العهد القديم ، وهم يروون أن يوشع حاصر أريحا ، فلما غربت الشمس ، أو كادت تغرب ، ويدخل عليهم السبت الذي جعل عليهم ، وشرع لهم قال لها : إنك مأمورة ، وأنا مأمور اللهم احبسها علي ، فحبسها الله حتى تمكن من فتح البلد ، وزادوا فقالوا : وأمر القمر ، فوقف عن الطلوع .

ثم يروى ابن كثير حديثاً عن الإمام أحمد : « إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس ، فكيف إذن حبست للنبي صلى الله عليه وسلم ؟ وفي مسلم حديث يفيد أن الله حبس الشمس لنبي غزا . لكنه لم يصرح فيه باسم يوشع انظر ص ٣٢٣ ج ١ البداية والنهاية لابن كثير ج ١

ص ١٢٤٨ .

(م - ٢٧ الروض الأثف ج ٣)

قال المؤلف : وهذا القول هو الذى يصح ، وبه تتفق معانى الأخبار ،
الآتري أنه قال فى حديث أنس الذى قدمنا ذكره : أنه ثلاثه نفر قبل أن
يُوحى إليه ، ومعلوم أن الإسراء كان بعد النبوة ، وحين فُرضت الصلاة^(١)
كما قدمنا فى الجزء قبل هذا ، وقيل كان قبل الهجرة بعام ، ولذلك قال فى
الحديث : فارتد كثير من كان قد أسلم ، ورواة الحديثين حفاظ ، فلا يستقيم
الجمع بين الروایتين إلا أن يكون الإسراء مرتين ، وكذلك ذكر فى حديث
أنس : أنه لقي إبراهيم فى السماء السادسة وموسى فى السابعة ، وفى أكثر
الروايات الصحيحة أنه رأى إبراهيم عند البيت المعمور فى السماء السابعة ،
ولقى موسى فى السادسة ، وفى رواية ابن إسحاق أتى بثلاثة آنية ، أحدها ماء
فقال قائل : إن أخذ الماء غرق ، وغرقت أمته ، وفى إحدى روايات البخارى
فى الجامع الصحيح : أنه أتى بإناء فيه عسل ، ولم يذكر الماء والرواة أثبتت ،
ولاسبيل إلى تكذيب بعضهم ولا توهينهم ، فدل على صحة القول بأنه كان
مرتين ، وعاد الاختلاف إلى أنه كان كله حقا ، ولكن فى حالتين ووقتین
مع ما يشهد له من ظاهر القرآن ، فإن الله سبحانه يقول : « ثم دنا فتدلى
فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى) ثم قال : (ما كذب
الفؤاد ما رأى) النجم : ٨ ، ١١ فهذا نحو ما وقع فى حديث أنس من قوله :
فما يراه قلبه ، وعينه نائمة^(٢) والفؤاد : هو القلب ، ثم قال : « أقمارونه على

(١) بل الثابت من آيات القرآن أن الصلاة كانت مفروضة قبل الإسراء .

(٢) فى البخارى : باب : كان النبى ص ، تنام عينه ، ولا ينام قلبه .

رواه سعيد بن ميناء عن جابر عن النبى ص .

ما يرى) ولم يقل: ما قد رأى، فدل على أن ثمَّ رؤيةً أخرى بعد هذه، ثم قال: (ولقد رآه نزلةً أخرى) أى: فى نزلةٍ نزلها جبريلُ إليه مرةً، فراه فى صورته التى هو عليها (عند سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، إذ يَفْشَى السِّدْرَةَ مَا يَعْشَى) قال: يَفْشَاهَا فَرَّاشٌ مِنْ ذَهَبٍ، وفى رواية: يَنْتَثِرُ مِنْهَا الْيَاقُوتُ، وَنُورُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ^(١) ثم قال: (مَازَاغَ الْبَصَرِ) ولم يقل: الْفُؤَادِ، كما قال فى التى قبل هذه، فدل على أنها رُؤْيَةٌ عَيْنٍ وَبَصَرٍ فى النَّزَلَةِ الْآخِرَى، ثم قال: (لقد رأى من آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)^(٢)، وإذا كانت رؤية عينٍ: فهى من الآياتِ الْكُبْرَى، ومن أعظم البراهين والعبر، وصارت الرؤيا الأولى بالإضافة إلى الأخرى ليست من الْكُبْرَى؛ لأن ما يراه العبدُ فى منامه دون ما يراه فى يقظته لاحتالة، وكذلك قال فى أكثر الأحاديث إنه رأى عند سِدْرَةِ الْمُنتَهَى نهريْنِ ظاهريْنِ، ونهريْنِ باطنيْنِ، وأخبره جبريلُ أن الظاهريْنِ: النَّيْلُ وَالْفَرَاتُ، وذكر فى حديث أنس أنه رأى هذين النهريْنِ فى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وقال له الملك: هما النَّيْلُ وَالْفَرَاتُ، أصلهما وعنصرهما، فيحتمل أن يكون رأى فى حال اليقظة منبعمهما، ورأى فى المرة الأولى النهريْنِ دون أن يرى أصلهما والله أعلم. فقد جاء فى تفسير قوله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنْتُمَا فِي الْأَرْضِ) الْمُؤْمِنُونَ: ١٨ أنهما النَّيْلُ وَالْفَرَاتُ أَنْزَلَا مِنَ الْجَنَّةِ

- (١) قرية كانت من قرى المدينة، وليست هجر البحرين، وكانت تعمل بها القلال تأخذ الواحدة منها مزادة من الماء، سميت قلة لأنها ترفع وتحمل.
- (٢) الآيات السابقة كلها من سورة النجم.

من أسفل درجةٍ منها على جَنَاحِ جبريل ، فأودعهما بطونَ الجبال^(١) ثم إن

(١) بما أومن به أنه من الخير تخطيطه حديث يرويه راوي يخالف المحكم الصريح من كتاب الله ، والواقع المحس بكل نوع من الإحساس ، فهذا أفضل من أن نحتمى بشأن حديث ينتج عنه تكذيب القرآن ، وتكذيب الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ورمى الإسلام بأنه عفن وخرافة ، والإسلام هو الحق والنور والحياة ، وأرجو أن يكون قولي واضحا : والحديث الذى يخالف المحكم الصريح من القرآن ، والواقع المشهود الملموس المحس ، وقد أكد القرآن الإسراء ، وآياته المحكمة تقطع به وحددت مكان الإسراء ، ومن لمس جانب هذا الحق بأثارة من شك ، فقد أتم لإثما عظيما وباء بخسران مبین ، وقارىء القرآن عن الإسراء لا يرتاب فى شيء ، فإن هو عرج على بعض الأحاديث ، وبعضها يخالف لبعض ربما أثارته نزعة من ريبة ، لهذا يجب علينا أن نستمع إلى ما يصادق القرآن منها ، ونضرب صفحا عن الأخرى ، تدبر أمر النيل والفرات ، وأين هما ، ثم اقرأ ماورد فى بعض الأحاديث عنهما نجد شيئا لا يمكن تصديقه إلا بضروب بعيدة من خرف التأويل ، ألا يكفى أن نتدبر قوله تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، لنزيه من آياتنا ، لأنه هو السميع البصير) كلام يملأ القلب والعقل والشعور نورا وهداية وبصرا وإيمانا وتسييحا لله الذى فعل بعبده ذلك .

هذا وقد عرض السهيلي أمورا منها : رأى القائلين بأن الإسراء كان مرتين مرة فى نومه ، ومرة فى يقظته . وإليك عرض الإمام ابن القيم لهذا : قال موسى بن عقبة عن الزهري : عرج بروح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بيت المقدس ، وإلى السماء قبل خروجه إلى المدينة بسنة . . .

وكان الإسراء مرة واحدة ، وقيل : مرتين ، مرة يقظة ، ومرة مناما ، وأرباب هذا القول كأنهم أرادوا أن يجمعوا بين حديث شريك ، وقوله : ثم استيقظت ، وبين سائر الروايات ، ومنهم من قال : بل كان هذا مرتين ، مرة قبل الوحي لقوله فى حديث شريك : وذلك قبل أن يوحى إليه ، ومرة بعد =

الوحي كما دلت عليه سائر الأحاديث . ومنهم من قال : بل ثلاث مرات ، مرة قبل الوحي ، ومرة بعده ، وكل هذا خبط ، وهذه طريقة ضعفاء الظاهرية من أرباب النقل الذين إذا رأوا في القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات جعلوها مرة أخرى ، فكلمنا اختلفت عليهم الروايات عددوا الوقائع . والصواب الذى عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة . ويا عجباً لهؤلاء الذين زعموا أنه مراراً كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين ، ثم يتردد بين ربه وبين موسى ، حتى تصير خمسا ، ثم يقول : أمضيت فريضتى ، وخففت عن عبادى ، ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين ، ثم يحطها عشرا عشرا ١٤ وقد غلط الحفاظ شريكاً في ألفاظ من حديث الإسراء ، ومسلم أورد المستند منه ، ثم قال : فقدم وأخر ، وزاد ونقص ، ولم يسرد الحديث ، وأجاد رحمه الله ، ص ١٣٠ > ٢ زاد المعاد ط السنة المحمدية . وعن المعراج يقظة أو مناما يقول الإمام الجليل أيضاً : وقد نقل عن ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية أنهما قالتا : إنما كان الإسراء بروحه ، ولم يفقد جسده . ونقل عن الحسن البصرى نحو ذلك ، ولكن ينبغي أن يعلم الفرق بين أن يقال : كان الإسراء مناما ، وبين أن يقال : كان بروحه دون جسده ، وبينهما فرق عظيم ، وعائشة ومعاوية لم يقولا : كان مناما ، وإنما قالتا : أسرى بروحه ، ولم يفقد جسده . وفرق بين الأمرين ، فإن ما يراه الناظم قد يكون أمثالا مضروبة للعلوم في الصور المحسوسة ، فيرى كأنه قد عرج به إلى السماء ، أو ذهب به إلى مكة وأقطار الأرض ، وروحه لم تصعد ، ولم تذهب ، وإنما ملك الرؤيا ضرب له المثال .

والذين قالوا : عرج برسول الله - صلى الله عليه وسلم - طائفتان ، طائفة قالت : عرج بروحه وبدنه ، وطائفة قالت : عرج بروحه ، ولم يفقد بدنه ، وهؤلاء لم يريدوا أن المعراج كان مناما ، وإنما أرادوا أن الروح ذاتها أسرى بها ، وعرج بها حقيقة ، وباشرت من جنس ما تباشر بعد المفارقة ، وكان حالها في ذلك كحالها بعد المفارقة في صعودها إلى السموات سماء سماء ، حتى يفنى بها =

== إلى السماء السابعة ، فتقف بين يدي الله عز وجل ، فيأمر فيها بما يشاء ، ثم تنزل إلى الأرض . والذي كان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء أكمل مما يحصل للروح عند المفارقة ، ومعلوم أن هذا أمر فوق ما يراه النائم ، لكن لما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مقام خرق العوائد . . . عرج بذات روحه المقدسة حقيقة من غير إماتة ، ومن سواه لا ينال بذات روحه الصعود إلى السماء إلا بعد الموت والمفارقة ، ص ١٢٨ المصدر السابق ، وهو تأويل جيد للإمام الجليل .

ويقول الإمام الشوكاني : « وقد اختلف أهل العلم : هل كان الإسراء بجسده مع روحه ، أو بروحه فقط؟ فذهب معظم السلف والخلف إلى الأول ، وذهب إلى الثاني طائفة من أهل العلم ، منهم : عائشة ومعاوية والحسن وابن إسحاق ، وحكاه ابن جرير عن حذيفة بن اليمان ، وذهبت طائفة إلى التفصيل ، فقالوا : كان الإسراء بجسده يقظة إلى بيت المقدس ، وإلى السماء بالروح ، واستدلوا على هذا التفصيل بقوله : إلى المسجد الأقصى ، فجعله غاية للإسراء بذاته ، فلو كان الإسراء من بيت المقدس إلى السماء وقع بذاته لذكره ، والذي ذلك عليه الأحاديث الصحيحة الكثيرة هو ما ذهب إليه معظم السلف والخلف من أن الإسراء بجسده وروحه يقظة إلى بيت المقدس ، ثم إلى السماوات ، ولا حاجة إلى التأويل ، ص ١٩٩ - ٢ فتح القدير ط مصطفى الباني الحلبي . ولو أن الشوكاني قال : بعض الأحاديث الصحيحة ، لمكان أوفق لأن بعض الأحاديث الصحيحة أيضاً تدل على أنه كان بروحه .

تاريخ الإسراء : كما يتحدث الإمام الشوكاني عن تاريخ الإسراء بقوله : « وقد اختلف أيضاً في تاريخ الإسراء ، فروى أن ذلك كان قبل الهجرة إلى المدينة بسنة ، وروى أن الإسراء كان قبل الهجرة بأعوام ، ووجه ذلك أن خديجة حصلت مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد ماتت قبل الهجرة بخمس سنين ، وقيل بثلاث ، وقيل بأربع ، ولم تفرض الصلاة إلا ليلة الإسراء ، وقد استدلل بهذا ابن عبد البر على ذلك ، وقد اختلفت الرواية عن الزهري . ومن قال : بأن ==

الإسراء كان قبل الهجرة بسنة الزهري في رواية عنه ، وكذلك الحرابي ، فإنه قال : أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة سبع وعشرين من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة . وقال ابن القاسم في تاريخه : كان الإسراء بعد مبعثه بثانية عشر شهراً قال ابن عبد البر : لا أعلم أحداً من أهل السير قال يمثل هذا . وروى عن الزهري أنه أسرى به قبل مبعثه بسبعة أعوام ، وروى عنه أنه قال : كان قبل مبعثه بخمسة سنين ، وروى يونس عن عروة عن عائشة أنها قالت : توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة ، ص ٢٠٠ المصدر السابق . وأقول : سبق أن بينت أن القرآن يؤكد أن الصلاة فرضت في بداية مبعثه صلى الله عليه وسلم .

وقد تحدث السهيلي عن قوله سبحانه (ثم دنا فتدلى) الخ

ولميك رأى السلف في هذا ينقله الإمام ابن القيم أيضاً ، وأنا أنقله عنه من المصدر السابق : « وأما قوله تعالى في سورة النجم (ثم دنا فتدلى) فهو غير الدنو والتدلى في قصة الإسراء ، فإن الذى في سورة النجم هو: دنو جبريل وتدليه ، كما قالت عائشة وابن مسعود ، والسياق يدل عليه ، فإنه قال : (علمه شديد القوى) وهو جبريل : (ذو مرة فاستوى ، وهو بالافق الأعلى ، ثم دنا فتدلى) فالضائر كلها راجعة إلى هذا المعلم الشديد القوى ، وهو ذو المرة — أى القوة — وهو الذى استوى بالافق الأعلى ، وهو الذى دنا فتدلى ، فكان محمد - صلى الله عليه وسلم - قدر قاب قوسين أو أدنى ، فأما الدنو والتدلى الذى فى حديث الإسراء ، فذلك صريح فى أنه دنو الرب تبارك وتعالى وتدليه ، ولا تعرض فى سورة النجم لذلك ، بل فيها أنه رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى . وهذا هو جبريل رآه محمد - صلى الله عليه وسلم - على صورته مرتين مرة فى الأرض ، ومرة عند سدرة المنتهى ، ص ١٢٧ المصدر السابق . وبهذا يسقط استدلال السهيلي بأن الإسراء كان مرتين .

وعن مسألة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء والمعراج يقول الإمام ابن القيم أيضاً : « واختلف الصحابة : هل رأى ربه تلك الليلة أم لا ؟ فصح =

عن ابن عباس أنه رأى ربه ، وصح عنه أنه قال : رآه بفؤاده ، وصح عن عائشة
وابن مسعود إنكار ذلك ، وقالوا : إن قوله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى عند
سدره المنتهى) إنما هو جبريل ، وصح عن أبي ذر أنه سأله : هل رأيت ربك ،
فقال : نور أنى أراه أى حال بينى وبين رؤيته النور ، كما قال فى لفظ آخر :
رأيت نورا ، وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمى اتفاق الصحابة على أنه لم يره .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه : وليس قول ابن عباس لأنه رآه
مناقضا لهذا ، ولا قوله : رآه بفؤاده ، وقد صح عنه أنه قال : رأيت ربي تبارك
وتعالى ، ولكن لم يكن هذا فى الإسراء ، ولكن كان فى المدينة لما احتبس فى صلاة
الصبح ، ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة فى منامه ، وعلى هذا بنى
الإمام أحمد ، وقال : نعم رآه حقا ، فإن رؤيا الانبياء حق ، ولا بد . ولكن
لم يقل أحد : لأنه رآه بعيني رأسه يقظة ، ومن حكى عنه ذلك ، فقد وهم عليه ،
ولكن قال مرة : رآه ، ومرة قال : رآه بفؤاده ، فحكيت عنه روايتان ، وحكيت
عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعيني رأسه ، وهذه نصوص أحد
موجوده ليس فيها ذلك ، وأما قول ابن عباس لأنه رآه بفؤاده مرتين ، فإن كان
استناده إلى قوله تعالى : (ما كذب الفؤاد ما رأى) ثم قال : (ولقد رآه نزلة أخرى) -
والظاهر أنه مستنده - فقد صح عنه - صلى الله عليه وسلم - أن هذا المرئى جبريل ،
رآه مرتين فى صورته التى خلق عليها ، وقول ابن عباس هذا هو مستند الإمام أحمد
فى قوله : رآه بفؤاده ، والله أعلم ، ص ٣٧ المصدر السابق . وقد يقال : رأى آخر
هو أن الإسراء به صلى الله عليه وسلم كان بجسده وروحه ، أما المعراج فكان
بروحه كما شرح الإمام ابن القيم ، بدليل ما ورد فى بعض الروايات . فرواية
شريك لا يذكر فيها الإسراء مطلقا . وفى رواية عن أنس أيضا : « رأينا أنا نائم
إذ جاء جبريل عليه السلام ، فوكر بين كفتى ، فقممت إلى شجرة فيها كوكرى
الطير ، فقمعت فى أحدهما ، وقعدت فى الآخر ، فسمت وارتفعت حتى سدت
الخافقين ، وأنا أقلب طرفى ، ولو شئت أن أمس السماء لمست ، . . . هذه
أيضا لم يأت فيها ذكر الإسراء إلى المسجد الأقصى ، ولا للبران . وفى رواية =

== أنس بن مالك بن صعصعة يقول : « بينما أنا في الحطيم - وربما قال قتادة في الحجر مضطجعا - إذ أتاني آت ، فجعل يقول لصاحبه : الأوسط بين الثلاثة ، قال : فأتاني ، فقد ما بين هذه إلى هذه أي من ثغرة نحره إلى مشعرته . أو من قصته إلى مشعرته ، ولم يأت كذلك ذكر الإسراء ، وفي رواية أخرى : فرج سقف بيتي ، وأنا بمكة ، فنزل جبريل ، فمرج صدري ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب تمتلئ حكمة وإيمانا ، فأفرغها في صدري ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء . . . لعل هذه الروايات تعين على إثبات هذا الرأي الأخير ، وهو أن المعراج شيء ، والإسراء شيء آخر ، وأن أن المعراج كان بالروح ، وهذه هي الرؤيا التي أراه الله ، أما الإسراء ، فكان بحسده وروحه .

هذا وقد أجريت بعض مقارنات بين الروايات المختلفة عن بعض الأمور التي وردت في قصة ، وإليك بعضها :

المسكان الذي كان منه الإسراء : سنغفل التعبير بما يأتي :

« ورد في رواية » ، وورد في رواية أخرى للاختصار ، وإليك ما ورد عن مكان الإسراء : المسجد الحرام . فرج عن سقف بيته ، وهو في مكة . بيت أم هانئ . وقد جاءت هذه الرواية بصورة تأكيد ، وذلك إذ تقول أم هانئ : « ما أسرى برسول الله » ص ، إلا وهو في بيتي نائم عندي . وبعض الروايات أغفلت ذكر المسكان .

البراق أو ما حمل عليه : بعض الروايات أغفلت ذكره . دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل - أتى به مسرجا ملجما ، فاستصعب ، قهره جبريل ، فرفض عرقه : حمل على البراق ، فأوثق الدابة ، أو قال : الفرس . شجرة فيها كوكري الطير ، فقعده في أحدهما ، وقعد جبريل في الآخر ، فسمت وارتفعت حتى سادت الخافقين . ينفي جديفة بن النيمان أنه ربطه ، وإنما سخره له الله . سمي فرسا ، وراح يصفها النبي لأبي بكر ، لأن أبا بكر كان قد رآها من قبل ،

شق الصدر: كان قبل الوحى ، وقد جاءه ثلاثة نفر ، وهو قائم فى المسجد الحرام ، فقال أوسطهم : هو خيرهم ، فقال آخرهم : خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة ، فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ، ولا ينام قلبه ، فلم يكلموه ، حتى احتملوه ، فوضعه عند بئر زمزم ، فتولاه منهم جبريل ، فشق ما بين نحره إلى لبتة النخ . أتاه ثلاثة ، فشق أحدهم من ثغرة نحره إلى مشعرتة ، أو من قصته إلى شعرتة . . . جاء جبريل ومكيال ، فشق بطنه . فرج سقف بيته ، وهو بمكة فنزل جبريل ، ففرج صدره ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب مملوءة بحكمة وإيماناً ، فأورعها فى صدره . ص . ثم أطبقه

صلاته ليلة الإسراء : صلى ركعتين فى بيت المقدس . صلى بطيبة وبتطور سيناء

وبيت لحم ، حيث ولد عيسى وصلى فى بيت المقدس ، حيث جمع له الأنبياء عليهم السلام ، فقدمه جبريل ، حتى أمهم ، يقسم حذيفة بن اليمان أنه ما صلى فى المسجد الأقصى ، ولا دخله هو وجبريل ، وأنهما مازا يلا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء ، صلى فى بيت المقدس حيث اجتمع ناس كثيرون ، ثم أذن مؤذن ، فخأقمت الصلاة ، ويروى الحديث أن النبي ص ، قال : فقمنا صفوفاً ننظر من يؤمننا ، فأخذ بيدى جبريل عليه السلام ، فقدمنى فضليت بهم ، فلما انصرفت ، قال جبريل : يا محمد أتدرى من صلى خلفك ؟ قال : قلت : لا ، قال : صلى خلفك كل نبي ، بعثه الله عز وجل . بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء ، فأمرهم تلك الليلة . صلى فى بيت المقدس ، وصلى النبيون أجمعون معه . صلى فى بيت المقدس ، كما صلى فى البيت المعمور . هبط إلى بيت المقدس ، وهبط معه الأنبياء ، فصلى بهم . كانت صلته بالأنبياء فى السماء ، وكانت صلته أول دخوله إلى بيت المقدس .

الآية التى شرب منها : أتى بها بعد صلته ركعتين فى بيت المقدس قبل الخروج .

وهما : خمر ولبن ، وأسند إلى الرسول ص ، اختيار اللبن . عرض عليه خمر وماء ولبن عند بيت المقدس . عرضت عليه الآية فى السماء بعد أن رفع إلى البيت المعمور . وكانت آيته خمر ولبن وعسل . إناء من لبن وإناء عسل بين يدي

== شيخ متكىء ، وهو الذى قال لجبريل : اختار صاحبك الفطرة . بعد انصرافه من بيت المقدس أتى له بقدرحين من لبن وعسل . جرى له بكأس من عسل ولبن ، وهو فى المسجد . بعد خروجه من بيت المقدس جرى له بإناء فيه ماء ، فشرب يسيرا ، وإناء فيه لبن فشرب حتى روى ، وإناء فيه خمر فلم يشرب :

الانبياء الذين لقيهم فى السموات : سأذكر ما ورد فى عدة روايات فى الرواية الاولى : فى السماء الاولى آدم وعنصرا النيل والفرات والكوثر ، وفى الثانية إدريس ولم يذكر من فى الثالثة ، وفى الرابعة : هارون ، ومن فى الخامسة لم يحفظ الراوى اسمه ، وفى السادسة : إبراهيم ، وفى السابعة موسى .

فى الرواية الثانية آدم فى السماء الاولى ، وفى الثانية : يحيى وعيسى . وفى الثالثة : يوسف ، وفى الرابعة إدريس ، وفى الخامسة : هارون ، وفى السادسة : موسى ، وفى السابعة : إبراهيم وهو مستند إلى البيت المعمور .

وفى الرواية الثالثة : فتح له باب من أبواب السماء ، فرأى النور الأعظم ، وإذا دون الحجاب : رزف الدر والياقوت ، وأوحى إلى الرسول « ص » .
حاشاء الله أن يوحى . ولم يذكر شيئا عن النبيين .

وفى الرواية الرابعة : فى السماء الاولى : آدم فى الاولى ، وفى الثانية : عيسى ويحيى وفى الثالثة يوسف ، وفى الرابعة : هارون ، وفى الخامسة إدريس ، وفى السادسة : موسى ، وفى السابعة إبراهيم .

وفى الرواية الخامسة : آدم فى الاولى ، فى الثانية عيسى وابن خالته يحيى ، وفى الثالثة : يوسف . فى السماء الرابعة : إدريس ، فى الخامسة : هارون ، فى السادسة : موسى ، فى السابعة : إبراهيم . والكوثر فوق السابعة :

وفى الرواية السادسة : فى الاولى : آدم ، فى الثانية : عيسى ويحيى ، فى الثالثة : يوسف . فى الرابعة : إدريس ، فى الخامسة : هارون . فى السادسة : موسى ، وفى السابعة : إبراهيم . وعند سدرة المنتهى فوق ذلك وجد أربعة الأنهار منها : النيل والفرات ، ثم رفع إلى البيت المعمور .

==

وفي الرواية السابعة: في الأولى: آدم، ثم عرج إلى السماء الثانية، وذكر أنه وجد في السماوات إدريس وموسى وعيسى، ولكن لم يثبت منازلهم، وذكر أنه وجد إبراهيم في السادسة

وفي الرواية الثامنة: كالرواية السابقة. وفي الرواية التاسعة: وجد ملكا يقال له: إسماعيل، وهو صاحب السماء الدنيا، ووجد في السماء الأولى آدم، وفي الثانية: يوسف، وفي الثالثة: يحيى وعيسى، وفي الرابعة: إدريس، وفي الخامسة: هارون، وفي السادسة: موسى، وفي السابعة: إبراهيم.

وفي الرواية العاشرة: في الأولى: آدم، وفي الثانية: عيسى ويحيى. وفي الثالثة: يوسف، في الرابعة: إدريس: في الخامسة: هارون. في السادسة: موسى ييكي. في السابعة: إبراهيم.

الأنهار: في السماء الدنيا نهران، هما: عنصر النيل والفرات، كما وجد الكوثر: فوق ظهر السماء السابعة عند سدرة المنتهى: أربعة أنهار، اثنان باطنان والآخران: النيل والفرات. الكوثر: ينشق من عين تخرج من سدرة المنتهى التي فوق السماء السابعة، وهناك أيضاً نهر يسمى الرحمة اغتسل فيه النبي ﷺ، فغفر له كل ذنب، أنهار أولها: رحمة الله، والثاني: نعمة الله، والثالث: سقايم ربهم شراباً طهوراً. بهذا العرض يتجلى لنا وجود ما لا يمكن أن يوصف إلا بالتضاد أو التناقض، ولا يمكن أن يتصور مسلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأتي بمثل هذا التناقض، أو يحكم على الشيء بالنقي، وبالإثبات في آن واحد.

الإسراء حق، لأنه من إخبار القرآن، فلنحرص على عدم التوسع في ذكر الروايات التي يناقض بعضها بعضاً، أو يحكم عليه الواقع المشهود المحسوس بأنه وضع خيال.

وليحذر المتهاونون الظن بأننا نضرب صفحاً عن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما نضرب صفحاً عن أحاديث الرواة الذين يخطئون ساهين، أو يتعمدون الخطأ ماكرين. ألا ترون إلى المفسر السلفي الجليل الإمام ابن كثير كيف يقول عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر الذي أخرج له البخاري حديثه =

«الله سبحانه سيرفهما ، ويذهب بهما عند رفع القرآن وذهاب الإيمان ، فلا يبقى على الأرض خير ، وذلك قوله تعالى : (وإنا على ذهابٍ به لَقَادِرُونَ) وفي حديثٍ مُسْنَدٍ ذكره النحاس في المعاني بآتم من هذا فاختصرته ، ووقع في كتاب المعلم للمازريّ قول رابع في الجمع بين الأقوال قال : كان الإسراء بجسده في اليقظة إلى بيت المقدس ، فكانت رؤيا عين ، ثم أسرى بروحه إلى فوق سبع سموات ، ولذلك شنع الكفارُ قوله : وأتيتُ بيتَ المقدس في ليلتي هذه ، ولم يشتمعوا قوله فيما سوى ذلك (١) .

== الإسراء في كتاب التوحيد : وإن شريك . اضطرب في هذا الحديث ، وساء حفظه ، ولم يضبطه ، ويقول عن روايات حديث الإسراء : « وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه ، أو زاد بعضهم فيه ، أو نقص منه ، فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياء عليهم السلام ، ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة ، فأثبت إسراءات متعددة ، فقد أبعث ، وأغرب ، وهرب إلى غير مهرب ، ولم يتحصل على مطلب ، وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه السلام أسرى به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط ، ومرة من مكة إلى السماء فقط ، ومرة إلى بيت المقدس ، ومنه إلى السماء ، وفرح بهذا المسلك ، وأنه قد ظفر بشيء يخلص به من الإشكالات ، وهذا بعيد جداً ، انظر تفسير سورة الإسراء من تفسير ابن كثير ، ولعلنا ندرك أنه ما دفع هؤلاء إلى هذا إلا التناقض البادى بين روايات حديث الإسراء ، وإلا إيمانهم بأن كل هذه المتناقضات تنسب حقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما أنا فأؤمن أن الرسول لا يقول إلا حقا وصدقا ، ولا يمكن أن يصديه النسيان الماكر ، وهو يقص علينا آية من آيات ربه الكبرى . وما عرضت نفسي لغضب الناس إلا اتقاء لغضب الله ، فإن يك هذا الظن مني صوابا فن الله ، وإلا فني ، والله الهادي إلى ما يحبه ويرضاه .

(١) هذا رأى شديد ، وهو بعض ماذهب إليه الإمام ابن القيم .

شمس البراق :

فصل : وما يُسأل عنه في هذا الحديث شمسُ البراقِ حين ركبه النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له جبريل : أما تستحي يا براقُ ، فما ركبك عبدُ الله قبل محمد هو أكرمُ عليه منه ، فقد قيل : في نفرته ما قاله ابن بطّال في شرح الجامع الصحيح ، قال : كان ذلك لبعده عهدُ البراقِ بالأنبياء ، وطول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ، وروى غيره في ذلك سبباً آخر قال في روايته في حديث الإسراء : قال جبريل لمحمد عليه السلام حين شمسَ به البراقُ : لعلك يا محمد مسست الصفراء اليوم ، فأخبره النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه مامسها إلا أنه مرَّ بها ، فقال : تَباً لمن يعبدك من دون الله ، ومامسها إلا لذلك ، وذكر هذه الرواية أبو سعيد النيسابوري في شرف المصطفى ، فالله أعلم ، وقد جاء ذكر الصفراء في مُسندِ البزار ، وأنها كانت صنماً بعضه من ذهب فكسرها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح ، وفي الحديث الذي خرجه الترمذي^(١) من طريق بريدة الأَسلمي^(٢) أنه - عليه السلام - حين انتهى

(١) يقول ابن الأثير في اللباب إنها نسبة إلى مدينة قديمة على طرف نهر بلخ الذي يقال له جيحون ، والناس مختلفون في كيفية هذه النسبة ، بعضهم يقول بفتح التاء وبعضهم بضمها ، وبعضهم بكسرها . والمنداول على لسان أهل تلك المدينة : بفتح التاء وكسر الميم ، والذي كنا نعرفه فيه قديماً كسر التاء والميم جميعاً ، والذي يقوله المتفوقون ، وأهل المعرفة بضم التاء والميم ، وبعض هذا في المراد .

(٢) قيل اسمه عامر : وبريدة لقب ، وفي الصحيحين أنه غزا مع النبي دس ،

ست عشرة غزوة

إلى بيت المقدس ، قال جبريل ، بإصبعه إلى الصخرة ، فخرقها فشد بها البراق^(١) ،
وصلّى ، وأنّ حذيفة أنكر هذه الرواية ، وقال : لم يفر منه وقد سخّره له عالم
الغيب والشهادة^(٢) ، وفي هذا من الفقه على رواية بريدة : التنبية على الأخذ
بالحزم مع صحة التوكل ، وأن الإيمان بالقدر كما - روى عن وهب بن منبه -
لا يمنع الحازم من توقي المهالك . قال وهب : وجدته في سبعين كتابا من كتب

(١) رواه أبو بكر البزار ، وقال : لا نعلم رواه عن الزبير بن جنادة إلا
أبو نائلة ، ولا نعلم هذا الحديث إلا عن بريدة . وقد رواه الترمذى في التفسير من
جامعه عن يعقوب بن إبراهيم . وقال : غريب .

(٢) في الأصل : لم أفر منه . وفي حديث حذيفة هذا تعبير محكم المعنى ،
فقد سمع زر بن حبیش - يحدث عن ليلة الإسراء ، فقال له : ما اسمك
يا أصلع ؟ أنا أعرف وجهك ، ولا أدري ما اسمك ؟ قال زر : أنا زر
ابن حبیش ، فقال له حذيفة : فما علمك بأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم
صلى فيه ليلته ، أى : فى بيت المقدس ؟ فقال زر : القرآن يخبرنى بذلك ، فقال
حذيفة كلمته الرائعة التى تشع بنور الحق العظيم : من تكلم بالقرآن أفلح ، ثم
طلب من زر أن يقرأ ، فقرأ : سبحان الذى أسرى ، فقال حذيفة : يا أصلع !
هل تجد صلى فيه ؟ فقال زر : لا : فقال حذيفة : والله ما صلى فيه رسول الله
ص ، ليلته ، ولو صلى فيه لكتبت عليكم صلاة فيه ، كما كتب عليكم صلاة
فى البيت العتيق . والله ما زايلا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء ، فرأيا
الجنة والنار ، ووعد الآخرة أجمع ، ثم عادا عودهما على يدهما ، قال زر : ثم ضحك
حتى رأيت نواجذه قال حذيفة : ويحدثون أنه ربطه لا يفر منه ، وإنما سخّره له
عالم الغيب والشهادة . وقد روى حديث حذيفة هذا الإمام أحمد ، وأبو داود
الطيالسى ، والترمذى والنسائى ، وقال الترمذى : حسن

الله القديمة^(١) ، وهذا نحو من قوله صلى الله عليه وسلم : « قَيِّدْهَا وَتَوَكَّلْ »^(٢) فَإِيمَانُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ قَدْ سُخِّرَ لَهُ كَأَيْمَانِهِ بِقَدْرِ اللهِ وَعَلِمِهِ بِأَنَّهُ سَبَقَ فِي عِلْمِ الْكِتَابِ مَا سَبَقَ ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ يَنْزَوِدُ فِي أَسْفَارِهِ وَيُعِدُّ السَّلَاحَ فِي حُرُوبِهِ ، حَتَّى لَقِيَ ظَاهِرَ بَيْنِ دِرْعَيْنِ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ . وَرَبَطَهُ لِلْبُرَاقِ فِي حَقِيقَةِ الْبَابِ مِنْ هَذَا الْفَنِّ ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ ، وَقَدْ رَوَاهُ غَيْرُ بَرِيذَةٍ وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي أَسَامَةَ مِنْ طَرِيقِ أَنَسٍ ، وَمِنْ طَرِيقِ أَبِي سَعِيدٍ ، وَغَيْرِهِمَا أَعْنَى رَبَطَهُ لِلْبُرَاقِ فِي الْخَلْقَةِ الَّتِي كَانَتْ تَرَبِّطُهُ فِيهَا الْأَنْبِيَاءَ ، غَيْرَ أَنَّ الْحَدِيثَ يَرُوهُ دَاوُدُ بْنُ الْمُحَجَّبِ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ .

معنى قول الملائكة : من معك

معنى قول الملائكة : من معك ومما يُسألُ عنه قولُ الملائكة في كل سماء لجبريل : من معك ، فيقول : محمد ، فيقولون : أَوْ قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ فَيَقُولُ : نَعَمْ هَكَذَا لَفْظُ الْحَدِيثِ فِي الصَّحَاحِ ، وَمَعْنَى سَوْأَلِهِمْ عَنِ الْبَعْثِ إِلَيْهِ فِيمَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَيْ : قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ، كَمَا قَدْ وَجَدُوا فِي الْعِلْمِ أَنَّهُ سَيُعْرَجُ بِهِ ، وَلَوْ أَرَادُوا بَعْثَهُ إِلَى الْخَلْقِ ، لَقَالُوا : أَوْ قَدْ بُعِثَ ، وَلَمْ يَقُولُوا إِلَيْهِ ، مَعَ أَنَّهُ يَبْعَدُ أَنْ يَخْفَى عَنِ الْمَلَائِكَةِ بَعْثُهُ إِلَى الْخَلْقِ ، فَلَا يَعْلَمُونَ بِهِ إِلَى لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ ، وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي تَقَدَّمَ فِي هَذَا الْكِتَابِ بَيَانٌ أَيْضًا حِينَ ذَكَرَ تَسْبِيحَ مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، ثُمَّ تَسْبِيحَ مَلَائِكَةِ كُلِّ سَّمَاءٍ ، ثُمَّ يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا : مِمَّ سَبَّحْتُمْ حَتَّى يَنْتَهِيَ السُّؤَالُ إِلَى مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَيَقُولُونَ : قَضَى رَبُّنَا فِي خَلْفِهِ

(١) يا ويل التفسير من مخترعات وهب

(٢) في الجامع الصغير للسيوطي : د اعقلها وتوكل ، وراه الترمذي عن أنس

وهو ضعيف

كذا ، ثم ينتهي الخبرُ إلى سماء الدنيا - الحديث بطوله ، وفي هذا ما يدل على أن
الملائكة قد علمت بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - حين نُبئ ، وإنما قالت :
أوقد بعث لإيابه ، أى قد بعث إليه بالبراق كما تقدم على أن فى حديث أنس أن
ملائكة سماء الدنيا قالت لجبريل : أوقد بعث ، كما وقع فى السيرة وليس
فى أول الحديث : إليه ، هذا إنما جاء فى حديث الرؤيا التى رآها بقلبه ،
كما قدمنا ، وأن ذلك قبل أن يُوحى إليه كما جاء فى الحديث بعينه ، وفى هذا
قوة لما تقدم من أن الإسراء كان رؤيا ، ثم كان رؤية ؛ ولذلك لم نجد فى رواية
من الروايات أن الملائكة قالوا : أوقد بعث إليه إلا فى ذلك الحديث ،
خالفه أعلم .

باب الحفظة :

وذكر باب الحفظة ، وأن عليه ملكا يقال له : إسماعيل ، وقد جاء ذكره
فى مُسندِ الحارث ، وفيه أن تحت يده سبعون ألف ملك تحت يد كل ملك
سبعون ألف^(١) ملك ، هكذا لفظ الحديث فى رواية الحارث ، وفى رواية
ابن إسحاق : اثنا عشر ألف ملك هكذا لفظ الحديث ، وفى مُسندِ
الحارث أيضا .

(١) أخرجه البيهقى فى كتاب دلائل النبوة وأوله يخالف الروايات الأخرى
وفيهما أنا نائم عشاء فى المسجد الحرام ، إذ أتانى آت ، فأيقظنى ، فاستيقظت ،
فلم أرى شيئا ، فإذا أنا بكهيفة خيال ، فأتبعته بهرى ؛ حتى خرجت من المسجد
الحرام الخ .

وذكر سِدْرَةَ الْمُنتَهَى، فقال: لو غطيت بُورْقَةَ من ورقها هذه الأُمَّة لَمَطَّتهم
وفي صفتها من رواية الجميع: فإذا ثمرها كَقِلَالِ هَجَرَ، وفي حديثِ الْمُتَلَتِّينِ
من كتاب الطهارة، من رواية ابن جُرَيْج: إذا كان الماءُ مُتَلَتِّينِ من قِلَالِ
هَجَرَ لم يحمل الخبث^(١) قالوا: والقِلتان منها تسمآنِ خمسمائة رطل، قال
الترمذى: وذلك نحو من تَحْسِ قَرَبٍ، وفي تفسير ابن سلام قال عن بعض
السلف: إنها سُمِّيَتْ سِدْرَةَ الْمُنتَهَى، لأن روح المؤمن ينتهى به إليها،
فتصلى عليه هنالك الملائكة المقربون. قال ذلك في تفسير عابدين: . . .
آدم في سماء الدنيا والأسودة التي رآها:

فصل: وفيه أنه رأى آدم في سماء الدنيا، وعن يمينه أسودة، وعن شماله
أسودة، وأن جبريل أعلمه أن الأسودة التي عن يمينه هم: أصحابُ اليمين،
وفي رواية ابن إسحاق: تعرض عليه أرواحُ ذُرَيْتِهِ، فإذا نظر إلى الذين عن
يمينه ضحك، وقد سئل عن هذا، فقيل: كيف رأى عن يمينه أرواحُ أصحابِ
اليمين، ولم يكن إذ ذاك من أصحابِ اليمين إلا نَفَرٌ قَلِيلٌ، ولعله لم يكن ماتَ

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي الأموي مولاهم المسكي
أبو الوليد، ويقال: أبو خالد، وهو من تابعي التابعين توفي سنة ١٥٠ وقيل
غير ذلك.

(٢) تكلمنا عنه من قبل، وأقول: ورد في نيل الأوطار الامام الشوكاني: . . .
وأما التقييد بقلال هجر، فلم يثبت مرفوعاً إلا من رواية المغيرة بن صقلاب
عند ابن عدى، وهو منكر الحديث. قال النفيل: لم يكن مؤتمناً على الحديث، . . .
وقال ابن عدى: لا يتابع على عامة حديثه، ص ٣١ ط عثمان خليفة.

تلك الليلة منهم أحد ، وظاهر الحديث يقضى أنهم كانوا جماعة . فالجواب أن يقال : إن كان الإسراء رؤيا بقلبه ، فتأويلها أن ذلك سيكون ، وإن كانت رؤيا عين ، كما قال ابن عباس وغيره بمعناه : أن ذلك أرواح المؤمنين رآها هنالك ، لأن الله تعالى يتوفى الخلق في منامهم ، كما قال في التنزيل : ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الزمر ٤٣ فصعد بالأرواح إلى هنالك ، فوآها ثم أعيدت إلى أجسادها . وجواب آخر : وهو أن أصحاب اليمين الذين ذكرهم الله تعالى في سورة المدثر في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ - فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ٣٩ : ٤٠ . قال ابن عباس : هم الأطفال الذين ماتوا صغاراً ، ولذلك سألوا المجرمين : (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ) لأنهم ماتوا قبل أن يعلموا بكفر الكافرين ، وقد ثبت في الصحيح أن أطفال المؤمنين والكافرين في كفالة إبراهيم عليه السلام ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لجبريل حين رآهم في الروضة مع إبراهيم : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيْلُ ؟ فقال : أولاد المؤمنين الذين يموتون صغاراً ، فقال له : وأولاد الكافرين ، قال : وأولاد الكافرين . خرجه البخارى في الحديث الطويل من كتاب الجنائز ، وخرجه في موضع آخر ، فقال فيه : أولاد الناس ، فهو في الحديث الأول نص ، وفي الثانى عموم ، وقد روى فى أطفال الكافرين أنهم خدم لأهل الجنة ، فعلى هذا لا يبعد أن يكون الذى رآه عن يمين آدم من نَسَمِ ذريته أرواح هؤلاء ، وفى هذا ما يدفع تشعب هذا السؤال والاعتراض منه .

من حكم الماء :

فصل : وفيه شُرْبُهُ من إناء القوم ، وهو مُنْطَى ، والماء وإن كان لا يُمْلِكُ
والناس شُرْكَاءَ فيه ، وفي النار والكَلَّا كما جاء في الحديث ، لكن المستقي
إذا أحرزه في وعائه ، فقد ملكه ، فكيف استباح النبي صلى الله عليه وسلم
شُرْبِهِ وهو ملكٌ لغيره ، وأملاكُ الكفار لم تكن أبيحت يومئذ ، ولادماؤهم .

فالجواب أن العربَ في الجاهلية كان في عُرْفِ العادة عندهم إباحة الرُّسْلِ
لابن السبيل فضلاً عن الماء ، وكانوا يمهّدون بذلك إلى رعائهم ، ويشترطونه عليهم
عند عقد إجارتهم : ألا يمتنعوا الرُّسْلَ ، وهو اللبن من أحدٍ مرّ بهم ، وللحکم في
العُرْفِ في الشريعة أصولٌ تشهد له ، وقد ترجم البخاريُّ عليه في كتاب البيوع ،
وخرج حديث هَنِدِ بنتِ عُنْتَبَةَ ، وفيه : خُذِي ما يكفيك وولدك بالمعروف .

عن دخول بيت المقدس وصفه الأنبياء :

فصل : وذكر فيه أنه دخل بيت المقدس ، ووجد فيه نفرًا من الأنبياء ،
فصَلَّى بهم ، وفي حديث الترمذي الذي قدّمناه عن حُدَيْفَةَ أنه أنكر أن
يكونَ صَلَّى بهم ، وقال : مازال من ظهر البُرَاقِ ، حتى رأى الجنة والنار ،
وما وعده الله تعالى ، ثم عاد إلى الأرض ، وزيادة العدل مقبولة ، ورواية من
أثبت مُقَدِّمَةً على رواية مَنْ نَقَى ، وذكر فيه صفة الأنبياء ، وقال في عيسى :
كان رأسه يَقْطُرُ ماءً وليس به ماء ، وكأنه خرج من دِيَمَاسٍ والدِّيَمَاسُ : الحُمَامُ ،

وأصله: دِمَّاسٌ ويجمع على دَمَامِيسَ ، وقد قيل في جمعه: دَيَامِيسُ^(١) ، ومثله: قيراط ودينار وديباج، الأصل فيها كلها: التضعيف، ثم قلب الحرف المدغم ياءً ، فلما جمعوا وصَفَرُوا ، ردُّوه إلى أصله ، فقالوا: قرايط ودنانير : [وقُرَيْرِيط ودُنَيْنِير]^(٢) ، غير أنهم لم يقولوا: دنانير ولا قياريط ، كما قالوا: دياميس ، وقالوا: دبابيج ودبابيج^(٣) ، وأصلُ الدَّمَسِ : التغطيةُ ومنه لَيْلُ دَامِسَ ، وفي هذه الصفة من صفات عيسى عليه السلام إشارة إلى الرُّبِّيِّ والخِصْبِ الذي يكون في أيامه إذ أُهبط إلى الأرض والله أعلم .

وذكر في صفة موسى أنه آدمٌ طوَّالٌ ، ولو صفه إياه بالأدَمَةِ أصلٌ في كتاب الله تعالى ، قاله الطَّبْرِيُّ عند تفسير قوله : ﴿ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ قال: في خروج يده بيضاء آية في أن خرجت بيضاء مخالفاً لونها لسائر لون جسده ، وذلك دليل بين على الأدَمَةِ التي هي خلافُ البياض^(٤) .

وذكر إبراهيم فقال: لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه ،

(١) في اللسان : إن فتحت الدال جمع على دياميس مثل شيطان وشياطين ، وإن كسرتها جمعت على دماميس ،
(٢) زيادة يقتضيهما السباق .

(٣) في اللسان مادة دز : قال أبو منصور : دينار وقيراط وديباج أصلها أعجمية ، غير أن العرب تكلمت بها قديماً ، فصارت عربية .

(٤) الذي في الطبري في تفسير الآية : وذكر أن موسى عليه السلام كان رجلاً آدم ، فأدخل يده في جيبه ، ثم أخرجها بيضاء من غير سوء من غير برص مثل الثلج ، ثم ردها ، فخرجت كما كانت على لونه .

يعنى : نفسه ، وفى آخر هذا الكلام إشكالٌ من أجل أن أشبهه منصوبٌ
فى الموضوعين ، ولكن إذا فهمت معناه ، عرفت إعرابه ، ومعناه : لم أر رجلا
أشبهه بصاحبكم ولا صاحبكم به منه (١) ، ثم كرر أشبهه توكيدا فصارت لغوا كالمُتَحَمِّمِ
وصاحبكم معطوفٌ على الضمير الذى فى أشبه الأول الذى هو نعتٌ لرجل ،
وحسن العطف عليه ، وإن لم يؤكد بهو ، كما حسن فى قوله تعالى : ﴿ مَا أَشْرَكْنَا
بِوَالِدِنَا ﴾ من أجل الفصل بلا النافية ، ولو أسقط من الكلام أشبه الثانى ،
لكان حسنا جدا ، ولو أحرر صاحبكم فقال : ولا أشبهه به صاحبكم منه بجاز ،
ويكون فاعلا بأشبهه الثانية ، ويكون من باب قولهم : مارأيتُ رجلا أحسنَ
فى عينه الكحلُ من زَيْدٍ ، وهى مسألة عذراء لم تفتَرعها أيدى النحاة (٢) ،
بعد ولم يشف منها مُتَقَدِّمٌ منهم ، ولا متأخرٌ يَمِّنُ رأينا كلامه فيها وقد أمَلِينَا
فى غير هذا الكتابِ فيها تحميقاً شافيا .

صفة النبى صلى الله عليه وسلم :

فصل : وذكر فى صفة - النبى - صلى الله عليه وسلم - مما نقتنه به على بن
أبى طالب - رضى الله عنه - فقال : لم يكن بالطويل الممَّعَط بالعين المعجمة ،

(١) رواية مسلم ، أشبهه الناس به صاحبكم - يعنى نفسه ، .

(٢) هى مسألة مفصلة فى كتب النحو عن عمل أفعال التفضيل ورفعها للاسم

الظاهر ، فانظر لها مثلاً ص ١٠٦ > ٢ من شرح التصريح على التوضيح ، ص ٤٦

> ٣ من حاشية الصبان على شرح الاشمونى ط ١٣٠٥ هـ ص ٢٥٢ > ٣ النحو

الوافية للأستاذ عباس حسن .

وفي غير هذه الرواية. بالعين المهملة ، وذكر الأوصاف إلى آخرها وقد شرحها أبو عبيد ، فقال عن الأصمى ، والكسائي وأبي عمرو وغير واحد : قوله : ليس بالطويل الممّعطأى : ليس بالبائن الطويل ، ولا القصير المتردّد^(١) يعني : الذي تردد خلقه بعضه على بعض ، وهو مجتمع ليس بسبّط الخلق يقول : فليس هو كذلك ، ولكن ربعة بين الرجلين ، وهكذا صفته صلى الله عليه وسلم - وفي حديث آخر : ضرب اللحم بين الرجلين .

وقوله : ليس بالمطهم ، قال الأصمى : هو التام كل شيء منه على حدته ، فهو بارع الجمال ، وقال غير الأصمى الممكثم المدور الوجه ، يقول : ليس كذلك ، ولكنه مسنون ، وقوله : مشرب يعني الذي أشرب حمره ، والأدعج العين : الشديد سواد العين قال الأصمى : الدعجة : هي السواد ، والجليل المشاش : العظيم العظام مثل الركبتين والمرفقتين والمنكبين ، وقوله : الكتد هو : الكاهل ، وما يليه من جسده ، وقوله شثن الكفتين والقدمين يعني : أنهما إلى الغلظ . وقوله : ليس بالسبّط ولا الجعد القلط ، فالقطط : الشديد الجعودة مثل شعور الحبشة ، ووقع في غريب الحديث لأبي عبيد التام كل شيء منه على حدته . يقول : ليس كذلك ، ولكنه بارع الجمال ، فهذه الكلمة ، أعنى : ليس كذلك محلة بالشرح ، وقد وجدته في رواية أخرى عن أبي عبيد بإسقاط : يقول كذلك ، ولكن على نص ذكرناه آنفاً

(١) وردت هذه الأوصاف في حديث رواه الترمذى وإسناده ضعيف .

قصة المعراج

قال ابن إسحاق : وحدثني من لآتهم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه قال : سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : لما فرغتُ بمكة كان في بيت المقدس ، أتى بالمعراج - ولم أر شيئاً قطُّ أحسنَ منه - وهو

عنه عن الأصمعي ، والذي في غريب الحديث من تلك الزيادة وَهْمٌ وقع في الكتاب ، والله أعلم .

وأما ما رواه الترمذي عن الأصمعي في شرح المطهم قال : هو البادن : الكثير اللحم ، ذكره عن أبي جعفر ، عن الأصمعي ، وذكر عنه في المَمَطِّ نحو ما قدمناه ، قال : وسمعتُ أعرابياً يقول مَمَطُّ في نُشَابَةِ أَى : مَدَّهَا ، وفي كتاب العين : مَمَطَّتُ الشئ ، إذا مَدَدْتَهُ ، وقال في باب العين المهملة مَمَطَّتُ (١) الشئ . إذا مَدَدْتَهُ ، كما قال في الغين المعجمة ، فملى هذا يقال فيه مَمَطُّ وَمَمَطُّ ، ووزنه مُنْفَعِلٌ ، واندغمت النون في الميم ، كما اندغمت في محوته فأتحى لما أمن التباسه بالمضاعف ، ولم يدغموا النون في الميم في شاة زَنَمَاءَ ، ولا في غَمٍّ لثلاثا يلبس بالمضاعف ، لو قالوا : أَرَمَاءَ وَعَمَّا ، وقد ذكرنا قبل ما وَهَمَ فيه الترمذي من تفسير زِرِّ الحَجَلَةِ حيث قال : يقال إنه بيض له ، حيث تكلمنا هل خاتم النبوة وصفته ، واختلاف الرواية فيه والحمد لله .

(١) كذلك يقول اللسان .

الذى يَمُدُّ إِلَيْهِ مِيثَاقَكُمْ عَيْنَيْهِ إِذَا حُضِرَ ، فَأُصْعِدُنِي صَاحِبِي فِيهِ ، حَتَّى أَنْتَهِيَ
بِي إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ ، يُقَالُ لَهُ : بَابُ الْخَفِظَةِ ، عَلَيْهِ مَلَكٌ مِنْ
الْمَلَائِكَةِ ، يُقَالُ لَهُ : إِسْمَاعِيلُ ، تَحْتَ يَدَيْهِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ ، تَحْتَ يَدِي
كُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلَكٍ - قَالَ : يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - حِينَ حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ : وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ - فَمَا دَخَلَ بِي ،
قَالَ : مَنْ هَذَا يَا جَبْرِيْلُ ؟ قَالَ : هَذَا مُحَمَّدٌ . قَالَ : أَوْ قَدْ بُعِثَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ :
فَدَعَا لِي بِخَيْرٍ : وَقَالَ .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم عن حدثه عن رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - أنه قال : تلقى الملائكة حين دخلت السماء الدنيا ، فلم
يلقى ملك إلا ضاحكا مستبشرا ، يقول خيرا ويدعو به ، حتى آقيني ملك
من الملائكة ، فقال مثل ما قالوا ، ودعا بمثل ما دعوا به ، إلا أنه لم يضحك ،
ولم أر منه من البشر مثل ما رأيت من غيره ، فقلت لجبريل : يا جبريل من هذا
الملك الذى قال لى كما قالت الملائكة ولم يضحك لى ، ولم أر منه من البشر مثل
الذى رأيت منهم ؟ قال : فقال لى جبريل : أما إنته لو ضحك لى إلى أحد كان
قبلك ، أو كان ضاحكا لى أحد بعدك ، لضحك إليك ، ولكنه لا يضحك ،
هذا مالك خازن النار ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت
لجبريل ، وهو من الله تعالى بالمكان الذى وصف لىكم (مطاع ثم أمين) :
ألا تأمره أن يرينى النار ؟ فقال : بلى ، يا مالك ، أر محمد النار . قال : فكشف
عنها غطاءها ، ففارت ، وارتفعت ، حتى ظننت : لتأخذن ما أرى . قال :

وقلت لجبريل : يا جبريل ، مُرّه ، فليردها إلى مكانها . قال : فأمره ، فقال لها :
اخبي ، فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه . فما شبّهت رُجوعها إلا وقوع
الظال . حتى إذا دخلت من حيثُ خرجتُ ردّها عليها غطاءها .

قال أبو سعيد الخدري في حديثه : إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
قال : لما دخلتُ السماء الدنيا ، رأيتُ بها رجلا جالسا تعرض عليه أرواح
بني آدم ، فيقول لبعضها ، إذا عرضت عليه خيرا ويُسّرّ به ، ويقول : روح
طيّبة خرجت من جسد طيب ، ويقول لبعضها إذا عرضت عليه : أفّ ،
ويعبس بوجهه ويقول : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث . قال : قلت :
من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك آدم ، تُعرض عليه أرواح ذريته ، فإذا مرّت
به روح المؤمن منهم سرّ بها : وقال روح طيبة خرجت من جسد طيب .
وإذا مرّت به روح الكافر منهم أفّف منها ، وكرّها ، وساء ذلك ، وقال :
روح خبيثة خرجت من جسد خبيث .

قال ثم رأيت رجلا لهم مَشَافِر كَمَشَافِر الإبل ، في أيديهم قِطْع من نار
كالأفهار ، يقذفونها في أفواههم ، فتخرج من أديبارهم . فقلت : من هؤلاء
يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظانما .

قال : ثم رأيت رجلا لهم بَطُون لم أرَ مثلها قطُّ بسبيل آل فرعون ،
يمرّون عليهم كالإبل الممّيومة حين يُعرضون على النار ، يطنونهم لا يقدرّون
على أن يتحوّلوا من مكانهم ذلك . قال قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء أكلة الزبا .

.....

قال : ثم رأيتُ رجالاً بين أيديهم لحم ثمين طيب ، إلى جنبه لحم غثٌ
مفتن ، يأكلون من الغثِ اللين ، ويتركون السمين الطيب . قال : قلت : من
هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحلَّ الله لهم من النساء ،
ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن .

قال : ثم رأيتُ نساءً معلقات بشدَّيْن ، فقلتُ : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال :
هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني جعفر بن عمرو ، عن القاسم بن محمد أن
رسولَ الله — صلى الله عليه وسلم — قال : اشتدَّ غضب الله على امرأةٍ أدخلت
على قومٍ من ليس منهم ، فأكل حرائبهم ، واطلع على عوراتهم .

عود إلى حديث الخدري : ثم رجع إلى حديث أبي سعيد الخدري ، قال :
ثم أضعدني إلى السماء الثانية ، فإذا فيها ابنا الخالة : عيسى بن مريم ، ويحيى ،
بن زكريا ، قال : ثم أضعدني إلى السماء الثالثة ، فإذا فيها رجل صورته كصورة
القمر ليلة البدر ، قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك يوسف بن
يعقوب . قال : ثم أضعدني إلى السماء الرابعة ، فإذا فيها رجل فسألته : من هو ؟
قال : هذا إدريس — قال : يقول رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم : ورفعناه
مكاناً علياً — قال : ثم أضعدني إلى السماء الخامسة فإذا فيها كهيل أبيضُ الرأس
واللحية ، عظيمُ العُشَّاون ، لم أر كهلاً أجملَ منه ، قال قلت : من هذا يا جبريل ؟
قال : هذا المُحَبَّبُ في قومه هارون بن عمران ، قال : ثم أضعدني إلى السماء
السادسة ، فإذا فيها رجل آدمٌ طويلٌ أقنى كأنه من رجال سُوءةٍ ؛ فقلت له :

.

من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك موسى بن عمران . ثم أضعذني إلى السماء السابعة ، فإذا فيها كَهْلٌ جالس على كرسيٍّ إلى باب البيت المعمور ، يدخله كل يوم سبعون ألفَ ملك ، لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة . لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ، قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم . قال : ثم دخل بي الجنة ، فرأيتُ فيها جاريةً لساء ، فسألتها : لمن أنت ؟ وقد أعجبتني حين رأيتها ، فقالت : لزيد بن حارثة ، فبشّر بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة .

قال ابن إسحاق : ومن حديث عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه — عن النبي — صلى الله عليه وسلم — فيما بلغني : أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن في دخولها : من هذا يا جبريل ؟ فيقول : محمد ، فيقولون : أو قد بعث ؟ فيقول : نعم ، فيقولون : حياهُ الله من أخ وصاحب ، حتى انتهى به إلى السماء السابعة ، ثم انتهى به إلى ربه ، ففرض عليه خمسين صلاة في كل يوم .

قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فأقبِلت راجعاً ، فلما مررت بموسى بن عمران ونعمَ الصاحبُ كان لَكُمْ ، سألتني كم فُرض عليك من الصلاة ؟ فقلت خمسين صلاة كل يوم ؛ فقال : إن الصلاة ثقيلة ، وإن أمتك ضعيفة ، فارجع إلى ربك ، فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك . فرجعتُ فسألت ربي أن يخفف عني ، وعن أمتي ، فوضع عني عشراً . ثم انصرفت فررت على موسى فقال لي مثل ذلك ، فرجعتُ فسألت ربي ، فوضع عني عشراً .

.....

ثم انصرفت ، فمرت على موسى ، فقال لي مثل ذلك ، فرجعت فسألته فوضع
عني عشراً ، ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك ، كلما رجعت إليه ، قال : فارجع
فاسال ، حتى انتهيتُ إلى أن وضع ذلك عني ، إلا خمس صلوات في كل يوم
وليلة . ثم رجعت إلى موسى ، فقال لي مثل ذلك ، فقلت : قد راجعتُ ربي
وسألته ، حتى استحيتُ منه ، فما أنا بفاعل رواه البيهقي في كتاب دلائل
النبوة وابن جرير وابن أبي حاتم .

فمن أذهن منكم إيماناً بهنّ ، واحتساباً لهنّ ، كان له أجرُ خمسين صلاة
مكتوبة . رواه . وفي الحديث غرابة ونكارة .

رؤية النبي ربه :

فصل : وقد تكلم العلماء في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء ،
فروى مسروق عن عائشة أنها أنكرت أن يكون رآه ، وقالت من زعم أن محمداً
رأى ربه ، فقد أعظم على الله الفرية ، واحتجت بقوله سبحانه (لا تُدرِكُه
الْأَبْصَارُ ، وهو يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) الأنعام : ١٠٣ وفي مصنف الترمذي عن
ابن عباس وكب الأخبار أنه رآه ، قال كعب : إن الله أقسم رؤيته وكلامه
بين موسى ومحمد ، وفي صحيح مسلم عن أبي ذرٍّ قلت : يا رسول الله هل رأيتَ
ربَّكَ ؟ قال : رأيتُ نوراً ، وفي حديث آخر من كتاب مسلم أنه قال : نوراً أني
أراه ، وليس في هذا الحديث بيان شاف أنه رآه ، وحكى عن أبي الحسن
الأشعري أنه قال : رآه بعيني رأسه ، وفي تفسير النقاش عن ابن حنبل أنه
سئل : هل رأى محمدٌ ربه ، فقال : رآه رآه رآه حتى انقطع صوته ، وفي تفسير

عبد الرزاق عن معمر عن الزهري وذكر إنكار عائشة أنه رآه ، فقال لزهري : ليست عائشة أعلم عندنا من ابن عباس ، وفي تفسير ابن سلام عن عروة أنه كان إذ ذكر إنكار عائشة أن يكون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى ربه يشتد ذلك عليه ، وقول أبي هريرة في هذه المسألة كقول ابن عباس أنه رآه ؟ روى يونس عن ابن إسحاق عن داود بن الحصين قال : سأل مروان أبا هريرة : هل رأى محمد ربه ؟ قال : نعم ، وفي رواية يونس أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله : هل رأى محمد ربه ؟ فقال : نعم رآه ، فقال ابن عمر : وكيف رآه ، فقال ابن عباس كلاما كرهت أن أوردته بلفظه لما يؤم من التشبيه ، ولو صح لكان له تأويل والله أعلم ، والمتحصل من هذه الأقوال - والله أعلم - أنه رآه لأعلى أكمل ماتسكون الرؤية على نحو ما يراه في حظيرة القدس عند الكرامة العظمى والنعيم الأكبر ، ولكن دون ذلك ، وإلى هذا يؤمى قوله : رأيت نوراً ونوراً أنى أراه في الرؤية الأخرى والله أعلم .

وأما الدنو والتدلى فهما خبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - عن بعض المفسرين ، وقيل إن الذي تدلى هو جبريل عليه السلام تدلى إلى محمد حتى دنا منه . وهذا قول طائفة أيضاً ، وفي الجامع الصحيح في إحدى الروايات منه : فتدلى الجبار ، وهذا مع صحة نقله لا يكاد أحد من المفسرين يذكره لاستحالة ظاهره ، أو للغفلة عن موضعه ، ولا استحالة فيه ؛ لأن حديث الإسراء إن كان رؤيا رآها بقلبه وعينه نائمة - كما في حديث أنس فلا إشكال فيما يراه في نومه عليه السلام فقد رآه في أحسن صورة ووضع كفه بين كتفيه ، حتى وجد بردها بين ثديه .

رواه الترمذى^(١) من طريق معاذ في حديث طويل ، ولما كانت هذه رؤياه

(١) الحديث كما رواه أحمد بسنده عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : أتاني ربي الليلة في أحسن صورة - أحسبه يعنى في النوم - فقال : يا محمد أتدرى فيم يختصم الملا الأعلى ؟ قال : قلت لا ، فوضع يده بين كفتي حتى وجدت بردها بين يدي - أو قال نحري فعلبت - في السموات والأرض ، ثم قال : يا محمد هل تدري فيم يختصم الملا الأعلى ؟ قال : قلت : نعم يختصمون في الكفارات والدرجات . قال : وما الكفارات ؟ قال : قلت المسك في المساجد بعد الصلوات ، والمشى على الأقدام إلى الجماعات ، وإبلاغ الوضوء في المسكاره ، من فعل ذلك عاش بخير ، ومات بخير ، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه ، وقال : قل يا محمد إذا صليت . اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضني إليك غير مفتون . قال : والدرجات : بذل الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلاة بالليل والناس نيام ، ورواه أحمد أيضاً بسنده عن معاذ قال : احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة من صلاة الصبح ، حتى كدنا نترامى قرن الشمس ، فخرج - صلى الله عليه وسلم - سريعاً فتوب بالصلاة ، فصلى ، وتجاوز في صلاته ، فلما سلم ، قال - صلى الله عليه وسلم - كما أنتم ، ثم أقبل إلينا ، فقال : إني قتت من الليل ، فصليت ما قدر لي ، فنعست في صلاتي حتى استيقظت ، فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة ، الخ ولكنه قال في هذه الرواية : فتجلى لي كل شيء وعرفت ، بدلا من : فعلبت ما في السموات الأرض . وشتان ما هما في الدلالة . وعن الدرجات قال فيها : نين الكلام بدلا من إفشاء السلام . أما الدعاء ففي رواية معاذ أن الله قال له : سل ، قلت : اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين . وأن تغفر لي ، وترحمني ، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفني غير مفتون ، وأسألك حبك ، وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك ، أما في رواية ابن عباس ، فقد ورد أن الله هو الذي طلب منه أن يقول هذا ، وعلمه إياه . هذا والحديث رواه الترمذى من حديث جهم بن عبد الله

اليمامي ، وقال : حسن صحيح ، وهو في السنن من طرق . ويقول ابن كثير : وهو حديث المتأم المشهور ، ومن جعله يقظة ، فقد غلط .

وما أعظم فقه أم المؤمنين عائشة رضی الله عنها فيما رواه أحمد بسنده عن عامر ، قال : أتى مسروق عائشة ، فقال : يا أم المؤمنين : هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم — ربه عز وجل ؟ قالت سبحان الله لقد قف شعري لما قلت . أين أنت من ثلاث من حدثكهن ، فقد كذب . من حدثك أن محمدا رأى ربه ، فقد كذب ، ثم قرأت : (لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار) (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب) ومن أخبرك أنه يعلم ما في غد ، فقد كذب . ثم قرأت : (إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام) الآية . ومن أخبرك أن محمدا قد كتم ، فقد كذب ، ثم قرأت : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) وانكبه رأى جبريل في صورته مرتين ، وتدبر ما رواه أحمد بسنده عن مسروق قال : وكنت عند عائشة ، فقلت : أليس الله يقول : (ولقد رآه بالأفق المبين — ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت : أنا أول هذه الأمة ، سألت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عنها ، فقال : إنما ذاك جبريل . لم يره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين ، رآه منهيلاً من السماء إلى الأرض ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض ، وأخرجه في الصحيحين من حديث الشعبي به . ولمسلم في الرواية طريقان بلفظين عن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ فقال : نوراني أراه . والآخر : رأيت نورا . وقد حكى الخلال في علمه أن الإمام أحمد سئل عن هذا الحديث ، فقال : ما زلت منكرها له ، وما أدري ما وجهه . . ويقول الأئمة : إن عائشة سألت عن الرواية بعد الإسراء ، ولم يثبت لها النبي الرواية ، ومن قال : إنه خاطبها على قدر عقلها ، أو حاول تخطئتها فيما ذهبت إليه كابن خزيمة في كتاب التوحيد ، فإنه هو المخطئ . وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه قال في قوله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى) قال : رأى جبريل عليه السلام . وحسبنا هذا .

لم ينكرها أحدٌ من أهل العلم ، ولا استبشعها ، وقد بينا أننا أن حديث الإسراء كان رؤيا ثم كان يقظة فإن كان قوله فتدلى الجبارُ في المرة التي كان فيها غير قائم ، وكان الإسراء بجسده ، فيقال فيه من التأويل ما يقال في قوله : ينزل ربنا كل ليلةٍ إلى سماء الدنيا ، فليس بأبعد منه في باب التأويل ، فلا نكارةٍ فيه كان في نوم أو يقظه ، وقد أشرنا إلى تمام هذا المعنى في شرح ما تضمنه لفظ القوسين من قوله : قَابَ قَوْسَيْنِ في جزء أملهنا في شرح سبحان الله سبحانه ، تضمّن لطائف من معنى التقديس والتسبيح ، فلينظر هناك وأملينا أيضاً في معنى رؤية الرب سبحانه في المنام ، وفي عَرَصاتِ القيامة مسألة لتفانح الحقيقة في ذلك كاشفةً فمن أراد فهم الرؤية والرؤيا فلينظرها هناك ، ويقوى ما ذكرناه من معنى إضافة التدلّي إلى الربّ سبحانه كما في حديث البخاري ما رواه ابن سنجر مُسنّداً إلى شريح بن عبيد ، قال : لما صعد النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى السماء ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، فلما أحس جبريل بدُنُوِّ الربّ خرّ ساجداً ، فلم يزل يُسبِّحُ سُبْحَانَ رَبِّ الْجَبْرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعِزَّةِ حَتَّى قَضَى اللهُ إِلَى عَبْدِهِ مَا قَضَى ، قال : ثم رفع رأسه ، فرأيته في خلقه الذي خُلِقَ عليه منظوماً أجنحته بالزُّبُرِ جِدِّ وَاللَّوْثِ وَالْيَاقُوتِ ، فخُيِّلَ إِلَى أَنْ حَابَيْنِ عَيْنِيهِ قَدْ سَدَّ الْأَقْفَيْنِ ، وكنت لا أراه قبل ذلك إلا على صُورٍ مختلفة ، وكنت أكثر ما أراه على صورة دحية بن خليفة الكلبي ، وكان أحيانا لا يراه قبل ذلك إلا كما يرى الرجلُ صاحبه من وراء الغراب^(١) .

(١) حديث متهافت . أما رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل على صورة دحية ، فقد ورد في روايات صحيحة .

(م - ٢٩ الروض الأثف ج ٣)

لقاؤه للنبين :

فصل : ومما سئل عنه من حديث الإسراء ، وتكلم فيه لقاؤه لآدم في السماء الدنيا ، ولإبراهيم في السماء السابعة ، وغيرها من الأنبياء الذين لقيهم في غير هاتين السماءين ، والحكمة في اختصاص كل واحد منهم بالسماء التي رآه فيها ،
وسؤال آخر في اختصاص هؤلاء الأنبياء باللقاء دون غيرهم ، وإن كان رأى الأنبياء كلهم ، فما الحكمة في اختصاص هؤلاء الأنبياء بالذكر ؟ وقد تكلم أبو الحسن بن بطال في شرح البخارى على هذا السؤال ، فلم يصنع شيئاً ، ومغزى كلامه الذى أشار إليه أن الأنبياء لما علموا بقدمه عليهم ابتدروا إلى لقائه ابتدار أهل الغائب للغائب القادم ، فمنهم من أسرع ، ومنهم من أبطأ . إلى هذا المعنى أشار فلم يزد عليه ، والذى أقول في هذا : إن مأخذ فهمه من علم التعبير ، فإنه من علم النبوة ، وأهل التعبير يقولون : من رأى نبياً بعينه في المنام ، فإن رؤياه تؤذِن بما يُشبهه حال ذلك النبي من شِدَّةٍ أو رَخاءٍ أو غير ذلك من الأمور التى أخبر بها عن الأنبياء في القرآن ، والحديث ، وحديث الإسراء . كان بمكة وهى حَرَمُ الله وأمنه وقُطَّأُها جيرانُ الله ، لأن فيها بيته ، فأول ما رأى عليه من الأنبياء آدم الذى كان فى أمن الله وجواره ، فأخرجه عدوُّه إبليسُ منها ، وهذه القصة تشبهها الحالة الأولى من أحوال النبي - صلى الله عليه وسلم حين أخرجه أعداؤه من حَرَمِ الله وجوار بيته ، فَكَرَّبه ذلك وعمه . وأشبهت قصته فى هذا قصة آدم ، مع أن آدم تُعرَضُ عليه أرواحُ ذريته البرِّ والفاجر منهم ، فكان فى السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين ، لأن أرواح أهل الشقاء لا تَلجُ فى السماء ، ولا تُفتَحُ لهم أبوابها كما قال الله تعالى ، ثم رأى

في الثانية عيسى ويحيى وهما الممتحنان باليهود ، أما عيسى فكذبتة اليهود
وأذته ، وهُمُوا بقتله فرفعه الله ، وأما يحيى فقتلوه ، ورسولُ الله - صلى الله عليه
وسلم - بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان ، وكانت محنته
فيها باليهود ، آذوه وظَاهَرُوا عليه وَهُمُوا بِالقَاءِ الصَّخْرَةِ عليه ، ليقتلوه فَنجَّاهُ
الله تعالى كما نَجَّى عيسى منهم ، ثم سَمَّوه في الشاة ، فلم تزل تلك الأَكَلَّة
تعاوده ، حتى قطعت أبهره^(١) كما قال عند الموت ، وهكذا فعلوا بابنِي الخِلافة :
عيسى ويحيى ، لأن أمَّ يحيى أشياحُ بنت عمران أخت مريم ، أمهما : حنَّة ،
وأما لقاءه ليوسف في السماء الثالثة ، فإنه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف ،
وذلك بأن يوسف ظَفِرَ بإخوته بعد ما أخرجوه من بين ظَهْرَانِيهِمْ فصفح عنهم ،
وقال لا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الآية ، وكذلك نبينا - عليه السلام أَسْرَ يوم بدرٍ جُمَلَةً
من أقاربه الذين أخرجوه فيهم عمه العباسُ ، وابن عمه عقيل ، فمنهم من أطلق ،
ومنهم من قبِلَ فداءه ، ثم ظهر عليهم بعد ذلك عامَ الفتح لجمعهم ، فقال لهم :
أقول ما قال أخى يوسف لا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ اليوم ، ثم لقاءه لإدريس في السماء
الرابعة ، وهو المكان الذى سماه الله مكانا عليا ، وإدريس أول من آتاه الله الخِطَّةَ
بالقلم ، فكان ذلك مؤذنا بحالة رابعة ، وهى عُلُوُّ شأنه - عليه السلام - حتى أخاف
الملوك وكتب إليهم يدعومهم إلى طاعته ، حتى قال أبو سفيان ، وهو عند ملك
الروم ، حين جاءه كتابُ للنبي عليه السلام ، ورأى ما رأى من خَوْفِ هِرَقْلَ :

(١) الأبر : الظهر وعرق فيه ، ووريد العنق والا كحل . وقد ذكر قصة
الشاة المسمومة البخارى وغيره .

لقد أمر أمر ابن أبي كَبِشَةَ (١) ، حتى أصبح يخافه ملكُ بني الأَصْفَرِ ، وكتب عنه بالقلم إلى جميع ملوك الأرض ، فمنهم من اتبعه على دينه كالنَّجَاشِي ، ومَلِكَ عَمَانَ ، ومنهم من هادنه ، وأهدى إليه وأتحفه كَهَرَقْل والمُقَوِّس ومنهم من تعصَّى عليه ، فأظهره اللهُ عليه ، فهذا مقام عليّ ، وخط بالقلم كنفجو ما أوتي إدريس - عليه السلام - ولقاؤه في السماء الخامسة لهارون المُحَجَّب في قومه يؤذن بحب قريش ، وجميع العرب له بعد بُفضهم فيه ، ولقاؤه في السماء السادسة لموسى يؤذن بحالة تشبه حالة موسى حين أمر بغزو الشام فظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها ، وأدخل بني إسرائيل البلد الذي خرجوا منه بعد إهلاك عدوهم ، وكذلك غزا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - تبوك من أرضِ الشام ، وظهر على صاحب دَوْمَةَ حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به أسيراً ، وافتتح مكة ، ودخل أصحابه البلد الذي خرجوا منه ، ثم لقاؤه في السماء السابعة لإبراهيم - عليه السلام - لحكمتين : إحداهما : أنه رآه عند البيت المعمور مُسنِداً ظهره إليه والبيتُ المعمورُ حيال مكة ، وإليه تحج الملائكة ، كما أن إبراهيم هو الذي بنى الكعبة ، وأذن في الناس بالحج إليها والحكمة الثانية أن آخر أحوال النبي - صلى الله عليه وسلم - حجَّه إلى البيت الحرام ، وحجَّ معه نحو من سبعين ألفاً من المسلمين ، ورؤية إبراهيم عند أهل التأويل تؤذن بالحج ، لأنه الداعي إليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوبة ، فقد انتظم في هذا الكلام الجواب عن

(١) أي كثر وارتفع شأنه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم ذكر

السؤالين المتقدمين ، أحدهما : السؤال عن تخصيص هؤلاء بالذكر ، والآخر :
 السؤال عن تخصيصهم بهذه الأماكن من السماء الدنيا إلى السابعة ، وكان الخزم
 ترك التكلف لتأويل ما لم يرد فيه نصٌّ عن السلف ، ولكن عارض هذا
 الفرض ما يجب من التفكير في حكمة الله ، والتدبر لآيات الله ، وقولُ الله تعالى :
 ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وقد روى أن تفكُّر ساعة خيرٌ من
 عبادة سنة^(١) ما لم يكن النظر والتفكير مجرداً من ملاحظة الكتاب والسنة ،
 ومقتضى كلام العرب ، فعند ذلك يكون القولُ في الكتاب والسنة بغير علم عصمنا
 الله - تعالى - من ذلك^(٢) ، وجعلنا من المُمتثلين لأمره حيث يقول : فاعتبروا
 يا أولى الأبصار وليدبروا آياته ، وليتذكروا الأبواب ، ولولا إسرارُ
 الناس إلى إنكار ما جهلوه ، وغلظ الطباع عن فهم كثير من الحكمة لأبدينا
 من سِرِّ هذا السؤال ، وكشفنا عن الحكمة في هؤلاء الأنبياء المسلمين في هذه
 المراتب أكثر مما كشفنا^(٣).

البيت المعمور :

فصل : وذكر البيت المعمور ، وأنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملكٍ
 روى ابن سنجر عن علي - رحمه الله - قال : البيتُ المعمور بيتٌ في السماء السابعة

(١) التفكير نفسه في خلق السموات والأرض وغيرهما من أجل أنواع
 العبادة ، فكيف نجعل التفكير شيئاً والعبادة شيئاً آخر؟ وهذا يدل على ضعف
 الحديث .

(٢) هذه رائحة من السهيلي ، فلنتدبرها باحتفال تستحقه

(٣) والحق أنه لم يكشف ، وإنما اعتسف .

يقال له: الضَّرَاحُ، واسم السماء السابعة: عَرِيبًا^(١)، روى أبو بكر الخطيب بإسناد صحيح إلى وَهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: مَنْ قَرَأَ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ كَانَ لَهُ نُورٌ يَمْلَأُ مَا بَيْنَ عَرِيبَاءَ وَجَرِيَاءَ وَجَرِيَاءَ وَجَرِيَاءَ، وَهِيَ الْأَرْضُ السَّابِعَةُ^(٢)، وَذَكَرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْمُدَيْلِ قَالَ: الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ دِحْيَةٍ عِنْدَ كُلِّ دِحْيَةٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ رَوَاهُ عَنْهُ أَبُو التَّيَّاحِ [يَزِيدُ الضُّبَيْعِيُّ] قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: قَلْتُ مَا الدَّحْيَةُ؟ قَالَ: الرَّئِيسُ. وَرَوَى ابْنُ سُنَيْجِرٍ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَيْتٌ يُقَالُ لَهُ: الْمَعْمُورُ بِحِيَالِ مَكَّةَ، وَفِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ نَهْرٌ يُقَالُ لَهُ الْحَيَوَانُ^(٣) يَدْخُلُهُ جَبْرَيْلُ كُلِّ يَوْمٍ فَيَنْفَسُ فِيهِ انْفَاسَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيَنْتَفِضُ انْتِفَاضَةً، يَخْرُجُ عَنْهُ سَبْعُونَ أَلْفَ قَطْرَةٍ، يَخْلُقُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ قَطْرَةٍ مَلَكًا وَيُؤْمَرُونَ أَنْ يَأْتُوا الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ وَيَصَلُّوا فِيهِ فَيَفْعَلُونَ ثُمَّ يَخْرُجُونَ فَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ أَبَدًا، [و] يُولَى عَلَيْهِمْ أَحَدُهُمْ يُؤْمَرُ أَنْ يَقِفَ بِهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَوْقِفًا يُسَبِّحُونَ اللَّهَ [فِيهِ]

(١) في القاموس واللسان والنهاية لابن الأثير أن اسم السماء السابعة: عروباء
(٢) في اللسان: الجرباء: السماء سميت بذلك لما فيها من الكواكب، وقيل: سميت بذلك لموضع الحجر كما أنها جربت بالنجوم. وقيل: الجرباء من السماء: الناحية التي لا يدور فيها فلك الشمس والقمر. . والجرباء والملاء: السماء للدينا. . وأرض جرباء محلة وقحوظة لأشياء فيها، وفي القاموس عن الجرباء أنها قرية بجنب أذرح، ثم قال: وغلط من قال: بينهما ثلاثة أيام، وإنما الوهم من رواية الحديث من إسقاط زيادة ذكرها الدارقطني، وهي: ما بين ناحيتي حوض كما بين المدينة وجرباء وأذرح.

(٣) في ابن أبي حاتم: وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان.

يُقالُ أن تقوم الساعة» (١)

فرصة الصلاة :

فصل : وأما فرض الصلاة عليه هنالك ، ففيه التنبيه على فضلها ، حيث لم تُفرض إلا في الحضرة (٢) المُقدَّسة ؛ ولذلك كانت الطهارة من شأنها ، ومن شرائط أدائها ، والتنبيه على أنها مناجاة الرب ، وأن الرب تعالى مُقبِلٌ بوجهه على المصلّي يناجيه يقول : حمدني عبدي ، أثنى عليَّ عبدي (٣) إلى آخر

(١) الحديث أخرجه ابن أبي حاتم ، وقد تكلم عنه ابن كثير ، فقال : وهذا حديث غريب جداً تفرد به روح بن جناح ، وهذا وهو القرشي الأموي مولاهم أبو سعيد الدمشقي ، وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ ، منهم : الجوزجاني والعقبلي والحاكم أبو عبد الله النيسابوري وغيرهم ، وقال الحاكم : لا أصل له من حديث أبي هريرة ، ولا سعيد ، ولا الزهري ، تفسير سورة الطور .

(٢) سبق بيان أن آيات القرآن تؤكد أن الصلاة كانت مفروضة قبل هذا ، وإلا وجب القول بأن الإسراء كان في عقب المبعث مباشرة . هذا ، ولا يجوز أن نقول : الحضرة المقدسة ، فإنه لا يعد تعبيراً إسلامياً ، ولكنه تعبير صوفي قديم ولم يرد في قرآن أو حديث ، ولم يجر على لسان صحابي أو تابعي ، ولا يجوز أن ننسب إلى الله سبحانه إلا ما نسب هو - جل شأنه - إلى نفسه .

(٣) من حديث رواه مسلم والنسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن ، فهي خداج - ثلاثاً - غير تمام فقيل لأبي هريرة : إنما نكون خلف الإمام ، فقال اقرأ بها في نفسك ، فإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : قال الله - عز وجل - قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين . ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين فقال الله : حمدني عبدي ، وإذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله أثنى علي عبدي ، =

السورة ، وهذا مُشاكلٌ لفرضها عليه في السماء السابعة حيث سمع كلام الرب ، وناجاه ، ولم يبرج به حتى طهر ظاهره وباطنه بماء زمزم كما يتطهر المصلى للصلاة ، وأخرج عن الدنيا بحممه ، كما يخرج المصلى عن الدنيا بقلبه ، ويحرم عليه كل شيء إلا مناجاة ربه وتوجهه إلى قبلته في ذلك الحين ، وهو بيت المقدس ، ورفع إلى السماء كما يرفع المصلى يديه إلى جهة السماء إشارة إلى القبلة العليا فهي البيت المعمور ، وإلى جهة عرش من يناجيه ويصلى له سبحانه .

فرصة الصلوات خمسين

فصل وأما فرض الصلوات خمسين ثم حط منها عشرا بعد عشر إلى خمس صلوات . وقد روى أيضا أنها حطت خمسا بعد خمس ، وقد يمكن الجمع بين الروایتين لدخول الخمس في العشر ، فقد تكلم في هذا النقص من الفريضة

— فإذا قال: مالك يوم الدين، قال الله: مجدني عبدي، وقال مرة: فوض إلى عبدي . فإذا قال: إياك نعبد، وإياك نستعين قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: إهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم، ولا الضالين، قال الله: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل، وقال الترمذي: هذا حديث حسن . أقول: إن القرآن يفرض على كل مسلم إذا قرأ القرآن أن يستمع وينصت، وعلى هذا يجب على المأموم - خلافا لما في الحديث - ألا يقرأ بالفتحة في نفسه، وهو يسمع القرآن من الإمام، لأن الله يقول: (وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له، وأنصتوا لعلكم ترحمون) الأعراف: ٢٠٤ . والقول بأن الأمر موجه إلى من يكونون في غير الصلاة قول على الله بنغير علم .

أَهُوَ نَسْخٌ أَمْ لَا؟ عَلَى قَوْلَيْنِ ، فَقَالَ قَوْمٌ : هُوَ مِنْ بَابِ نَسَخِ الْعِبَادَةِ قَبْلَ الْعَمَلِ .
بِهَا ، وَأَنْكَرَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ هَذَا الْقَوْلَ مِنْ وَجْهَيْنِ ، أَحَدُهُمَا الْبِنَاءُ عَلَى
أَصْلِهِ وَمَذْهَبِهِ فِي أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا يَجُوزُ نَسْخُهَا قَبْلَ الْعَمَلِ بِهَا ، لِأَنَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ مِنَ
الْبَدَاءِ ، وَالْبَدَاءُ مَحَالٌّ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ . الثَّانِي : أَنَّ الْعِبَادَةَ إِنْ جَازَ نَسْخُهَا قَبْلَ
الْعَمَلِ بِهَا عِنْدَ مَنْ يَرَى ذَلِكَ ، فَلَيْسَ يَجُوزُ عِنْدَ أَحَدٍ نَسْخُهَا قَبْلَ هَبْوِطِهَا إِلَى
الْأَرْضِ وَوُصُولِهَا إِلَى الْمَخَاطِبِينَ : قَالَ : وَإِنَّمَا أَدْعَى النِّسْخَ فِي هَذِهِ الصَّلَوَاتِ
الْمَوْضُوعَةِ عَنْ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ الْقَاشَانِي ، لِيَصْحَحَ بِذَلِكَ مَذْهَبَهُ فِي أَنَّ الْبَيَانَ لَا يَتَأَخَّرُ ،
ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : إِنَّمَا هِيَ شَفَاعَةٌ شَفَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
لَأُمَّتِهِ وَمَرَاجَعَةٌ رَاجِعَهَا رَبُّهُ ، لِيُخَفَّفَ عَنْ أُمَّتِهِ ، وَلَا يُسَمَّى مِثْلَ هَذَا نَسْخًا .

قال المؤلف : أما مذهبه في أن العبادَةَ لا تُنسخ قبل العمل بها ، وأن
ذلك بداءٌ فليس بصحيح ، لأن حقيقة البداء أن يَبْدُو لِلأمرِ رأىٌ يَتَبَيَّنُ لَهُ
الصوابُ فيه بعد أن لم يكن تَبَيَّنَ ، وهذا محالٌ في حق من يَعْلَمُ الأشياءَ بعلمٍ
قديمٍ^(١) ، وليس النسخ من هذا في شيءٍ ، وإنما النسخ تَبْدِيلُ حُكْمٍ بِحُكْمٍ ، وَالسُّكْلُ

(١) في اللسان : د البداء : استصواب شيء علم بعد أن لم يعلم ، وذلك على
الله غير جائز ، ويقول الشهرستاني في الملل والنحل : د والبداء له معان :
البداء في العلم ، وهو أن يظهر له صواب علمي خلاف ما أزداد وحكم ، والبداء
في الأمر ، وهو أن يأمر بشيء ، ثم يأمر بعده بخلاف ذلك ، قال هذا وهو
يتحدث عن المختار بن عبيد الثقفي أحد زعماء فرق الشيعة الأوائيل ، ثم قال :
د وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبداء ، لأنه كان يدعى علم ما يحدث من
الأحوال إما بوحي يوحى إليه ، وإما برسالة من قبل الإمام ، فكان إذا
وجد أصحابه بكون شيء ، وحدثت حادثة ، فإن وافق كونه قوله جعله دليلًا

في سابقِ علمه ومقتضى حكيمته، كُنسخِهِ المرضَ بالصحة، والصحةَ بالمرضِ، ونحو ذلك، وأيضاً بأن العبدَ للمأمور يجب عليه عند توجه الأمر إليه ثلاثُ عباداتٍ: الفعل الذي أمر به، والعزم على الامتثال عند سماع الأمر، واعتقاد الوجوب إن كان واجباً فإن نُسخَ الحكم قبل الفعل، فقد حصلت فائدتان: العزمُ واعتقادُ الوجوب. وعلم الله ذلك منه، فصحَّ امتحانهُ له واختباره إياه، وأوقع الجزاء على حسب ما علم من نيته، وإنما الذي لا يجوز نسخ الأمر قبل نزوله، وقبل علم الخطاب به، والذي ذكر النحاس من نسخ العبادة بعد العمل بها، فليس هو حقيقة النسخ، لأن العبادة المأمور بها قد مضت، وإنما جاء الخطاب بالنهي عن مثلها لاعتبارها، وقولنا في الخمس والأربعين صلاةً الموضوعات عن محمد وأُمَّته أحد وجهين، إما أن يكون نسخ ماوجب على النبي صلى الله عليه وسلم من أدائها يورفع عنه استمرار العزم واعتقاد الوجوب، وهذا قد قدمنا أنه نسخٌ على الحقيقة، ونسخ عنه ماوجب عليه من التبليغ، فقد كان في كل مرة عازماً على تبليغ ماأمر به، وقول أبي جعفر: إنما كان شافعاً ومراجماً ينفى النسخ فإن النسخ قد يكون عن سبب معلوم، فشفاعته عليه السلام لأُمَّته كانت سبباً للنسخ لأُمْبِطَلَّةَ لحقيقته،

== على صدق دعواه، وإن لم يوافق قال: قد بدا لربكم، وكان لا يفرق بين النسخ والبداء، ص ٢٣٧ = الملل والنحل للشهرستاني ط مكتبة الحسين التجارية قالبداء إذن أسطورة ملعونة، ومحال نسبتها إلى الله سبحانه ولا يجوز وصف علم الله بأنه قديم، كما لا يجوز وصف الله بهذه الصفة كما سبق بيانه. كما أنه لا يجوز أن يقال عن آية في القرآن إنها منسوخة، فكل آية في القرآن هي حق لا ريب فيها، وكل آية فيه يجب أن تؤمن بأنها غير منسوخة.

ولكن المنسوخ ما ذكرنا من حكم التبليغ الواجب عليه قبل النسخ وحكم
«الصلوات الخمس في خاصته ، وأما أمته فلم ينسخ عنهم حكم إذ لا يتصور نسخ
الحسك قبل بلوغه إلى المأمور ، كما قدمنا ، وهذا كله أحد الوجهين في الحديث .

والوجه الثاني أن يكون هذا خبرا لا تعبدا ، وإذا كان خبرا لم يدخله
«النسخ» ، ومعنى الخبر أنه عليه السلام أخبره ربّه أن على أمته خمسين صلاة ،
بمعناه : أنها خمسون في اللوح المحفوظ ، وكذلك قال في آخر الحديث : هي
خمسون وهي خمسون ، والحسنة بعشر أمثالها فتأوله رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - على أنها خمسون بالفعل ، فلم يزل يراجع ربّه حتى بين له أنها خمسون
في الثواب لا بالعمل . فإن قيل : فما معنى نقصها عشرا بعد عشر ؟ قلنا : ليس
كل الخلق يحضر قلبه في الصلاة من أولها إلى آخرها ، وقد جاء في الحديث أنه
يكتب له منها ما حضر قلبه فيها ، وأن العبد يصلي الصلاة ، فيكتب له نصفها
ربعا حتى انتهى إلى عشرها ، ووقف ، فهي خمس في حق من كتب له
عشرها ، وعشر في حق من كتب له أكثر من ذلك ، وخمسون في حق من
كملت صلاته وأداها بما يلزمه من تمام خشوعها وكال سجودها وركوعها .

أوصاف من الملائكة :

فصل : وذكر أنه عليه السلام لم يلقه ملك من الملائكة إلا ضاحكا
مستبشرا إلا ما لكأ خازن جهنم ، وذلك أنه لم يضحك لأحد قبله ، ولا هو ضاحك
لأحد ، ومصدق هذا في كتاب الله تعالى ، قال الله سبحانه ﴿ عليها ملائكة
غَلَظٌ شِدَادٌ ﴾ التحريم : ٦ وهم موكلون بفضب الله تعالى ، فالفضب لا يزالهم

أبدا ، وفي هذا الحديث معارضة للحديث الذي في صفة ميكائيل أنه ما ضحك منذ خلق الله جهنم ، وكذلك يعارضه ما خرَّج الدَّارَقُطْنِيُّ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تبسم في الصلاة ، فلما انصرف سُئِلَ عن ذلك ، فقال : رأيت ميكائيلَ راجعا من طلب القوم ، على جناحيه الغبارُ فضحك إليّ ، فتبسمت إليه ، وإذا صح الحديثان ، فوجه الجمع بينهما : أن يكون لم يضحك منذ خلق الله النار إلى هذه المدة التي ضحك فيها لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيكون الحديث الأول حدَّثَ به رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - قبل هذا الحديث الأخير ثم حدث بعدُ بما حدَّثَ به من ضحكِهِ إليه ، والله أعلم ولم يرَ مالكا على الصورة التي يراه عليها المعذبون في الآخرة ، ولو رآه على تلك الصورة ما استطاع أن ينظر إليه .

أكلة الربا في رؤيا المعراج :

وذكر أكلة الربا وأنهم بسبيل آل فرعون يَمرون عليهم كالإبل المهيومة ، وهي العطاش ، والهَيَامُ : شدة العطش ، وكان قياس هذا الوصف ألا يقال فيه مهيومة ، كما لا يقال معطوشة ، إنما يقال هائم وهيان ، وقد يقال : هَيَوْمٌ ويجمع على هيم ، ووزنه فعل بالضم لكن كسرٍ من أجل الياء كما قال تعالى : ﴿ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ﴾ الواقعة : ٥٥ ولكن جاء في الحديث مهيومة ، كأنه شيء فعل بها كالمحمومة والمجنونة وكالمتهوم ، وهو الذي لا يشبع وكان قياس الياء أن تعقل ، فيقال : مهيمة ، كما يقال : مبيعة في معنى مبيوعة ،

واسكن صحت اليباء ، لأنها في معنى الهيمومة كما صحت الواو في عور لأنه في معنى
أعور ، كما صحت في اجتوروا لأنه في معنى : تَجَاوَرُوا ، وإنما رَأَمٌ مُنْتَفِخَةٌ
بطونهم ؛ لأن العقوبة مُشَاكِلَةٌ للذنب ، فأكل الربا يربو بطنه ، كما أراد أن
يُرْبُو مَالَهُ بِأَكْلِ مَاحِرِّمٍ عَلَيْهِ ، فَمُحِقَّتِ الْبِرْكَةُ مِنْ مَالِهِ ، وَجُعِلَتْ نَفْعًا فِي بَطْنِهِ ،
حتى يقوم كما يقوم الذي يتخبَّطه الشيطانُ مِنَ الْمَسِّ ، وَإِنَّمَا جُعِلُوا بِطَرِيقِ
آلِ فِرْعَوْنَ يَمْرُونَ عَلَيْهِمْ غُدُوًّا وَعَشِيًّا لِأَنَّ آلَ فِرْعَوْنَ هُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ اذْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ غافر : ٤٦ .
فَخَصُّوا بِسَبِيلِهِمْ ، لِيَعْلَمَ أَنَّ الَّذِينَ هُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَطُونُهُمْ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمْ
مِنَ الْكُفَّارِ ، وَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْقِيَامَ ، وَمَعْنَى كَوْنِهِمْ فِي طَرِيقِ جَهَنَّمَ بِمِثْلِ
مَيْرٍ بِالْكَفَّارِ عَلَيْهِمْ ، أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَوْقَفَ أَمْرَهُمْ بَيْنَ أَنْ يَنْتَهَوْا ، فَيَكُونَ
خَيْرًا لَهُمْ ، وَبَيْنَ أَنْ يَعُودُوا وَيَصْرُوا ، فَيَدْخُلُهُمُ النَّارُ ، وَهَذِهِ صِفَةٌ مَنْ هُوَ
فِي طَرِيقِ النَّارِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَمِنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ
وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ البقرة : ٢٧٥ . إِلَى آخِرِ الْآيَةِ وَفِي بَعْضِ الْمُسْنَدَاتِ أَنَّهُ رَأَى
بَطُونَهُمْ كَالْبَيُوتِ ، يَعْنِي : أَكَلَةَ الرَّبَا ، وَفِيهَا حَيَاتٌ تَرَى خَارِجَ الْبَطُونِ . فَإِنْ
قِيلَ : هَذِهِ الْأَحْوَالُ الَّتِي وَصَفَهَا عَنْ أَكَلَةِ الرَّبَا إِنْ كَانَتْ عِبَارَةً عَنْ حَالِهِمْ
فِي الْآخِرَةِ ، قَالَ فِرْعَوْنَ فِي الْآخِرَةِ قَدْ اذْخُلُوا أَشَدَّ الْعَذَابِ ، وَإِنَّمَا يُعْرَضُونَ
عَلَى النَّارِ غُدُوًّا وَعَشِيًّا فِي الْبَرْزَخِ ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْحَالُ الَّتِي رَأَمَ عَلَيْهَا
فِي الْبَرْزَخِ ، فَأَيُّ بَطُونٍ لَهُمْ ، وَقَدْ صَارُوا عِظَامًا وَرِفَاتًا ، وَمُزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ
فَالْجَوَابُ أَنَّهُ إِمَّا رَأَمَ فِي الْبَرْزَخِ ، لِأَنَّهُ حَدِيثٌ عَمَّا رَأَى ، وَهَذِهِ الْحَالُ هِيَ حَالُ

أرواحهم بعد الموت ، وفيها تصحيح لمن قال : الأرواحُ أجسادٌ لطيفة قابلة للنعيم والعذاب ، فيخلق الله في تلك الأرواح من الآلام ما يجده من انتفخ بطنه حتى وُطئ بالأقدام ، ولا يستطيع من قيامٍ ، وليس في هذا الحديث دليلٌ على أنهم أشد عذاباً من آل فرعون ، والسكن فيه دليل على أنهم يطوؤهم آل فرعون وغيرهم من الكفار الذين لم يأكلوا الرِّبَا ماداموا في البرزخ إلى أن يقوموا يوم القيامة ، كما يقوم الذي يتخبطه الشيطانُ من المَسِّ ، ثم ينادى منادى الله ﴿ اذْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ غافر : ٤٦ وكذلك ما رأى من النساء المملقات بشديهن^(١) يجوز أن يكون رأى أرواحهن ، وقد خلق فيها من الآلام ما يجده من هذه حاله ، ويحتمل أيضاً أن يكون مثلت له حالهن في الآخرة ، وذكر الذين يدعون ما أحل الله من نسائهم ، ويأتون ما حرم عليهم ، وهذا نص على تحريم إتيان النساء في أعجازهن ، وقد قام الدليل على تحريمه من الكتاب والسنة والإجماع ، وقد ذكرنا المواضع التي يقوم منها التحريم على هذه المسألة من كتاب الله ، ومن حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذكرنا ما جاء في ذلك عن ابن عباس من قوله : هو الكفر ، وقول ابن عمر : هي الأوطية الصغرى ، وأما الإجماع ، فإن المرأة تُردُّ ببدء الفرج ، ولو جاز وطؤها في المسلك الآخر ما أجمعوا على ردّها ببدء الفرج ، وقد مهّدنا الأدلة على هذه المسألة مُفردة في غير هذا الإملاء بما فيه شفاء والحمد لله

(١) لم يخرجها أحد من أصحاب الصحيح ، وفي بعض رواياته غرابة ونسكاراة .

الولد لغير رشدة:

وقوله: فأكل حراثيهم: الحَرِيْبَةُ: المال، وهو من الحرب، وهو السَّلْبُ، يريد أن الولد إذا كان لغير رشدة نُسب إلى الذي وُلد على فراشه، فيأكل من ماله صغيراً، وينظر إلى بناته من غير أمه وإلى أخواته، ولَسَنَ بَعَمَاتٍ له، وإلى أمه وليست بجدة له، وهذا فساد كبير، وإنما قدّم ذكر الأكل من حَرِيْبَتِهِ وماله قبل الاطلاع على عَوْرَاتِهِ، وإن كان الاطلاع على العَوْرَاتِ أشنع، لأن نفقته عليه أول من حال صغره، ثم قد يبلغ حد الاطلاع على عَوْرَاتِهِ، أولاً يبلغ، وأيضاً فإن الأم أرضعته بلبانها، ولم تدفعه إلى مرضعة كان الزَّوْجُ أباً له من الرضاعة، وكان حكمه حكم الابن من الرضاعة، وفي ذلك نقصان من الشناعة، فإن بلغ الصَّبِي، وتابت الأم، وأعلمته أنه لغير رشدة ليستعفّ عن ميراثهم، ويكف عن الاطلاع على عَوْرَاتِهِمْ، أو علم ذلك بقربنة حالٍ وجب عليه ذلك وإن كان شرّاً الثلاثة كما جاء في الحديث في ابن الزَّنا، وقد تَوَوَّلَ حَدِيثُ شَرِّ الثَّلَاثَةِ على وُجُوهِ، هذا أقربها إلى الصواب، لقوله عليه السلام: أَكَلَّ حَرَائِيهِمْ، وأطلع على عَوْرَاتِهِمْ، ومن فعل هذا عن عمدٍ وقصد فهو شر الناس، وإن لم يعلم فأكله وإطاعه شرٌّ عمل، وأبواه حين زَنَيْسا فارقا ذلك العمل الخبيث لحيثهما والابن في عمل خبيثٍ من مَنَشئِهِ إلى وفاته، فعمله شرٌّ عمل.

حكم الحاكم لا يحل الحرام:

وفي هذا الحديث من الفقه أيضاً أن حكم الحاكم لا يحل حراماً، وذلك أن الولد في حكم الشريعة للفراش إلا أن يُنْفَى بِاللَّعَانِ، فإذا حكم الحاكم بهذا، وعلم

«الولدُ عند بلوغه خلاف ماحكم به الحاكم لم يحل له بهذا الحكم ماحرّم الله عليه من أكل الحرائب والاطلاع على العورات ، وفي هذا ردٌّ لمذهب أبي حنيفة من قوله: إن حكم الحاكم قد يحل مايعلم أنه حرام مثل أن يشهد شاهدان على رجل أنه طلق، وهما يعلمان أنه لم يطلق فيقبل القاضي شهادتهما فيطلق المرأة على الرجل ، فإذا بانّت منه كان لأحد الشاهدين أن ينكحها مع علمه بأنه قد شهد زوراً ، لم يقل أبو حنيفة بهذا القول في الأموال لقول النبي عليه السلام « إنما أنا بشرٌ وإنكم تختصمون إليّ ، ولعلّ أحدكم أن يكون ألحن بحجّته من صاحبه ، فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمن قضيتُ له بشيء من حقِّ أخيه ، فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعةً من النار^(١) » ففي هذا الحديث مع الذي تقدم ردٌّ لمذهبه ، ولا حجة له في أن يقول ذلك بخصوص الأموال من وجهين : أحدهما : أن أن القياس أصل من أصوله ، وقياس المسألتين واحد ، الثاني : أنه قال من حق أخيه ، ولم يقل من مال أخيه ، وهذا لفظ يعم الحقوق كلها قال المؤلف : وعندى أن أبا حنيفة رحمه الله : إنما بنى هذه المسألة على أصله في طلاق المُكره ، فإنه

(١) رواه الجماعة . ومعنى الحن : أبلغ كما وقع في الصحيحين أى : أحسن المراداً للكلام ، ولا بد من تقدير محذوف لتصحيح معناه . وهو أى وهو كاذب ، ويسمى هذا عند علماء الأصول : دلالة اقتضاء ، لأن اللفظ الظاهر المذكور يقتضى هذا المحذوف ، وقد يكون معناه : أعرف بالحجة ، وأقطن لها من غيره ويقال : لحن فلان إذا قلت له قولاً يفهمه ، ويخفى على غيره لأنك تميله بالتورية عن الواضح المفهوم ، فاللحن : الميل عن جهة الاستقامة ، يقال : لحن فلان في كلامه : إذا مال عن صحيح المنطق . وفي رواية « ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضى بنحو ما أسمع ،

عنده لازم فإذا أكره الرجلُ على الطلاق ، وقلنا يلزم الطلاق له ، فقد حرمت للمرأة عليه ، وإذا حرمت عليه جاز أن ينكحها من شاء فالإثم إنما تعلق في هذا المذهب بالشهادة دون النكاح ، وقد خالفه فقهاء الحجاز في طلاق المكره ، وقولهم يمضده الأثر ، وقول أبي حنيفة يعضده النظر ، والخوض في هذه المسألة يصدنا عما نحن بسبيله .

مطلب إدريس

فصل : وذكره لإدريس في السماء الرابعة مع قوله تعالى : (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) مريم ، مع أنه قد رأى موسى وإبراهيم في مكان أعلى من مكان إدريس . فذلك والله أعلم لما ذكر عن كعب الأحبار أن إدريس خص من جميع الأنبياء أن رفع قبل وفاته إلى السماء الرابعة ، ورفع ملكٌ كان صديقاً له ، وهو الملك الموكل بالشمس فيما ذكر ، وكان إدريس سأله أن يُريه الجنة ، فأذن له الله في ذلك ، فلما كان في السماء الرابعة رآه هنالك ملك الموت ، فعجب ، وقال أمرت أن أقبض روح إدريس الساعة في السماء الرابعة ، فقبضه هنالك ، فرفعه حياً إلى ذلك المكان العلى خاص له دون الأنبياء^(١) .

(١) يقول ابن كثير عن هذا : « وقد روى ابن جرير ههنا أثراً غريباً عجيباً ، ثم ذكر الأثر بطوله ، بخرقه المشثوم ، وكذبه الملعون ، ثم قال بعده : « هذا من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات ، وفي بعضه نكارة والله أعلم ، تفسير الآية من سورة مريم . أما المكان العلى فقد ذكر الحسن وغيره أنه الجنة . ولنحذر من موبات كعب

(م ٣٠ - الروض الانف ج ٣)

قول الأنبياء في كل سماء :

فصل : وذكر من قول الأنبياء له في كل سماء : مَرَحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ ،
وقول آدم وإبراهيم : بالابن الصالح وقد ذكرنا في أول هذا الكتاب حُجَّةً لمن
قال : إن إدريسَ ليس بجدِّ لُتُوْحٍ ، ولا هو من آباء رسولِ الله - صلى الله عليه
وسلم - لأنه قال مَرَحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ ، ولم يقل : بالابن الصالح

خرافة طلب موسى أنه يكون من أمة احمد :

وأما اعتناء موسى - عليه السلام - بهذه الأمة وإلحاحه على نبيها أن يشفع
لها ، ويسأل التخفيفَ عنها ، فلقوله - والله أعلم - حين قُضِيَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ بِجَانِبِ
الْغَرْبِيِّ ، ورأى صفات أمة محمد عليه السلام في الألواح ، وجعل يقول : إني
أجد في الألواح أُمَّةً صَفَّتُهُمْ كَذَا ، اللهم اجعلهم امتي ، فيقال له : تلك أمة
أحمد ، وهو حديث مشهور^(١) ، فكان إشفاقه عليهم واعتناؤه بأمرهم كما يعنى
بالتقوم مَنْ هُوَ مِنْهُمْ ، لقوله : اللهم اجعلني منهم ، والله أعلم .

(١) هو مشهور ، ولكن شهرة الباطل الماكر ، والضلالة اللثيمة ،
وقد أخرجه أبو نعيم في الدلائل ، ولم يخرج أحد من أصحاب الصحيح .
وكيف يطلب موسى من الله أن تكون هذه الأمة التي ستأتي بعده بقرون أمة له ؟
وكيف نصدق أو كيف يستقيم القول بأنه أعطى خصلتي الرسالة والتكليم بعد هذه
المنافسة ، على حين كان هو رسولا مكلما قبل أن تنزل الألواح عليه . فقد ورد
في ختام الحديث . أن موسى قال : يا رب فاجعلني من أمة أحمد ، فأعطى عند
ذلك خصلتين ، فقال : (يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ،
فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) إنها خرافة ظاهرها يـ نزع إلى تمجيد
النبي د ص ، وباطنها - بهته بالكذب والخرف الاحق ،

بعض ما رأى :

ومما جاء فى حديث الإسراء مما لم يذكره ابن اسحاق فى مُسند الحارث ابن أبى أسامة أنه - عليه السلام - ناداه مناد ، وهو على ظهر الأبراق : يا محمد ، فلم يعرج عليه ، ثم ناداه آخر : يا محمد يا محمد ثلاثا ، فلم يعرج عليه ، ثم لقيته امرأة عليها من كل زينة ناشرة يديها ، تقول : يا محمد يا محمد ، حتى تَفَشَّتْه ، فلم يعرج عليها ، ثم سأل جبريل عما رأى ، فأخبره ، فقال : أما للنادى الأول ، فداعى اليهود لو أُجِبْتَهُ لَتَمَوَّدَت أمتك ، وأما الآخر فداعى النصارى ، ولو أُجِبْتَهُ لَتَنَصَّرَت أمتك ، وأما المرأة التى كان عليها من كل زينة ، فإنها الدنيا لو أُجِبْتَهَا لآثرت الدنيا على الآخرة (١) .

(١) وردت فى حديث رواه البيهقى فى الدلائل بسنده إلى أبى سعيد الخدرى وابن جرير . ورواه ابن أبى حاتم بسياق طويل كما يقول ابن كثير - حسن أنيق أجود مما سافه غيره على غرابته وما فيه من النسكاره .

تم بحمد الله
الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع
ان شاء الله

وأوله : ﴿ كفاية الله أمر المستهزئين ﴾

فهرس

الجزء الثالث من الروض الأنف

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
تفسير ونحو : اصدع بما تؤمر ون ، ل ،	٢٩	ابتداء فرض الصلاة « س ،	٦
حول ما المصدرية والذي . ن ، ل ،	٢٩	أول من أسلم « س ،	٧
مبادأة رسول الله « ص ، « س ،	٤٢	إسلام زيد بن حارثة « د ،	٩
صلاة الرسول وصحبه في الشعاب « س ،	٤٣	إسلام أبي بكر	١٠
عداوة الشرك للرسول « ص ،	٤٣	فرض الصلاة	١١
مناصرة أبي طالب للرسول « ص ،	٤٦	لا نسخ في القرآن « س ،	١٢
مبادأة رسول الله أبو البختری	٤٩	الوضوء	١٣
لو وضعوا الشمس في يميني	٥٢	جبريل يؤم الرسول « ص ،	١٤
عرض قرش على أبي طالب	٥٤	أول من آمن	١٥
شرح شعر لابي طالب	٥٦	إسلام زيد	١٦
موقف الوليد بن المغيرة من القرآن « س ،	٦١	إسلام أبي بكر	١٩
أبو طالب يفخر بأبن أخيه « د ،	٦٣	من أسلموا على يد أبي بكر « س ،	٢٢
لامية أبي طالب « د ،	٦٣	إسلام أبي عبيدة وسعيد بن زيد	٢٧
شرح ابن هشام لبعض القصيدة « د ،	٦٩	إسلام سعد . وابن عوف والنحام	٢٩
ذكره صلى الله عليه وسلم ينتشر « د ،	٧٠	ابن مسعود ومسعود القارى	٣١
		تصحیح نسب أبي حذيفة	٣٣
		عميس	٣٤
		تصحیح في نسب بنى عدی	٣٥
		إسلام عامر بن فهيرة	٣٧
		عامر بن الطفيل « ش ،	٣٨

س = سيرة . ش = شرح . وما ليس أمامه شيء أو أمامه راء فهو من

الروض ، ود ن ، مسائل نحوية ولغة

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
حول سورة الكهف «س»	١٣١	أبو قيس بن الأسلت ونسبه «س»	٧١
أول من جهر بالقرآن	١٤٣	قصيدة ابن الأسلت	٧٢
ما لقي رسول الله «ص»	١٤٤	داحس والغبراء	٧٤
المدثر والتذير والعريان	١٤٥	حرب حاطب	٧٦
تقديم المفعول على الفعل	١٤٧	حكيم بن أمية ينهى عن عداوة	٧٧
الرقى وعتبة بن ربيعة	١٤٨	الرسول «س»	
إسلام حمزة	١٥٠	موقف الوليد من القرآن	٧٧
طلبهم الآيات	١٥٢	ذرفى ومن خلقت وحيدا	٨٠
عبد الله بن أبي أمية	١٥٤	شرح لامية أبي طالب	٨٢
هم أبي جهل بالقاء الحجر	١٥٤	قلب الواو تاء «ن . ل»	٨٢
أرأيت «ن . ل»	١٥٦	وسوم الإبل	٨٤
الأساطير وشيء عن الفرس	١٥٧	حول الصفة المشبهة «ن . ل»	٨٤
عن الكهف والفرقان	١٦١	حديث أم زرع «ش»	٨٧
لم قدم الحمد على الكتاب؟	١٦٢	الودع والودع .	٨٨
شرح شواهد شعرية	١٦٣	من شرح لامية أبي طالب	٨٩
الرقيم وأهل الكهف	١٦٤	حسن ذا أدبا «ن . ل»	٩٤
إعراب أحصى «ن . ل»	١٦٤	عود إلى شرح اللامية «ن . ل»	٩٥
عن الكهف مرة أخرى	١٦٥	برى وبراء وما يشبههما	١٠٢
واو الثانية «ن . ل»	١٦٩	الاستسقاء	١٠٣
آية الاستسقاء	١٧١	ابن الأسلت وقصيدته	١٠٧
ولبثوا في كهفهم	١٧٢	حرب داحس	١١٢
السنة والعام «ن . ل»	١٧٤	حرب حاطب	١١٦
ذو القرنين	١٧٧	مالقيه الرسول «س»	١١٦
حكم التسمي بأسماء النبيين	١٨١	إسلام حمزة	١١٨
الروح والنفس	١٨٢	الرسول «ص» وعتبة	١٢٠
الروح سبب الحياة	١٨٨	بين النبي «ص» وبين قريش	١٢٢

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
عبد شمس	٢٢٧	الإنسان روح وجسد	١٩١
عمار لم يهاجر إلى الحبشة	٢٢٨	النفس	١٩١
حول بنى الحارث بن قيس	٢٢٩	ابن هرمة	١٩٢
حول بنى زهرة وطليب بن عبيد	٢٢٩	خزنة جهنم	١٩٤
عن شعر الهجرة الحبشية ونحوياته	٢٣٠	بته «س» ، بأن بشراً يعلمه	١٩٥
« د . ل »		المستمعون لتلاوة النبي «س»	١٩٦
حول أن المصدرية « د . ل »	٢٣٢	العدوان على المستضعفين	١٩٩
حول لام التعجب	٢٣٧	تعذيب بلال وعقه	١٩٩
من معاني شعر ابن مظعون	٢٣٨	من عتقاء أبي بكر	٢٠٠
أنساب	٢٣٩	بين أبي بكر وأبيه	٢٠١
أم سلمة	٢٤١	تعذيب عمار	٢٠١
قريش تطلب المهاجرين «س»	٢٤٣	فتنة المعذبين	٢٠٢
النور الذي كان على قبر النجاشي	٢٤٣	رفض تسليم الوليد بن الوليد	٢٠٢
« د »		الهجرة الأولى إلى الحبشة	٢٠٣
حوار بين النجاشي وبين المهاجرين	٢٤٦	المهاجرون إلى الحبشة	٢٠٥
«س»		من شعر الهجرة الحبشية	٢١٣
المهاجرون وانتصار النجاشي	٢٤٨	حول آيات من القرآن	٢١٥
تملك النجاشي على الحبشة	٢٤٩	حكم المسكره على الكفر والمعصية	٢١٨
قريش تطلب المهاجرين	٢٥٢	آل ياسر	٢٢٠
عمارة بن الوليد بن المغيرة	٢٥٣	زبيرة وغيرها	٢٢١
حول حديث المهاجرين مع النجاشي	٢٥٥	أم عميس	٢٢١
إضافة العين إلى الله	٢٥٧	عن بلال	٢٢٢
معنى ان عيسى كلمة الله وروحه	٢٥٨	عن الهجرة إلى الحبشة	٢٢٢
من هدى السلف في الصفات «س»	٢٥٨	النجاشي وعثمان ورقية	٢٢٢
كلمة «حاضرة» ونسبتها إلى الله «س»	٢٥٩	رؤيا ورقية ولدى العاص	٢٢٥
		أمة بنت خالد وأبوها	٢٢٦

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
كمال المصحف وتامه «ش»	٢٩٧	أصحمة النجاشي	٢٦٠
بعض ما قيل عن الصحيفة «ش»	٢٩٨	من فقه حديث الهجرة الحبشية	٢٦١
تفسير بائية أبي طالب	٢٩٩	الصلاة على النجاشي	٢٦١
لا التي للبرثة «ن . ل»	٣٠٠	حكم الصلاة على الغائب	٢٦٢
عود إلى شرح البائية	٣٠١	إسلام عمر «س»	٢٦٤
مسند أم جميل	٣٠٤	عن إسلام عمر و حديث خباب	٢٧١
عن الجيد والعنق «ن . ل»	٣٠٨	«س»	
غلو في الوصف بالحسن	٣٠٩	خبر الصحيفة القرشية «س»	٢٨٢
الفهر	٣١٢	موقف أبي لهب «س»	٢٨٢
حول خباب وقولهم مذمم	٣١٣	بائية أبي طالب	٢٨٣
سد الذرائع	٣١٣	من جهالة أبي جهل	٢٨٤
إنما الأعمال بالنيات «ش»	٣١٤	ما لقي رسول الله من قومه	٢٨٥
شرح ابن تيمية لسد	٣١٥	أبو لهب وامراته	٢٨٥
الذرائع «ش»		أمية بن خلف	٢٨٧
عن النضر ورستم	٣١٦	العاص بن وائل	٢٨٨
ابن الزبير وعزير (١)	٣١٧	أبو جهل	٢٨٨
حصب جهنم	٣١٩	النضر بن الحارث	٢٨٩
عما نزل في حق الأخنس	٣٢٠	ابن الزهري والأخنس	٢٩٠
عن النسب على غير قياس «ش»	٣٢٠	ما نزل في حق الوليد بن المغيرة	٢٩٢
الزئيم «ر ، ش»	٣٢١	وأبي بن خلف وعقبة بن أبي	
تفسير سورة «الكافرون»	٣٢٢	معيط «س»	
عن كلمة «ما ، ن . ل»	٣٢٤	ما نزل في حق من اعترضوا	٢٩٤
الزقوم	٣٢٧	طواف الرسول «س»	
حديث ابن أم مكتوم	٣٢٨	ما قيل في حق أبي جهل «س»	٢٩٤
العائدون من الحبشة «س»	٣٣٠	قصة ابن أم مكتوم «س»	٢٩٥
قصة ابن مظعون مع الوليد	٣٣٣	حديث صحيفة قریش «س»	٢٩٦

(١) ذكرت خطأ في العنوان (عزير)

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
عن غلام المبيعة وصهيب وأبي فكيمة	٣٩١	أبو سلمة في جوار أبي طالب «س»	٢٣٤
سبب نزول الكوثر «س»	٣٩٢	أبو بكر يرد جوار ابن الدغنة «د»	٢٣٦
الكوثر في الشعر «د»	٣٩٣	نقض الصحيفة «د»	٢٣٨
وقالوا لولا نزل عليه ملك «د»	٣٩٤	قصة الغر ائبق «ش ر»	٣٤٤
ولقد استهزى برسلك من قبلك «د»	٣٩٥	كل شيء ما خلا الله باطل	٢٤٩
الإسراء والمعراج «س»	٣٩٥	أبو بكر وابن الدغنة	٢٥٢
حديث أم هانئ عن الإسراء «د»	٤٠١	عن الشعب ونقض الصحيفة	٢٥٣
الأبتر والكوثر «ر»	٤٠٢	شرح دالية أبي طالب	٢٥٦
استشهاد ابن هشام على معنى الكوثر «ر»	٤٠٩	النسب على غير قياس «ش»	٢٥٦
ذكر حديث المستهزين «ر»	٤١٠	عود إلى الدالية «ر»	٢٥٧
شرح ما في حديث الإسراء من المشكل «ر»	٤١٢	شعر حسان في مطعم وهشام	٢٦٢
أكان الإسراء يقظة أم منام «ر»	٤١٥	إسلام الطفيل «س»	٢٦٤
أكان الإسراء مرتين «ر»	٤١٧	قصة الأعشى	٢٦٨
حول الإسراء والمعراج «ش»	٤٢٠	ذلة أبي جهل والإراشي «س»	٢٧٠
رأى الشوكاني «ش»	٤٢٢	ركانة ومصارعته «د»	٢٧٢
رأى ابن القيم «ش»	٤٢٣	قدوم وفد النصارى من الحبشة «د»	٢٧٣
موازناات بين الروايات «ش»	٤٢٥	حول حديث الطفيل الدوسي «ر»	٢٧٦
شماش البراق «ر»	٤٣٠	خبء وخب «ش»	٢٧٧
قول الملائكة : من معك ؟	٤٢٢	دالية الأعشى وحمزة والشرف «ر»	٢٧٨
باب الحفظة «ر»	٤٣٣	عود إلى دالية الأعشى	٢٨٠
آدم في سماء الدنيا والأسودة التي رأها «ر»	٤٣٤	أغار وأنجد «ن . ل»	٢٨٤
من حكم الماء «ر»	٤٣٦	حول الوقف على النون الحفينة «ن . ل»	٢٨٦
		مصارعة ركانة	٢٨٨
		وفد نصارى الحبشة	٢٩٠

الموضوع	الرقم	الموضوع	الرقم
أوصاف من الملائكة « ر »	٤٥٩	عن دخول بيت المقدس وصفة	٤٣٦
أكله الرباني رؤيا المعراج « ر »	٤٦٠	الانبياء « ر »	
الولد لغير رشدة « ر »	٤٦٣	صفة النبي صلى الله عليه وسلم	٤٣٨
حكم الحاكم لا يحل الحرام « ر »	٤٦٢	قصة المعراج « س »	٤٤٠
مكان لإدريس « ر »	٤٦٥	رؤية النبي ربه « ر »	٤٤٥
قول الانبياء في كل سماء « ر »	٤٦٦	لقاءه للنبين « ر »	٤٥٠
خرافة طلب موسى أن يكون من	٤٦٦	البيت المعمور « ر »	٤٥٣
أمة أحمد « ر »		فرض الصلاة « ر »	٤٥٤
بعض ما رأى	٤٦٧	فرض الصلوات الخمس « ر »	٤٥٦

بموت الله وجميل توفيقه قد تم طبع الجزء الثالث من
كتاب الروض الأنف بمطابع دار النصر ١٣ شارع
سعد الله بالدرب الأحمر - بالقاهرة

دار النصر

محرم سنة ١٣٨٩ هـ
مارس سنة ١٩٦٩ م